السياسة الخارجية للدولة البيزنطية

وتعاملها مع المماليك والعثمانيين

تاريخ أوربا في العصور الوسطى



د. إبراهيم مصباح أحمد

المكتب العربي للمعارف

السياسة الخارجية للدولة البيزنطية وتعاملها مع المماليك والعثمانيين

(١٣٢٨-١٣٤١م)

الدكتور

إبراهيم مصباح عبد القوى أحمد

الناشر

المكتب العربي للمعارف -

عنوان الكتاب : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية
اسم المؤلف : إبراهيم مصباح عبد القوي
تصميم الغلاف : شريف الغالي

الناشر
المكتب العربي للمعارف
٢٦ شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة
تليفون/ فاكس: ٢٦٤٢٣١١٠-٠١٢٨٣٢٢٢٢٧٣
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى يناير ٢٠١٣

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٥٥٩١
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978- 977-276-662-8

إهداء

إلى أمي ..

العطاء الدائم ..

والأمل المتجدد ..

مقدمة

منذ أن نقل الإمبراطور قنسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧م) عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما على ضفاف التيبر إلى موقعها الجديد (القسطنطينية) على ضفاف البوسفور عاشت الإمبراطورية – التي عرفت فيما بعد بالإمبراطورية البيزنطية – في وجدان أباطرتها، كامتداد طبيعي للإمبراطورية الرومانية . وعاشت الإمبراطورية البيزنطية فترة طويلة ، وتقلبت بها الأحوال ، من فترات القوة إلى فترات ضعف. وخرج البيزنطيون من هذه التقلبات بعدة دروس ، كان أهمها انه طالما بقيت القسطنطينية في أيدي الأباطرة، فالإمبراطورية باقية. وهو الدرس الذى وعاه البيزنطيون في عام ٦٢٦م أثناء حصار الفرس والآفار للعاصمة، وتأكد لهم فى عام ٧١٧ – ٧١٨م أثناء حصار المسلمين لها .

وسارت الإمبراطورية البيزنطية على هذا المنوال من تقلب الأحوال ، إلا أنه بعد ضياع القسطنطينية لمدة نصف قرن من الزمان (١٢٠٤-١٢٦١م) حيث استولى عليها صليبيو الحملة الرابعة ، وأقاموا فيها دولة لاتينية، بينما قبع أباطرتها في المنفى ، وبعد استرداد ميخائيل الثامن باليولوجس (١٢٦١-١٢٨٢م) للعاصمة البيزنطية ، وأعاد إحياء الإمبراطورية لمدة قرنيين من الزمان ، كانت الدولة التي أقامها باليولوجس لم تكن إلا شبحا واهيا للإمبراطورية التي أقامها قنسطنطين الكبير . فقد كان مقدراً لها أن تسير منذ ١٢٦١م وحتى أسقطها العثمانيون إلى الأبد فى عام ١٤٥٣م ، من ضعف إلى ضعف . فقد كانت إمبراطورية باليولوجس كيانا ضئيلا بالمقارنة بإمبراطورية قنسطنطين فى مساحتها وفى قدراتها العسكرية والاقتصادية وحتى الدبلوماسية. فلم تتعد حدودها مدينة القسطنطينية وبعض المناطق القريبة ، بينما أحاط بها المتربصون الطامعون فيها من كل الجهات ، وعلى مقربة من العاصمة . ففي الشمال كانت مملكة البلغار والصرب ، وفي الجنوب وحتى بحر إيجه ، تقع ممتلكات الأمراء اللاتين و البنادقة ، بينما غالبية أسيا الصغرى في أيدي العناصر التركية. وبينما أضعفتها الحرب الأهلية ، وجهزتها مع ضآلة قدرتها للسقوط على أيدي العدو الذي سوف يفوز بها ولم يكن نشاط الأباطرة

البيزنطيين سوى محاولة يائسة للحفاظ على هذا الكيان الضعيف. وكانت جهود الأباطرة متركزة في مجال السياسة الخارجية. وكانت الفترة من عام ١٣٢٨م إلى عام ١٣٤١م أكثر الفترات التاريخية التي ظهرت فيها نتائج عوامل الضعف كلها. وكانت السياسة الخارجية للدولة البيزنطية خلال تلك الفترة – عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث – هي الوسيلة التي حاول بها هذا الإمبراطور الحفاظ على الإمبراطورية من كل طامع فيها. كل هذا دفعني إلى اختيار " السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجس(١٣٢٨– ١٣٤١م) " موضوعا للدارسة . إلى جانب ذلك فان هناك عدة أسباب تجعل هذه الدراسة تحظى بالأهمية . منها خلو المكتبة العربية من بحث قائم بذاته في هذا الموضوع . كما أن ما كتبه المؤرخون الغربيون الحديثون يعالج السياسة الخارجية البيزنطية في هذه الفترة بشكل عام وشامل ضمن استعرضهم السريع والعام للتاريخ العام للدولة البيزنطية ، أو لتاريخها منذ عام ١٢٦١م وحتى عام ١٤٥٣م. إلى جانب ذلك فانه لا يوجد مصدر تاريخي بيزنطي واحد معاصر لأحداث الفترة موضوع الدراسة انفرد بتسجيل جوانب السياسة الخارجية البيزنطية على حدة بل أشار جميع المؤرخين البيزنطيين المعاصرين إليها ضمن ما سجلوه من صفحات التاريخ البيزنطي ، وحتى عند سردهم لتاريخ بيزنطة في هذه الفترة ، لم يسجلوا سوى ما عرفوه من أمور الحرب والقتال ، أما عن الدبلوماسية البيزنطية فلم يسجلوا إلا القليل منها ، الأمر الذي يجعل هذا الموضوع في حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث ، لإلقاء الضوء على ما أغفلت ذكره المصادر التاريخية ، أو جاء مبتورا وغامضا من جوانب السياسة الخارجية البيزنطية في روايات من تعرضوا للتاريخ البيزنطي من المؤرخين الحديثين.

أما عن الحدود الزمنية لموضوع الدراسة ، فيبدأ بعام ١٣٢٨م وهو العام الذي اعتلى فيه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث العرش البيزنطي بعد إجبار جده أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢–١٣٢٨م) على التنازل عن العرش البيزنطي في ٢٣مايو ١٣٢٨م الذي سبق أن تناولته الباحثة ناهد عمر صالح بالدراسة ، موضوع السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهده في بحث

للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة . فكان من الأوفق أن يكون عام ١٣٢٨م هو البداية الطبيعية للفترة الزمنية موضوع الدراسة. أما عن نهاية الموضوع ، فقد كان من الطبيعي أن ينتهي موضوع الدراسة بعام ١٣٤١م، وهو العام الذي مات فيه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ، الذي بدأت بموته حرب أهلية جديدة، وبدأت بيزنطة تفقد الكثير مما تبقى لها من أراضي ، إعلانا عن بداية سقوطها النهائي . وعلى هذا فالحدود الزمنية لموضوع البحث تبدأ بعام ١٣٢٨م وتنتهي بعام ١٣٤١م.

أما عن التبويب العام للبحث ، فقد قسمته إلى أربعة فصول ، أما الفصل الأول وعنوانه " العلاقات السياسية بين بيزنطة وجيرانها (١٢٨٢-١٣٢٨م) "،حيث يبدأ بسياسة بيزنطة تجاه المملكة الصربية وإغارتها المتكررة على الأراضي البيزنطية وموقف الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني منها ، وكذلك يعرض العلاقات البيزنطية البلغارية من إغارات على الأراضي البيزنطية ، ومعاهدات السلام بين الطرفين. ثم يلي ذلك الحديث عن سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الإمارات التركمانية والأتراك العثمانيين الذين توسعوا على حسابها في أسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان. وكذلك الحديث عن الحرب الأهلية بين الإمبراطور أندرونيكوس الثاني وحفيدة أندرونيكوس الثالث ، وأثرها على السياسة الخارجية خلال الفترة الممتدة من عام ١٣٢١م إلى عام ١٣٢٨م، والتي يتناول فيها الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اشتعال الحرب الأهلية ومحاكمة أندرونيكوس الثالث في الخامس من إبريل ١٣٢١، ومعاهدة الصلح بين الجد والحفيد في بداية يونيو عام ١٣٢١م في مدينة ريجيون Rhegion ، ثم تتويج أندرونيكوس الثالث كإمبراطور مشارك لجده في الثاني من فبراير ١٣٢٥م . ثم يختتم الفصل بقيام أنصار الإمبراطور الشاب أندرونيكوس الثالث بإجبار الإمبراطور أندرونيكوس الثاني على التنازل عن العرش وتنصيب حفيدة مكانة في ليلة الاثنين الثالث والعشرين من مايو عام ١٣٢٨م.

أما الفصل الثاني وعنوانه "سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الأتراك العثمانيين في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث (١٣٢٨-١٣٤١م) " فيتناول

الحديث عن استيلاء العثمانيين على القلاع والحصون القريبة من مدينة بروسه Proussaوسيطرتهم على المفتاح المؤدى لها وهى مدينة هادريان Hadrian، ثم يعرض السفارة العثمانية تحت قيادة كوزي ميخائيل - Koeze Mikal للحاكم البيزنطي إفرينوس Everenos على بروسه وأهم النتائج المرتبة على سقوط الأخيرة في أيدي القوات العثمانية . ثم يتناول الاستعدادات العثمانية لإحكام السيطرة على مدينتي نيقيه Nicaea و نيقوميديا Nikomedia بالاستيلاء على الحصون والقلاع المواجهة لهما و التي من أهمها حصون سمندرا Semendra و أبيدوس Abydos. ثم يعرض الإجراءات والاستعدادات البيزنطية لمواجهة الخطر العثماني في مايو ١٣٢٩م، وعبور القوات البيزنطية لمضيق البوسفور في يونيو ١٣٢٩م ، وموقعة بلكانون Pelekanon – فيلوكرين Philocrene بين الطرفين . ثم يلي ذلك الحديث عن حصار القوات العثمانية لمدينة نيقيه تحت قيادة أورخان العثماني والسيطرة عليها ١٣٣١م. ويتناول الفصل أيضا معاهدة السلام البيزنطية العثمانية في أغسطس ١٣٣٣م . وأهم بنودها ، وكذلك الهجوم العثماني على القلاع أثيروس Athyros، وإبيباتوس Epibatos القريبة من القسطنطينية عام ١٣٣٧م. ثم يعرض في نهاية الفصل معركة أتيرا Atyra واستيلاء القوات العثمانية على نيقوميديا و كاراسي Karasi و سكودار Uskudar عام ١٣٣٦م ، ١٣٣٧م.

أما الفصل الثالث وعنوانه "سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه بلاد اليونان والألبان والبلغار والصرب في الفترة (١٣٢٨- ١٣٤١م)" فيتناول الحديث عن سياسة بيزنطة تجاه بلاد اليونان. فيعرض الهجوم الإبيروسي تحت قيادة حنا الثاني أورسيني John II Orsini على تساليا Thessaly ورد فعل الإدارة البيزنطية عام ١٣٣٢م. وكذلك يتناول الحديث عن رض السيطرة البيزنطية على مدينة تساليا وإعادتها لحظيرتها في مارس ١٣٣٦م. ثم يعرض الدور البيزنطي في مدينة إبيروس Epirosعقب وفاة حاكمها حنا الثاني أورسيني عام ١٣٣٧م ، وكيفية إعادة السيطرة على المدن الثلاث الإبيروسية الثائرة وهم أرطا Arta و توموكاسترون Tomokastron وروجوي Rogoi عام ١٣٤٠م. ثم يواصل الفصل الحديث عن سياسة الإمبراطورة البيزنطية تجاه

ألبانيا فيعرض الهجوم الألباني على كانينا Kanina و بيرات Berat عام ١٣٣٧م وموقف الإمبراطور أندرونيكوس الثالث منه. ثم يتناول العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية ،فيتناول الهجوم البلغاري على تراقيا، ومعاهدة السلام بين بيزنطة والبلغار في أكتوبر ١٣٢٨م. ثم الحديث عن معاهدة التحالف المشترك بين الإمبراطور أندرونيكوس الثالث والملك البلغاري ميخائيل سيسمان Michael Sisman في ربيع ١٣٣٠م، وما ترتب عليها من خوض معركة فيلبوشد Velbuzed يوليو ١٣٣٠م، ولكن سرعان ما قلب الملك البلغاري الجديد ويدعى إيفان ألكساندر سترانزيمير Ivan Alexander Stratzimir ظهر المجن في وجه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بالهجوم على المدن الواقعة على البحر الأسود والتي كانت خاضعة للحكم البيزنطي. ثم يتناول الفصل أيضا سياسة بيزنطة تجاه المملكة الصربية فيعالج الهجوم الصربي على أوخريدا Ochrida و ستروميتزا Strumitzaعام ١٣٢٩م. ثم يتناول هروب القائد البيزنطي سيرجيانيز Syrgiannes إلى البلاط الصربي أواخر ١٣٣٠م. وقيادته للقوات الصربية في المدن البيزنطية، والتي من أهمها مدينة كاستوريا Kastoria منتصف صيف ١٣٣١م. ثم يعرض اللقاء بين العاهلين البيزنطي والصربي في مدينة رادوبسدين Rhadobsdein وما يترتب عليه من توقيع معاهدة صلح بيزنطية صربية في ٢٦ أغسطس ١٣٣٤م. ثم يختتم بتوتر العلاقات البيزنطية الصربية مرة ثانية واستمرار الحروب بينهم حتى عام ١٣٤١م.

أما الفصل الرابع والأخير وعنوانه "سياسة بيزنطة تجاه كل من الإمارات التركمانية ودولة المماليك والمدن الإيطالية ومملكة نابولي والبابوية في الفترة (١٣٢٨-١٣٤١م) ." ويتناول هذا الفصل الحديث عن سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الإمارات التركمانية حيث يعرض توقيع معاهدة السلام بين الإمبراطور أندرونيكوس الثالث وإمارتي صاروخان Saruhan و أيدين Aydin نهاية عام ١٣٢٩م. ثم يتحدث عن الهجوم التركماني على مدينة غاليبولى Gallipoli وساحل تشيرسون Cherson فى فبراير ١٣٣٠م. ثم يعرض قيام القوات التركمانية تحت قيادة الأمير عمر و أخيه خضر بك على

جزيرة خيوس Chios عام ١٣٣١م ثم يتناول الهجوم التركماني على المدن البيزنطية في المورة و التي من أهمها مونيمفازيا Monemavasia وبلاد إشبن Espen وميسترا Mistrai في مارس ١٣٣٣م ويتحدث الفصل أيضا عن الحصار والهجوم التركماني على مدينة فيلادلفيا Philadelphia نهاية عام ١٣٣٤م. ويتناول أيضا لقاء كارابورون Kara Burun بين العاهلين البيزنطي أندرونيكوس الثالث والتركماني الأمير عمر في أكتوبر ١٣٣٥م. وكذلك يعرض العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة المماليك ، حيث يتحدث عن السفارة المملوكية للبلاط البيزنطي عام ١٣٣٠م ثم يتناول حريق دمشق بفعل راهبين بيزنطيين ورد فعل السلطان المملوكي منه عام ١٣٣٩م، وكذلك السفارة البيزنطية لبلاط السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣٤٠م. ثم يتناول سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه المدن الإيطالية حيث قام الأسطول البندقي بالهجوم على هيرون Hieron عام ١٣٢٨م. ثم يعرض توقيع معاهدة عام ١٣٣٢م بين الإمبراطورية البيزنطية والبندقية.وكذلك توقيع معاهدة ١٣٣٩م التجارية الموقعة بين الطرفين البيزنطي و البندقي. ثم يتحدث عن العلاقات البيزنطية الجنوية التي تمثلت في الصراع البيزنطي الجنوى حول جزيرة خيوس و ليسبوس Lesbos وإعادة السيطرة عليهما عام ١٣٣٦م. ثم يعرض علاقة الإمبراطورية البيزنطية بمملكة نابولي Naples وإسهامها في حملة عسكرية على إبيروس (أغسطس ١٣٣١م) ولكن سرعان ما سادت علاقات الود والصداقة من خلال السفارات المتبادلة بين الطرفين عام ١٣٣٧، ١٣٣٨م. ثم يتحدث الفصل عن العلاقات البيزنطية البابوية التي جاءت في شكل سفارات متبادلة بين الطرفين. ففي عام ١٣٣٣م أرسل البابا حنا الثاني والعشرون John XXII (١٣١٧-١٣٣٤م) سفارة للإمبراطور أندرونيكوس الثالث، وكذلك استقبلت السفارة البيزنطية في أفينون الفرنسية Avignon عام ١٣٣٤م . ثم يتناول محاولات اتحاد كنيستي بيزنطة وروما عام ١٣٣٩م .

وفي الخاتمة عرضت الخطوط العريضة للسياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجس بتركيز شديد مع تقييم هذه السياسة بصفة عامة. ثم استعرض أهم القضايا والنقاط والمشاكل التي

تعرض لها موضوع البحث، مع إبراز الآراء والاستنتاجات التي استطعت التوصل إليها.

وأخيرا ذيلت البحث ببعض الملاحق التي مازالت بلغاتها الأصلية والتي لم تنشر بلغات حديثة بعد. وقد قمت بنقلها للمرة الأولى إلى اللغة العربية وهي تلقى الضوء على القضايا التي تمت مناقشتها خلال البحث وكذلك ضمت الملاحق عدداً من الصور والخرائط التوضيحية التي تتعلق بموضوع البحث.

لما كان موضوع البحث يتناول السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، أي العلاقات السياسية بين بيزنطة وبين أطراف عديدة في الشرق والغرب ، لذا تحتم الرجوع إلى مصادره الشرقية والغربية على قدم المساواة ، سعيا وراء الحقيقة التاريخية . وعمد الباحث إلى المقارنة التاريخية التي استقاها من تأليف المعاصرين للفترة موضوع الدراسة من مراسلات ووثائق رسمية وحوليات ، وذلك لضبط الأحداث وسد الثغرات ، والرد على كافة التساؤلات التي فرضتها طبيعية الأحداث التاريخية التي عالجها البحث.

ختاما لا يسعني إلا أن أقدم شكري وعظيم امتناني وعرفاني لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / حسين محمد عطية وكيل كلية الآداب جامعة طنطا سابقا وأستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب طنطا الذى أشرف على هذا البحث والذي لم يبخل على طيلة مراحل البحث بالنصح والإرشاد و التوجيه ، وكان لتوجيهات سيادته وتشجيعه أثر كبير فى مواصلتي البحث والدراسة وكانت توجيهاته أيضا خير عون وخير دليل لى فى كشف غوامض البحث و إخراجه إلى حيز الوجود فجزاه الله عنى وعن تلاميذه خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / محمد محمود النشار وكيل كلية الآداب جامعة طنطا وأستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب طنطا على ما قدمه لى من عون ومساعدة ومراجعة لهذه الدراسة. ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الدكتور / صلاح محمد ضبيع أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بآداب سوهاج على ما قدمه لى من عون وما أسداه لى من نصح و إرشاد طوال فترة البحث فجزاه الله عنى خير الجزاء و أحسنه. كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور / الأمين عبد الحميد أبو سعده

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بآداب طنطا و الأستاذ الدكتور / حـاتم عبد الرحمن الطحاوى أستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب الزقازيق على مـا قدماه إلى من عون وإرشاد في سبيل إتمام هذا البحث . وكذلك أتقـدم بالشـكر لأمناء المكتبة المركزية بجامعة القاهرة والدومينيكان والفرنسيسكان و إلى كـل من ساعدني لإتمام هذه الدراسة .

والله ولي التوفيق

الباب الأول

الفصل الأول

العلاقات السياسية بين بيزنطة وجيرانها (١٢٨٢-١٣٢٨م).

كان الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس Michael VIII Palaeologos (١٢٦١ -١٢٨٢م) قد اغتصب العرش من أسرة لاسكارس Laskaris (١٢٠٤ - ١٢٥٨م) في عام ١٢٥٨م [1]. وفي بواكير عام ١٢٦٠ بدأ ميخائيل الثامن التخطيط من أجل الاستيلاء على مدينة القسطنطينية من أيدي اللاتين . ولكن قبل أن يلتفت نحو اللاتين أمن نفسه في أوروبا وأسيا وذلك بالدخول في مفاوضات وعقد العديد من المعاهدات مع القوى

---

(1) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,Vol.2 ,P.22; Doukas, *Decline and Fall of Byzantium*,P.59

أما الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس Michael VIII Palaeologos فهو ابن لأسرة عريقة لمع اسمها في حوليات بيزنطة منذ منتصف القرن الحادي عشر، فالمعروف أن جورج باليولوجس الجد الأكبر للأسرة هو الذي ساعد آل كومنين في الحصول على العرش البيزنطي في أواخر القرن الحادي عشر . ويطالعنا ميخائيل الثامن باليولوجس نفسه بأصل نسبه بقوله أنه ينتسب إلى بيت دوكاس وبيت كومنين وبيت أنجيلوس ، وهي بيوت إمبراطورية كلها والواقع أن أبناء بيت باليولوجس قد شغلوا منذ وقت بعيد أرفع المناصب في قيادات الجيش وفي مجال الحكومة كما أن أسرة باليولوجس كانت على صلة مصاهرة بأسرة ثيودور لاسكارس الأول (١٢٠٤-١٢٢٢م) بطل حكومة المنفى في نيقيه . وكان ميخائيل يجمع في شخصه بين نبالة الأصل وشجاعة الجندي وفطنة رجل الدولة وقد رقى في صدر شبابه فكان قائدا لفرقة لفرنجة المرتزقة الذين كانوا في خدمة الدولة البيزنطية.وقد أحبه جنده حبا خالصا وأخذ نجمه في العلو شيئا فشيئا حتى أصبح أسمه على كل لسان في البلاط . وفي عهد ثيودور الثاني لاسكارس (١٢٥٤-١٢٥٨م) كان ميخائيل الثامن حاكما على مدينة نيقيه لمزيد من التفاصيل انظر:

Pachymeres , *De Michaele et Andronico* , Vol,1.p.12. Cf. Also ,*O.D.B* , Vol. 2, p.1367.

راجع أيضا : إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (١٢٦١- ١٢٨٢م)، بنغازي ، د.ت ، ص ٣٥ وما بعدها .

السياسية الموجودة على مسرح الأحداث في ذلك الوقت مـن أجـل أن تكـون ضربته الموجهة للقسطنطينية قاضية وبالفعل تمكن ميخائيل من تحقيق أهدافـه السياسية بتتويجه في الخامس عشر من أغسطس ١٢٦١م على العرش البيزنطي [٢] إلا أن الإمبراطورية البيزنطية أمست خاوية على عروشها خالية من سكانها ، في حاجة ماسة إلى الإصلاح بعد الاحتلال اللاتيني الطويل لها ولكن هـذا لا يمنع أنها ظلت المدينة المقدسة في العالم البيزنطي .

وعلى أية حال يمكن القول أن ميخائيل قد أعاد الإمبراطورية البيزنطية إلى ما كانت علية تقريبا من الناحية الاسمية ولكن لم ينجح في إعادة فاعليتهـا وقوتها من جديد . إلا أنه أعاد للبيزنطيين عاصمتهم وكرامتهم ، وبعـد وفاتـه خلفه على العرش ابنه أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢-١٣٢٨م) الذي لـم يكن على شاكلة أبيه الراحل ، إذ كان مفتونا بالسحر والشعوذة كما أنه كان شديد التدين ، إلا أن بيزنطة لم تكن في حاجة إلى ناسك على عرشـها لأن الحاجـة ماسة إلى جندي فذ ، ولقد طالت مدة حكم أندرونيكوس ستة وأربعـين عامـا ، شهدت خلالها الإمبراطورية البيزنطية أحداثا خطيرة عجلت بسقوطها النهـائي [٣]وذلك على الرغم من أن أسرة باليولوجس قد حقنت بيزنطة بجرعة من الـدم الجديد مدت من عمرها مائتا عام تقريبا ولكنها كانت أعواما من الموت البطيء

---

(٢) Pachymeres , *De Michaele et Andronico*,Vol.2, pp.221, 244; Doukas, *Decline and fall of Byzantium*, p.59.

انظر أيضا : بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، جـ٩ ، تحقيق زبيدة عطا ، القاهرة ، د.ت، ص ٢٥٨؛ نيقولو بار بارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني في ١٤٥٣م، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ١٦ ؛ جونز : الحصار العثماني للقسطنطينية ، ص ٦٢ . راجع أيضا : إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ص ٤١،٣٤؛ روبرت لي وولف : الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، ص ٤١٦-٤١٩ .

(٣) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,Vol.2, pp.244 –250; Doukas, *Decline and fall of Byzantium*, p.59.

راجع أيضا : إسحق عبيد الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ،ص ١١٧ ؛ محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، بيروت ١٩٨١ ص٣٥١ ؛ روبرت لي وولف: الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، ص ٤١٩.

وكانت النهاية المحتومة واضحة في الأفق لمن يريد أن يتبينها [١] فلقد كان الصرب [٢] الذين استقروا في شبه جزيرة البلقان في القرون الوسطى في شكل جماعات إقليمية صغيرة تحت حكم زعيم قبلي يتطلعون دائما منذ الفترة الأولى للتوسع في وسط وغرب البلقان ، مما جعل الإدارة البيزنطية توطنهم في إقليم غرب البلقان مقابل الاعتراف بالولاء والتبعية للإمبراطورية البيزنطية ، فظهرت المملكة الصربية كدولة متحدة ذات كيان سياسي في القرن الثاني عشر الميلادي . وأصبح لها دور بارز على مسرح الأحداث السياسية في البلقان منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي وحتى نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي [٣] حيث كان الصرب بمثابة الخطر الداهم الذي مزق الممتلكات البيزنطية إلى أشلاء متناثرة ، حيث إنهم بسطوا نفوذهم على العديد من المناطق البيزنطية في البلقان مع نهاية عام ١٢٨٢م ، والتي كان من أهمها المناطق المحيطة بنهر الفاردار Vardar [٤] وفي مطلع عام ١٢٩٢م

---

(١) إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ١٢.

(٢) لقد اختلف المؤرخون حول أصل الصرب ، منهم من يشير إلى انتمائهم إلى قبائل السرامطة Sarmtians الإيرانية الرعوية التي عبرت في اتجاه الغرب تحت ضغط القبائل المنغولية Mongolians إلى أورسيا، فاستقر الصرب في منطقة سكسوني Saxony وعرفوا باسم الصرب البيض بينما يشير المؤرخ وليم الصوري إلى أن " الصرب قوم غلاظ ترجع أصوله إلى المنفيين الذين طردوا من الإمبراطورية البيزنطية للعمل في محاجر الرخام والمناجم في الإقليم الجبلي الواقع بين دلماشيا والمجر والليريا" أما عن لفظة الصرب Serb فهي مكونه من مقطعين وتعني الرجال . لمزيد من التفاصيل انظر : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، جـ ٤،ص ١٠٠ – ١٠١ . انظر أيضا : عماد أمين محمد : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية في البلقان في العصور الوسطى (٦٢٦ـ ١٤٥٩م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ٢٠٠٣ ، ص ٢١-٢٣ .

(٣) تقع البلقان في الطرف الجنوبي الشرقي للقارة الأوروبية ، فيحدها من الشمال نهر الدانوب ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الشرق البحر الأسود و الإيجي ومن الغرب البحر الأيوني والأدرياتي . انظر : دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع ، ترجمة محمد ثابت ، إبراهيم زكي و آخرون ، القاهرة ١٩٦٩م، ص١٧٨؛ عماد أمين الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ، ص ٢٦،٦-٢٧ .

(٤) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium,* p.119.

أما وادي ونهر الفاردار فيقع في إقليم مقدونيا وهو ممتد من مدينة تسالونيكا إلى مدينة سكوبيج Skopjeانظر:

أغارت القوات الصربية على المدن المهمة فى مقدونيا فاحتلت منهـا أوخريـدا Ochrida [٥] وبريليب Prilep [٦] وغيرها مـن سـهول مقـدونيا الغربيـة العظيمة [٧] .

وفى عام ١٢٩٦م أغارت القوات الصربية على الأجزاء الشمالية مـن إقليم ألبانيا ثم سيطرت على المدن الهامة على ساحل البحر الأدريـاتى بعـد أن ألحقت هزيمة ساحقة بـالجيش البيزنطـي تحـت قيـادة ميخائيـل جلابـاس طارخانيوتس Michael Glabas Tarchaniotes فى أواخر عام ١٢٩٧م [١]

Nicol. D, *The End Of The Byzantine Empire*, (London, 1979) p.10 ; Norwich. J, *Byzantium the Decline and Fall* , (Viking, 1995) p. XLII .

[٥] أوخريدا Ochrida تقع على الطريق الروماني القديم Via Egnatia الذي يمتد من تسالونيكا إلى دورازو على البحر الأدرياتى وهى عاصمة صموئيل Samuel ملك البلغار وتقع على الطرف الجنوبي لبحيرة أوخريدا وتتمتع بمناعة عالية لوقوعها على سلسلة من الجبال انظر : السيد الباز العريني:الدولة البيزنطية، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٦٤٨ .

[٦] Brehier.L, *Vie et Mort de Byzance*, (Paris ,1948)p.415; Nicol ,*The Last Centuries of Byzantium*, p.120.

أما بريليب فتقع في الركن الجنوبي من إقليم مقدونيا ، احتلها الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني عام ١٠١٤م من الحاكم البلغاري صموئيل وكانت إحدى المدن البيزنطية الحصينة على الحـدود الصـربية لمزيـد مـن التفاصـيل انظـر: *O.D.B*, Vol. 3 , p .1718 .

[٧] دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع عشر، ص١٨١ . انظر أيضا: Nicol , *The Last Centuries Of Byzantium*, p.120.

[١] Nicol , *The Last Centuries Of Byzantium* ,p.120.

أما ميخائيل جلاباس طارخانيوتس ، هو قائد بيزنطي توفى عام ١٣٠٥م تقريبا وكان بيتا جلاباس وطارخانيوتس من البيوت الحربية البارزة التي تمتلك مساحات واسعة من الأراضي فى القرن الثالث عشر وكان ميخائيل جلاباس ينتمي إلى هاتين الأسرتين معا ، وكان جنديا فى خدمة الدولة حيث إنه حارب أولا تحت راية الإمبراطور ميخائيل الثامن ثم تحت لواء أندرونيكوس الثاني فى بلغاريا وصربيا وارتفع قدره حتى بلغ مرتبة البروتوستراتوف Protostratov أو القائد الكبير و ألقيت إليه مقاليد الحكم فى الولايات الغربية ومن ثم فإنه اتخذ من تسالونيكا مركزا لعملياته الحربية ولقد أنظم مانويل فيليس Manule

وعندما وصلت تلك الأخبار إلى مدينة القسطنطينية أدرك الإمبراطور أندرونيكوس الثاني ضعف موقفه [٢] ولذلك أوفد سفارة دبلوماسية بيزنطية تحت زعامة ثيودور ميتوخيتس Theodor Metochites [٣] بهدف عقد معاهدة صداقة وسلام مع الملك الصربي إيتين إيروش الثاني ميليوتين Etienne Uros II Milutin مقابل زواجه من إيودوكيا Eudocia شقيقة الإمبراطور أندرونيكوس الثاني [٤] فوافق الملك الصربي على الزواج من إيودوكيا لهوى في نفسه [٥] . ولقد وافق الملك الصربي على هذا الزواج من أجل الحصول على اعتراف رسمي بشرعية حكمه لمواجهة أخيه ستيفان دراجوتين Stefan Dragutin المعزول من العرش الصربي مؤخرا والمدعوم بمساندة الأرستقراطية الصربية [٦] ، بينما يرى المؤرخ باخيميرس إيتين قد وافق على الزواج من إيودوكيا لحماية عرشه من أي محاولة للإطاحة به وذلك بمساعدة

Philes شاعر بلاط أندرونيكوس الثاني قصيدة طويلة لتمجيد أعمال طارخانيوتس الحربية . انظر دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ص ٢١٠ .

(٢) Brehier, *Vie et Mort de Byzance* ,p.415

(٣) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p.120

أما ثيودور ميتوخيتس ، هو الأديب ورجل الدولة الذي عاش من سنة ١٢٧٠م حتى عام ١٣٣٢م ، درس الفلك على يد مانويل بريينيوس ، وتولى أرقى المناصب حيث أصبح وزيرا للمالية من عام ١٢٩٥ إلى ١٢٩٦م ، ثم المستشار والوزير الأول للإمبراطور أندرونيكوس الثاني انظر:دونالد نيكول :معجم التراجم البيزنطية،ص ٢١٧-٢١٨ انظر أيضا :

Verpeaux. J,Le Cursus Honorumed Theodor Metochites, *R.E.B.*, Vol.XVII, (Paris,1959) p.196;*O.D.B*, Vol. 2, pp.1357-1358.

(٤) وهي أرملة حنا الثاني كومنين John II Comnen (١٢٨٠ - ١٢٩٧ م) إمبراطور طرابيزون . انظر :

Verpeaux ,Le Cursus Honorumed Theodor , p.196.

(٥) Pachymeres ,*De Michaele et Andronico* , . Vol. 2,p 271

(٦) Mavromatis.L, Le Serbie De Milutin Entre Byzance et Occident,*B.*,Vol.XLII,(Bruxelles,1973)p.120

صهره المستقبلي الإمبراطور أندرونيكوس الثاني[٧] . وفى حقيقة الأمر فإن ما ذكره باخيميرس بشأن موافقة إيروش الثاني على الزواج كان نوعا من المفاخرة بالإمبراطور أندرونيكوس الثاني ، حيث إن الأخير قد وصل إلى حالة من الضعف جعلته لا يستطيع أن يحمى عرشه فكيف يستطيع أن يحمى العرش الصربي وهذا ما سيتضح فيما بعد عندما يجبره حفيده أندرونيكوس الثالث على التنازل عن العرش فضلا عن الأخطار التي كانت تهدد الإمبراطورية البيزنطية من كل جانب .وأمام إعلان إيودوكيا رفضها التام الزواج من إيروش بحجة أنه رجل يتخذ من الزواج سبيلا لتحقيق أغراضه وأطماعه[٨] وأنها لن تكون دمية في يد أخيها يحركها وفقا لأغراضه ومصالحة السياسية [٩] فقد قرر الإمبراطور أندرونيكوس الثاني على الفور أن تكون ابنته سيمونيز Simonis هي زوجة إيروش الثاني ، ولكن بشرط أن يتنازل الملك الصربي عن جميع الأراضي البيزنطية

الممتدة من شرق أوخريدا إلى بريليب وستيب Stip فى مقدونيا [١] فوافق إيروش على شرط الإمبراطور أندرونيكوس الثاني ووقع معه معاهدة سلام وصداقة وتحالف مشترك [٢]بيد أن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن إذ قلب إيروش الثاني ظهر المجن لأندرونيكوس الثاني بتحالفه مع تشارلس أوف فالوا Charles of Valois [٣] الذي أبرم معه اتفاقية دفاع مشترك وعندما طار خبر

---

(٧) Pachymeres, *De Michaele et Andronico* , Vol. 2,p. 274-175.

(٨) Pachymeres, De Michaele et Andronico , Vol.2,p 274; Gregoras, . Byzantinae Historiae,Vol.1, p.203

(٩) عماد أمين : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ، ص ١١٥ .

(١) Pachymeres, *De Michaele et Andronico* ,Vol.2, P.291; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1,p.202. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.120.

(٢) Pachymeres, *De Michaele et Andronico* , Vol. 2, pp. 291- 292; Gregoras ,*Byzantinae Historiae,* Vol. 1, p. 203.

(٣) Lebeau, *Histoire Du Bas – Empire*, Tom . XIX , p.12

هذا التحالف وضرب ملك الصرب بمعاهدة السلام مع الإمبراطور البيزنطي عرض الحائط إلى مسامع أندرونيكوس الثاني ، قام الأخير بتقديم منحة مالية كبيرة لدير القديس نيكيتاس Saint- Nicetes في سكوبيج Skopje كنوع من التزلف والتقرب من الملك الصربي [٤] لكن ثمة ما يدعو للعجب والبحث عن السبب في هذا الانقلاب المفاجئ للملك الصربي إيروش الثاني ، بيد أن السبب في ذلك هو شق ستيفان دراجوتين عصا الطاعة على أخيه إيروش الثاني مطالبا بعرشه المغتصب ، مما جعل إيروش الثاني يتطلع لحليف قوى وبخاصة أن الإمبراطور أندرونيكوس الثاني صرف همته إلى حروبه ضد التركمان في ذلك الوقت . الأمر الذي جعل إيروش الثاني يقرر التحالف مع فالوا ويضحي بعلاقاته ببيزنطة في سبيل الحفاظ على عرشه .

ولقد تطورت الأمور بسرعة مذهلة وسارت الأحداث من سئ إلى أسوأ عندما اجتاحت القوات الصربية أراضى الإمبراطورية البيزنطية في إقليم مقدونيا عام ١٣١١م[٥] وحول هذا الهجوم وردت روايتان ، الأولي يشير لها

أما تشارلز أوف فالوا فهو ابن الملك فيليب الثالث ملك فرنسا عاش في الفترة من(١٢٧٠-١٣٢٥م) وتزوج في ٢٨ يناير ١٣٠١م من كاترين كورتيناي Catherine of Courtenai ابنة فيليب الأول وحفيده بلدوين الثاني آخر حكام الإمبراطورية البيزنطة بمقتضى هذا الزواج ولذلك أخذ فالوا يعد العدة لغزو القسطنطينية لمزيد من التفاصيل انظر : عماد أمين : الصرب وعلاقتهم بالقوى السياسية ، ص١١٩ . راجع أيضا :

Moranville, Les Projcts De Charles Valois Sur L'Empire De Contantinople, *B.D.E.C.*, Vol. LI, (Paris, 1890) p .63; Lavisse. E , *Histoire De France,*(Paris,1905) Tom. 3, p.291-292 ; *O.D.B*, Vol. 1, p.414.

(٤) Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol. 1, p. 254. Cf. Also , Mavromatis, La Serbie De Milutin Enter Byzance, p.124; Zivojnovic. M , *La Frontiere Serbo - Byzantine Dans Les Premiers De Cennies Du XIVe Siecle , in Byzantium and Serbia in 14th Cenutury,*(Athens , 1996) p.61.

أما سكوبج فهي إحدى مدن إقليم مقدونيا ، تقع على نهر الفاردار، ولقد احتلها الأتراك العثمانيون عام ١٣٩١م . انظر: *O.D.B*, Vol. 3,p.1912.

(٥) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium,* p. 138.

توماس ماجستير Tomae Magistri عن وصفة للهجوم بقوله " لقد تعرضت القوات البيزنطية تحت قيادة كاندرينوس Chandrenos لهجوم مباغت من قبل القوات الصربية وذلك أثناء رجوعهم من قتال الجماعات القطالونية [٦] حيث خاضت القوات البيزنطية معركة حامية الوطيس مع القوات الصربية وحققت فيها نصرا مؤزرا على القوات الصربية ورد كيدهم" [١] أما عن الرواية الثانية فقد ساقها المؤرخ البيزنطي نقفور جريجوراس بقوله " إن ما حدث كان عبارة عن احتكاك بسيط بين بعض البيزنطيين والصرب المرابطين فى مقدونيا . ولقد أثبت الملك الصربي إيروش الثاني حسن طوتيه تجاه الإمبراطورية البيزنطية عندما بادر بإعلان استنكاره ورفضه لمثل هذه الاحتكاكات" [٢] ويبدو أن توماس ماجيستر قد بالغ فى روايته حيث إن القوات البيزنطية على حد زعم ماجيستر فوجئت بالهجوم الصربي حال رجوعها من قتال ضد الجماعات القطالونية وبذلك فإن هذه القوات البيزنطية كانت منهكة القوى فكيف تأتى لها أن تحقق النصر على القوات الصربية ؟ !! وعليه يغلب الظن أن هذه المعركة لم تكن سوى اشتباكات ومناوشات بين الطرفين ولم تكن حربا بمعناها الحقيقي .

ولكن بحلول عام ١٣١٢م وصل وفد دبلوماسي بيزنطي من قبل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني إلى بلاط إيروش الثاني يستثير حماسته ويطلب نجدته لإنقاذ المسيحية من الهجمات التركمانية الموجعة ، وقد حققت تلك السفارة

---

[٦] الجماعات القطالونية هي جماعات من المرتزقة نالت شهرة هائلة فى القرن الرابع عشر الميلادي فى مجال الحرب والقتال ،وتنسب هذه الجماعات إلى إقليم قطالونيا Catalonia الواقع فى شمال شرق الجزيرة الأيبرية ، و مما تجدر الإشارة إليه انه نتيجة لمعاهدة كالتوبليوتا Caltobellotta سنة ١٣٠٢م بين فريدريك الثاني ملك صقلية مع شارل الثاني ، ولم يجد الجنود القطالونيون المرتزقة فى صقلية ما يشغلهم، فاقترح فريدريك الثاني على قائدهم روجر دى فلور Rogeer De Flor أن يذهب للنجدة الإمبراطور أندرونيكوس الثاني بناء على طلب الأخير . انظر أحمد عبد المقصود : الجماعات القطالونية فى الإمبراطورية البيزنطية، ١٣٠٣ ـ ١٣٨٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٩٦م ، ص١٥؛ محمد محمود النشار:علاقة مملكتي قشتالة و أراجون بسلطنة المماليك ٦٥٨-٧٤١هـ/١٢٦٠-١٣٤١م ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ٥٧ .

[١] Magistri , *Oratie Pro Chandrenos,* pp. 365-366.

[٢] Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol., p.254.

الهدف منها إذ استجاب الملك الصربي لهذا النداء بأن سارع بإرسال نحو ألفين من الرماة لشد أزر الإمبراطور [٣] وفي عام ١٣١٤ م ثارت حفيظة إيروش الثاني على ولده ستيفان إيروش الثالث ديكانيسكي Stefan Uros III Decanski واشتد عليه غضبه وسخطه لضلوعه في حركة انقلاب ضده، فقبض عليه ونفاه إلى مدينة القسطنطينية . وعندما وصل ستيفان لبلاط الإمبراطور أندرونيكوس أحسن وفادته وأكرم مثواه وأسكنه في قصر منيف ووفر له كل ما يحتاج إليه من وسائل المعيشة والرفاهية ، وقد قضى ستيفان في منفاه سبع سنوات انتهت برضا قلب أبيه عليه ورجوعه إليه عام ١٣٢١ [٤] .

وباعتلاء ستيفان عرش صربيا نجده يقلب ظهر المجن لبيزنطة موليا وجهه شطر فليب من تارنيو Taranto بأن عقد معه معاهدة تحالف مشترك ضد الإمبراطورية البيزنطية مقابل زواجه من ابنه فيليب والتي تدعى بلانشي Blanche [٥] وعلاوة على ذلك واصل إيروش الثالث خطاه الحثيثة لتدعيم أواصر القرب والود مع حنا قسطنطين بورفيروجينتوس John Constantin Porphyrogentus الذي شق عصا الطاعة على الإمبراطور أندرونيكوس بهجوم على مقدونيا حيث أمده إيروش الثالث بالإمدادات الحربية اللازمة التي كانت بمثابة العون والسند لحنا في حملته العسكرية على مقدونيا عام ١٣٢٧م، حيث سيطر على مدينة سيريس Serres [٦] إلا أنه ساد نوع من السلام المؤقت

---

(٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol .1, p.267-268.

راجع أيضا : عماد أمين : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ، ص ١٢١ .

(٤) Gregoras , *Byzantinae Historiae,* Vol.1, p.390 Cf. Also, Mavromatis, Le Serbie De Milutin p .131.

(٥) Miller. W , *The Balkans , Roumania , Bulgaria, Servia, and Montenegro,* (New York , 1899) p.268.

(٦) Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1, pp.391–393; Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol. 1,pp.207-208.

أما سيريس، فتقع في شمال شرق تسالونيكا بإقليم مقدونيا .انظر: Norwich Byzantium the Decline and Fall, p .XIII .

بين بيزنطة والصرب بسبب اشتداد الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثاني وحفيده في طورها الأخير [٧] ويتضح مما سبق أن القوات الصربية سيطرت علي العديد من المناطق في إقليم مقدونيا والتي من أهمها بريليب و أوخريدا وستيب و أن الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني أصبح في حالة يرثى لها ويتضح ذلك من خلال سفاراته العديدة للملكة الصربية من أجل الحصول على دعمها أحيانا وحيادها أحيانا أخري تفاديا للدخول معها في معارك مباشرة .

أما عن البلغار[١] الذين أقاموا لأنفسهم منذ عام ١١٨٦م إمبراطورية جديدة جنوبي الدانوب السفلي على حساب الإمبراطورتين البيزنطية واللاتينية [٢] فلم تسلم أراضي الإمبراطورية البيزنطية في البلقان من سطوتهم وفسادهم وارتكابهم أعمالا همجية من سلب ونهب مستغلين في ذلك ما كانت تعانيه الإمبراطورية البيزنطية من ضعف وعجز في الموارد الاقتصادية طوال عهد أندرونيكوس الثاني لمواجهة أعدائها، فمع بداية عام ١٢٨٢م قامت القوات البلغارية بالتوغل في إقليم تراقيا Thrace [٣] ولم يجد الإمبراطور أندرونيكوس

راجع أيضا : روبرت لي وولف : الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص ٣٥ هامش رقم ١٠٩.

(٧) Gregoras , *Byzantinae Historiae,* Vol.1 , p393 ; Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p. 208. Cf. Also, Ostrogorsky , *History of the Byzantine state* ,p. 446.

(١) البلغار، هم خليط من الدم الهوني والأجرى Ugrian والتركي ، تكونت منهم دولتان في القرون الوسطى إحداهما على ضفاف نهر الفلجا Volga حول مدينة قازان الحالية والثانية حول نهر الدانوب عام ٦٧٩م انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة " عصر الأيمان " ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة، ٢٠٠١ م المجلد السابع ، جـ ١٤، ص ١٩٣-١٩٤؛ دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع ، ص ٨٨-٩٨. راجع أيضا : *O.D B* ,Vol .1,pp.332-334.

(٢) هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا محمد ، القاهرة، ١٩٩١ ، جـ ٢،ص ١٩٤.

(٣) Pachymeres , *De Michaele et Andronico* , Vol. 2,pp.57.

أما تراقيا هو إقليم كبير يحتوى علي خمس مدن هامة وهي فيليبوبوليس Philippoplis عاصمة أوجستاتراجانا Augustatrajana ، ديوكليتا نوبوليس Diokletainopolis، سيباستوبو ليس Sebastopolis ، و ديوسبوليس Diospolis ، ويحد إقليم تراقيا من الشمال الشرقي البحر الأسود ومن الجنوب بحر مرمره ومن الغرب مرتفعات البلقان

الثاني ما يقدمه لشعبه فى تراقيا سوى أن وجه إليهم نداء وهو أن يلوذوا بقلاعهم [٤] كما وجه نداء مماثلا لجماعة الولاش Vallachians [٥] .

وعلى أية حال انسابت القوات البلغارية كالسيل الجارف في تراقيا ومقدونيا يدمر كل شئ ، وبدأ الإمبراطور أندرونيكوس الثاني عاجزا مكبل اليدين غير قادر علي القيام بعمل يحفظ به ماء وجه الإمبراطورية البيزنطية إلا أنه بدا فى الأفق شعاع من الأمل عندما تمكن حاكم مدينة ميسمبريا Mesembreia ويدعى أومبيرتوبولوس Umbertopoulos [٦] من الوقوف فى وجه البلغار ودحر قواتهم وما إن طارت أخبار النصر على البلغار إلى أسماع الإمبراطور أندرونيكوس الثاني حتى انفرجت أساريره بالبشر والغبطة والسرور و أغدق على حاكم ميسمبريا بالعديد من المنح والعطايا والألقاب الرفيعة [٧].

ولقد شهدت الفترة الواقعة بين عامى١٢٨٤-١٣٠١م هدوءا نسبيا وسلاما حذرا بين الإمبراطورية البيزنطية و المملكة البلغارية ولم تحاول الأولى

انظر: *O.D.B*, Vol. 3,pp.2079-2080.

(٤) Pachymeres , *De Michaele et Andronico* , Vol. 2,pp.61-62.Cf .Also, Lebeau , *Histoire Du Bas-Empire* , Tom. XVIII, p.335.

(٥) الولاش ، شعب سلافي يقطن المنطقة الحدودية بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية انظر:

Pachymeres, De *Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.62– 64. Cf. Also, Lebeau, *Histoire du Bas-Empire*, Tom XVIII p.335.

راجع أيضا : ناهد عمر صالح : السياسية الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١٩٢ .

(٦) Pachymeres, *De Michaele Et Andronico*, Vol.2, pp.70-72.

أما ميسمبريا ، فتقع على ساحل البحر الأسود وتبعد حوالي ٣٥ كم شمال شرق بورجاس Burgas ، تأرجحت بين السيادة البيزنطية والبلغارية ، فأصبحت تحت السيطرة البلغارية عام ١٣٦٧م، ثم عادت إلى الهيمنة البيزنطية حتى عام ١٤٥٢م ، ثم سقطت فى أيدي الأتراك العثمانيين فى فبراير ١٤٥٣م انظر: *O.D. B*, Vol. 2, pp.1347 –1348.

(٧) لمزيد من التفاصيل انظر: Pachymeres, *De Michaele et Andronico,* Vol. 2,pp. 73-80.

فيها فرض سيادتها على الأراضي البلغارية[1]كرد على هجماتها السابقة وخاصة أن الثانية كانت تعانى من حالة الفوضى و الاضطراب بسبب الصراع على العرش[2]ويمكن إرجاع ذلك إلى انشغال الإمبراطور أندرونيكوس الثاني بالهجمات والإغارات الصربية المتتالية على الأراضي البيزنطية في تلك الفترة.

بيد أن الإمبراطور أندرونيكوس الثاني أزعجه تولي سفيتوسلاف Sevetoslav عرش المملكة البلغارية لذا بذل – أندرونيكوس الثاني قصارى جهده لإزاحة سفيتوسلاف عن العرش البلغاري و إقامة ابن الملك البلغاري السابق قسطنطين تيتش Constantine Tech مكانه والذي يدعى آسان Asan [3]،فاستنفر الإمبراطور أندرونيكوس الثاني جيشا بيزنطيا إلى بلغاريا لتنفيذ مآربه وجعل على مقدمة الجيش آسان ولكن البلغار أظهروا صلابة وشجاعة نادرة حيث حصدت سيوفهم المئات من البيزنطيين بينما وقعت مئات أخري في الأسر[4]ولم تتوقف عجلة الأحداث عند هذا الحد بل عزم الملك البلغاري سفيتوسلاف على تجريد حملة للانتقام من الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني على وقوفه إلى جانب المتمرد البلغاري آسان فأرسل جيشا بلغاريا وافر العدد والعدة للهجوم على الممتلكات البيزنطية في البلقان[5] ولمواجهة الخطر

(1) Miller ,*The Balkans Roumania Bulgaria*, pp.182-183 ; Dinic.G, *The Balkans* (1018-1488*)* C.M.H, Vol. IV , Part. 1,(*Cambridge* , 1960) pp535-536.

(2) Bratianu. G, Les Bulgares. A Cetatea Al Ba (Akkerman) Au Debut Du XIV . Siecle, *B*., Vol, II, (Bruxelles ,1925),p. 160.

(3) Pachymers, *De Michaele et Andronico* ,Vol. 2, p. 400. Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom. XVII, p. 382.

(4) Pachymers ,*De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp. 400-401.Cf.Also,Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom. XVII, p. 382;Janin. R, La Thrace Byzantine, *E.D.O.*,Vol. XX, (Paris, 1921) p.55.

(5) Pachymers,*De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp.401-402. Cf. Also, Janin, La Thrace Byzantine, p.55.

البلغاري الداهم و إجهاض محاولاته لجأ أندرونيكوس الثاني إلى أسلوب المداهنة والرشوة،فعرض على قائد الحملة السابقة حكم إحدى ولايات الإمبراطورية البيزنطية وكثيرمن المنح والألقاب الرفيعة مقابل الكف عن غزو أراضي الإمبراطورية البيزنطية. ولكن الرجل أظهر تعففا عن هذا العرض وقامت القوات البلغارية بالتوغل في مدن إقليم تراقيا(٦)وواصل سفيتوسلاف انتصاراته المؤزرة فسيطر على كثير من المدن الهامة والواقعة على البحر الأسود(٧) والتي كان من أهمها مدينة سوزوبوليس Sozopoils (٨) وأنخيالوس Anchialos (٩) وميسميريا (١٠).

بيد أن الحظ لم يتخل تماما عن الإمبراطور أندرونيكوس الثاني عندما جهز جيشا بيزنطيا وجعل على مقدمته ابنه ميخائيل التاسع والقائد البيزنطي

---

(٦) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.402-403.

(٧) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.404-405.

(٨) سوزوبولس Sozopolis مدينة تقع على ساحل البحر الأسود، وكانت تعرف قديما باسم أبولونيا Appolonia وحديثا باسم سوزوبول Sozopol في بلغاريا وكانت مركزا تجاريا كبيرا بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية غزاها القائد البيزنطي ميخائيل جلاباس طارخانيوتس في عام ١٢٦٣م وكانت تابعه لمدينة بسيديا Pisidia القديمة . انظر : محمد فتحي الشاعر : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان" ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٤١ هامش رقم ٧١ . راجع أيضا : O.D.B, Vol. p. 1912.

(٩) أنخيالوس Anchialos هي إحدى مدن تراقيا ، تقع على البحر الأسود ، وكانت في العصر الروماني تتبع مقاطعة حانيمي مونتوس Haemi Montos احتلها الآفار Avars في القرن السادس الميلادي ، وفي عام ٧٦٣م أو ٩١٧ م ألحق الإمبراطور قسطنطين الخامس بالجيش البلغاري هزيمة ساحقة على حقول أنخيالوس و أصبحت تابعة للبلغاريين خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين ولكن في عام ١٤٢٣م أصبحت تحت السيطرة البيزنطية مرة ثانية ثم احتلها العثمانيون بعدها بفترة قصيرة انظر: *O. D. B*, Vol.1, p. 950

راجع أيضا: عماد أمين: الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ، ص ٣٥ .

(١٠) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.405-406.

طارخانيوتس لدرء أخطار البلغار المتكررة وقد نجح هذا الجيش فى أن يلحق بالقوات البلغارية هزيمة ساحقة وان يعيد السيطرة على مدينة ميسبمريا ثم أصبح ميخائيل التاسع وحيد متفردا بقيادة الجيش البيزنطي فور رجوع طارخانيوتس إلى مدينة القسطنطينية وأظهر الإمبراطور المشارك ميخائيل التاسع عزما وشجاعة وقناة لا تلين حيث قام بإعادة ترتيب وتنظيم جيشه مره ثانية وألحق به الآلاف المتطوعين من إقليم تراقيا ثم قاد الجميع ودخل بهم معركة ضروس مع القوات البلغارية على مشارف مدينة أدريانوبل وحققت انتصارا ساحقا عليهم ، وكان ذلك مع نهاية شهر أغسطس ١٣٠٤م [١] ولقد كادت نفس الإمبراطور أندرونيكوس الثاني تطير فرحا عندما وصلت إليه تلك الأنباء السارة وعليه أصدر أوامره إلى القائد القطالوني روجر دى فلور Roger de Flor [٢] أن يسرع ليكون بجانب ميخائيل التاسع ولكن جاء رد روجر وجماعته بالرفض والامتناع عن القتال إلى جانب القوات البيزنطية ، بسبب تأخر الإمبراطورية البيزنطية فى صرف المنحة المالية الخاصة بهم ، مما جعل القوات البلغارية تنتهز تلك الفرصة وتسيطر على مدينة ميسمبريا مرة ثانية وكان ذلك مع حلول عام ١٣٠٧م ، والجدير بالذكر أن سفيتوسلاف البلغاري أرسل سفارة دبلوماسية

---

(١) Pachymers,*De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp. 407-409.

(٢) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp.409 –410. Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom .XIV,p.152.

اما روجردى فلور هو ابن فارس الماني يدعى ريكاردو دى فلور Ricardo De Flor عمل مع فرسان الداوية ثم تركها ليدخل في خدمة فريدريك الثالث ملك صقلية (١٢٩٦-١٣٣٧م) بعد اتهامه بتهمة السرقة بها ولقد وصل إلى مرتبة قائد أمير ال. انظر : محمد محمود النشار : علاقة مملكتي قشتالة و اراجون بسلطنة المماليك ، ص ٥٧.راجع أيضا :

Schlumperger, G,*Expedition Des Almugavares Au Routiers Catlansen Orient De L'an 1302 Al'an 1311* ,(Paris , 1902) pp.4-10;Finlay . G , *A History of Greece From Its Conquest by the Romans to the Present Time B.C 146 to A.D.1884* ,(Oxford , 1877) Vol. 3 p.390 .

بلغارية إلى القسطنطينية بهدف إبرام اتفاقية سلام وصـــداقة مـــع الإمبراطـــور أندرونيكوس الثاني –حيث إن الأول كان يعانى من وجود مؤامرة للإطاحة به – وكذلك تزويد الإمبراطورية البيزنطية بالقمح اللازم لها مقابل زواجه بأميرة من الأسرة الإمبراطورية الحاكمة [٣] ولقد استقبل الإمبراطور البيزنطي هذه السفارة البلغارية بحفاوة بالغة ولكنه تردد بعض الشيء فى تنفيذ الطلب الخاص بـــزواج سفيتوسلاف ولكنه اضطر فى النهاية للموافقة عليـــه حيـــث تـــم زواج الملـــك البلغاري بثيودورا Theodora شقيقة أندرونيكوس الثالث وابنه ميخائيل التاسع ، وكذلك تم تزويد بيزنطة بما تحتاج إليه من القمح البلغاري . وسارت علاقات الود والصداقة والسلام بين الطرفين البيزنطي والبلغاري حتى عام ١٣٢١م [٤].

وفى غضون عام ١٣٢٣م عادت المدن الممتدة من ميسمبريا حتى سلفن Sliven إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطية [٥] . وذلـــك عقـــب وفـــاة الملـــك البلغاري جورجيـــوس تيرتيـــرز الثـــاني Georgius Terters II (١٣٢١–١٣٢٣م) ، حيث شهدت المملكة البلغارية حالة من الفوضى والتشرذم فور وفاة

---

(٣) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,p.410. Cf. Also, Failler.A,Chronologie et Compostion Dans Histoire De Georges Pachymers Livre VII-XII, *R.E.B.*,Vol.48, (Paris, 1990) p.62; Lebeau , *Histoire Du Bas – Empire* , Tom. XIX p.152.

راجع أيضا : ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١٩٥ .

(٤) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol. 2, pp. 410 –411.Cf. Also, Boojamra J, Social Thought and Reforms of The Patriach Athanasios Of Constantinople (1289 – 1293 ,1303- 1309), *B.*, Vol. LV, (Bruxelles, 1985) p.379; Laiou. A, The Provisioning Of Constantinople During The Winter Of 1306-1307, *B.*, Vol. XXXVII ,(Bruxelles,1967) p.96.

(٥) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,p.411.

أمـا سـلفن Sliven، فهـي إحـدى مـدن تراقيـا وتقـع شـمال مدينـة ديومبـوليس Diopolis (جامبـJamb أو ياميول) غربا سوزيبوليس Sozopolis الواقعة على ساحل البحر الأسود.

انظر: Bosch.U, *Kaiser Andronikos III Palaiologos Darstellungder Byzantinischen Geschichte Inden Jahren1321-341*(Amsterdam,1965),p.24.

الملك البلغاري مما أدى إلى قيام الإمبراطـــور أنـــدرونيكوس بإرســـال فرقـــة عسكرية بيزنطية للهجوم على المدن الواقعة على الحدود البلغاريـــة ، فاحتلـــت العديد منها والتي من أهمها مدينة كوبســيس Kopsis [1] ، وعنـــدما اعتلـــى ميخائيل سيسمان Michal Sisman سدة الحكم قام بالهجوم علـــى الأراضـــي البيزنطية المحيطة بإقليم تراقيا شرقا و أعاد جميع الأراضي التي استولى عليها البيزنطيون مؤخرا عقب وفاة جورجيوس تيرتيرز الثاني وكذلك اجتاحت قواتـــه المنطقة المحيطة بمدينة أدرنه سلبا ونهبا [2] وعلى الرغم من وصول تلك الأنباء إلى أسماع الإمبراطور أندرونيكوس إلا أنه لم يستطع القيام بأية خطوة إيجابيـــة من أجل ردع الهجوم البلغاري الداهم المتواصل على الأراضي البيزنطية ويمكن إرجاع ذلك إلى عدم قدرته المادية لخوض حرب جديدة ضد البلغار [3] ويبدو أن السبب فى تلك الضائقة المالية التي كانت تمر بها الإمبراطورية البيزنطية فـــى تكاليف حروب الإمبراطور أندرونيكوس الثاني المتتالية والمتزامنة مع كل مـــن التركمان والعثمانيين والقطلان وغيرهم ، فضـــلا عـــن حربـــه ضـــد حفيـــده أندرونيكوس الثالث .

وعلى أية حال فى نهاية عام ١٣٢٣م حل السلام المؤقت بين بيزنطـــة وبلغاريا وذلك عندما أرسل الملك البلغاري سفارة إلى تراقيا بهدف إبرام اتفاقية صداقة وتحالف مشترك مع الإمبراطورية البيزنطية مقابل زواجه مـــن شـــقيقة أندرونيكوس الثالث و أرملة سفيتوسلاف ثيودورا ، فاستقبل أندرونيكوس الوفـــد

---

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* ,Vol.1, p.172. Cf.Also , Failler . A, Une Dernier Mention Du Bulgare Vojisil Dans L' Histoire De Pachymeres, *R. E. B.*, Vol. XXXX III, (Paris , 1985) pp. 228-229.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.172-173.Cf. Also, Lebeau , Histoire Du Bas – Empire, Tom. XIX ,pp. 311-312, 317.

(٣) Gregoras, *Byzantinae, Historiae*, Vol. 1.p 391.

البلغاري بحفاوة بالغة و أكرمه وأبرم معه اتفاقية سلام وصداقة وتحالف [٤] واستغلت المملكة البلغارية ظروف الحرب الأهلية بين الجد والحفيد لتحقيق مصالحها الشخصية على حساب الإمبراطورية البيزنطية [٥]

لقد ظهر من خلال ما سبق أن القوات البلغارية عاثت فسادا فى الأرض البيزنطية بإقليم تراقيا مستغلة فى ذلك ما كانت تعانيه الإمبراطورية البيزنطية من وهن وضعف ولقد اتبعت المملكة البلغارية مع الإمبراطورية البيزنطية سياسة تتفق مع تحقيق مصالحها وأهدافها الشخصية حيث تأرجحت سياستها تجاه الإمبراطورية البيزنطية بين الهدوء النسبي و السلام الحذر وبين الاستيلاء على الأراضي البيزنطية الواقعة على ساحل البحر الأسود والتي من أهمها أنخيالوس وميسمبريا وظهر الإمبراطور أندرونيكوس الثاني عاجزا مكبل اليدين.

أما عن القبائل التركمانية [٦] الذين ظهروا فى بادئ الأمر كحلفاء للإمبراطورية البيزنطية أكثر من كونهم أعداء ، حيث إنهم تحالفوا مع

---

(٤) Gregoras, *Byzantinae, Historiae*, Vol. 1.p 392.

بيد أن معاهدة التحالف السابقة بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية كانت معاهدة تحالف شخصية تمت بين ميخائيل سيسمان و أندرونيكوس الثالث ضد أندرونيكوس الثاني حيث كان محرما على الأمير أندرونيكوس البت فى الشئون الخارجية طبقا لمعاهدة يونيه ١٣٢١م بين أندرونيكوس الثاني والثالث في مدينة ريجيون Rhegion . انظر ما يتقدم ، ص ٥١ .

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر ما يتقدم ص ٤٨ – ٥٢.

(٦) التركمان أصلهم قبيلة من الأتراك الغز Oghuz عاشوا فى المنطقة بين بحر الخزر ونهر جيحون ، ثم انتقلت جموع منهم غربا ليستقروا شرقي أسيا فى قونية وقيصرية وسافوستا Savosta بالإضافة إلى شمالي بلاد الشام ، وهم عشائر من الرعاة الرحل الوافدين من أواسط أسيا والذين ساقوا قطعان ماشيتهم أمامهم وأتوا لينصبوا خيامهم أحيانا على هضاب الأناضول السلجوقية و أحيانا على أراضي حلب أحيانا في مراعى أنطاكية . هؤلاء التركمان هم أناس متوحشون ليس لديهم مدن أو قلاع وهم دائما يعسكرون = فى خيام مصنوعة من اللباد ولديهم حيوانات بأعداد كبيرة مثل الأغنام والثيران والماعز والأبقار ويعملون بالرعى، ولا يقومون بالزراعة وهم من العناصر البعيدة عن السامية التي كونت أقلية ضئيلة وسط أغلبية من العرب في شمال الشام . وقد تعددت الأراء الخاصة حول تفسير معنى لفظ " تركمان " غير أنه بانتشار الإسلام بين كافة العناصر التركية وخاصة منذ القرن الحادي عشر الميلادى (الخامس الهجري) تغير مفهوم لفظ " تركمان " فقد أطلق على أولئك الذين أسلموا كلمة " ترك " . أما لفظة تركمان" فقد أطلقت على أولئك المشتغلين

الإمبراطور البيزنطي جوستن الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) عام ٥٦٨م ضد الفرس ، وكذلك ظلوا في خدمة الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادى ولكن مع بداية عام ١١٧٦م بدأت الإغارات التركمانية على الأراضي البيزنطية [1] حيث شهدت المدن البيزنطية أسيا الصغرى عمليات سلب ونهب واسعة النطاق من قبل الإمارات التركمانية [2] .

بالرعي من ناحية ، والذين عاشوا عيشة بدوية من ناحية أخرى. ولكن ليس معنى ذلك أن التركمان انعزلوا انعزالا تاما عن حياة المدن والمشاركة في أحداثها . إذ استطاعوا تكوين دويلات صغيرة في أنحاء الشرق الأدنى وقد ظهر التركمان لأول مرة في الشام في القرن الحادي عشر الميلادى وفي القرن الذي تلاه أضحوا قوة ، وازداد نفوذهم ولهذا رأى عماد الدين زنكي الاستفادة منهم ، فقد نقل طائفة منهم تسمى التركمان الإيوانية إلي بلاد الشام، و أسكنهم حلب وكلفهم بمحاربة الفرنجة على أن يكون لهم الحق في الاستيلاء على كل أرض، يستطيعون انتزاعها من الفرنجة، وبذلك نشروا الإسلام في شمال الشام وقد سار نور الدين محمود على سياسة أبيه فحرص على إنزالهم منطقة الحدود بين أملاكه و أملاك الصليبيين مما أدى إلى اتساع الجهات التي نزلوا بها وكونوا أكثرية فيها. وفرارا من وجه التتار، فرت أعداد كبيرة من التركمان من وسط أسيا إلى الأناضول وهبط جانب كبير منهم في ديار بكر كما استقدم البعض منهم إلي الشام. أما في القرن الثالث عشر عهد سلطنة المماليك انخرط التركمان في جيوش الشام ووصل عددهم عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٦ م إلى عشرين ألف جندي وثلاثين ألف فارس كانوا على أهبة الاستعداد للالتحاق بجيش السلطان الظاهر بيبرس ولم ينس التركمان أنهم بدو رحل فعاشوا عيشة البداوة متمسكين ببعض عاداتهم، فكبيرهم كان حكمه نافذا على قاضي التركمان ودانيهم وكلمته لا تخالف . كما أدى تحمسهم البالغ للمذهب السني إلي كرهم الشديد للمذهب الشيعي وبغضهم للشيعة، وعزفوا عن الفلسفة أو الجدل في أمور الدين ولمزيد من التفاصيل . انظر : الحريري : الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١، ص ٣٣- ٣٤. راجع أيضا: محمود محمد الحويري : الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد ، القاهرة ١٩، ص٢٨،٢٦ ؛حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص ٣٧٣ هامش رقم ١١٩. راجع أيضا : *O.D.B*, Vol. 3,pp.2128-2129.

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: Brand.C, The Turkish Elementin Byzantium Eleventh- Twelfth Centuries, *D.O.P.*,Vol .43, (Washington, 1989) pp.1-25; *O.D.B* ,Vol. 3,pp. 2128-2130.

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1p.247 . Cf. Also , . *O.D.B*, Vol.3, p.2129

أما خلال عهد الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني ازدادت حـدة الإغارات التركمانية على أسيا الصغرى ، خاصة من تركمان إمارة جيرميان Germiyan [٣] و إمارة منتشيا Menteshia [١] ولذلك قـرر الإمبراطـور أندرونيكوس الثاني إرسال حملة لمواجهة الخطر التركماني تحت قيـادة القائـد البيزنطي ألكسيوس فيلانثروبينـوس Alexios Philanthropenos [6] الـذي

---

(٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.Ip.248.

أما جيرميان Germiyan من المحتمل أن اسمها قد اشتق من اسم القبيلة التركمانية التي ظهرت فى كارميانوى Karmianoi باليونـان عام ١٢٢٣م ، ولقد قامت الإمـارة فى إقليم ميتلين Mytilene أو جزيرة مدلي شمال أزمير الحالية عام ١٢٣٩م، ثم دخلت في خدمة السلطان السلجوقي وكانت أقوى إمارة تركمانية في مطلع القرن الرابع عشر الميلادى، وفى عام ١٣٨١م تزوج الأمير العثماني بايزيد الأول Bayezid I (١٣٨٩-١٤٠٢) من فتاة من سلالة الجيرميان ثم أضحت إمارة جيرميان للعثمانيين حوالي عام ١٤٢٩م لمزيد من التفاصيل انظر: Doukas , *Decline and Fall* ,p. 265.Cf. Also, *O.D.B* ,Vol. 2, p.848 انظر أيضا:رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة وتعليق عزرا حداد، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٢٦.

(١)منتشيا Menteshia إمارة تركمانية قامت على أنقاض الدولة السلجوقية، احتلت سهل نهر المياندر Meander ومدت حدودها إلى رأس ماركرى Markre (فيثيا Fethiye)وتحتوى على ثلاث مدن مهمة وهى ميليتوس Miletos ، ميلاسا Mylassa، موجلا Mugla ,ولقد أقامت هذه الإمارة علاقات تجارية مع جزيرة كريت والبندقية،ولقد سيطر عليها العثمانيون عام١٤٠٢م لمزيد من التفاصيل انظر: *O.D.B*,Vol.2, pp.1342-1343.

(٦) Pachymeres, *De Michaele et Andronico,* Vol. 2, pp .210-211.
Schreiner. P, *Chronica Byzantina Breviora, C.F.H.B,* 15. (Vienna,1977) ,Vol. II, pp. 213-

أما ألكسيوس فيلانثروبينوس Alexios Philanthropenos فهو أحد القواد الذين ظهروا فى ختام القرن الثالث عشر الميلادى وكان من أسرة بلغت ذروة الشهر منذ منتصف هذا القرن ، وتزوج رجالها من بيوت الأسر الشريفة . كان ألكسيوس هذا في الواقع ابنا لميخائيل طارخانيوتس Tarchaneiotes أحد أبناء أخي الإمبراطور ميخائيل الثامن، إلا أنه آثر أن ينسب إلى أمه ويتسمى باسم أسرتها. وكان مولده حوالي سنة ١٢٧٠م ، واشتهر أمره كجندي لا سيما في حملاته الناجحة ضد الأتراك فى أسيا الصغرى فلما كانت سنة ١٢٩٥م نادى به جنده إمبراطورا، وتحمس له الأهالي فى تلك النواحي وهم الذين شعروا بأن حكومة أندرونيكوس الثاني فى القسطنطينية قد أهملتهم غاية الإهمال . لكن لم تنجح الثورة و ألقى القبض عليه وسلمت عيناه . على أنه كان له من الشهرة والتجربة ما أدي إلى إخراجه من الموضع الذي تقاعد به ليكون عونا فى فك الحصار التركي المفروض على فيلادلفيا ، ثم أرسلوه بعد عشر سنوات من هذا التاريخ ليحاصر ملطية .وكانت تربطه رابطة الصداقة

توجه على رأس حملته إلى أسيا الصغرى فى عام ١٢٩٣م ووصلها فى عام ١٢٩٤م ، ثم أغار على مقاطعة تركمانية تعرف باسم ديوكس كوليتز Deux Collins والتي كانت على درجة كبيرة من التحصين مما جعلها قادرة على الصمود أمام القوات البيزنطية المحاصرة (٧) . و أمام شدة مقاومتها قرر ألكسيوس فيلانثروبينوس، إرسال وفد من قادة الجيش للتوصل مع حاكمة القلعة التركمانية إلي اتفاق ، غير أن تلك المفاوضات لم تثمر عن اتفاق وقد باءت بفشل ذريع ، مما أدى إلى تشديد الحصار على القلعة وعزلها عن العالم الخارجي ، ثم فتحها عنوة والاستيلاء على ما بداخلها (٨) وعلى الرغم من النجاحات التي أحرزتها حملة فيلانثروبينوس ، إلا أن الإمبراطور أندرونيكوس الثاني لم يشغل بها بالا و لم يعرها أي اهتمام ، حيث إنه لم يزودها بأية إمدادات فضلا عن عدم دفعه لرواتب الجنود المتأخرة (٩) ، مما أدى إلى قيام تمرد ضد الإمبراطور أندرونيكوس بين صفوف الجيش البيزنطي المشارك لفيلانثروبنيوس فى حملته ضد التركمان فى أسيا الصغرى تحت زعامة شخص يدعى كورتاتزيس Cortatzes وبالتالي حدث انقسام وفوضى بين صفوف القوات البيزنطية (١٠) .

بكثير من أدباء عصره الذين كانت بينه وبينهم مراسلات ، ومن هؤلاء نقفور جريجوراس ومكسيموس بلانوديس وكانت زوجته إحدى حفيدات أكروبولوتيس Akropolotis – أسرة ثرية ذائعة الصيت خلال عصري إمبراطورية نيقيه وباليولوجس. انظر : دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية، ص ١٨٢. راجع أيضا: O.D.B, Vol .1,pp.48-49.

(٧) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp. 211-212.
أما ديوكس كوليتز Deux Collins ، فتقع على مقربة من ميليتوس . انظر: ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٦٢-٦٣.

(٨) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,p. 213.

(٩) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,p. 214.

(١٠) Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,Vol.1,pp.199-200.Cf. Also, Finlay,*History of Greece*, Vol. 3,p.383.

وعلى أية حال استغلت القوات التركمانية لإمارة منتشيا حالة التشرذم والفوضى داخل الجيش البيزنطي وقامت باجتياح الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى ، ثم أغارت على جزيرة رودس Rhodes مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس يرسل حملة عسكرية بيزنطية تحت قيادة ميخائيل طارخانيوتس بهدف رأب الصدع بين القوات البيزنطية في آسيا الصغرى وكذلك لصد الخطر التركماني المتوغل فيها وكان ذلك في أوائل عام ١٢٩٧م(١١) . فقامت معركة عنيفة بين القوات البيزنطية والتركمانية انتهت بهزيمة ساحقة للأخيرة (١٢) ولكن سرعان ما حدث صدع داخل القوات البيزنطية أدي إلى انسحاب الجيش البيزنطي من آسيا الصغرى والعودة إلى القسطنطينية (١٣) . وفي عام ١٣٠٠م أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني فرقة من الجنود المرتزقة من الآلان Alans إلى آسيا الصغرى لوقف الخطر التركماني فيها مقابل بقاءهم في القسطنطينية ، وحصولهم على الكثير من المنح والعطايا والامتيازات ، إلا أنه أثناء سير فرقة الجنود المرتزقة الآلان من القسطنطينية إلى آسيا الصغرى ،

---

(١١) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp. 258-259. Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom .XVIII p.404.

أما رودس Rhodes ، فهي كبرى جزائر الدوكانيز Dodecanese المحاذية للشواطئ الجنوبية الشرقية من آسيا الصغرى . كانت من مواطن الإغريق العريقة منذ العصور الخرافية . وفي هذه الجزيرة كان تمثال كولوسوس Colossus العظيم من عجائب الدنيا السبع القديمة . أنشئ عام ٢٨٠ ق.م ، ولعبت دورا بارزا في الحملات الصليبية من عام ١٠٩٧ إلى ١٠٩٩ م، حيث قامت سفن التجار لتزويد الصليبيين بما يحتاجون إليه من مؤن انظر :رحلة بنيامين التطيلي،ص ٢٢٧ ، هامش رقم ٢ . راجع أيضا : *O.D.B*, Vol.3p.1791.

(١٢) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp. 258-259. Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom .XVIII p.409.

(١٣) وذلك نتيجة لقرار القائد البيزنطي طارخانيوتس التعسفي بشأن مصادرة الأموال والامتيازات الخاصة بالقواد البيزنطيين في الجيش لصالح الجنود. لمزيد من التفاصيل انظر:

Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.260-261.

خلفت ورائها كثير من الدمار والخراب للمدن التي مرت بها وارتكبت كثيرا من الأعمال الهمجية فيها [١٤] .

وما أن وصلت الأنباء السابقة إلى أسماع أندرونيكوس الثاني حتى أرسل على الفور قوة عسكرية أخري تحت قيادة ابنه المشارك له في الحكم ميخائيل التاسع لقمع فرقة الآلان والسيطرة عليها وقيادتها في أسيا الصغرى [١٥] وبالفعل تمكن ميخائيل التاسع من تحقيق هدفه السابق وقيادة فرقة الآلان [١٦] ثم التقى مع القوات التركمانية التابعة لإمارة ماغنيسيا Magnesia [١٧] في معركة عنيفة شديدة الوطأة انتهت بهزيمة القوات البيزنطية ، ثم أعقبها ثورة عارمة بين صفوف فرقة الآلان بسبب عدم دفع مستحقاتهم المالية المتأخرة لدى الإمبراطور

---

(١٤) Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,Vol.1,pp. 204-205 . Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire,* Tom XVIII, p.437;Ostrogorosky, *History of The Byzantine* state, p.438.

أما الآلان Alans من القبائل الإيرانية التي تميزت بين قبائل السرامطة Sarmate ، في القرن الثالث الميلادى أما عن أعدادهم فتتراوح فيما بين ثمانية آلاف وستة عشر ألف . انظر: أبرار كريم الله : من هم التتار، ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصبروتي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص١٢١ . راجع أيضا :

Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p.438.

(١٥) Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,Vol.1,pp.205-206. Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire,* Tom. XVIII, p.437

(١٦) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol.2, pp. 307-308. Cf. Also , Nicol, *The Last Centuries of Byzantium* ,p.126.

(١٧) Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,Vol.1,pp. 206.

أما ماغنيسيا Magnesia تقع في الركن الغربي من أسيا الصغرى ، كانت عاصمة إمبراطورية نيقيه عصر أسرة لاسكارس Laskarids (١٢٠٤ ـ ١٢٦١م) لمزيد من التفاصيل : انظر :

Richard. p, *Andronic* II, *N.H.G.E,*(paris,1914)p.1786; Simpson .M ,*Magnesia, C.L.D,*(America,1982) p.357;*O.D.B,*Vol. 2, p.1268.

أندرونيكوس إلا أن ميخائيل التاسع سيطر على حركة التمرد الآلانيه بأن وعدهم بوصول مستحقاتهم المتأخرة بعد ثلاثة أشهر [١٨] . وعندما أوشكت المدة السابقة على الانتهاء قررت فرقة المرتزقة الآلان الانسحاب والعودة إلى بلادها ، وهنا قرر ميخائيل التاسع الفرار إلى مدينة القسطنطينية سراً [١٩] ، إلا أن الحاميات العسكرية البيزنطية والمواطنين فى المنطقة عرفوا بالأمر مما أثار الرعب والفزع في قلوبهم خوفا من التركمان وأصبح الجميع فى حالة من الهرج والمرج والفوضى والفرار بأرواحهم [٢٠] . وبذلك خضعت أملاك وأمتعة السكان البيزنطيين لتلك المنطقة لسيطرة القوات التركمانية والتي لم تكتف بذلك بل تعقبوا أثر البيزنطيين الفاريين وقتلوا الكثيرين منهم [٢١].

كما تعرضت مدينة تريبولى Tripoli لهجوم عنيف وشرس من جانب القوات التركمانية التابعة لإمارة جيرمان والتي أحكمت السيطرة عليها عن طريق حصارها وعزلها عن العالم الخارجي مما حرمها من وسائل المعيشة وجعلها تتفاوض مع أعدائها التركمان بشأن إمدادها بما تحتاج إليه من مؤن وإمدادات [٢٢] ، فاستغل تركمان جيرميان تلك الفرصة وتظاهروا بقبول طلبهم

---

(١٨) Pachymeres, *De Michaeleet Andronico*, Vol .2,pp.309 -311. Cf. Also, Gibbons, *The foundation of the Ottoman Empire : A History of the Osmanlis up to the Death of Bayezid1 (1300-1403), (Oxford, 1916)*p.35; Nicol, *The last Centuries of Byzantium*, p.126-127.

(١٩) لأن جنود الآلان المرتزقة يمثلون العدد الأكبر فى حملته على أسيا الصغرى . انظر :
Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.312-315.Cf. Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom . X VIII, p.441.

(٢٠) لمزيد من التفاصيل انظر : Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol .2, pp. 316-322.
راجع أيضا: ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٩٨.

(٢١) Pachymers, *De Michaelee et Andronico*, Vol. 2, p. 433; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,Vol.1, pp. 206-207.

(٢٢) Pachymers, *De Michaele et Andronico* ,Vol. 2,pp. 297 - 300. Cf. Also, Boojamra , Social Thought and Reforms, pp.359-363 .

وأرسلوا إليهم تلك المؤن في شكل مجموعة كبيرة من الأجولة المشحونة بالمقاتلين والأسلحة بدلا من المؤن والإمدادات المتفق عليها ، وفي جنح الليل خرج المقاتلون التركمان بأسلحتهم وفتحوا الأبواب لبقية القوات التركمانية الأخرى الواقفة خارج أسوار القلعة فاحتلوها معا (٢٣) من المرجح أن هؤلاء الجنود الذين دخلوا المدينة كانوا متخفين في زي تجار أو مدنيين وخدعوا أهل المدينة .ومهما كان الأمر فلقد تطايرت أخبار انتصارات تركمان جيرمان السابقة إلي المدن البيزنطية الأخرى المنتشرة في تلك المنطقة،مما جعل كثيرا منها يفضل الخضوع والاستسلام دون قتال،ومن أهمها مدينة كولا Kula التي أعلنت طاعتها وولائها التام لتركمان إمارة جيرميان (٢٤). وفي عام ١٢٨٢م تعرضت السواحل البيزنطية في أسيا الصغرى لهجوم تركماني تابع لإمارة منتشيا،سيطر به التركمان على إحدى المدن المهمة به وهي مدينة ترالي Tralles (٢٥) بعد حصار طويل ومقاومة شديدة من حاميتها البيزنطية ولكن دون جدوى (٢٦) ويمكن إرجاع ذلك إلى الضعف والانهيار الذي حل بالأسطول البيزنطي وفقر خزانة الإمبراطورية البيزنطية لخوض حملة عسكرية

أما تريبولي Tripoli تقع على نهر الميانذر Meander. انظر: Hammer.V, *Histoire De L'Empire Ottoman,* Trans .by. J.Hellert , (Paris,1841-1853), Tom. 1,p 81.

(٢٣) Pachymers , *De Michaele et Andronico* ,Vol. 2,pp.300-302

(٢٤) Pachymers , *De Michaele et Andronico* ,Vol. 2, pp. 334-335.
أما كولا Kula تحد مدينة فيلادلفيا من شمالها الشرقي انظر: Failler, Chronologie et Composition, p.57.

(٢٥) ترالي Tralles ،تقع على الجانب الشمالي لوادي نهر الميانذر أعاد بناءها الإمبراطور أندرونيكوس الثاني عام ١٢٨٠م أطلق عليها اسم أندرونيكوبولس Andronikopolis وكذلك اسم باليولوجوبوليس Palaiogopolis انظر : *O.D.B*, Vol . 3,pp . 2103 –2104 .

(٢٦) Pachymeres ,*De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp.434-435; Gregoras ,*Byzantinae Historiae,*Vol.1,p.

جديدة ضد التركمان [٢٧] ،فضلا عن انشغال الإمبراطور أندرونيكوس الثاني في هذه السنة بحربه ضد البلغار [٢٨] وفى نفس الوقت الذي كانت فيه إمارة منتشيا تجتاح الأراضي البيزنطية سلبا ونهبا قامت إمارة صاروخان Sarukhan بالهجوم على ماغنيسيا وسيطرت عليها عام١٣١٣م واتخذتها عاصمة لها ، مركزا لمواصلة هجماتها على الأراضي البيزنطية الأخرى فى أسيا الصغرى [٢٩] أما عن الإمارات التركمانية الأخرى التي توسعت على حساب الأتراك السلاجقة [٣٠] والإمبراطورية البيزنطية فهي إمارة كاراسي (قره سى) Karasi التي تحالفت مع الجماعات القطالونية ضد الإمبراطورية البيزنطية ، حيث [31]

140-141. Cf. Also. Janin R , La Bithynie Sur L'Empire Byzantine Palaeologopolis Suite , *E. D. O.* , Vol.XX,(Paris1921), p.314.

(٢٧) Janin , La Bithynie Sur L'Empire Byzantine, 314.

(٢٨) انظر ما سبق ، ص ٣٢.

(٢٩) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 141. Cf.Also Inalcik. H,*The Emergence Of The Ottoman,* C. M. H, (Cambridge , 1977) Vol. 1,part. p. 269.

أما صاروخان Sarukhan ، فقامت باحتلال إقليم نيمفايون Nymphaion ، ووقعت فى أيدي العثمانيين عام ١٤١٠م . انظر : *O.D.B*, Vol. 3,PP. 1844-1845.

(٣٠) ظهر الأتراك السلاجقة فى إقليم ما وراء النهر فى القرن العاشر الميلادى ، ويرجع أصلهم إلى الأتراك الغز الذين ظهروا فى القرن السادس الميلادى انظر: عماد الدين الأصفهاني : تاريخ آل سلجوق ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ٦٣. انظر أيضا : أحمد رمضان أحمد : المجتمع الإسلامي فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٤٩؛ قاسم عبده قاسم : بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، عالم الفكر، الكويت ، ١٩٩٤، ص ٣٦٦ ؛ جوزيف شاخت و آخرون : تراث الإسلام ، الجزء الأول ، ترجمة محمد زهير السمهوري و آخرون ، تحقيق شاكر مصطفى ، عالم المعرفة العدد ٢٣٣ ، الكويت ١٩٩٨م ، ص ٢٥٨ ؛ محمد عبد العظيم : السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، القاهرة ٢٠٠١ م، ص ٢٩ .

(٣١) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,Vol.2,pp.415;Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol. 1,p.220.

أما كاراسي تمتد من خليج أتراميتيون Atramyttion إلى مضيق الدردانيل فى إقليم ميثيا Misthia ، واسم كاراسي هو ما يطلق عليها عادة ولكن مؤسسها كان اسمه كالام Kalam ، ثم أصبح كاراسي خليفته وكان وريث كاراسي ابنه دميرخان -Demir

عبرت قوتهما مضيق هيلاس Hellas [32] ، ودخلوا معا في حرب ضـــروس ضد القوات البيزنطية في عام ١٣٠٤م بإقليم تراقيا ، انتهـت بهزيمــة ســاحقة للقوات البيزنطية . وسبب تلــك الهزيمـــة هـــو انقــلاب القــوات المرتزقـــة التركوبولي[٣٣]على ولي نعمتها الإمبراطور أنـــدرونيكوس الثــاني وانضـــمامها لأعداءه، حيث إنها كانت تشكل القوة الرئيسية في جيشه ، فضلا عن بسالة وقوة سلاح الفرسان التركمان في تلك المعركة .ثم هاجمت القوات التركمانية التابعـــة لكاراسي والقوات المتحالفة الأراضي الممتدة على الساحل الغربي لبحر مرمره

Khan ، ومقر هذه الأسرة بالتحديد بـالي - كيرس Bali- Kersi (شرق أدراميتي Adramytti) ، غير أن أخيه الأصغر ويدعى أياكشي Iakchi ، إتخذ من برجامه Bergamah أو برجام Pergame مقرا له . انظر:

Ramsay. M, *The Historical Geography of Asia Minor,* (Amsterdam , 1962) p. 332; O. D. B, Vol.2 , p.1107.

راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ، جـ٢ ، ص ٢٠٥.

(٣٢) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,Vol .2, pp.415; Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1, p.221.

أما هيلاس Hellas ، يمثل الحد الفاصل لبلاد اليونـان ، حيث يقع بين جنوب ثيرموبيلاى Thermopylai والبيلوبونيز Peloponnes ، وبعد عام ١٢٠٥ م أصبح هيلاس خاضعا لسلطة دوق أثينا. انظر :

O.D.B, Vol. 2, p .911.

(٣٣) Pachymeres , *De Michaele et Andronico* ,Vol. 2, pp.416- 417.

أمـا التركوبولية هم فرسان استخدمهم البيزنطيون فى جيوشـهم ، ولفظـه تركوبولى يونانيـة الأصـل ومعناهـا أبنـاء التـرك . وهـو مصـطلح أطلقـه البيزنطيـون علـى فرقـة مـن فـرق جيوشهم،تلي فى أهميتها فرقة الفرسان ، وينحدر أفرادها من أب تركي(أو عربي) وأم يونانيـة ، ويرجع تكوين هذه الفرقة بعد اتصـال البيزنطيين= =بالسلاحقة بعد وقعة ملاذ كر وكـان فرسان هذه الفرقة يتميزون بطريقة قتال تعتمد على الكر والفر والحرب السريعة . لمزيد من التفاصيل انظـر : ابن بيبـى: تـاريخ سـلاحقة الـروم ، دراسـة وترجمـة محمـد عـلاء الـدين ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ٣١٦-٣١٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمـال الـدين الشـيال،القاهرة ، ١٩٥٧،جـ٢ ، ص ١٤٩،هـامش رقـم ١؛ ريمونـداجيل : تـاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمـة وتعليق حسين محمد عطية ، الإسكندرية،١٩٩٠،ص ٩٨هامش رقم ١٧. انظر أيضـا:حاتم الطحاوي:الاقتصـاد الصـليبي فـى بـلاد الشـام ، القـاهرة ، ١٩٩٩، ص ٦٤، هامش رقم ٥٨.

بإقليم تراقيا [١] والتي من أهمها منطقة جانوس Ganos والأراضي المحيطة بها [٢] وبيزى Bizye وغيرها من المناطق الأخرى القريبة منها [٣] وكان ذلك عام ١٣٠٦م. ولكن سرعان ما حدث شقاق بين الجماعة القطالونية وحلفائهم التركمان ، فاستغل الإمبراطور أندرونيكوس هذا الشقاق وعقد مع التركمان معاهدة صلح وسلام تشتمل على عدة بنود ، منها أن يسمح الإمبراطور أندرونيكوس للقوات التركمانية بالرحيل إلى أسيا الصغرى محملين بالغنائم والأسلاب الناتجة عن الحروب السابقة مع البيزنطيين ، وأن يوفر الإمبراطور البيزنطي ما يلزم التركمان من المؤن والإمدادات حتى يرجعوا إلى وطنهم ، وأن لا يرتكب التركمان أي أعمال همجية في المنطقة . وأن تنقل القوات التركمانية على السفن البيزنطية إلى بلادهم في أمان. وأخثر أن توفر الحماية

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: Pachymeres , *De Michaele et Andronico* ,Vol . 2,pp.415; Gregoras , *Byzantinae Historiae*,Vol. 1, pp. 221 - 223. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom.1,p.167. .
راجع أيضا: ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٧٣.

(٢) Pachymeres , *De Michaele, et Andronico* . ,Vol 2,p.423.
أما جانوس Ganos، فهي اسم يطلق على جبال تقع في تراقيا على الساحل الغربي لبحر مرمره ، وتبعد إلى الجنوب الشرقي عن ريديستوس Rhaidestos بحوالي ١٥كم ، وكذلك اسم لمدينة جانوس التي تعرف باسم جازى كوى Gazikoy وتقع بالقرب من تلك الجبال . انظر : *O. D. B,* Vol. 2,p. 822.

(٣) Pachymeres , *De Michaeleet Andronico* ,Vol.2,pp.415 ;Gregoras , *Byzantinae Historiae* Vol .1, pp . 221- 223 Cf. Also, Wittk.P, Yazijiohlu Ail On The Christian Turks Of The Do Bruje , *B. S. A.S* , Vol . 14, (London, 1925).P.663.
أما بيزى ، فتعرف حديثا باسم فيزا Vize، وقديما باسم أبوليس Apolis وتقع في الشمال الشرقي من أركاديوبوليس Arkaiopolis، ولقد احتلها سيمون إيروش Symon Uros (١٣٤٨- ١٣٥٥م) الملك البلغاري أعاد بناء أسوارها ووقعت في أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣م . انظر : *O. D. B*, Vol. 1,p. 292.
راجع أيضا:عبد العزيز رمضان:المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية،القاهرة،٢٠٠٥، ص ١٠٣، هامش رقم ٣ .

الكافية للقوات التركمانية قبل وأثناء الرحيل من الأراضي البيزنطية [٤] ولكن نتيجة لكثرة الغنائم والأسلاب والقتلى والجرحى البيزنطيين قام القائد البيزنطي سيناخيرم Senna Cherim بتدبير مؤامرة بغرض الإطاحة بهؤلاء التركمان والتخلص منهم نهائيا ثم الاستيلاء على أمتعتهم، إلا أن التركمان علموا بتلك المؤامرة فاختبئوا في إحدى القلاع القريبة المطلة على الشاطئ واتخذوها مركزا لمتابعة إغارتهم على الأراضي البيزنطية ولذلك أرسل الإمبراطور أندرونيكوس على الفور حملة عسكرية جديدة تحت قيادة ميخائيل التاسع بهدف كبح جماح القوات التركمانية [٥] ،إلا أنه فشل في ذلك ولقي هزيمة ساحقة على أيد الفرسان التركمان الذين أبلوا بلاءا حسنا في هذه المعركة [٦] .

ثم اجتاحت القوات التركمانية التابعة لإمارة كاراس منطقة رايديستوس Raidestos الواقعة على الساحل الغربي لبحر مرمره سلبا ونهبا خاصة بعد استيلائهم على المعسكر البيزنطي بما فيه من خزانة وأسلحة ورايات الإمبراطورية البيزنطية إلا أنهم فشلوا في إلقاء القبض على الإمبراطور المشارك ميخائيل التاسع بسبب شجاعة وبسالة جنوده في الدفاع عنه [١] لقد أوضحت تلك المعركة مدى الانهيار الذي آلت إليه الإمبراطورية البيزنطية ومدى عجزها في الدفاع عن أملاكها و أراضيها [٢] .

وعلى أية حال وصلت تلك الأخبار إلى القسطنطينية و أثارت غضب الإمبراطور أندرونيكوس الثاني ، فأرسل إلى ملك الصرب إيتين إيروش الثاني

---

(٤) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1,pp.254-255. Cf.Also, Richard, Andronic II,p.1789; Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman* , Tom . 1.p. 165.

(٥) Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1.pp.255-256 Cf.Also,Wittek,Yazijioghlu the Christian, p.663.

(٦) Gregoras , *Byzantine Historiae* , Vol.1, pp. 256 Cf. Also Wittek , Yazijioghlu The Christian , p.214; Ostrogorsky, *History Of The Byzantine State,* p .440.

(١) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1,pp . 257.

(٢) Janin,La Thrace Byzantine , p . 53.

وفد بيزنطي يطلب منه المعونة و الإمداد لإنقاذ المسيحية ولتأديب هؤلاء التركمان ،وبالفعل وصلت قوة صربية عسكرية صربية إلى القسطنطينية أرسلها الإمبراطور أندرونيكوس مع القوات البيزنطية الأخرى تحت قيادة فيليس Philes على متن أسطول جنوي [٣] فرض به الحصار بحرا على الساحل التراقي ، أما القوات البيزنطية الصربية طوقت القوات التركمانية برا [٤] مما أحدث خللا في صفوف الجيش التركماني وذلك بسبب عزلهم عن العالم الخارجي الأمر الذي أدي بدوره إلى انقطاع وسائل المعيشة بهم ، مما سهل مهمة فيليس في القضاء عليهم و إنزال هزيمة ساحقة بهم وكان ذلك مع أوائل عام ١٣١٢م[٥]. إلا أن القوات التركمانية التابعة لإمارة كاراسي استجمعت قوتها أواخر عام ١٣١٣وقامت بالهجوم على الأراضي المحيطة بمدينة كيزيكوس Kyzikos [٦] .

---

(٣) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1,pp . 263- 266.Cf. Also, Lebeau ,*Histoire Du Bas- Empire* , Tom. XIX, p.215; Finlay, *History Of Greece* , Vol. 3, p. 408.

أما حنا فيليس John Philes فهو أحد أقرباء الإمبراطور أندرونيكوس الثاني ويعرف أيضا باسم باليولوجس. انظر: *O. D. B*, Vol.3, p. 1650;Lebeau, *History Du Bas- Empire* , Tom. XIX, p.215.

(٤) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p . 26 8 , Chalcocondyles, *Historiarum* , p. 17. Cf. Also, Finlay, *History Of Greece* , Vol. 3, p. 408.

(٥) Gregoras , *Byzantine Historiae*, Vol.1.p.268 ;Chalcocondyles, *Historiarum* , p.17. Cf. Also,Lebeau, *Histoire Du Bas – Empire,* Tom. XIX, p. 215; *O. D. B,* Vol. 3, p. 1650.

(٦) Chalcocondyles, *Historiarum* , p.17.

أما كيزيكوس Kyzikos ، فتعرف حاليا باسم بالكيز Balkiz ، تقع على مقربة من الساحل الجنوبي لبحر مرمره المواجه لأسيا الصغرى،احتلها الصرب من عام ٦٧١م وكانت مركز للجماعة القطالونية من ١٣٠٣م إلى ١٣٠٤م واحتلها السلطان العثماني أورخان عام١٣٣٥م.انظر: *O.D.B*, Vol.2,pp. 1164- 1165.

وبذلك اجتاحت قوات الإمارات التركمانية الأراضي البيزنطية فى أسيا الصغرى وسيطرت على العديد من المناطق فى إقليم تراقيا و التي من أهمها جانوس، رايديستوس، وبيزى، وغيرها من المناطق الواقعة على الساحل الغربي لبحر مرمره وكذلك سيطرتها على المناطق الجنوبية لبحر مرمره المقابلة لأسيا الصغرى . ويرجع ذلك إلى انشغال الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني بالحرب مع جهات عديدة من صرب وبلغار وقطلان، وفقر خزانة الإمبراطورية البيزنطية لمواجهة أعباء حربية جديدة ، فضلا عن انشغاله وانغماس الإمبراطورية فى حرب أهلية مزقت الإمبراطورية البيزنطية .

أما عن الأتراك العثمانيين الذين ظهروا كقبيلة مرتحلة قادمة من وسط أسيا [٧] ، فهم من حيث المنشأ إحدى الإمارات التركمانية التي تكونت نتيجة توسع السلاجقة غربا فى الأناضول ونتيجة هجرات العناصر التركية فى الاتجاه ذاته وعلى الحدود المتنازع عليها مع الإمبراطورية البيزنطية [١] ولقد أغراهم ضعف الإمبراطورية البيزنطية للهجوم عليها [٢] حيث واصلوا فتوحاتهم إلى الشمال الشرقي من أسيا الصغرى تحت قيادة مؤسسهم عثمان[٣] ، وعلى أية

---

[٧] حيث تحركت فى النصف الثاني من القرن السادس الميلادى ، فى الانتقال من موطنها الأصلي نحو أسيا الصغرى فى هجرات ضخمه بحثا عن الكلأ والمراعى والعيش الرغيد ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون ثم استقرت بعض الوقت فى طبرستان ،و جرجان ، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية = = والتي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية فى بلاد فارس ٢١هـ/٦٤١م . لمزيد من التفاصيل انظر : زاهر رياض : شمال أفريقيا فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١٨١؛على محمد الصلابى : الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، القاهرة ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م ، ص ٢٥.

[١] البرت حورانى : تاريخ الشعوب العربية ، ترجمة نبيل صلاح الدين ، مراجعة عبد الرحمن الشيخ ، القاهرة ، ١٩٩٩م، الجزء الثاني ، ص ٢٢ .

[٢] زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ص ١٨١،

[٣] هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ،جـ٢،ص٢٠٥ ؛ البرت حورانى : تاريخ الشعوب العربية ، جـ٢، ص٢٢.

أما عثمان فيرجع أصله إلى قبيلة " قايى خان " من قبائل أتراك غز الخزر وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه التركماني ، ولد فى عام ٦٥٦هـ ١٢٥٨م- هي السنة التي غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العباسية – بعد وفاة أرطغرل ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨ م عين السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الثالث (١٢٦٩- ١٣٠٠م) فى قونية عثمان مكان والده أرطغرل ، وعهد إليه بحماية قلعة كوتاهية ، ثم أقطعه كافه الأراضي والقلاع التي

حال لقد أصبحت الإمبراطورية البيزنطية فريسة ووليمة سهلة في أيدي أعدائها تتهافت عليها الأخطار من كل جانب، فلقد تزامن مع الإغارات التركمانية على الإمبراطورية البيزنطية في أسيا الصغرى قيام عثمان بحملاته على الحصون البيزنطية التي أهملتها في أسيا الصغرى [٤] .

ولقد استخدم عثمان الوسائل والحيل العسكرية أحيانا والسليمة أحيانا أخرى لتحقيق أهدافه السياسية في أسيا الصغرى [٥] .حيث عمد منذ البداية إلى ترسيخ أواصر الود مع زعماء الحصون والقلاع البيزنطية البارزين في أسيا الصغرى ويدل على ذلك الصداقة الحميمة التي جمعت بينه وبين حاكم قلعة بيله دجيك Biledijik [٦] بينما نجده يعلن الحرب على القائد البيزنطي لمدينة أنجلوكوما Agelocoma والذي يدعى أيانيكولا Ayanikola [٧] بسبب

فتحها و أجاز له ضرب العملة وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة وبذلك أصبح عثمان ملكا لا ينقصه سوى اللقب لمزيد من التفاصيل انظر : Chalcocondyles, *Historiarum* p.13.

راجع أيضا : إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الأول ، القاهرة ١٣١٢هـ ، ص ٤٨٢ ؛ محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م ، ص ٣٩ ــ ٤٠ ؛ خليل أفندي مطران : مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، مصر، ١٨٩٧م ، ص ٣٥؛ عبد العزيز فهمي : فتح القسطنطينية، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٨٠٤ ؛ زاهر رياض: شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ص ١٨١ ؛ علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ص٤٥ . انظر أيضا: *O.D.B,* Vol. 3, pp.1539-1540.

[٤] بذلك استقر العثمانيون في أسيا الصغرى و أقاموا بها دولتهم خلفا لدولة سلاجقة الروم ، وجاوروا الإمبراطورية البيزنطية ، وتطلعت أبصارهم إلى فتح القسطنطينية العاصمة العتيدة منذ البداية انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص٣٤،٤٠ ؛ هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ،جـ٢، ص٢٠٥ .

[٥] Inalick, *The Emergence Of The Ottoman*, Vol. 1,Part. 1,p. 267.

[٦] بيله دجيك Biledijik، تقع في المنطقة الجنوبية لمدينة نيقيه وعلى مقربة من مدينة بروسه Prousa. انظر : Hammer , *Histoire , De L'Empire Ottoman* , Tom.1,p.71.

[٧] Pachymeres , *De Michaele et Andronico* ,Vol.2,pp.287. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire*

الاعتداءات و الإغارات المستمرة التي قام بها الأخير على القوات العثمانية خاصة فى فترة الشتاء أثناء تواجدهم فى الأماكن المنخفضة السهلية (١) . ولذلك اختار عثمان مجموعة من الفرسان ذات المهارة العالية والذين بلغ عددهم حوالي سبعين فارسا وخرج على رأسهم صوب مدينة أنجلوكوما وعلى الرغم من قلة تعداد القوات العثمانية إلا أنهم حققوا انتصارا باهرا على القوات البيزنطية بسبب عدم دراية القوات البيزنطية بطبيعة قتال سلاح الفرسان العثماني . ثم قامت القوات العثمانية باجتياح المنطقة المحيطة بأنجلوكوما سلبا ونهبا وخاصة المنطقة الجنوبية منها فاستولت على عدة حصون بها والتى من أهمها حصن كولادجة Koladja (٢) . بيد أن هناك مبالغة فى الرواية السابقة نظرا لعدم التناسب بين القوتين البيزنطية والتي تميزت بأعدادها الكثيرة والعثمانية والتي كانت قليلة العدد ، ومن الواضح أن المؤرخ عاشق باشا زاد قد ذكرها من باب إظهار شجاعة وبسالة وكفاءة القوات العثمانية ويبدو أن ما قام به العثمانيون كان مجرد إغارات على مجاورات أنجلوكوما والقلاع الموجودة بها وعلى أية حال ، ونتيجة لاعتداءات و إغارات العثمانيين اتفق قائد الحامية البيزنطية بها مع قائد حامية كاردجه حصار Karadja Hissar على القيام بحملة عسكرية مشتركة ضد العثمانيين (٣) ودخل الاثنان فى موقعة حربية مع القوات العثمانية فى سنة

Ottoman , Tom 1.p 71.

أما أنجلوكوما Anaglocoma ، تقع خلف جبل أوليمبوس على الطريق الواصل بين مدينتي بروسه وكوتاهيه Kutahia ، وفى منتصف الطريق بين مدينتي بروسه ونيقيه ويطلق عليها الأتراك اسم إينى كول= Ayne goel = - أي مرآة البحيرة - . لمزيد من التفاصيل انظر: صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص٤٤ .

(١) Asik- Pasa -Sohn , *Fruzeit und Aufstieg* ,pp.24-25.

(٢) Asik – Pasa – Sohn, *Fruzeit und Aufstieg* ,p.27.

(٣) Asik – Pasa –Sohn, *Fruzeit und Aufstieg*,p.27. Cf. Also , Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom.1 ,p.72; Lavallee, *Histoire De L' Empire ottoman,*(Paris,1855)p.127.

١٢٨٦م فى منطقة تسمى أجربليوم Agrillum إحدى ضواحي كاردجه حصار ، والتى انتهت بهزيمة البيزنطيين (٤) . وفى سنة ١٢٨٨م أراد عثمان أن ينـــتقم من قائد كارادجه حصار ويلقنه درسا لا ينسي ، حيث أمـــر القــوات العثمانيـــة بفرض الحصار على المدينة ، وعندما علم السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الثالث (١٢٦٩-١٣٠٠م) بذلك خرج على رأس قواته لمشاركة القوات العثمانية فى حصارها للمدينة وعندما وصل علاء الدين دخل مع عثمان فى معركة عنيفة استمرت يومين متواصلين فى القتال ولكنها كانت سجالا بين الطرفين ولظروف طارئة انسحب السلطان السلجوقى ولكنه ترك الأدوات والقوات السلجوقية تحت راية عثمان والتى بفضلها استطاعت القوات العثمانية اقتحام المدينة والســيطرة عليها (٥). ولقد قام عثمان بتسليم مساكنها لأفراد من المناطق الأخرى المحيطة بها وخاصة من أتراك إمارة جيرميان – بسبب فرار وهرب معظم ســكانها – ولقد ضرب عثمان فى مدينة كارادجه حصار أروع مثال للحق والعدل ، حيــث إنه حكم فى قضية بين تاجرين أحدهما تركي يتبع أمـــارة جيرميـــان والأخـــر

ويطلق المؤرخ عاشق باشا زاد على حاكم مدينة كارادجه حصار لقب تيكور أو تكفور Tukur. انظر :

Asik – Pasa- Sohn, *Fruzeit und Aufstieg* ,p.27.

وهى لفظة أرمينية تعنى الملك . انظر : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ٢٥٦ ، هامش رقم ٣.

أمـــا عـــن كارادجــه حصـــار ، فتقــع فـــي وســط منـــاطق أيونيـــا Inoena وبورســـاك Poursak ، شـمال كوتاهيـه وفـي وسـط مقاطعـات بروسـه و أنجلوكومـا وينـي شـهر Yenischehir انظر:

Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* ,Tom. 1, p.58.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح : السياسية الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٨٠ ، هامش رقم ٤

(٤) Asik – Pasa – Sohn, *Fruzeit und Aufstieg* ,pp.27-28.

(٥) Pachymeres, *De Michaele Et Andronico,* Vol.2, p.289; Asik – Pasa-Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg*, pp. 28 - 30. Cf. Also, Hidden. A, *The Ottoman Dynasty* ,(New York, 1912) p.7; Alix .M, *Precis De Le Histoire De L' Empire Ottoman,* (Paris, 1822) Tom. 1, p.3; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1,pp.73-74.

بيزنطي يتبع مدينة بيله دجيك فحكم عثمان لصالح التاجر البيزنطي [1] . بينما يرى " فون هامر " أن وقوف عثمان إلى جانب التاجر البيزنطي يرجع إلى عداوته لأمير جيرميان بينما كانت تجمعه علاقة صداقة مع القائد البيزنطي لمدينة دجيك[2] ، وربما كان عثمان يحاول بذلك التصرف كسب ود المدن البيزنطية في أسيا الصغرى التي كان يحاول فتحها المدينة تلو الأخرى .

ومهما يكن من أمر فلقد عقد عثمان معاهدة سلام مع ميخائيل أوكسيجينوتس Michael Oxygenuts القائد البيزنطي لمدينة خير تنكيا Khirtenkia [3] ،ثم توغلت القوات العثمانية في المنطقة المحيطة بنهر ساكاريا Sakarya، والتقى عثمان هناك بشخص يدعى سامسا شاقوش Samsa Caves [4] الذي أوكل إليه قيادة القوات العثمانية في تلك المنطقة لدرايته

---

(1) Asik – Pasa- Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg* , pp. 75-76. Cf .Also, Hidden. A , *The Ottoman Dynasty*, p. 127.

راجع أيضا : بيلد يسنيو (إيرين) : "عثمان و أورخان " في تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٩.

(2) Hammer, *Histoir De L'Empire Ottoman*, Tom.1,p76.

وتروى معظم المراجع التركية التي أرخت تلك الفترة أن عثمان عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م حكم لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي، فاستغرب البيزنطي وسأل عثمان كيف تحكم صالحي وأنا على غير دينك ! فأجابه عثمان بل كيف لا أحكم لصالحك والله الذي نعبده يقول لنا "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " (النساء ٥٨) ولقد استخدم عثمان العدل مع رعيته في البلاد التي فتحها فلم يعامل المغلوبين بالظلم أو الجور أو التعسف أو التجبر أو الطغيان أو البطش وإنما عاملهم بهذا الدستور الرباني الذي يدل على تقوى وعدل ورحمة عثمان . ولمزيد من التفاصيل انظر : علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٤٧-٤٨ .

(3) Asik – Pasa- Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg* , p.31.

أما مدينة خيرتنكياKhirtenkia ، فهي إحدى المدن الواقعة على جبل الأليمبوس. انظر: Asik –Pasa- *Sohn Fruhzeit und Aufstieg*, pp.33 .

(4) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, P. 289; Asik – Pasa- Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg* ,

الكاملة بها ،فوصل سامسا شافوش بهم إلى منطقة ســورجون Sorgun والتــي استسلمت وأعلنت ولاءها وخضوعها التام لهم دون مقاومة فكافأه عثمان بحكمها [٥]، ثم قامت القوات العثمانية بالاستيلاء على عدة مدن في هذه المنطقة والتــي من أهمها مدينة جونيوك Goynuk [٦] ومودرينـــا Moderina. وفــي عــام ١٢٩٠م أغارت القوات العثمانية على القلاع والحصون البيزنطية المنتشرة فــي شبه جزيرة بيثينيا ثم رجعت بكثير من الغنائم إلى مدينـــة كاراجـــه حصـــار، ولذلك أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني كثير من القوات البيزنطية لحمايـــة تلك المنطقة من الخطر العثماني الداهم وكذلك أمر قادة تلـــك القـــلاع بتزويـــد تحصيناتها

واتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها والدفاع عنها [٣٦].

---

p. 30.CF Also , Janin, La Bithyine Sur L'Empire Byzantine, p.314; Nicol, *The End Of The Byzantine Empire,* p. 25.

(٥) سورجون Sorgun ، تقع على نهر ساكاريا Sakarya انظر : Asik - Pasa -Sohn ,*Fruhzeit und Aufstieg,* p.33

(٦) Asik – Pasa- Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg* , pp. 33.

أما جونيوك Goynuk ، فهي مدينة حصينة تقع بالقرب من سورجون. انظر : Hammer, *Histoire DeL' Empire of ottoman,* Tom.1,P.78.

(٣٦) Pachymeres, *De Michaele et Andronico* ,Vol. 2,p. 301.Cf. Also , Janin, La Bithyine Sur L' Empire Byzantine, p.314; Nicol, *The End Of The Byzantine* , p.25.

أما مودرينا،تبعد حوالي سبعة وعشرون ميلا من مدينة كونيك Koinik وحوالي خمسة أربعين ميلا من مدينة بولىBoliu، وتعد مدخلا لمدينة تاراكى ينى سيسى Taratciyenisesi تبعد ٤٥ كم شرق نهر ساكاريا انظر:

Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman,* Tom. 1,p77 .

راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص٥١.

ولقد شهدت الفترة الممتدة فيما بين عام ١٢٩١م وحتى عام ١٢٩٨م نوع من الهدوء النسبي بين الطرفين ، وذلك بسبب انشغال عثمان في تلــك الفتــرة بتنظيم وتدعيم أركان ملكه الجديد ليتمكن من مواصــلة فتوحاتــه [٣٧] . إلا أن نجاحات عثمان ورفاقه جعلت القادة البيزنطيين في أســيا الصــغرى يــدبرون مؤامرة للقضاء عليه ومن بين هؤلاء القادة القائد البيزنطي لقلعة بيلەدجيك الذي قلب ظهر المجن له، ولقد تم الاتفاق فيما بينهم لتنفيذ مخططهم التآمري في ليلــة عرس القائد البيزنطي لمدينة بيله دجيك على ابنة قائد يارحصــار Yarhissar [٣٨] وأرسلوا إلى ميخائيل أوكسيجينوتس للاشتراك معهم فــي تلــك المــؤامرة بوصفة أحد الرفقاء المقربين من عثمان في ذلك الوقت إلا أن ميخائيل تظــاهر بقبول عرضهم وفي نفس الوقت أعلم عثمان بمؤامرتهم- ربما ســلك ميخائيــل أوكسيجينوتس هذا المسلك احتراما منه للمعاهدة المبرمة مع عثمان والتي مــن المؤكد تحقق مصالحه وأهدافه الشخصية- وعلى أية حال أرسل قائد بيله دجيك إلى عثمان ورفاقه لحضور حفل زفافه ،فوافق عثمان على قبول عرضهم وفــي نفس الوقت اقترح على قائد بيله دجيك أن يقيم حفل زفافه خارج المدينــة فــي الأماكن الواسعة بحجة أن النساء لا يفضلن الأماكن الضيقة [٣٩] ، وكذلك طلــب منه أن يوفر مكانا مناسبا للمنقولات والأمتعة الخاصة بهم داخل المدينة خشــية تعرضها لأي عملية سلب وسرقة ،فوافق الأخير على تلك الطلبات أقام الحفــل فــي أحــد الســهول القريبــة مــن بيلــه دجيــك فــي منطقــة تســمى

---

(٣٧) Creasy,E, *History Of The Ottoman Turks*,(Beirut 1968)p.8.

(٣٨) Asik – Pasa- Sohn,*Fruhzeit und Aufsteig*,p. 34. Cf .Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1,p78; Lavallee, *Histoir De L' Empire Ottoman*, p. 127.
أما يارحصار Yarhisser, تقع في وسط الطريق الممتد بين بروسه ويني شهر. انظر :

Hammer, Histoire De L' Empire Ottoman ,Tom. 1,p.80.

(٣٩) Asik – Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufsteig*,p. 35 –36.

تشاكيربيناري Cakirpinari [٤٠]. ثم بعث عثمان إلى مدينة بيله دجيك بمجموعة من أمهر المحاربين العثمانيين المتخفين في ملابس الحريم العثمانيات وفي صحبتهم أعدادا كثيرة من الخيول المحملة بأدوات القتال بدلا من المنقولات الخاصة بهم كما هو متفق عليه سالفا[٤١] ومهما يكن من أمر فبهذه الخديعة وقعت بيله دجيك في أيدي العثمانيين بسهولة ويسر، بسبب انشغال حاميتها المرابطة بها وسكانها بليلة العرس المقامة خارج المدينة [٤٢] ، ثم تحركت القوات العثمانية صوب مدينة يارحصار وسيطرت عليها بعد قتال عنيف وأسر قائدها وابنته نيلوفير Niloufer [٤٣] .

ومع نهاية عام ١٢٩٨م بعث عثمان بإحدى الفرق العسكرية العثمانية تحت قيادة تورجوت ألب Tourgut Alp لحصار مدينة أنجلوكوما والسيطرة عليها ولكنه فشل في ذلك بسبب قوة تحصيناتها ومتانتها وشدة بأسها ومقاومتها، مما جعل عثمان يقرر الذهاب إليها بنفسه على رأس قوة عثمانية جديدة والتي نجحت في اقتحام المدينة والسيطرة عليها [٤٤] .

ومع حلول عام ١٢٩٩م قامت القوات العثمانية بالإغارة على مدينة ينى شهر Yenishehir(ميلى نجيا Melengeia) ،ثم الهجوم على قلعة كوبري حصار Koepri Hissar والتي أعلنت ولاءها وخضوعها للسلطة العثمانية بعد

---

(٤٠) Asik – Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufsteig*,p. 36 .

(٤١) Asik – Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufsteig*,p. 36.

(٤٢) Asik – Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufsteig*,p.37. Cf .Also, Lebeau, *Histoire Du Bas-Empire*, Tom. XVIII, p. 395.

(٤٣) Asik – Pasa- Sohn,*Fruhzeit und Aufsteig*,p.37- *The Ottoman Empire*, p.33 ;Show .S,*History* 38.Cf.Aslo,Gibbons,*The Foundation Of of The Ottoman, Empire and Modern Turkey,* (Cambridge,1976) p.14.

(٤٤) Asik – Pasa Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg,* p.38. Cf. Also, Gibbons, *The Foundation Of The Ottoman Empire*,p.33; Show, *History Of The Ottoman Empire and Modern Turkey*,p.14; Hidden,*The Ottoman Dynasty*, p. 11;Grousset.R,*L'Empire Du Levant,*(Paris,1946) p.606.

حصار طويل حرمها من وسائل المعيشة وعزلها عن العالم الخـارجي [٤٥] ثـم استقر عثمان فى المدينة الجديدة ينى شهر وواصل فتوحاته ،ففي سـنة ١٣٠٦م سيطرت القوات على عدد كبير من الحصون البيزنطية الهامة القريبة والتى كان من أهمها قلعة ديمسوز Dimsouz وغيرها من القلاع الأخرى [٤٦] ، مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس يرسل جيشا بيزنطيا تحت قيـادة ثيـودور موزالـون Theodore Muzalon بلغ حوالي ألفين من المقاتلين البيزنطيين ومعه فرقـة عسكرية أخرى من جنود الآلان بهدف وقف التوغل والزحف العثمـاني نحـو مدينة القسطنطينية، بينما بلغ قوام القوات العثمانية حوالي خمسة آلاف جنـدي . والتقى الطرفان فى معركة ضروس انتهت بهزيمة ساحقة بالقوات البيزنطية [٤٧] .وربما لنا ان نتساءل لماذا أرسل الإمبراطور البيزنطي أنـدرونيكوس الثـاني القوات البيزنطية فى هذه المرة دون غيرها من المرات السـابقة التـي هـاجم العثمانيون فيها الأراضي البيزنطية الأخرى ؟!! من الواضح أن السبب المباشر

---

(٤٥) Asík – Pasa Sohn, *Fruhzeit und Aufsteig*, p.38-39. Cf. Also, Taechner.F, *The Ottoman Turks to 1453 C.M.H,* Vol 4.(Cambridge, 1966)p. 759.
أما ينى شهر وكويرى حصار فتقعان على الطريق المؤدى لمدينة بروسه انظر : Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1,p.87;.Davis.S, *A Short History Of The Near East from the founding Of Constentinople,*(London, 1923) p.185.

(٤٦) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,Vol.2, pp.557; Gregoras,*Byzantinae Historiae*,Vol.1, p.224. Cf. Also, Lavallee, *Histoire De L' Empire Ottoman,* p. 128 ; Alix., *Precis De Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1,p 4; Hidden, *The Ottoman Dynasty,* p.7.

(٤٧) Pachymeres, *De Michaele et Andronico,* Vol.2, p.610; Asik – Pasa Sohn, *Fruhzeit und Aufsteig*,pp. 40-42.Cf.Also, Brehier, *Vie et Mort de Byzance*, pp.415-416; Nicol,*The Last Centuries Of Byzantium*, pp. 133-134 ; Inalick, *The Emergence Of The Ottoman* , p. 268; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1,89-90;Creasy,*History Of The Ottoman Turks*,p.10.

والرئيسي لتحرك الإمبراطور أندرونيكوس وإرساله للقوات البيزنطية هو دنـــو الخطر العثماني من القسطنطينية الذي أصبح على بعد أميال بسيطة منها .

ومهما يكن من أمر فلقد فرضت القوات العثمانية الحصار على بعـض القلاع البيزنطية الهامة ، مثل قلعة كيتى Kite التي فر قائدها إلى قلعة قريبـة منه تسمى لوباديون Lopadion[48] بمجرد رؤيته للحشود العثمانيـة أمـام قلعته ولذلك بعث عثمان إلى قائد لوباديون رسولا يأمره بضرورة تسلم قائد قلعة كيتى وإلا سيكون الويل والثبور والدمار مصيره، وكذلك أمره بدفع جزية سنوية ، فقبل قائد لوباديون ذلك ولكن مقابل عـدم عبـور القـوات العثمانيـة لنهـر ريندوكوس Rhyndokos الفاصل بينهما، فقبل عثمان ذلك [٤٩] ثـم اجتاحـت القوات العثمانية المحيطة بقلعة كيستيل Kestel سلبا ونهبا ثم سـيطرت عليهـا أواخر عام ١٣٠٧م[٥٠]. واحتلت مدينة كوتاهيه Kutahia عـام ١٣٠٨م، ثـم زحفت إحدى الفرق العسكرية العثمانية نحو سواحل البحر الأسود فاحتلت عددا كبيرا من الحصون المنتشرة عليه والتي من أهمها خـيلاى Khelai وهيـرون

---

(٤٨) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*, Vol.2, pp.445.Cf .Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. 1,p.90; Gibbons, *The Foundution Of The Ottoman Empire*, p. 34.

أما لوباديون Lapadion، هي مدينة حصينة تقع فى الركن الشمالي الغربي من أسيا الصغرى وعلى بعد عشرين كيلو متر جنوب بحر مرمره وتعرف حديثا باسم أولوباد Ulupad. انظر : *O.D.B* ,Vol. 2,p. 1250.

(٤٩) Asik-Pasa Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 44. Cf. *Ottoman Empire*, Also, Hammer, *Histoire De L'* Tom. 1,pp.90-93.

أما ريندوكوس Rhyndokos فهو نهر يقع فى شمال غرب أسيا الصغرى وتقع عليه مدينة لودبايون .انظر:
O. D. B, Vol. 2,p. 1250 . .

(٥٠) Asik-Pasa -Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.43.Cf .Also ,Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1,p.93.

Heiron وغيرها [٥١]. وواصلت القوات العثمانية زحفها فاستولت على قلعة تريكوكيا Tricokia بعد مقاومة عنيفة من حاميتها البيزنطية المرابطة فيها [٥٢] ،ولقد ترتب على سقوط قلعة تريكوكيا في أيدي القوات العثمانية استسلام عدة قلاع بيزنطية أخرى ومنها قلعة كوبوكيا Cubuciea وقلعة كاديرلي Cadirili في عام ١٣١٧م للقوات العثمانية [٥٣] . بعد ذلك سيطرت القوات العثمانية تحت قيادة القائد العثماني سامسا شافوش على حصن يحمل اسمه في نفس العام ، ثم خرجت حملة عسكرية عثمانية أخرى تحت قيادة سليمان غازي أحد قادة عثمان صوب قلعة ميكيسي Mekece الواقعة على نهر ليفكه ،والتي استسلم حاكمها بمجرد وصول سليمان إليها مع أوائل عام ١٣١٨م [٥٤] .

وعلى آية حال استولت القوات العثمانية على العديد من القلاع البيزنطية الهامة ولم يتوقف زحفهم على تلك القلاع فقط ، بل حقق العثمانيون العديد من الانتصارات الأخرى باستيلائهم على العديد من المدن البيزنطية الهامة [٥٥] مستغلين ما كانت تعاني منه الإمبراطورية البيزنطية من مشكلات اقتصادية

---

(٥١) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol.2,p.228.

أما كوتاهيه ، فهي إحدى مدن فرجيا Phrygia وكانت تعرف قديما باسم كوتيايون Kotyaion ،ولقد احتلها السلاجقة عام ١١٨٢ أو ١١٨٣م. انظر: *O. D. B*, Vol. 2,p.154;Alix, *Precis De L'Histoire*,Tom.1,p.5.

(٥٢) Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol .2,p. 286.

(٥٣) Pachymers, *De Michaele et Andronico*,Vol. 2,p.449; Asik -Pasa -Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.46 .

انظر أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٧.

أما كوبوكيا وكاديرلي ، فيقعان في بيثينيا في جنوب شرق بروسه انظر: Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. 1,p.96

(٥٤) Asik-Pasa -Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* ,p 47. Cf.Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom.1,p.97-98 .

انظر أيضا : صلاح محمد ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٦٥.

(٥٥) لمزيد من التفاصيل انظر : الفصل الثاني

، فضلا عن انشغالها بحروبها مع القطلان والبلغار والصــرب والتركمــان [٥٦] .وبذلك توغلت القوات العثمانية بين أرجاء المدن والقلاع البيزنطية فــى آســيا الصغرى واستولت على العديد منها عــن طريــق الخضــوع والاستســلام أو المعارك الحربية ،حيث استخدم عثمان أسلوب القتال حينــا والتفــاوض أحيانــا أخرى، ولعل أهم تلك المدن والقلاع البيزنطية بيله دجيك، كارادجــه حصــار، كوبرى حصار، جونيوك ،مودرينا وتريكوكيا وغيرها من مــدن وقــلاع أســيا الصغرى ولقد أوضح الزحف العثماني فى أســيا الصــغرى أن الإمبراطوريــة البيزنطية مجرد شبح واهي .

و إلى جانب ما عانت منه الإمبراطوريــة البيزنطيــة مــن هجمــات التركمان والعثمانيين دون أن تستطيع أن تكبح جماح هذه القبائل المتربصة بهــا حدث ما زاد من ضعف الإمبراطورية أمام هذه الأخطار. فقد اشــتعلت حــرب أهلية فى بيزنطة، كان من شأنها تمزقها شر ممزق، حيث أتاحت الفرصة للقوى الخارجية للسيطرة عليها ونهش جسدها [٥٧] ،ففي بداية الأمر ســادت علاقــات الود والمحبة بين الإمبراطور أندرونيكوس الثاني وحفيده الأمير أنــدرونيكوس الثالث ولذلك قام بتتويجه كإمبراطور مشارك فى الحكم فى عام ١٣١٦م وكــان يبلغ من العمر وقتذاك حوالي تسعة عشر عاما ولكن سرعان مــا دب الخــلاف بينهما [٥٨] .

أما عن العوامل المباشرة لتلك الحرب فكان أولها اختيار الإمبراطــور أندرونيكوس الثاني لميخائيل كاثاروس Miehael Katharos لولايــة العــرش وإقصاء أندرونيكوس عنها [٥٩] وذلك نتيجة للبذخ وحياة اللهو والترف التي كان

---

[٥٦] ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٢٠٠.

[٥٧] Nicol, *The Last Centuries Of Byzantium* p . 152.

[٥٨] Gregoras,*Byzantinae Historiae*,Vol.1,p295 Cf Also,Nicol,*The Last Centuries Of Byzantium* p. 152.

[٥٩] Gregoras ,*Byzantinae Historiae,* Vol. 1,p 295-296.

أما ميخائيل كاثاروس، فهو ابن قسطنطين الابن الأصغر للإمبراطور أندرونيكوس الثاني أنجبه من زوجة

يحياها أندرونيكوس الثالث بين النساء والصيد [٦٠] .وكذلك نتيجة لمقتل مانويل على أيدي رجال أخيه أندرونيكوس الأمر الذي أدى إلى وفاة ميخائيل التاسع أول أكتوبر عام ١٣٢٠م حزنا على ابنه الصغير [٦١]، تطلع أندرونيكوس الثالث للقيام بحركة فتوحات واسعة النطاق للسيطرة على أسيا الصغرى وجزر بحر إيجه ،فضلا عن نزاع أندرونيكوس الثالث مع الجنويين بسبب استدانته أموالا طائلة منهم– حيث إن الفتوحات المأمولة والديون المتأخرة تشكل عبئا على خزانة شبه خاوية– [٦٢] . إلى جانب ما سبق كانت هناك أسباب أخرى شجعت الأمير أندرونيكوس ،على القتال والدخول في حرب مع الإمبراطور أندرونيكوس، وأول هذه الأسباب هو سيطرة العثمانيين على معظم أسيا الصغرى بعد انتزاعها من أيدي البيزنطيين ،ولم يعد للبيزنطيين في هذه الجهة سوى المدن القليلة الباقية ،والتي لم تعد تتحمل الاستمرار كثيرا في المقاومة .أما السبب الثاني فكان تخريب القطلان والأتراك التركمان لمدن تراقيا مما آثار شعبها. وكان السبب الثالث هو إنفاق إيرادات الإمبراطورية السنوية على الحروب المستمرة التي يخوضها الإمبراطور أندرونيكوس الثاني أما السبب الرابع وقوع أهالي القسطنطينية تحت رحمة الإيطاليين نتيجة لتحكمهم المباشر في الغذاء البيزنطي، و أخيرا فان الضرائب العديدة والباهظة على الشعب البيزنطي لمواجهة الأخطار الخارجية إلى جانب الأسباب السابقة كلها أدت بدورها إلى تذمر الشعب البيزنطي الذي وجد في الحرب الأهلية التي يقودها الأمير أندرونيكوس ضد جده طريقا وملاذا للخروج من هذا النفق الضيق

غير شرعيه وهى كاتاروس وصيفة زوجته الثانية انظر : . Bosch ,*Kaiser Andronikos III* ,p .13

(٦٠) كان ينفق على ١٤٠٠ كلب واكثر من ١٠٠٠ صقر، فضلا عن الموالين من رعيته حوالي ١٥٠٠٠

هيبربيرون Hyperpron انظر : Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 11-12.

(٦١) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2 , p .225 . Cf. Also , Diehl. C , *Figures Byzantines Deuxieme* (Paris, 1908) p. 243.

(٦٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,pp. 300-301.

والمظلم التي كانت تمر به الإمبراطورية البيزنطية [٦٣]. ومهما يكن من أمـــر فقد قام الأمير أندرونيكوس بتأليف حلف من أصدقاءه ضد جده ومن بينهم حنـــا كانتاكوزينوس و ألكسيوس أبوكاوكوس Alexius Apocaus[64] ثيودور ســــــيناديوس Theodore Synadenus [٦٥] وســــــيرجيانيز Syrgiannes باليوجوس وغيرهم [٦٦]. وسعى كل من الطرفين إلى الحصول علـــى مســـاندة خارجية، فنجد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني يتصل بالحاكم الصربي إيـــروش

(٦٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,pp.37-38; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,pp.317-318.
Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p .153.

(٦٤) أما الكسيوس أبوكاوكوس، يختلف عن أصدقاء أندرونيكوس الثالث في عدم انحداره من أسرة أرستقراطية، ولقد وصل إلى هذا الموقع بمساعدة حنا كانتاكوزينوس،ويعرف ألكسيوس أيضا بالدوق الكبير أو الأميرال العظيم ولقد درس الطب على يد هيرتاكينوس Hyrtakenos ،ولقد اغتيل ذبحا على يد خصومة السياسيين الذين سجنهم وكان ذلك بالقسطنطينية في يونيو عام ١٣٤٥م انظر: Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.156.
راجع أيضا : دونالد نيكول:معجم التراجم البيزنطية، ص ١٧٣ .

(٦٥) ثيودور سيناديوس، كان جنديا وأحد أصدقاء ميخائيل التاسع وتولى قيادة تراقيا حتى عام ١٣٢٠م ومنذ سنة ١٣٢١م أصبح أحد كبار المشايعين الخطرين لأندرونيكوس الثاني وصديقا لحنا كانتاكوزينوس، فلما انتهى النزاع بعد عام ١٣٢٨م عينه أندرونيكوس الثالث محافظا لمدينة القسطنطينية وأصبح في سنة ١٣٣٠م حاكما على ميسيمبريا الواقعة على البحر الأسود، ثم عين في عام ١٣٣٧م واليا على أرطا وهي إحدى مدن إبيروس التي حبسه فيها الثوار ،وتولى عام ١٣٤٠م حكم تسالونيكا التي أخرجه منها المتمردون الذين عرفوا باسم الزيلوتس Zealots سنة ١٣٤٢م ،ولقد أسست أمه ثيودورا باليولوجس دير للراهبات اسمه الأمل الطيب Behaia Elips في القسطنطينية ،وتوفي عام ١٣٤٦م. انظر: دونالد نيكول معجم التراجم البيزنطية، ص ٢١٧. انظـــر أيضـــا : *O. D. B*, Vol. 3,p. 1990; Nicol, *The Last Centuries Of Byzantium*, p. 156 .

(٦٦) سيرجيانيز ولد عام ١٢٩٠م من أصل منغولي عن طريق والده، كان من رجال الحرب والسياسة، وهو ابن أحد كبار المسئولين الذين انخرطوا في خدمة الإمبراطور ميخائيل الثامن، أما أمه فكانت ابنة عم الإمبراطور أندرونيكوس الثاني، وكان سيرجيانيز مطبوعا على المراوغة والطمع، ولما كان صديقا ومعينا لأندرونيكوس الثالث في مستهل الحرب الأهلية التي اندلعت سنة ١٣٢١م فقد انضم إلى معسكر العدو واتهم بالتآمر مما أفضى بالزج به في الحبس فلما انتهت الحرب سنة ١٣٢٨م سعى حنا كانتاكوزينوس إلى إطلاق سراحه وأرسله إلى تسالونيكا واليا عليها، وتوفي في جاليكوس Galykaos في ٢٣ أغسطس ١٣٣٤م انظر : دونالدنيكول :معجم التراجم البيزنطية، ص ٢٤٢.

الثاني لكي يمده بالإمدادات والأسلحة اللازمة لخوض تلك الحرب (٦٧). وكـــذلك اتجه الأمير أندرونيكوس صوب بلغاريا ليطب منها العون والمساندة والمساعدة ضد جده، وبالفعل تم توقيع معاهدة بينهما في نوفمبر ١٣٢٠م (٦٨)، ولقد استمال الأمير أندرونيكوس أيضا ثلاثة من التجار الجنويين الموسرين للتعاون معه في حربه ضد جده وهم رافودوريا Raffo Doria، رافو دي مــاري Raffo De Mari، وفريدريجوسبينولا Frederigo Spinola (٦٩).

وفي الخامس من أبريل ١٣٢١م تم استدعاء الأمير أندرونيكوس للمثول أمام المحكمة التي تكونت من الإمبراطور العجوز والبطريــرك جيراســيموس Gerasimos وثلاثة أقطاب من العلماء وهم ثيودور ميتوخيتس Theodorus Metochites ونقفوروس خومنوس Nikopharos Chumnos، وثيوليبتــوس Theoleptos، وعدد كبير من رجال الدولة. وأصدرت المحكمة حكمها التعسفي ضد الأمير بالسجن مدى الحياة ولكن أندرونيكوس الثالث كان قد اتخذ حذره بأن جعل ثلاثمائة شاب من أصــدقائه المســلحين (٧٠) يجوبــون أحيــاء وشــوارع القسطنطينية وحول القصر لتأمينه، وبالفعل عندما ارتفعــت الأصــوات داخــل القصر، اقتحم هؤلاء المســلحين القصــر تحــت قيــادة حنــا كانتــاكوزينوس وسينادينوس، مما اضطر أندرونيكوس الثاني إلى أن يعلن موافقة على الصــلح على أن لا يقوم الأمير بأي مشروع يرمى للتآمر على حياة جده وكــذلك عــدم قيامه بأية محاولة للهروب من القسطنطينية في مقابل أن يتولى ولاية العرش بعد وفاة جده (٧١) إلا أن أندرونيكوس الثاني بدأ يعمل على تفريق شمل حلف الأمير بأن خلع حنا كانتاكوزينوس من ولاية تراقيا وجعله واليا على إقلــيم المــوره،

(٦٧) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp.16-17.

(٦٨) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p.301.

(٦٩) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.38.

(٧٠) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,p.67.Cf.Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 17.

(٧١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p. 68; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p. 312.

وعين سيرجيانيز مكانه وكذلك أبعد سينادينوس عن ولاية بريليب (٧٢) .وفي السادس عشر من أبريل عام ١٣٢١م غادر حنا كانتاكوزينوس القسطنطينية وترك رسالة للأمير أندرونيكوس يحذره فيها بقيام الإمبراطور بتدبير مؤامرة للتخلص منه مرة ثانية (٧٣) .ولذلك غادر أندرونيكوس الشاب القسطنطينية مع مجموعة من أتباعه بحجة القيام برحلة صيد واتجه صوب معسكر بالقرب من أدرنه وذلك في العشرين من أبريل ١٣٢١م (٧٤) .ولقد استقبل أهالي تراقيا الأمير أندرونيكوس بحفاوة بالغة، ومما زاد من حماس وولاء أهالي تراقيا له أنه وعدهم بتخفيض الضرائب وأحرز لهم كثيرا من الهبات والعطايا وبذلك نجح الأمير في استمالة أهالي تراقيا إلى جانبه(٧٥).

وعلى أية حال عندما علم الإمبراطور تنبأ بهروب حفيده أسرع في استقدام قائد جيوشه مانويل تاجريس Manuel Tagaris لمطاردة الأمير ولكنه فشل في تحقيق هذه المهمة بل انقلب وأعلن تمرده وعصيانه على الإمبراطور (٧٦). وبعد مرور خمسين يوما من أحداث الحرب الأهلية قدم الحاكم البلغاري سفيتوسلاف Svetoslav المساعدة للأمير (٧٧)؛وعندما اشتدت الحرب الأهلية بين الطرفين قرر الإمبراطور أندرونيكوس الثاني أن يرسل إلى حفيده سفارة

---

(٧٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,pp.77-78. Cf .Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 19.

(٧٣) Cantacuzenus, *Historiarum*,Vol.1,pp.89; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,Vol.1,p.315.Cf.Also,Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp.19-20 .

(٧٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,pp.89-90.Cf. Also, Nicol, The Last *Centuries of Byzantium* p.157.

(٧٥) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,pp.316-319.

(٧٦) مانويل تاجريس، ينتمي لأعضاء مجلس السيناتور وأحرز بطولات عسكرية في فيلادلفيا، وتزوج من إحدى قريبات الإمبراطور أندرونيكوس الثاني انظر : Cantacuzenus ,*Historiarum*, Vol. 1,pp. 91. Cf Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* ,p. 21.

(٧٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol .1,pp. 93.
ولكن لم يذكر حنا كانتاكوزينوس نوع المساعدة هل هي قوة عسكرية أم مؤن وأسلحة ؟

برئاسة ميخائيل كاليرينيتيس Michael Kallirenites والمطران ثيوليبتوس Theoleptos للتفاوض معه في أدرنه [٧٨] .وعندما التقى السفراء بالأمير وجنوده محاطا بأصدقاءه المخلصين وجشسه المتأهب للنزال وفرسانه المشهرين سيوفهم مما ألقى الرعب في قلب كاليرينيتيس فوقع من فوق فرسه واخذ يقبل أقدام الأمير [٧٩] ومهما كان الأمر فإن السفراء

أعلنوا للحفيد أمام الجميع عن رغبة جده في التفاوض والتوصل إلى صلح معه ولكنه رفض الصلح وإقرار السلام مع جدة بناء على رغبة أغلبية جيشه [٨٠]، ولذا قرر الأمير الزحف صوب القسطنطينية وأثناء سيرهم لحق بهم السفير البلغاري مارتينوس Martinos وبصحبته حوالي ثلاثمائة فارس قد أوفدهم إليه زوج أخته الملك البلغاري ثيودور سيفتوسلاف لنصرته ولكنهم انسحبوا إلى وطنهم دون أن يحققوا هدفهم [٨١] .

وعندما وصلت تلك الأخبار للإمبراطور أندرونيكوس أرسل وفدا آخرا لإبرام معاهدة صلح وسلام مع حفيده وذلك في اليوم السادس من يونيو ١٣٢١م في مدينة ريجيون Rhegion [٨٢] وتم توقيع معاهدة اعترف أندرونيكوس الثالث بأحقية جده في الحكم ما دام حيا وكذلك اعترف أندرونيكوس الثاني بأحقية حفيده في ولاية العرش بعد وفاته، ومنحة إحدى ضواحي القسطنطينية على أن يدفع عنها عائدا ضريبيا [٨٣] مع احتفاظ الإمبراطور العجوز بالبت في الشئون الإدارية والخارجية .

---

(٧٨) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p .22

(٧٩) يبدو واضحا أن ذلك أمرا مشكوك في صحته وأن حنا كانتاكوزينوس ذكر من باب المبالغة والمفاخرة.

Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,p. 96.

(٨٠) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,pp. 94-98

(٨١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,pp.108. Cf.Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* ,p. 23.

(٨٢) ريجيون تقع بين سيلمبريا والقسطنطينيةعلىنهرميلاس Melas انظر: Bosch, *Kaiser Andronikos III*,p.23.

(٨٣) كانت هذه الضريبة تقدر بحوالي ألف هيربيرون انظر: Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp.23-25.

ولكن هذه المعاهدة لم تستمر لمدة طويلة حيث أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني في أغسطس ١٣٢١م حملة بقيادة ابنه قسطنطين ضد حفيده في تراقيا، إلا أن أندرونيكوس الثالث تصدى لهذه الحملة بل وأسر قائدها قسطنطين [٨٤]. مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني يسارع بإرسال سفارة تحت قيادة الراهبة إيوجينيا باليوجينا Palaiologina والتي قابلت ابنها سيرجيانيز عند سيليمبريا لوقف زحفه صوب القسطنطينية، ثم عمدت إلى الالتقاء بالأمير عند ريجيون وسلمته رسالة من جده والتي يلتمس فيها الأخير إيقاف زحف الجيش المتجه صوب القسطنطينية عند وصول هذه الرسالة إليه لأن الإمبراطور كان ينوى على أن يقضى حياته الباقية فى الدير الذي يحدده له حفيده [٨٥].

ومما لا ريب فيه أن سيرجيانيز هو الذي كتب تلك الرسالة وبعث بها إلى الأمير أندرونيكوس على لسان الإمبراطور أندرونيكوس [٨٦] .ومهما يكن من أمر فإنه مع نهاية يوليو عام ١٣٢٢م تم عقد معاهدة إبيباتيس Epibates بين أندرونيكوس الثاني وحفيده على شروط أهمها أن يحصل الحفيد وزوجته على منحة مالية سنوية من الإمبراطور وأن تكون السلطة الخارجية والإدارة المالية في يد الإمبراطور أيضا وكذلك إعفاء جميع الأراضي التي أقطعها الأمير لقادته وجنوده من الضرائب و أن يدفع الإمبراطور رواتب جنود الأمير على أن تكون
مده هذه المعاهدة أربع سنوات [٨٧] .

---

[٨٤] ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٥٤.

[٨٥] Gregoras, *Byzantinae Historiae* Vol. 1,p. 321.

[٨٦] بلغت هذه المنحة الماليةحوالى ٣٦ألف هيربيرون انظر: Cantacuzenus, *Historiarum*,Vol.1,pp.150-159.

[٨٧]ولمزيد من التفاصيل عن أسباب وأحداث معاهدة إبيباتيس انظر: Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol . 1,pp.160-169.Cf. Also, *Bosch Kaiser Andronikos III*, p .25.

ولقد شهدت الفترة الممتدة من معاهدة إيبيبــايتس إلــى أن تــم تتــويج أندرونيكوس الثالث كإمبراطور مشارك فى الثاني من فبراير ١٣٢٥م نوعا من الهدوء والتعاون والسلام بين الطرفين (٨٨) .وبعد انقضاء مــدة الهدنـــة عــادت الخلافات بين الجد والحفيد ، وسعى كل منهما للحصول على مساعدة خارجية ، فلقد أرسل أندرونيكوس الثالث إلى صهره ميخائيل سيسمان ملك البلغار يطلــب منه المساعدة وذلك في خريف ١٣٢٧م، فأرسل الملك البلغاري إليه قوة عسكرية بلغت حوالي آلفين فارس. أما الإمبراطور أندرونيكوس الثاني فقد اعتمد علــى مساعدة حاكم الصرب ستيفن ديكانسكى Stephen Decanski الذي تحالف معه مؤخرا (٨٩) .وفى يناير ١٣٢٨م أعلنت كثير من المدن والقلاع تبعيتها وولائها للأمير أندرونيكوس فى مقدونيا، وكذلك أعلنــت جزيــرة ليمنــوس Lemnos تبعيتها له (٩٠) .ثم أعلن سكان العاصمة استعدادهم لاستقبال الأمير أندرونيكوس لكي ينقذهم من محنتهم (٩١) .ولذلك هاجم أندرونيكوس الشاب القسطنطينية ونجح فى اجتياز أسوارها وفى ليلة الاثنين الثالث والعشرين من مــايو عــام ١٣٢٨م استولى أنصاره على القصر الإمبراطوري وأرغموا الإمبراطور أنــدرونيكوس

---

(٨٨) Cantacuzenus, *Historiarum* ,Vol .1,p.204;Gregoras,*Byzantinae Historiae* ,Vol. 1,p.394 ; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora* ,Vol.2 ,p.279. Cf. Also , Hemmerdinger .B,Deux Notes D'Heralique *B.Z.*,Vol. LXI, (Munchen , 1968) pp.304-309.

(٨٩) ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٥٥ .

(٩٠) Cantacuzenus, *Historiarum* ,Vol .1,p.208 ;Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,Vol. 1,p.393 ; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora* ,Vol.2 ,p.233 .

أما جزيرة ليمنوس Lemnos ،فتقع شمال بحر إيجه غربي الساحل التركي الآسيوي ، وهي الممر الموصل بين القسطنطينية وتسالونيكا ، واحتلها العثمانيون فى عام ١٤٧٩م . انظر : حاتم الطحاوي : بيزنطة والمدن الإيطالية والعلاقات التجارية ١٠٨١-١٢٠٤م ، القاهرة، ١٩٩٨ ، ص ٩٧ راجع أيضا:

O .D.B, Vol. 2, p.1205.

(٩١) Nicol, *The Last Centuries Of Byzantium,*p.160 .

الثاني على التنازل عن العرش ودخول الدير، و أعلنوا أنــدرونيكوس الثالــث إمبراطورا لعرش الإمبراطورية [٩٢] .

وفي النهاية لقد أوضحت الحرب الأهلية بين الإمبراطور أنــدرونيكوس الثاني وحفيده مدى الانهيار والضعف والاضطراب الداخلي وعــدم الاســتقرار الذي أضحت فيه الإمبراطورية، ولقد نتج عن هذا الصراع تبديد ثروات أقــاليم الإمبراطورية وعلى رأسها إقليمين تراقيا ومقدونيا اللذين صارا ميــدانا للقتــال وتقاسم كل من الصرب والبلغار الحرب ضد الإمبراطورية ونتج أيضــا عــن انشغال وانغماس الإمبراطورية في الحرب الأهلية ظهور الحركات الانفصــالية بمساندة خارجية – تحالف بورفيرجينتوس و إيروش الثالث – .وكذلك أصبحت المدن والقلاع البيزنطية في آسيا الصغرى تتساقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي القوات العثمانية والتركمانية اللذين إجتاحاها سلبا ونهبا [٩٣] .الأمر الذي ســوف يتضح في الصفحات التالية .

---

[٩٢] Voordechers .E, Apropos De La Renonciation Au Throne D'Andronic II Paleologueen 1330 ,*R.E.B.*, Vol. XXIV ,(Paris, 1968) p.186.

انظر أيضا : دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ، ص ٨٣ .

[٩٣] ناهد عمر صالح : السياسية الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٥٨ .

الفصل الثاني

سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الأتراك العثمانيين

استغل العثمانيون ما أحل بالإمبراطورية البيزنطية من ضعف و اضطراب وانهيار نتيجة للصراع الدامي الذي نشب بين كل من الإمبراطور الكبير و أتباعه و الإمبراطور الشاب و أعوانه ، وتابعوا إغاراتهم علي الحصون و القلاع والمدن البيزنطية ، حيث خرجت القوات العثمانية تحت قيادة كونور ألب Konur Alp في اتجاه منطقة بولو Bolu ، فسيطرت علي الحصون والقلاع المنتشرة في إقليم أكيازى Akhayazi [1] ثم تابعت القوات العثمانية هجماتها علي الأراضي البيزنطية ، فاحتلت حصن بسكوبرو Beskopru ، ومنطقة أكوفا Akova [2] . وكان هدف العثمانيين الرئيسي من القيام بهذه الحملات في أسيا الصغرى التمهيد للاستيلاء علي مدينة بروسه (برسا) Proussa [3] ولم تسقط المدينة في أيدي العثمانيين في يوم وليلة ،

---

(١) Asik – Pasa – Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.51.
أما أكيازى Akhayazi ، تقع في منطقة أكاحصار Akahissar بأسيا الصغرى ، وتحتوى علي العديد من القلاع والحصون من أهمها قلعة كيليكى Kiliki ودوزبازار Duzbazar، وكذلك قلعة كابودجيك Kapoudjik وغيرها . انظر : Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1, p. 100.

(٢) بسكوبرو Beskopru أكوفا Akova ، يقعان في أسيا الصغرى بالقرب من منطقة أكيازى Akhayazi.انظر:
Asik – Pasa – Sonn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 51 Cf. Also,Hammer , *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. 1 , p. 100.

(٣) بروسه (برسا) Proussa ، بضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين و ألف في الأخر . وربما أبدلت السين صادا مهملة وهي مدينة كبيرة في أسيا الصغرى إلى الشمال الغربي من جنوب غرب البحر الأسود ، مبنية بالطوب والحجر ، وسقوفها من الخشب ، وغالبها جملونات ، وبها مساجد و أسواق وحمامات ، ولها سور عظيم ، وبوسطها قلعة شاهقة مرتفعة البناء بها سكن سلطانها ، وفيها قصور عظيمة متعددة ، وجامع وثلاث حمامات ، وهي حسنة الأسواق فسيحة الشوارع ، تحف بها البساتين من جميع جهاتها .

بل تم ذلك بعد حصار طويل ، ولذلك يجب الرجوع بالأحداث قليلا للوراء لمعرفة الاستعدادات والإجراءات المباشرة التي مهدت للاستيلاء على المدينة ، وكذلك لمعرفة الدوافع الرئيسة التي عجلت بالهجوم عليها . فمن تلك الدوافع كما أشار لها إسماعيل سرهنك قائلا " لقد اتفق عامل بروسه مع حكام أطره نوس وكستل وكته على مهاجمة مدينة يكيشهر مقام العثمانيين فقابلهم السلطان عثمان على رأس جيشه وهزمهم" [٤] ومن الدوافع أيضا رغبة عثمان الأكيدة في الاستيلاء على بروسه واتخاذها حاضرة لدولته الناشئة لدعم كيانها السياسي [٥] .أما عن الاستعدادات التي سبقت سقوط المدينة في أيدي القوات العثمانية ، فلقد شيد السلطان عثمان بالقرب من المدينة عند بئر الماء العذب قلعتين وجعل عليهما آق تيمور Aktimour وبالابان Balaban (بلبانجق) [١] . ويعلق

وخارج ربض المدينة نهران : أحدهما يسمى (ككدرا) ومعناه واد أزرق ، وسمى بذلك لأنه يخرج من جبل أزرق . والنهر الثاني يسمى (منرباشي) يشق المدينة ويمر في جامعها ؛ وبها جبل عظيم اسمه (كمش) به معدن فضة . وهي أيضا عاصمة بيثينيا القديمة ، وتعد واحدة من أكبر وأعظم المدن البيزنطية بآسيا الصغرى ، وتقع على ربوة مرتفعة على سفح جبل أوليمبوس ، وعلى بعد ستة عشر ميلا من ساحل بحر مرمره وتبعد عن القسطنطينية بحوالي مائة كيلومتر فقط . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى، الجزء الخامس ، تقديم فوزي محمد أمين ، القاهرة ، ٢٠٠٥، ص ٣٤٣؛ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، لبنان ، د. ت ، ص ٢٠٤ .انظر أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٢ .راجع أيضا :

Pears. E , *The Destruction of Greek Empire and Story of the Capture of Constantinople* by the Turks,
(New York , 1968) p.97.

[٤] إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٧.
ولقد أشار عاشق باشا زاد إلى ذلك قائلا "لقد تآمر تيكور بروسه على عثمان " انظر: – Asik Pasa – Sohn,
Frhzeit und Aufstieg , P. 44

[٥] Alix, *Precis de L, Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom. 1, p. 5

[١] كان آق تيمور (Aktimour) هو ابن شقيق عثمان أرطغرل ، وتولى قيادة القلعة الأولى والتي تسمى كابلىجا Kaplidja والتي تبعد ميلا عن بروسه من ناحيتها الغربية ، أما بالابان Balaban فهو أحد مماليك عثمان وتولى قيادة القلعة الثانية وتدعى بالاباندجيك Balabandgik التي تقع جنوب شرق بروسه بمسافة ميلين . انظر : – Asik– Pasa

إيمانويل Emmanule علي سبب إقامة هاتين القلعتين قائلا " لقد شيد عثمان هاتين القلعتين نتيجة لفشل الهجمات العثمانية في اقتحام مدينة بروسه نظرا لشدة تحصيناتها القوية" (٢) .

ومهما يكن من أمر ، فلقد انطلقت القوات العثمانية من هاتين القلعتين لتخريب الحقول والاستيلاء علي المواشي والعبيد ، وعرقلة الاتصالات التجارية ، لقطع وسائل المعيشة عن مدينة بروسه ، وتضييق الخناق عليها ، مما أدى إلي تخريب المنطقة ، وعدم استقرار الأمن في الطرق وارتفاع الأسعار و انتشار المجاعة والفوضى والاضطراب ، فهجر السكان المنطقة، وفي نفس الوقت كانت خيالة عثمان يقومون بتخريب المنطقة الممتدة من البوسفور إلي البحر الأسود (٣) وعندما اشتد المرض علي عثمان استدعى ولده أورخان وأعطاه شارة قيادة الجيش العثماني المرابط أمام مدينة بروسه ليفتحها(٤) .

Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* ,p.51.Cf. Also,Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom . I, p. 101; Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 47.

راجع أيضا: سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٧؛ صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٠ .

ولقد حدث اختلاف بين المؤرخين حول القلعتين السابقتين المقامتين في طرف مدينة بروسه، فالبعض يشير إلى أن عثمان استولى عليهما من القوات البيزنطية . انظر: , Lavallee *Histoire De L' Empire Ottoman* , p. 129; Gibbons, *The Foundation of Ottoman Empire*, p. 47

أما الرأي الثاني فيشير إليه القرماني قائلا "حاصر الغازي عثمان خان مدينة بروسه مدة ثم لما امتد أمر الحصار أمر ببناء قلعتين في طرفي المدينة وأسكن فيها الجند وأمرهم بالتضيق على أهل البلد وقطع الميره عنهم" انظر:القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، بيروت، القاهرة،دمشق ، د.ت ، ص ٢٩٧.

(٢) Emmanule, *Histoire De L' Europe* (Paris, 1945)p.244.

(٣) Pachymeres , *De Michaele et Andronico*, Vol. 2, p.417. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p.101.

(٤) Asik- Pasa – Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* , p. 55.

وكانت أول خطوة قام بها أورخان عندما تولى قيادة الجيوش العثمانية أن عقد علي الفور اجتماعا لمجلس الحرب العثماني (٥) في مدينة يكيشهر(٦) ، حيث أصدر قرارات هامة من بينها مهاجمة مدينة هادريان Hadrina (٧) لكونها البوابة الرئيسة لمدينة بروسه(٨)وعندما وصل أورخان علي رأس القوات العثمانية إلي حصن هادريان فر حاكمها هربا ليحتمي بجبل إليتي Elete بعد أن أصدر أوامره للأهالي القاطنين بالحصن بإخلاءه والاختفاء داخل ثنايا الجبال القريبة التي يصعب اختراقها بالخيول العثمانية ، ولذلك نزل أورخان من علي جواده وسار علي قدميه مع مشاته خلف أتباع حاكم المدينة الذين استسلموا بمجرد وصول أورخان إليهم ، أما عن مصير حاكم المدينة فلقد سقط من علي صخرة مرتفعة أثناء سيره إلي جبل إليتي وتهشمت رأسه ثم أعطى أورخان

أما أورخان Orkhan ، فهو أكبر أبناء عثمان ، وكانت أمه " ملك خاتون " ابنة الشيخ " أدبالي " من قرية إيتبورنو بالقرب من إسكي شهر ، ولد عام ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ، ولا نعرف إلا القليل عن شبابه، ولقد تزوج عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م من ابنة يارحصار واسمها نيلوفير خاتون وعمره اثنتا عشرة سنة ، وعندما ارتقى الملك كان يناهز الأربعين . وقيل أن ذلك كان في رمضان من عام ٧٢٦هـ/ أغسطس ١٣٢٦م ، و أقام أورخان أخوه علاء الدين باشا وزير له ، وبلغت مدة حكمة حوالي ٢٧سنة. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى ، الجزء الخامس ، ص ٣٦٧؛ القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٧. انظر أيضا : خليل أفندي مطران : مرآه الأيام في ملخص التاريخ العام ، مصر ، ١٨٩٧م، ص ٣٥٢؛ محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مصر ، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م؛ ص ٤٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الثالث ، ص ١٢٦-١٢٧.

(٥) Asik – Pasa –Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*,pp.51-52Cf.Also,Creasy,*History of Ottoman Turks*, p.10.

(٦) سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١ ، ص ٤٨٧.

(٧) Asik – Pasa – Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg* , p.52.

أما هادريانHadrian، تقع علي جبل الأوليمبوس،ويطلق عليها اسم أطرنوس وأدرانوس Adranos انظر : سرهنك:حقائق الأخبار عن دول البحار،جـ١ ،ص٤٨٧؛محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية،ص٤١.

(٨) Asik – Pasa –Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.52. Cf. Also, Lavallee, *Histoire De L' Empire Ottoman* , p.129.

الأمان والسلام لأهالي هادريان ، وبذلك سيطر العثمانيون عليها بشكل سـريع ، وكان ذلك عام ١٣٢٢م [١].

وعلي أية حال ، فقد واصلت القوات العثمانية نشـاطها فـي ضـواحي مدينة بروسه بهدف تضيق الخناق علي المدينة فأعملت فيها عمليات سلب ونهب وتخريب لعزلها عن العالم الخارجي ومنع وصول المؤن إليها. ثـم اسـتمرت القوات العثمانية في زحفها صوب مدينة بروسه نفسها في منطقة فوق سفح جبل الأليمبوس Olympus تدعى بينار باستشي Binar Baschi وكان ذلك أواخر عام ١٣٢٢م /٧٢٢هـ [٢] ، حيث أرسل أورخان سفارة عثمانية يترأسها القائد العثماني كـوزي ميخائيـل Koeze – Mikhal [٣]. إلـي حـاكم بروسـه

---

(١) Asik – Pasa –Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.52.
انظر أيضا: القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٧. راجع أيضا: سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص ٤٨٧.
بينما يشير فون هامر إلي أن الجيش العثماني اجتاح مدينة هادريان وفتحوها عنوة ثم قضوا على الأخضر واليابس فيها،وأعدموا حاكمها على أبواب الحصن. انظر: Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. 1, p.101.
وفي حقيقة الأمر رواية هامر لا تتفق مع السياسة العثمانية المتبعة و التي اتسمت بالعفو والسماحة في المدن التي يفتحونها.

(٢) Asik – Pasa –Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.52.Cf. Also, Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, P. 101; Emmanule, *Histoire De L' Europe*, p.244.
انظر أيضا: القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٧.
أما جبل الأليمبوس Olympus ، يقع في أسيا الصغرى على مقربة من بحر مرمره ومدينة بروسه ويعرف باسم جبل الرهبان ، ويعرف بالتركية باسم " أناضولي طاغ" أو" كشيش طاغ " أما بينار باستش Binar Baschi فتعرف باسم " رأس الينابيع " وتقع في مواجهة أبواب مدينة بروسه جنوبا . انظر: محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١ هامش رقم ٤ ؛ صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩.

(٣) كوزي ميخائيل Koeze – Mikhal ، هو أفضل صديق لعثمان و الأكثر إخلاصا له ، شاركه في حملاته الأولي منها Boli وصاروكيا Sarukia وصوركون Sourkoun وغيرها ، يعرف في المصادر العربية باسم " كوسا ميخال " . انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٧.

ويدعى إفرينوس Everenos يطلب منه تسليم المدينة (4) أما عن تفاصيل توقيع معاهدة تسليم مدينة بروسه بين البيزنطيين والعثمانيين فجاءت علي لسان المؤرخ عاشق باشا زاد حيث أشار إلي ذلك قائلا " طلب أورخان من حاكم بروسه أن يسلمه الحصن فرد عليه قائلا دعنا نعقد معكم معاهدة سلام نسلمكم بها الحصن مقابل ألا نصاب منكم بأي أذى ، فنقل ميخائيل ذلك إلي قائده أورخان الذي وافق علي ذلك وافق علي ذلك ولكن علي أن يرسل حاكم بروسه بعض النبلاء والأشراف كضمان لتسليم الحصن ، فوافق حاكم بروسه علي ذلك بل ودفع ثلاثين ألف بيزنط Bezant (5). وكان راضيا كل الرضا بهذا السلام الذي أنقذ حياته" (1) ولقد تنازل البيزنطيون المحاصرون عن ثرواتهم لأورخان ثم غادروا المدينة التي ازدحمت أمامها القوات العثمانية ازدحما شديدا لشدة ابتهاجهم بسقوطها في أيديهم فدخلوها من

---

(4) Asik – Pasa –Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.52.Cf. Also, Hammer , Histoire de L' Empire Ottoman, Tom. 1, P. 102; Hidden , The Ottoman Dynasty, p. 11 .

(5) البيزنط Bezant (Besant, Bisant) ، أحد العملات الذهبية التي كانت مستخدمة في العصور الوسطى ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة (القسطنطينية) . وكانت هذه العملة تعادل العملة الأرملية المعروفة بـ "التاهجان Tahegan " وكانت تقسم إلي عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان . وكان = =البيزنط يعرف قديما باسم الهيبربرون Hyperperon ، وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية التي تعادل حوالي ثلاثة ونصف جرام من الذهب . وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك اختلافات في حجم الذهب ، وكان يمكن أن يحدد سعر العملة من خلال تحقيق دقيق لتاريخها . وكانت العملة الذهبية البيزنطية التى كانت تستخدم في التجارة الدولية ، وفي عهد أسرة باليولوجس بوجه خاص لم تعد لها إلا سدس قيمتها السابقة . انظر : بورشارد : وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوى ، مراجعة مصطفي الحيارى ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٥، ص ٥٢ ؛ يعقوب الفيتري : تاريخ بيت المقدس ، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي ، عمان ، ١٩٩٨، ص ١١٠ هامش لم ٢. راجع أيضا : سعيد عبد الله جبريل البيشاوى : الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩- ١٢٩١م/٤٩٢- ٦٩٠هـ) ، الإسكندرية ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م ، ص ١١٨، هامش رقم ٤ ؛ هسى (ج.م) : العالم البيزنطي ، تقديم وتعليق رأفت عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ١٨٣؛ ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد لعزيز توفيق ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٢١١ .

(1) Asik – Pasa – Sohn , *Fruhzeit und AuFstieg* , p. 53.

جميع أبوابها حتى أن بعضهم تسلق برج المدينة ودخل عن طريقـه [٢] وبـذلك فتحت بروسه بعد حصار محكم [٣] ، و أحرز أورخان نجاحاً باستيلاءه عليها بل ولحصوله أيضا علي جزية من الحاكم البيزنطي إفرينوس [٤] .

ولقد أوضح صاروز Saroz وزير الحاكم البيزنطي للمدينـة سـبب تسليم البيزنطيين لها بقوله لأورخان " عرفنا أن بأسكم شديد عكس بأسنا ، ولقد أحكم أبوك الحصار علينا منذ فترة طويلة ، ولقد استسلمت لكم القرى المحيطـة بنا ولم تعد للأموال فائدة ولم يقدم أحد لنا يد العون لتساعدنا علي الصعود أمـام الحصار وإنهم يعيشون حياة سعيدة ، ولذلك أيضا مع عدم اهتمامهم أن الوضـع أصبح لصالحكم" [٥]. ومما سبق يتضح أن الأسباب التي أدت إلي سقوط مدينـة بروسه في أيدي أورخان وأتباعه ، هي إحكام السيطرة العثمانية علي المدينة من خلال الحصار الشديد لها . ضعف الإمبراطورية البيزنطية في الدفاع عن مدنها وحمايتها و إمدادها بالمؤن والقوات العسكرية اللازمة لاسـتمرار المقاومـة . انهيار الروح المعنوية والقتالية لسكان القلاع والمدن البيزنطية في أسيا الصغرى نتيجة للهزائم المتلاحقة عليهم بأيدي القوات العثمانية. والسبب الفعلي والمباشـر لسقوط هذه المدينة هو رغبة سكان مدينة بروسه الأكيدة للهـروب مـن الظلـم والفوضى البيزنطية إلي حياة هادئة تحت الحكم العثماني التـي يحياهـا سـكان القلاع والمدن البيزنطية الذين خضعوا للحكم العثماني. وعلي أية حـال، فـتح أورخان مدينة بروسه [٦] في ٦ أبريل ١٣٢٦م [٧] ودخلها ولم يتعرض لأهلهـا

---

(٢) Asik – Pasa – Sohn , *Fruhzeit und AuFstieg* , p. 53 .

(٣) يشير بعض المؤرخين أن حصـار بروسه استمر حـوالي عشر سنوات منذ عهد السلطان عثمان . انظر : القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٧. انظر أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٧. راجع أيضا : Gibbons,*The Foundation of the Ottoman Empire* , p. 47.

(٤) Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom . I, p. 101.

(٥) Asik – Pasa – Sohn , *Fruhzeit und AuFstieg* , pp. 53- 54.

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، الجزء الخامس، ص ٣٤٣ .

بينما يشير ابن بطوطة إلى أن عثمان هو الذي فتحها بنفسه وليس أورخان انظر : ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ٢٠٥ .

بسوء ، فأسلم حاكمها البيزنطي إفرينوس فضمه أورخان إلي قواده ومنحه لقب بك وأصبح إفرينوس من أشهر القادة العثمانيين [١] ولقد أقام أورخان بها جامعا ومدرسة وتكية لإطعام الفقراء ، ثم نقل مقر حكمه إليها [٢] ثم أسرع أورخان بالمسير إلي سكود (سوجوت Sogut) لينقل خبر سقوط مدينة بروسه إلي والده عثمان الذي فرح بذلك فرحا شديدا .

وكان لسقوط مدينة بروسه في أيدي العثمانيين نتائج هامة . فقد تحول أتباع السلطان أورخان من قبائل بدو رحل إلي دولة منظمة ذات كيان سياسي ولها عاصمة وحدود وسكان مستقرين وجيش نظامي يدافع عنها و إدارة توسع رقعتها وتشرف عليها [٣]

---

[٧] Asik – Pasa – Sohn , *Fruhzeit und AuFstieg*, p. 55; Doukas , *Decline and Fall of Byzantium*, p. 266.

انظر أيضا: نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص١٨؛ جوتز: الحصار العثماني للقسطنطينية، ص ٦٤ . انظر أيضا : Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*,p.169;Ostrogorsky,*The Palaeologi*, p.353; *O.D.B*, *Vol. 3*, p.1533; Brehier, *Vie et Mort De Byzance*, p.427; Creasy, *History Of The Ottoman Turks*,p.10; Shaw, *History of the Ottoman Empire*, Vol.1, p.14; Taechner, *The Ottoman Turks to 1453*, p. 759; Inalcik, *The Ottoman Empire*, p. 274.

[١] محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١.

[٢] القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٧، القلقشندى : صبح الأعشي ، الجزء الخامس ، ص ٣٦٧.

[٣] ما لبث أن توفي السلطان عثمان في سن السبعين ودفن في العاصمة الجديدة للدولة الناشئة . انظر : أحمد عبد الرحيم مصطفي : أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧- ٣٨ .

أما سكود (Sogut) فتقع على بعد عشرة فراسخ شمال مدينة إسكى شهر ، في منتصف الطريق الواصل بينهما وبين بيلة دجيك Biledjik ، وتقع على بعد خمسة و أربعين كيلو مترا جنوب مدينة لفكه ، ويطلق عليها البيزنطيون اسم ثيبازينونThebazion . انظر: Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, 1, p.60; Gibbons, *The Foundation of Ottoman , Empire* , p.12; Grousset, *L' Empire Du Levant*, p. 605; Shaw, *History of The Ottoman*, Vol. 1.p. 14.

راجع أيضا:صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٨.

لكن في حقيقة الأمر يشير القلقشندى إلى عكس ذلك حيث يقول " كان قد اتخذ أورخان برسه دارا لملكه . ولكنه لم يفارق الخيام إلى القصور و إنما كان ينزل بخيامه في بسيطها

كما انقطعت خطوط المواصلات البرية بين مدينة بروسه ومدينة نيقيه (٤) من جهة وبين بروسه والقسطنطينية من جهة أخري (٥).وظهر العثمانيون كقوة عسكرية لا يستهان بها، فضلا عن تدعيم أركان الدولة العثمانية الناشئة في أسيا الصغرى (٦) و أصبحت الممتلكات البيزنطية في أسيا الصغرى عبارة عن شريط ساحلي ضيق يقع علي ساحل الدردنيل Dardanelles (١) إلي

وضواحيها ولم يزل على ذلك إلى أن مات" القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الخامس ، ص ٣٦٧ .
وعلى أية حال فإذا كان عثمان قد أسس الدولة و أنشا الشعب العثماني فإن أورخان قد أرسى قواعدها ، حيث جعل أورخان من ذلك الشعب دولة تقوم علي أسس إدارية وحربية وطيدة الأركان ، وانتقل الجيش العثماني من نظام قبلي إلي نظام حربي ممتاز . لمزيد من التفاصيل انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمي : فتح القسطنطينية ص ٧-٨ .

(٤) نيقيه Nicaea ،فهي مدينة يونانية قديمة بنيت في عهد الإمبراطور أنتيجونوس Antigonus في عام ٣١٦ق.م وكانت تسمى أنتيجونيا Antigonia ، تقع في إقليم بيثينيا على مقربة من بحيرة أسكانيوس Ascaninus في أسفل جبل باغوس ، وتبعد عن القسطنطينية بحوالي ٤٣٠كيلو مترا من الجنوب الغربي ، وتقع شرق مدينة بروسه بحوالي ثمانين كيلومتر ، ويبلغ عدد سكانها حوالي مائه وستون ألف نسمة ، وتقع مكان مدينة أنكور Ancore القديمة ، و أطلق عليها ليسيماكو Lysimaque أسم نيقيه ، ولقد احتلها القوط عام ٢٥٩م ، واستولى عليها السلاجقة عام ١٠٨٤م ، وحاصرها الصليبيون عام ١٠٩٧م . وكانت عاصمة لأسيا الصغرى ، واشتهرت بعمل الخزف والسجاجيد . لمزيد من التفاصيل انظر: ريموندداجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة وتعليق حسين محمد عطية ، الإسكندرية ،١٩٩٠، ص ٨١ ؛ بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ، ترجمة وتعليق حسين محمد عطية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م ، ص ١١٠. انظر أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص ٤٦٩ ؛ محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٠؛ روبرت لي وولف : الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، ص ٤٢٩ ، هامش رقم ٤١. انظر أيضا
Janin. R, Nicee Etude Historique et Topographique, *E.D.O.* , Vol. : VIII, (Paris, 1925) pp.482- 483.

(٥) Show, *History of The Ottoman and Modern Turkey* , Vol.1, p.14.

(٦) Vasiliev, *Histoire De L' Empire Byzantine*, p.284.
انظر أيضا : عبد السلام عبد العزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، ص ٧ ؛ أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٨ .

(١) الدردنيل Dardanelles هو عبارة عن مضيق يربط بين بحر إيجه و مرمره ، و كان يعرف باسم هيليسبونت Hellespont قديما ، وكذلك عرف باسم ستينون Stenon ، و لهذا المضيق شهرة عظيمة حيث عبر عليه الملك الفارسي " دارا " إلى أوربا، و الإسكندر الأكبر

البوسفور Bosporas شمالا [٢]. و أخيرا فقـدت الإمبراطوريـة البيزنطيـة سيطرتها المباشرة وهيبتها في باقي ممتلكاتها بأسيا الصغرى [٣].

وبعد الاستيلاء علي مدينة بروسه اتجهت الأنظـار العثمانيـة صـوب مدينتي نيقيه ونيقوميديا Nikomedia [٤] المفروض عليهما الحصار من قبـل القوات العثمانية منذ فترة طويلة [٥] لقد اتبع العثمانيون فـي حصـار هـاتين المدينتين نفس الأسلوب المتبع في السيطرة علي القلاع والمدن البيزنطية وهـو اختيار مكان ذو موقع إستراتيجي أمام المدينة المحاصرة وذلك ببناء أو احـتلال القلاع المحيطة بها ثم عزلها عن العالم الخارجي رويداً رويـدا وذلـك بقطـع

إلى أسيا ،والسلطان سليمان إلى أوربا، ولقد أصدرت الدولة العثمانية قرارا بعدم مرور أية بـواخر أجنبيـة عليـه إلا بتصـريح خـاص منهـا . انظـر : سـرهنك:حقـائق الأخبـار عـن دول البحار،جـ١، ص٤٦٥. انظر أيضا: *O.D.B*, Vol.1, p. 588,Vol.2,p. 912.

(٢) Levtchnko. M, *Byzance* ,(Paris,1949) p.74.

أما البوسفور Bosporas ، يقع علي البحر الأسود ، ويمتد بطول حوالي ٢٨,٥ كيلو متر ، ويبلـغ عرضـه حـوالي ٦٦٠مترا ويعـرف بـالتركيـة باسم بوجـازيش Bogazici . انظـر : *O.D.B*, Vol. 1, pp. 312-313.

(٣) Nicholas. D, *The Evolution of Medieval World Society Government and Thought in Europe 312-1500*, (London, 1992) p. 443.

(٤) نيقوميديا ، مدينة يونانية بنيت في عهد نيكوميدوس الأول Nikomedos I عام ٢٦٤ ق .م. تقع جنوب شرق رأس خليج نيقوميديا ، علـى الشـاطئ الشمالي الشرقي من بحر مرمره ، وتبعد عن القسطنطينية بحوالي ألف كيلو متـرا، وتبعد ثمـانيين كيلو مترا عن نيقيه ، وكانت بمثابة قاعدة حربية للقسطنطينية وتتمتع بموقـع متميز ، وعدد سكانها أربعين ألف نسمة ، وكانت قديما كرسي لمملكة بيثينيا ، وبعد أن فتحهـا العثمـانيون اتخذوها دار لصـناعة السفن ، وهـي أزميت التركيـة الحاليـة . انظـر : سـرهنك : حقـائق الأخبـار عـن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٤٦٣. انظر أيضا : *O .D . B* , Vol. 3, pp. 1483- 1484. راجع أيضـا محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١ ، حاتم الطحاوي : بيزنطـة والمدن الإيطالية ، ص ١٤٣. روبرت لي وولف : الإمبراطورية . اللاتينية في القسطنطينية ، ص ٤٣٤ .

(٥) Schreiner , *Chronica Byzantina Breviora* , Vol. 1 ,p .2 44. Cf. Also, Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*,p.169.

وصول الطعام والشراب عنها [٦]ولقد ربط السلطان أورخان بين إقامة واستمرار واستقرار دولته الناشئة وبين استيلائه علي مدينتي نيقيه ونيقوميديا ، واللتين تميزتا مثل مدينة بروسه ، بكونهما مدينتين حصينتين ذاتا أسوار عالية منيعة [٧].

ومهما يكن من أمر ، فلقد اعتمد السلطان أورخان في تلك المرحلة علي أصدقاء والده عثمان في شن الهجوم علي الحاميات البيزنطية المرابطة في القلاع المواجهة لمدينتي نيقيه ونيقوميديا [٨] فأرسل القائدين كونور ألب وأجدجى كودجا Agdjekodja علي رأس القوات العثمانية لمحاصرة حصن سمندرا Semendra الذي استبسلت فيه القوات البيزنطية في بادئ الأمر ، ولكن جاءت الفرصة للقوات العثمانية للاستيلاء علي الحصن ، عندما توفي ابن قائد الحصن ، ففتحت أبواب الحصن ليمر الموكب الجنائزي ، فهجم العثمانيون علي الموكب وأسروا قائد الحصن ثم اقتحموا الحصن واستولوا علي ما فيه [٩] ومن المرجح أن القوات العثمانية اختفت من أمام أنظار القوات البيزنطية المحاصرة في مكان قريب من الحصن ولذلك خرج الموكب الجنائزي . وعلي أية حال واصلت القوات العثمانية تقدمها تحت قيادة عبدالرحمن غازي Abdurraman Ghazi الذي رابط حصن أمام أبيدوس Abydos [١] بغرض الاستيلاء عليه ،

---

(٦) Levtchnko , *Byzance* , p. 27.

(٧) Gibbons, *The foundation of Ottoman Empire*, p. 55.

(٨) Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* ,Tom. 1 ,p.1170.

(٩) حصن سمندرا Semendra ، تولى حماية الطريق الممتد من مدينة القسطنطينية إلى نيقوميديا على مقربة من مضيق البوسفور ، يبتعد عن مدينة سكرتارى Scutari بحوالي ثلاثة فراسخ . انظر :
Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. I ,p.112; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p.12.

(١) أبيدوس Abydos ، حصن ذات تحصينا عاليا ، يقع في الاتجاه الشرقي من جبل أبيدوس ويبتعد عن حصن سمندرا بحوالي فرسخا وعن مدينة سكوتارى بحوالي أربع فراسخ ، وكان

ولكنه فشل في اقتحامه في بداية الأمر نظرا لارتفاع أسواره وقوتها، ولكن أثناء حصار عبد الرحمن غازي للحصن ليلا – وكما يخبرنا المؤرخ عاشق باشا – سقطت عليه ورقة قذفت بها ابنة قائد الحصن – التي كانت تهيم به – تشرح له فيها كيفية دخول الحصن والاستيلاء عليه [٢] . ورغم أن رواية عاشق باشا يشوبها الخيال إلا أنها تشير في إحدى فقراتها أن عبد الرحمن غازي قد دخل الحصن ليلا ، مما يرجح أن الحصن قد تم فتحه عن طريق الخيانة من جانب الحرس الذين ربما حصلوا علي رشوة أو وعود خاصة من عبد الرحمن نظير تسهيل أمر دخول الحصن . ويؤكد الرأي السابق مقولة فون هامر بشأن عبد الرحمن غازي " لقد كان عبد الرحمن غازي مصدرا لرعب ورهبة لأعدائه البيزنطيين سواء كانوا نساءا أو أطفالا حتى بعد موته " [٣] وبالتالي كانت ابنة قائد الحصن بنفس تلك المشاعر تبغض عبد لرحمن غازي بوصفها واحدة من أفراد سكان هذا الحصن .

ومهما يكن من أمر فلقد واصلت القوات العثمانية زحفها للسيطرة علي باقي الحصون والقلاع علي شواطئ خليج نيقوميديا [٤] ، فسيطرت القوات العثمانية تحت قيادة كارا علي Kara Ali حصن هيريك Hereke [٥] . كذلك

بمثابة نقطة مراقبة على الطريق الحربي الممتد بين مدينة القسطنطينية ومدينة نيقوميديا .
انظر: Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom . 1, p.112; Hidden, *The Ottoman Dynasty* , p. 12.

(٢) تشير رواية عاشق باشا بأن "لقد رأت ابنة تيكور حصن أبيدوس ذات ليلة الرسول صلى الله عليه وسلم في منامها ثم جاءها رجل ودود ذو وجه مضيء أخرجها من حجرتها ونزع ملابسها التي كانت ترتديها و ألقى بها بعيدا ثم غسل جسدها وحفظه في ثياب حرير ، فظلت هذه الرؤية ملازمة لبصرها وقلبها ليل نهار إلى أن رأت عبد الرحمن غازي أمام الحصن فوقعت أسيرة في حبه " انظر:
Asik – Pasa – Sohn, *Fruhzeit und AuFstieg* , pp.53-54.

(٣) Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom.1 ,p.113.

(٤) Asik – Pasa – Sohn , *Fruhzeit und AuFstieg* , p. 54 .

(٥) هيريك Herek ، قلعة حصينة تقع في وسط الطريق الممتد بين أبيدوس Abydos ومضيق البوسفور وتعرف قديما باسم أنسيرون Ancyron. انظر : Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom.1 , p. 113 ;

شن القائد العثماني مورسال نوير Mursal – Noir هجوما علي معظم الحصون البيزنطية الممتدة بطول ساحل خليج نيقوميديا جنوبا ، فسيطر علي عدة قلاع أهمها ميناء وقلعة يالوا yalaoa (سرجلا Sugla) [6] ولقد وصلت الإمبراطورية البيزنطية آنذاك إلي حالة من الضعف والإعياء [7] لدرجة سمحت لبعض المؤرخين أن يوردوا لنا روايات لا يمكن الأخذ بها لشدة سذاجتها . فيروى " أميانوس ماركيلينوس Ammianus Marcellinus" أن أحد الدراويش المتحمسين للعثمانيين ويدعى عبدال كومرال Abdal Koumral . [8] يحمل سيفا من الخشب علي رأس فرقة عسكرية عثمانية سيطربها علي مدينة هيلينوبوليس Helenopolis [9] و إذا كان من المحتمل أن هذا الدرويش قد

Grousset, *L' Empire Du Levant,* p. 606.

(٦) لقد منح السلطان أورخان منح مورسال نوير قلعة وميناء يالوا Yalowa بشرط حمايتها بوضع سفن حربية فيها تتولى ذلك . انظر : Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom.1 ,p.113.

(٧) Hidden , *The Ottoman Dynasty*, p. 4;Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 27.
راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤٧ .

(٨) عبدال كومرال Abdal Koumral ، هو أحد أبناء الشيخ " أدى بالى " Edebali الذي ولد بإذنه Adana ودرس أصول الفقه في بلاد الشام وحول عثمان و اتباعه إلي الدين الإسلامي انظر:
Hidden , *The Ottoman Dynasty* , p. 4 ; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom.1, p. 64 ;
Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire* , p. 27.

(٩) أورد هامر هذه الرواية نقلا عن (أمياتوس ماركيلينوس) الذي لم نتمكن من الحصول عليه . انظر: =
= Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* ,Tom. I, p. 114 .
أما هيلينوبوليس ، تقع على ساحل خليج نيقوميديا جنوبا ، بنيت في عهد الإمبراطور قسطنطين العظيم (٣٠٥ - ٣٣٦م) تخليدا لذكرى والدته هيلانه Helena - لعبت دورا هاما في اعتراف ابنها بالمسيحية وولدت بآسيا الصغرى – ولقد احتوت على العديد من القصور والفنادق الرائعة . انظر: سايولف : رحلته لبيت المقدس و الأراضي المقدسة

اكتفي بحمل سيف خشبي ليحارب به ، فليس من المعقـول أن تخضـع فرقـة عسكرية عثمانية لدرويش بهذا الحال.

ومهما يكن من أمر فإن استيلاء السلطان أورخان علي القلاع والحصون البيزنطية الواقعة علي سواحل خليج نيقوميديا أدت إلي قطع الاتصالات البريـة بين كل من مدينة نيقوميديا ومدينة القسطنطينية [1] ولذلك أخذ أورخان يعد العدة للاستيلاء علي مدينة نيقيه بوصفها العاصمة السابقة للإمبراطوريـة البيزنطيـة ولقد أحدث السيل العثماني المتدفق في الأراضي البيزنطة حالة من الهلع والفزع بين صفوف الشعب البيزنطي ، حتى أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ذاتـه انتابه الرعب الشديد نتيجة لإغارات أورخان المتتالية علي شواطئ البوسفور [2] . مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس يتخذ قرار القيام بحملة حربية موجهة ضد القوات العثمانية لوقف زحفهم المنتشر والمستمر علي خليج نيقوميديا والمتجـه صوب مدينة القسطنطينية وكـذلك للـدفاع عـن مـدينتي نيقيـه ونيقوميـديا المحاصرتين من قبل القوات العثمانية منذ أمد بعيد [3] .

(١١٠٢-١١٠٣م) ، ترجمة سعيد البيشاوى ، عمان ، ١٩٩٧، ص ٢٤؛ يوحنا فورزبورغ : وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، ترجمة سعيد البيشاوى ، عمان ١٩٩٧، ص ٩٠,انظر أيضا: *O. D . B*, Vol. 2, p. 909.

راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٨.

(١) Taechner, *The Ottoman Turks*, p. 453.

(٢) Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* .Tom. 1, p. 130.

(٣) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p.340. Cf. Also, Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169; Browning . R , *The Byzantine Empire,* (New York , 1980) p. 170 ; Jorga. N, *The Byzantine Empire,* (London, 1907) p. 120 ; Souttar. R , *A Short History of Mediaeval Peoples,*(London , N. D), p.606; Ostrogorsky , *The Palaeologi*, p. 354.

وفي واقع الأمر أن الإمبراطور أندرونيكوس لم يتحرك من أجل صد الخطر العثماني بوقف انتشاره في خليج نيقوميديا ورفع الحصار عن مدينتي نيقيه ونيقوميديا فقط ، بل جاء قرار الخروج بحملة عسكرية بيزنطية نتيجة لشعور الإمبراطور أندرونيكوس بالخطر العثماني الذي أخذ يقترب من القسطنطينية ويهددها ، حيث إنه من المعروف أن الوجود العثماني وحصار المدينتين السابقتين لم يكن بوليد تلك الآونة القريبة بل كان ذلك منذ فترة طويلة .

وعلي أية حال فإنه نظرا لارتفاع أسوار مدينتي نيقيه ونيقوميديا وقوة تحصيناتهما، قررت القوات العثمانية تشيد بعض القلاع القوية علي مقربة منهما بهدف تضيق الخناق علي السكان داخلها وقطع وسائل العيش بهما من طعام وشراب [٤] .

وعلي أية حال فقد قرر الإمبراطور أندرونيكوس ووزيره حنا كانتاكوزينوس إعلان الحرب علي أورخان بعد أن استشار أندرونيكوس كونتوفريز Kontophres بشان تلك الحرب [٥] بوصفه رجل لديه دراية كاملة بطرق و أساليب العثمانيين في القتال حيث قد شاهدهم في معركة بافيوم Baphoeum [١] ، فأشار عليه كونتوفريز بالقيام بحملته العسكرية في الوقت

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1 , p.340. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 130 ; Lodge , *The Close of the Middle Ages* , p. 499 ; Lavallee, *Histoire L' Empire Ottoman* , p. 133; Inalcik, *The Emergence of the Ottoman*, 274.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp. 340- 341.
أما كونتوفريز Kontophres ، فهو قائد إقليم ميزوثينيا Mesthynia. انظر: Hammer, Histoire De L' Empire Ottoman, Tom. 1, p.130.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, p. 341.
أما بافيوم Baphoeum ، لقد نشبت معركة بافيوم بين القوات العثمانية والقوات البيزنطية بالقرب من مدينة كويون حصار Koynhissar والتي يطلق عليها البيزنطيون اسم بافيوم

الذي يقود فيه الأتراك العثمانيون قطعانهم علي جبـل الأوليمبـوس [٢] ومـن المعروف أن القطيع يترك ليرعى في السهول وبذلك فإن كونتوفريز كان يقصد أنه يجب الخروج بالحملة العسكرية البيزنطية قبل وصول الأتـراك العثمـانيين الأماكن الجبلية الوعرة[٣]. وفي مايو ١٣٢٩م استطاع الإمبراطور أندرونيكوس أن يجهز جيشا قوامه ألفي جندي ذا تدريب ومهارة عالية . بالإضافة إلي ثلاثـة آلاف من الميليشيات Miliciens من أسيا الصغرى [٤] .

وكان الجنود المشاركون في الجيش البيزنطي عبارة عن خليط من مدن مختلفة ، فلقد احتوى علي مقاتلين من مدينـة ديـديموطيق Didymotechon المواجه للقسطنطينية [٥] ، و آخرون من مدينة أدرنه [٦] و إقليم تراقيا Thrace

---

والتي تقع وسط الطريق بين كل من نيقيه ونيقوميديا . انظر : Pachymeres, *De Michaele et Andronico*, Vol.2 ,p.229. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 90; Grousset, *L' Empire Du Levant* , p. 606 ; Taechner, *The Ottoman Turks to 1453*, p.759.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 341-342; La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, De 132 8 a 1344, ed. By. Loenertez. R, Vol. XXX, *O. C. P* ,(Roma, 196 4) p. 45.

(٣) La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, p. 45.
راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٩.

(٤) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 1, pp. 235- 236. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169, Levtchenko, *Byzance* , p. 275.
أما الميليشيات Miliciens ، ظهرت في عهد أباطرة نيقيه (١٢٠٤-١٢٦١م) وهي عبارة عن جيش صغير من الحرس الوطني (من الأهالي الوطنيين). يدافع عن حدود الإمبراطورية البيزنطية مقابل الحصول على إقطاعيات صغيرة . انظر : ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٧٤.

(٥) ديديموطيق Didymotechon ، هي إحدى مدن تراقيا ، تقع على أحد التلال المطلة على نهر إريثروث Erythros ، أصبحت مدينة حصينة وهامة مع نهاية القرن الثاني عشر ، كانت المركز الرئيسي للإمبراطور حنا الرابع كانتاكوزينوس John VI Kantakouzenous أثناء الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٤١-١٣٤٧م) وتبعد عن القسطنطينية بحوالي خمس وتسعون ميلا ، يعلى اسمها " الجدار المزدوج " ولقد احتلها

القريبين منها [٧] ولم يكن أمام الإمبراطور البيزنطي الوقت الكافي لاستدعاء باقي القوات البيزنطية المرابطة في مقدونيا والمناطق الأخرى الأكثر بعدا [٨].

وبذلك كان الجيش البيزنطي الذي خرج تحت قيادة الإمبراطور أندرونيكوس ووزيره حنا كانتاكوزينوس غير مؤهل وغير مدرب بدرجة كافية تجعله قادرا علي مواصلة القتال لمواجهة عدو غريب في طباعه عنهم ولا يمتلك هذا الجيش سوى الافتخار بالمجد القديم ومنجزات الماضي [٩].

وعلي أية حال تحركت القوات البيزنطية علي متن أسطول صغير فعبرت به مضيق البوسفور إلى مدينة سكودار Uskudar (سكوتارى Scoutari) وكان ذلك أول شهر يونيو ١٣٢٩م [١] وتم الاحتفاظ بالأسطول البيزنطي الذي عبر عليه الجيش البيزنطي وذلك بغرض العودة به إلى مدينة

الأتراك العثمانيون في نوفمبر ١٣٦١. انظر : Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169; *O. D . B*, Vol. 1, p. 620; Brehier, *Vie et Mort De Byzance*, p. 130.

(٦) ادريانوبل Adrianople (أدرنه) إحدى مدن تراقيا، تقع على منتصف نهر هيبروس Hebros في وسط الطريق الحربي الممتد من بلجراد وصوفيا والقسطنطينية. وتعد البوابة الرئيسية للقسطنطينية فيما يتراوح بين ٧٠ ميلا و ١٣٧ ميلا. انظر : *O. D.B*,Vol.1,p.23; Hidden, *The Ottoman Dynasty* , p.20; Lavallee, *Histoire L' Empire Ottoman* , p. 142.

راجع أيضا : القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في لتاريخ، ص ٢٩٩.

(٧) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1,p.343.Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 130.

(٨) صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٠.

(٩) Hammer , *Histoire de L' Empire Ottoman* , Tom . l, p. 130.

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 342 ; La Chronique Brieve De 1352 , Tom , II , p. 45. Cf. Also , Emmanuele, *Histoire De L' Europe*,p.244,Hammer,*Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom.1,p.130.

أما سكوتاري Scoutari هي سكودار Uskudar التركية الحالية، تقع على الضفة الشرقية لمضيق البوسفور في واجهة مدينة القسطنطينية، و هناك مدينة اوروبية تحمل نفس هذا الاسم في العصور الوسطى في ألبانيا انظر: حاتم الطحاوي : بيزنطة والمدن الإيطالية، ص ١٢٢.

القسطنطينية [٢] في حالة وقوع الهزيمة بالقوات البيزنطية أو الانسحاب المفاجئ لظروف قاهرة وطارئة [٣] .

و عندما رأى أورخان التحركات البيزنطية السابقة حشد علي الفور قواته من المشاة والفرسان واخترق بهم السلاسل الجبلية الوعرة المطلة والمنتشرة علي شواطئ ميزوثينيا Mesothynia [٤] حيث إن القادة العثمانيين قد حذروا قائدهم أورخان من البقاء في السهول و أشاروا عليه بأن يتركوا القطيع في السهول وأن يختبئوا داخل الجبال حيث الحماية و الأمان [٥] . وعلي الجانب الآخر فقد واصلت القوات البيزنطية زحفها إلي أن وصلت إلي سكودار ، بعد مسيرة تتراوح بين سبعة أيام وتسعة أيام ، ثم مكث الجيش البيزنطي في سكودار حوالي ستة أيام من أجل الحصول علي قسط من الراحة وتنظيم الصفوف ، ثم واصلت القوات البيزنطية سيرها في اتجاه نيقوميديا حيث القوات العثمانية المرابطة ، متخذة الطريق الروماني القديم من خلقدونيا إلي نيقوميديا [٦] .

---

(٢) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 174.

(٣) Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom.1, p.130.

في حقيقة الأمر لقد كان الأسطول البيزنطي في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث قد أصيب بحالة من الضعف والإعياء الشديد وأصبح غير قادرا على الدفاع عن الممتلكات البيزنطية القريبة علي البوسفور . انظر :
Emmanuele, *Histoire De L' Europe*, p.244.

(٤) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 342.

أما ميزوثينيا Mesothynia ، هو الاسم الذي تطلقه مصادر القرن الثالث عشر الميلادي على شبه جزيرة بثينيا Bithynia - خاصة الجزء الغربي منها -، التي يحدها من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب خليج نيقوميديا ومن الغرب مضيق البوسفور. انظر: Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman* ,Tom.1, p.130;
O. *D. B*, Vol. 1, p. 292, Vol. 2, p. 1349.
راجع أيضا : دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣، ص ١٢٧.

(٥) La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, p. 45.

(٦) La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, p. 46.

وبعد أن قطع الجيش البيزنطي مسافة تربو علي اثني عشر ميلا في يومين وصل إلي مكان يسمى بلكانون Pelekanon [١] مما أعطى الفرصة للقوات العثمانية لتجميع قواتهم وينظموا صفوفهم ويستعدوا للقتال [٢] . بينما هناك رواية أخرى تشير إلي أن الإمبراطور أندرونيكوس وصل إلي هذا المكان بعد سيره ثلاثة فراسخ في يومين [٣]

أما خلقدونيا Chalcedonia ، فهي إحدى مدن بيثينيا ، تقع على الجانب الأخر لمضيق البوسفور قبالة مدينة القسطنطينية مباشرة ، أقيم فيها المجمع الكنسي لعام ٤٥١م ، ولقد احتلها الفرس في عام ٦١٥م ، فنهبوا وألحقوا بها كثيرا من الأضرار ، ثم احتلها العرب أثناء هجومهم على مدينة القسطنطينية ٦٢٦م، وكانت المركز الرئيسي الذي عسكرت فيه الحملات الصليبية الأولى والثانية والرابعة ، ولقد سقطت في أيدى الأتراك العثمانيين في عام ١٣٥٠م . وتعرف حديثا باسم حيدر باشا الجديدة Haider Pasha انظر:
Gibbons, *The foundation of The Ottoman Empire*, p. 60; *O. D. B*, Vol.1, pp. 403- 404.
راجع أيضا: كيرلس الأنطونى : عصر المجامع ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ١٨٣.

(١) بلكانون ، فهي منطقة بلكانونوز Pelekanos التي تقع في إقليم بيثينيا على ساحل خليج نيقوميديا شمالا وعلى الطريق إلى مدينة نيقوميديا ، وهي عبارة عن منطقة سهلة تقع خلف داكي بيزا Daki Byza ، وقد لعبت بلكانون أثناء الحملة الصليبية الأولى دور فعال ، حيث عسكر فيها جود فرى البولونى God frey Bouillon ، وكذلك استخدمها الإمبراطور ألكسيوس الأول (١٠٨١-١١١٨م) قاعدة له أثناء حصاره لمدينة نيقيه ، وتعرف بلكانون حديثا باسم مالتيبه Maltepe انظر : نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ١٨. راجع أيضا : الباز العريني : الشرق الأوسط ، القاهرة، ١٩٦٣ ص ١٨٨.
Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. l, p. 131 ; *O.D B* , Vol. 3,p. 1620.
راجع أيضا:

(٢) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, p. 342. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom . 1, p. 131.

(٣) La Chronique Brieve , Tom. II , p. 46.
أما الفرسخ ، كلمة فارسية الأصل مأخوذة من كلمة فرسنك ، و رأى آخر يشير إلى أنه عربي الأصل. ومهما كان الأمر يبلغ الفرسخ ثلاثة أميال– الميل ٤٠٠٠ ذراع – أي حوالي ٥٥٤٤ مترا. انظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ،الجزء الأول ، ص ٣٥- ٣٦ ؛ بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٣٤.راجع أيضا : جوزيف

وعلي أية حال عندما وصلت القوات البيزنطية إلي بلكانون وجدت السلطان أورخان قد تحرك علي رأس قواته من سهول الأوليمبوس إلي أحد التلال العالية المطلة علي مضيق البوسفور[٤].وهنا أدرك القادة البيزنطيون المتميزون في الجيش البيزنطي وعلي رأسهم الوزير حنا كانتاكوزينوس أن الحملة البيزنطية لن تحقق الهدف المرجو منها بسبب انسحاب القوات العثمانية من المناطق السهلية المتمثلة في المراعى المنتشرة في سفح الجبل إلي الأماكن الجبلية المرتفعة ذات الدفاعات الطبيعية التي يصعب اقتحامها[٥] . ومن الواضح أن الإمبراطور قد اتخذ قرار الانسحاب منذ الوهلة الأولى ، ولكن لم يظهر ذلك لكي يحفظ ماء وجهه وهيبته أمام جنوده[٦]. وعلي أية حال قرر الإمبراطور البيزنطي استدعاء مجلس الحرب للانعقاد فورا [٧] والذي خرج بعدة توصيات،أولا عدم المخاطرة والمغامرة بأرواح القوات البيزنطية في الأودية والممرات الجبلية الوعرة المحتلة من جانب القوات العثمانية.وثانيهما،العمل علي استدراج القوات العثمانية للنزول للمناطق السهلية وقتالهم فيها ، وأخرها أنه في حالة عدم نزول القوات العثمانية إلي المناطق السهلية والاستمرار في المناطق الجبلية الوعرة يجب علي الجيش البيزنطي الانسحاب فورا إلي مدينة القسطنطينية[٨].أما بالنسبة لعدد القوات العثمانية فقد حدده حنا كانتاكوزينوس بثمانية آلاف مقاتل،بينما حدده أصاف بحوالي عشرين ألف مقاتل. ويبدو أن

داهموس: سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة ، ١٩٨٦، ص ٢٠٨ ؛ جوزيف نسيم : العدوان الصليبي ، ص ٩٥.

(٤) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, p. 342.

(٥) La Chronique Brieve , Tom. II , p. 45.

(٦) La Chronique Brieve , Tom. II . p.46.

(٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p. 343 . Cf. Also , Nicol , *The Last Centuries* , p. 169 ; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom.1, p. 131.

(٨) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1 , p. 343. Cf. Also, Nicol , *The Last Centuries* , p. 169 ; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom.1,p.131.

الأخير كان مبالغا . ومهما يكن من أمر فإن القوات العثمانية تفوقت في عـددها علي القوات البيزنطية [٩] .
وبدا واضحا منذ البداية أن دفة الأمور لن تسير في صالح القوات البيزنطية [١].

ومع بزوغ شمس اليوم الثاني من وصول القوات البيزنطيـة لبلكـانون استيقظ الإمبراطور أندرونيكوس ووزيره حنا كانتـاكوزينوس وقـادة الجـيش البيزنطي ، ثم اصطحبهم الإمبراطور جميعا لأداء الصلاة تضرعا للرب [٢] ، ثم ارتفع صوت النفير في أرجاء المعسكر البيزنطي [٣] داعيا الجنود لكي يحملـوا أسلحتهم ويصطفوا استعداد للمعركة ثم أخذ الإمبراطور يمر بين الجنود ويصفهم بنفسه في شكل صفوف مواجهة للقوات العثمانية وعنـدما رأى أورخـان تلـك التحركات قام علي الفور بتنظيم وترتيب قواته بنفسه وقسمهم إلي ثلاثة أقسـام متساوية جناحين يمينا ويسارا وقلب ، بلغ تعداد كل واحد مـنهم حـوالي ألـف مقاتل ، ثم أشرف أورخان أيضا علي عملية إخفاء باقي قواته خلف التلال [٤] .

وعلي أية حال استعدت مجموعة من الفرسان البارعين في رمى السهام والذين بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة فارس للخروج لمهاجمـة معسـكر القـوات البيزنطية في السهل الواسع ببلكانون علي ألا يدخلوا معهم في اشتباك وأن يولوا

---

(٩) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p.343. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman,* Tom. 1 ,p.131; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.169.
راجع أيضا : عزتلو يوسف بك أصاف : تاريخ سلاطين بنى عثمان ، تقديم محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة، ١٩٩٥م ، ص ٤٣.

(١) صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨١.
(٢) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, p. 343.
(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1 , p. 343. Cf. Also , Nicol, *The Last Centuries* , p . 169 ; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom. 1, p. 131 .

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1 , pp. 343 - 344; La Chronique Brieve , Tom. II , p. 46. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries* , p. 169.

الأدبار بعد قذفهم السهام [٥] كنوع من الخديعة وذلك بأمر من السلطان أورخان. كما أمر الأخير القوات العثمانية المختبئة في الأودية والممرات الجبلية بالانقضاض علي القوات البيزنطية التي سوف تلاحق الثلاثمائة فارس العثماني الفارين أمامهم [٦] .

كما أعطى السلطان أورخان أوامره للفرسان بالهجوم المفاجئ علي القوات البيزنطية في الوقت الذي يكونوا فيه مشغولين بأداء الصلاة [٧] . ومما سبق يتضح أن القوات العثمانية تمتعت بموقع إستراتيجي متميز [٨] ، حيث كانت القوات البيزنطية معسكره في السهل الواسع المنخفض بينما كانت القوات العثمانية متمركزة في الأماكن المرتفعة [٩] وبذلك كانت القوات البيزنطية معرضة لهجمات متتالية من جانب القوات العثمانية المتبعة لسياسة الهجوم الخاطف السريع المعتمد علي الكر والفر [١٠] .

وعلي أية حال عندما وصلت الأخبار إلي الإمبراطور أندرونيكوس بشان نزول الثلاثمائة فارس العثمانيين من المناطق الجبلية اختار علي الفور مجموعة من الفرسان البيزنطيين ذات المهارة العالية لمواجهة هؤلاء الفرسان ، وجعل علي رأسها رئيس حرسه الخاص ويدعى إكسوتروخوس Exotrochos [١١] .

---

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p. 344.Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 131.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p. 344; La Chronique Brieve , Tom. II , p. 46.

(٧) Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom. 1, p.132.

(٨) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p . 169.

(٩) Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom.1, p. 131.

(١٠) صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٢.

(١١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.344; Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1 , p.132.

وقبل أن يغادر هؤلاء الفرسان البيزنطيون المعسكر البيزنطي ألقى عليهم الإمبراطور أندرونيكوس خطبة قائلا " تذكروا عزكم العظيم ومجدكم القديم الذي سوف يعطيكم القدرة علي تحقيق النصر علي هؤلاء البرابرة ...... ويجب عليكم أن تتميزوا بالشجاعة والإقدام لأن الرب معكم والنصر حليفكم ....تذكروا أهلكم وأولادكم الذين عقدوا عليكم الأمال فلا تخذلوهم ..... وإن النصر لسوف يحقق لكم كثيرا من المنافع والشرف والرفعة والراحة و الأمان ..... اعلموا بأن هؤلاء البرابرة يتقنون القتال بين الحفائر والجبال وعمل المصائد البشرية بين الممرات الجبلية لرشق عدوهم بالسهام فلا تخشوهم لأنكم لأول مرة تقاتلوهم ، وطاردوهم لتقضوا عليهم وترجعوا إلي معسكركم منصورين ...... " (١) .

وبالتمعن في نص خطبة الإمبراطور أندرونيكوس نجد أنه كان يحاول بث الحماسة في قلوب مقاتليه ، وذلك رغم أن المؤرخ هامر يرى – بعد أن أعلن تشككه في حقيقة إلقاء الإمبراطور لهذه الخطبة دون أن يمدنا بدليل علي ذلك – أن هذه الخطبة ربما كانت تبث روح الضعف واليأس من النصر علي العثمانيين بدلا من تحفيز القوات البيزنطية ، وأن المؤرخ هنا كانتاكوزينوس قد أوردها في كتابه لإعلاء مجد البيزنطيين و إظهار شجاعة الإمبراطور أندرونيكوس (٢) . ويبدو أنه كان لكلمات الإمبراطور أثرها في إشعال حماسة قواته ، والدليل علي ذلك توضحه نتائج الاشتباكات التي وقعت بين البيزنطيين والعثمانيين والتي تعالجها الصفحات التالية .

ومهما كان الأمر فإن السلطان أورخان خدع القوات البيزنطية بأن أرسل ألف فارس عثماني لقتال ثلاثة مائة فارس بيزنطي . ولقد التحم الطرفان في ثلاثة عمليات عسكرية منفصلة ضمن المعركة الأولى ، أما العملية الأولى منها فقد خسرت فيها القوات العثمانية حوالي أربعين مقاتل أما الجيش البيزنطي فقد فقد عددا بسيطا من الخيول ، ولم يسقط منه أحد من المقاتلين . وفي العملية

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p. 344 – 346.

(٢) Hammer, *Histoire De L' Empire* , Tom. I, p.131.

الثانية اشتبك الطرفان واشتد القتال بينهما ، ونتج عن هذه العملية سقوط ضحايا عثمانيين فقط، الذين بلغ عددهم حوالي ثلاثين مقاتل . أما العملية الثالثة فلقد قتل فيها من الجانب العثماني عدد قليل من المقاتلين ومن الجانب البيزنطي عدد قليل من الخيول وبعض الجرحى (٣) .

ولقد سر الإمبراطور أندرونيكوس بتلك النجاحات التي حققها البيزنطيون علي القوات العثمانية ، فمدح قائد إكسوتروخوس علي شجاعته وجسارته في العمليات الحربية الثلاث السابقة ، ثم وجه أندرونيكوس قوات جديده ضد الأتراك العثمانيين تحت قيادة كل من ستراتوبيدار الكبير Stratopedarches ومانويل تاجريس Manuel Tagaris (٤). ويشير هنا كانتاكوزينوس إلي تلك المعركة الجديدة قائلا " لقد كانت معركة طويلة وطاحنة بين القوات البيزنطية والقوات العثمانية ، فقتل فيها من جانب الأتراك العثمانيين حوالي خمسين قتيلا، بينما قتل واحد فقط وبعض الخيول من الجانب البيزنطي" (٥) . ثم واصلت القوات العثمانية هجماتها فخرجت إحدى فرقها وتسمى الإنكشارية (٦) تحت قيادة

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.,pp.347-348. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom.1 , p. 131.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,pp.348-349.Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. .1 ,p. 132.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p. 349.

(٦) الإنكشارية ، كلمة تركية أصلها "يني جرى" وتعني الجيش الجديد ويرجع تسميتها إلى الدرويش "حاجى بكتاش" الذي اشتهر بورعه ، ويقال أن أورخان قد اصطحب هؤلاء الجنود إلى مسكن هذا الوالي ورجاه أن يباركهم ويخلع عليهم اسما ، و أن بكتاش وضع كمه فوق رأس أحد الواقفين في الصف الأول ثم قال للسلطان " إن القوات التى أنشأتها ستحمل اسم يني جرى وستكون أذرعهم اليمنى قوية وسيوفهم بتاره وسهامهم حادة " وتخليدا لبركة بكتاش كانت الإنكشارية يضعون على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأبيض ، شبيه بقلنسوة الدرويش ، يتدلى منها من الخلف قطعة من الصوف باعتبارها رمزا لكم الوالي الذي= بارك رقبة زميلهم . انظر: خليل أفندي مطران : مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، ص ٣٥٣؛ أحمد عبد الرحيم مصطفي : أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٣.

بازارلــو Pazarlo [1]من بين الممرات الجبلية والأودية للدخول في معركــة جديدة مع القوات البيزنطية [2] وكان معه أخيه عــلاء الــدين [3] وعنــدما رأى الإمبراطور تلك التحركات العثمانية قسم قواته علي الفور إلي ثلاثة أقسام قادها بنفسه بعد أن أوكل كلا من حنا كانتــاكوزينوس وحنــا أنجيلــوس Joannes Angelus – ابن عم حنا كانتاكوزينوس – علي جناحي القــوات البيزنطيــة ، وقاد هو القلب . واشتبك الطرفان في معركة عنيفة هلك منها مائــة و خمســين عثمانيا ولم يقتل أي مقاتل أو حصان بيزنطي في تلك المعركة ويصــف حنــا كانتاكوزينوس تلك المعركة قائلا " لقد ظل السلطان أورخان علي مكــان عــال يرصد المعركة من أعلي بينما نجد الإمبراطور أنــدرونيكوس يقــود الجــيش البيزنطي بنفسه لكونه متلهفا علي قتال العثمانيين " [4] ولكن في حقيقة الأمر من الواضح أن هناك مبالغة في سرد حنا كانتاكوزينوس بتلك المعركة وما ســبقها من معارك بيزنطية عثمانية . وعلي أية حال انتهت المعركة مع غروب الشمس وحلول الليل ، ثم قام حنا كانتاكوزينوس بتجميع الجيش البيزنطــي فــي شــكل صفوف ثم هنأه علي انتصاره وشجاعته الفائقة التي أظهرها في ســاحة القتــال

---

(١) صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٣-٨٤

أما بازارلو فهو شقيق أورخان انظر : بيلديسنيو : عثمان و أورخان ، ص ٢٤ .

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.349. Cf. Also , Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1 ,p. 132.

(٣) علاء الدين ، فهو أول وزير في الدولة العثمانية ومنحه أورخان لقب الصدر الأعظم ، اختص بتدبير الأمور الداخلية للدولة الناشئة ، لم يعارض وصية أبيه عثمان في تولي أورخان الحكم . أمر علاء الدين بضرب العملة من الذهب والفضة ، ووضع نظاما جديدا للجيوش بأن جعلها دائمة ، وجعل للجيش راية من القماش الأحمر في وسطها هلال وتحت الهلال صورة كسيف أطلقوا عليه اسم " ذو الفقار " تيمنا بسيف الإمام علي رضي الله عنه . انظر: سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٤٨٨؛ خليل أفندي مطران. مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، ص ٣٥٢ ؛ محمد فريد بك : تاريخ الدول العلية العثمانية، ص ٤٢؛ أحمد عبد الرحيم مصطفي : أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨-٣٩.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, pp.349-350.

أمام القوات العثمانية [٥] وعرض علي الإمبراطور أندرونيكوس الرجوع إلي المعسكر البيزنطي ليقضوا الليل فيه ثم العودة علي متن الأسطول البيزنطي إلي مدينة القسطنطينية في صباح اليوم التالي نظرا لتمسك القوات العثمانية بالقتال في المناطق الجبلية الوعرة ولغياب السلطان أورخان الذي أدرك أن دفة الأمور لن تسير لصالحه في تلك المعركة [٦] . وتشير رواية أخرى أنه بناء علي رغبة الإمبراطور أندرونيكوس قررت القوات البيزنطية الانسحاب إلي المعسكر ثم الرجوع إلي مدينة القسطنطينية [٧] .

ومهما يكن من أمر فلقد حدث اشتباك جديد بين القوات البيزنطية والقوات العثمانية وهناك روايتين بشان سبب هذا الاشتباك ، فالرواية الأولى تشير إلي أنه بعد أن دقت نوافير العودة إلي المعسكر و أثناء العودة قامت إحدى فرق المراقبة والاستطلاع العثمانية بمتابعة الجيش البيزنطي فلاحظت وجود فوضى واضطراب بين صفوف الجيش البيزنطي أثناء سيرهم لأنهم أصبحوا علي يقين بالنصر،ولذلك اشتبكت تلك الفرقة العثمانية مع مؤخرة الجيش البيزنطي[٨].

أما الرواية الثانية فتذكر أن قرار الانسحاب والعودة إلي مدينة القسطنطينية أدى إلي نوع من الهياج والثورة بين صفوف الجيش البيزنطي سواء كانوا ضباطا أو جنودا لرغبتهم الأكيدة في مواصلة القتال ضد القوات العثمانية ولذلك اشتبكوا مرة ثانية مع القوات العثمانية المواجهه لهم [١].

---

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p.350. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1 ,p. 133.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.350 -351. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1 ,p. 133.

(٧) La Chronique Brieve De 1352 , Tom. II , p. 46. See Also, Gibbons, *The Foundation of the Ottoman,* p.60; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169.

(٨) La Chronique Brieve De 1352,Tom.II , p. 47 Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries* , p. 169.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, pp. 352 - 353; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 433-

وعلي أية حال التحمت القوات البيزنطية المتحمسة للقتال مع القوات العثمانية في معركة عنيفة ، مما دفع كلا من الإمبراطور وحنا كانتاكوزينوس، أن يلقوا بأنفسهم في غمار المعركة [٢] إلا أن المقاتلين البيزنطيين قد وجدوا أنفسهم محاطين من كل جانب بالقوات العثمانية التي كانت تفوقهم عددا [٣] ومن شدة القتال سقط الوزير حنا كانتاكوزينوس من فوق فرسه ولكنه لم يصب بأي أذى رغم مقتل فرسه ، أما الإمبراطور أندرونيكوس فقد وقع كالفريسة المحاطة بالذئاب من كل جانب وذهل من شدة الموقف وكاد أن يفقد حياته أو يقع أسيرا في أيدي أعدائه العثمانيين لولا شجاعة وبسالة القائد البيزنطي ميسين سيباستوبولوس Mysien Sebastopolos الذي سارع ومعه ثلاثمائة فارس لنجدة الإمبراطور الذي كان قد أصيب بجرح في ساقه . وبالفعل تمكن هؤلاء الفرسان من إنقاذ حياة الإمبراطور [٤] . علي الرغم من أنهم غير مسلحين تسليحا كافيا [٥] وانتهت تلك المعركة بمقتل القائد ميسين سيباستوبولوس وخمسة

434; Chalcocondyles , *Historiarum* , p. 32; Phrantzes , *Chronicon (1259-1477)*. pp. 36- 37.See Also,
Gibbons, *The Foundation of the Ottoman,* p.60; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom.1, p.
133.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.353- 354;Chalacocondyles, *Historiarum*, pp.32-33; Phrantzes, *Chronicon 1259- 1477*,p.37.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p.354. Cf. Also, Hammer *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1 ,p. 134; Gibbons, *The Foundation of the Ottoman* , p. 60.

(٤) La Chronique Brieve De1352,Tom.II, p.74; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1.p.434; Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1 , p. 134, Nicol , *The Last Centuries of Byzantium,*
p. 169.

(٥) Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom . I, p. 134.

وعشرين جنديا بيزنطيا آخرين [٦] وبذلك استطاع الإمبراطور أنـدرونيكوس أن يهرب من بين براثن القوات العثمانية نحو المعسكر البيزنطـي ، حيث بعث سفارة عسكرية إلي بروتوستاتور Protostator [٧] مدينـة سـكودار يـأمره بإعداد السفن الضرورية لحمل الفرق البيزنطية إلي الشاطئ الأوربي للبوسـفور علي وجه السرعة [٨] ، أي الاتجاه صوب مدينة القسـطنطينية [٩] . و علـي الرغم من أن الإمبراطور أندرونيكوس الثاني كان في غياهب السـجن ، وفـي حالة يرثى لها من الإذلال و الإهانة، إلا أنه عمل علي استغلال إصابة حفيـده أندرونيكوس في المعركة بأن بث إشاعة عن طريق عيونه في الجيش البيزنطي، مفادها أن الإمبراطور أندرونيكوس قد وافته المنية نتيجة لإصابته بطعنة مميتـة بأيدي القوات العثمانية ، وكان يهدف من وراء ذلك ، العمـل علـي زعزعـة صفوف الجيش البيزنطي . وبالفعل حدثت حالة من الهلع والفزع والاضـطراب بين القوات البيزنطية التي فرت هاربة تاركة متعلقاتها و أمتعتها الشخصية [١]

---

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1 , p. 355; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 435. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom .I, p. 134.

(٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.355-356. Cf. Also, Hammer, Histoire De L'Empire Ottoman, Tom. I p 134.

أمـا البروتوستاتور Protostator ، فهـو أحـد أركـان الحـرب والسـكرتير الشخصـي للإمبراطور البيزنطي . انظر : ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٠٣ .

(٨) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1 ,p.356. Cf. Also. Hammer , Histoire *De L' Empire Ottoman*, Tom.1, p.134; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman, Empire*, p. 60.

(٩) صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٥.

(١) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, pp. 435 ; Chalcocondyles , *Historiarum* , p. 33 ; Phrantzes, *Chronicon 1259- 1477*, p.37; La Chronique Brieve De 1352,Tom. II, p.47. See Also, Nicol, *The Last*

إلا أن هؤلاء البيزنطيين الهاربين وقعوا في كمائن القوات العثمانية بين التلال المنتشرة علي طول سواحل مضيق البوسفور فذبحت بعضهم وفر البعض الأخر هاربا إلي قبة سانت صوفيا St. Sophia [٢] . ومهما كان الأمر فلقد قام بعض الجنود الأقوياء والشجعان بحمل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث علي قطعة كبيرة من القماش إلي سفينته وذلك تحت ضغط شديد من القوات العثمانية نتيجة للحرب والهزيمة التي لحقت بهم [٣] ولكن بمجرد انسحاب القوات العثمانية التقط الإمبراطور أندرونيكوس أنفاسه وشعر بتحسن واستعاد نشاطه ، مما أدي إلي التفاف الفرق البيزنطية حوله من جديد وخاصة بعد أن تأكدت بأن خبر وفاته كان إشاعة وليس حقيقة ، فقام أندرونيكوس بتقسيم حطام جيشه إلي أربع فرق ، قاد واحدة منها إلي فيلوكرين Philocrene [٤] أما الثلاث فرق

Centuries of Byzantium,p.169; Gibbons, *The Foundation of Ottoman Empire*, p.60; Hammer,*Histoire De L, Empire Ottoman*, Tom. 1 ,p 134.

راجع أيضا : محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٨١، ص ٢٢.

(٢) Phrantzes, *Chronicon (1259- 1477)* , p. 37. Cf. Also, Gibbons, *The Foundation of Ottoman* , p. 60.

أما سانت صوفيا St. Sophia ، فهي أكبر كنيسة في الشرق قبل الفتح العثماني ، ولاتزال إلي اليوم مثالا لا يدانيه مثال آخر في تشيد الكنائس الأرثوذكسية ، تعرضت لزلزال عام ٤١٥ ميلادية ، و التهمتها النيران عام ٥٣٢ ميلادية ، و أعاد بناءها الإمبراطور جستنيان الذي عهد بالأشراف على البناء إلى اثنين من أعظم مهندسي العالم هما انثميوس Anthemios of Tralles وإيزيدوروس الملطى Isidoros of Miletus ، يحدها من الجنوب الأوغسطيوم Augustium- مقر الحفلات – ويبلغ طولها حوالي ٢٥٠ قدما ، وعرضها ٢٢٥ قدما ، وارتفاع قبتها ١٩٠ قدما وبها ١٠٧ عامود.ولمزيد من التفاصيل انظر: *O.D.B*, Vol.3, p.1927.

راجع أيضا : دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الأول ، ص ١٧١-١٨٠.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1.p. 356; La Chronique Brieve De 1352, Tom. I, p. 47. Cf. Also, Nicol , *The Last Centuries*, p. 170; *Hammer , Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom . I, p. 134.

(٤) Schreiner, Chronica Byzantina Breviora,Vol. II, pp. 235-236.Cf. Also, Bosch, Kaiser Andronikos III,

البيزنطية الأخرى فقد اتجهت إلي القلاع والحصون القريبة وهي ريتزيون Ritzion [٥] و داسيبيزا Dacibyza [٦] ، ونيكيتيالو Niketialou [٧] ولكن في حقيقة الأمر هناك رواية أخري تنفي عودة الفرق البيزنطية الهاربة والتفافها حول الإمبراطور مرة ثانية ليقوم بتقسيمهم ، حيث ظل الخوف والرعب مسيطرا علي القوات البيزنطية فتركوا معسكرهم ليحتموا بالقلاع القريبة الأنفة الذكر وليس بأمر من الإمبراطور كما قيل سابقا ويدل علي ذلك محاولة حنا كانتاكوزينوس لوقف هؤلاء الجنود البيزنطيين ولكنه فشل في ذلك [٨] . من الواضح أن الفرق الثلاث البيزنطية اتجهت إلي القلاع السابقة بهدف الفرار والاختباء وليس لمواصلة القتال ويدل علي ذلك تصرف حنا كانتاكوزينوس الذي عمد إلي إيقاف هؤلاء الجنود . وعلي أية حال فان السلطان أورخان جمع جنوده وصفهم ثم وجه إليهم خطبة قائلا " لقد رأيتم بأنفسكم مدى بسالة وشجاعة القوات

---

p. 152-154.

أما فيلوكرين ، فتقع علي ساحل خليج نيقوميديا ، وتفرق حديثا باسم تاوستشاندجيل Tawschandgil. انظر:

صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين و الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٥.

(٥) ريتزيون Ritzion ، تقع علي ساحل البوسفور ، و تعرف حديثا باسم داريدجي Daridge . انظر :

Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom . 1, p.134.

(٦) داسيبيزا Dacibyza ، تقع على ساحل البوسفور ، تعرف قديما باسم ليبسيا Libyssa ، وهي المكان الذي دفن فيه هانيبال Hnnibal ، وتعرف حديثا باسم غيبيس Ghebisse. انظر: Hammer, *Histoire De L'* Empire Ottoman, Tom. 1, p. 134.

(٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1.p. 356.

أما نيكيتيالو Niketialou ، تعرف أيضا باسم نيكيتياتوس Niketiatos ، تقع على ساحل البوسفور جنوبا مكان إسكى حصار Eskihissar . انظر : Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 134.

صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٦.

(٨) La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, p. 47.

البيزنطية في ميدان المعركة و أنكم تعلمون ما تجلبه المعارك المستمرة من خراب ولذلك يجب علينا الانسحاب والعودة إلي معسكرنا [١] .ولقد اتخذ أورخان قرار الانسحاب علي الرغم من اعتراض القادة العثمانيين علي ذلك ويتزعمهم سامسا شافوش وكودجار-علي Kodga-Ali [٢] . ومن الواضح أن هذه الخطبة وضعها حنا كانتاكوزينوس علي لسان السلطان أورخان لتبرير قرار انسحاب القوات البيزنطية من أرض المعركة ، حيث إنها لا تتفق مع طبيعة شخصية السلطان أورخان الشجاعة وطبيعة الأحداث والنتائج النهائية لتلك المعركة ، فليس من المعقول أن يعمل السلطان أورخان علي بث روح الضعف وخفض الروح المعنوية لدى جنوده العثمانيين . وكذلك لكونها تتعارض مع وصايا عثمان لابنه أورخان قبل وفاته بقليل فنذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر " يا بنى انزل علي مشورتهم فانهم لا يأمرون إلا بخير " [٣] . و مما يؤيد ذلك أن بازارلو قام علي الفور بتقسيم فرقة استطلاع ومراقبة عثمانية كانت قريبة من المعسكر البيزنطي [٤] إلي قسمين ضم كل منهما مائتي فارس ، و أعطى لكل قسم منها مهمة خاصة به ، حيث قام القسم الأول بعملية اقتحام للمعسكر البيزنطي بهدف تخريبه والاستيلاء علي ما فيه من خيل وسروج قرمزية وخيام . أم القسم الثاني فلقد طارد فلول الجيش البيزنطي الهاربة والمحتشدة أمام مدينة فيلوكرين مستغلين في ذلك حالة الهلع والفزع والفوضى

---

(١) Cantacuzenus, , *Historiarum* , Vol. 1 ,pp.356-357.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.357. Cf. Also. Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 135.

(٣) على محمد الصلابي : الدولة العثمانية ، ص ٥٠ .

(٤) كانت هذه الفرقة تقاتل تحت قيادة بازارلو ، وكانت قد تكونت في بداية الأمر من ثلاثمائة فارس عثماني ثم انضم إليهم مائة فارس آخرين . انظر: Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p. 360. Cf. Also. Hammer, Histoire *De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p.135.

راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٦.

والاضطراب المسيطرة علي القوات البيزنطية ، فدخلوا معهم في معركة ضروس ترتبت عليها سقوط عدد من القتلى البيزنطيين والذين بلغ عددهم حوالي اثنين وثلاثين قتيلا ؛ كان من بينهم اثنين من أقارب الوزير حنا كانتاكوزينوس وهما مانويل طارخانيوتس Manuel Tarchaniates، ونقفور كانتاكوزينوس Nicephore Cantacuzenus، ولقد أسر العثمانيون من القوات البيزنطية أيضا حوالي خمسين أسيرا واستولوا علي حوالي أربعمائة من الجياد البيزنطية التي تركها أصحابها وفروا هاربين [٥]. وكان الإمبراطور البيزنطي قد حمله جنوده وساروا به مترجلين حتى مدينة سكودار [٦] ومنها إلي ميناء فيلوكرين ثم وصل إلي القسطنطينية في الحادي عشر من يونيو ١٣٢٩م[٧] .

ويعلق المؤرخ جيبونز علي ذلك قائلا " لقد تنازل أحفاد القياصرة عن أسيا الصغرى نهائيا ، فنجد الإمبراطور أندرونيكوس يهرب من ميدان المعركة بعد تلقيه جرح صغير دون أن ينتظر من اجل معرفة أخبار جيشه ، وكذلك نجد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني يدبر المكائد لإفساد الروح المعنوية لقوات وطنه عن طريق ترويج الإشاعات الكاذبة ، وبذلك لم يعد أحد يرتدى عباءة الإمبراطورية ويحافظ علي كرامتها المهدرة " [٨] .

وعلي أية حال واصلت القوات العثمانية هجماتها الشرسة علي القوات البيزنطية المحتشدة أمام أسوار مدينة فيلوكرين ، فسقط في تلك المعركة الجديدة من الجانبين ، البيزنطي حوالي سبعة و أربعون،ومن بينهم القائد الكبير إكسوتروخوس الذي يشك أنه شقت رأسه بأيدي بيزنطية وليست بأيدي عثمانية من باب الانتقام أكثرمن كونها من باب السهو و الخطأ[١] ومن الجانب العثماني

---

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,pp.360 – 362.

(٦) بيلديسنيو: عثمان و أورخان ، ص ٢٥.

(٧) La Chronique Brieve De 1352, Tom.II,p.47.Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium,* p.170.

(٨) Gibbons , *The Foundation of Ottoman* , pp. 60-61.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1,p.362;Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, pp. 433.Cf. Also,

لقي شقيق السلطان أورخان مصرعه – بازارلو – [٢] مما جعل الوزير حنا كانتاكوزينوس يجمع بكل شجاعة حطام الجيش البيزنطي ويتوجه بهم إلي كريستوبوليس Chrystopolis – سكودار – حيث توجد المراكب المعدة لنقلهم إلي القسطنطينية [٣] .

لقد حدثت معركة بلكانون في العاشر من يونيو عام ١٣٢٩م [٤] وكانت أول لقاء مباشر في ميدان القتال بين الإمبراطور بيزنطي وسلطان عثماني ، ولقد أظهرت تلك الموقعة مدى ضعف القوات البيزنطية ، وكذلك عدم فعالية الحل العسكري في المشكلة البيزنطية العثمانية خاصة في الجزء الأدنى من أسيا الصغرى ، ولقد أدت إلي انهيار المقاومة البيزنطية في بيثينيا بعد عام ١٣٢٩م

Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom .I, pp. 135-136.

(٢) بيلديسنيو: عثمان و أورخان ، ص ٢٥.

(٣) Schreiner , Chronica *Byzantina Breviora* , Vol . I. p. 236. Cf. Also, Bosch , Andronikos III , p.152 ; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170.

(٤) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1 , p. 363 ; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, pp. 434; La Chronique Brieve De1352, Tom, II , p.45,Charanis, An Important Short Chronicle of The Fourteenth Century, *B.*,(Bruxelles ,1 938),Vol. XIII, p.313.Cf. Also, Ostrogorsky, *History of The Byzantine State*, p . 451 ; Holt. P, *The Cambridge History of Islam*, Vol.1,(Cambridge, 1970) p. 274 ; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium* , p. 169; Taechner , *The Ottoman Turks*, p. 759; Lodge, *The Close of Middle Ages*, p. 499.

راجع أيضا: أومان :الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٨ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (التاريخ السياسي) ، القاهرة ، ١٩٨٦ ص ٦٥١؛ محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ٦٣ ؛ محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ،ص ٢١ ؛ بيلديسنيو :عثمان و أورخان ، ص ٢٥.

رأى ثاني يشير إلى أنها كانت في عام ١٣٢٨م . انظر : Shaw, *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey*, Vol. 1, p.15.

رأى أخر يشير إلى أنها كانت في عام ١٣٣٠م انظر : Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 17, Grousset, *L' Empire Du Levant*, p. 607.

[5] . كما كانت معركة بلكانون المجهود الحربي الوحيد الذي قامت به الإمبراطورية البيزنطية لنجدة مدينة نيقيه البيزنطية [6] ، وبعد انتصار العثمانيين لم يعد هناك ما يخيف السلطان أورخان من الجيش البيزنطي لمواصلة الفتوحات العثمانية في الأراضي البيزنطية [7] .

وبعد أن سحقت القوات العثمانية القوات البيزنطية في بلكانون وأمام سوار مدينة فيلوكرين أصدر أورخان أوامره بالتحرك وسلك الطريق الموصل لمدينة نيقيه المحاصرة من زمن بعيد تحت قيادة ابنه سليمان [8] . وفي طريقها إلي نيقيه قامت القوات العثمانية بالاستيلاء علي حصون قيون حصارى Koyonhissar [10] . ويشير القرماني إلي ذلك قائلا " وفي سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م سار السلطان أورخان ففتح قيون حصارى" [1] والقائد الذي استولى عليها إيغور ألب خاصة بعد سقوط حاكمها قلايون من فوق سور القلعة ، ثم تقدم السلطان أورخان إلي مدينة نيقيه [2] واستخدم معها نفس الأسلوب الذي استخدمه للاستيلاء علي مدينة بورسه وهو الاستيلاء علي القلاع و الحصون

---

(٥) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.170.

(٦) Hammer, *Histoire De L' Empire, Ottoman*, Tom.1 ,p. 136.

(٧) بيلديسنيو : عثمان و أورخان ، ص ٢٥.

(٨) Cresay, *History of The Ottoman Turks*,p.23; Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*,Tom.1,p.136.

(١٠) خليل أفندي مطران : مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، ص ٣٥٢.
أما قيون حصارى ، فتقع على مقربة من مدينة نيقيه وعلى بعد خمسين ميلا من القسطنطينية انظر :
Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom. l, p.90; Grousset , *L' Empire De Levant*, p. 606;
Breheir, *Vie et Mort De Byzance*, p.416.
راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية ، ص ٥٩ .

(١) القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٨.

(٢) Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 17.
راجع أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٩ .

القريبة منها بهدف تضييق الخناق عليها [٣] . فقام القائد العثماني سامسا شافوش بالاستيلاء علي قلعة كاراتيكين Karatekin ، وتـارجين Targhin القريبـة منها، فتم عزل المدينة عن العالم الخارجي [٤] . وعانت المدينة المحاصرة مـن القحط الشديد والجوع المرير وعدم وصول الإمدادات اللازمة لمقاومة الحصار من القسطنطينية [٥] ولقد دمرت أسوار مدينة نيقيه تماما ، وفي إحـدى ليـالي الشتاء القارس والهواء العاصف . فضلا عن اشتداد الهجمات العثمانية العنيفـة علي أسوار المدينة ، اضطرت المدينة للتسلم علي أن تغادر الحامية البيزنطيـة إلي القسطنطينية في أمان وسلام [٦] .وفي حقيقة الأمر لم يخرج مـن نيقيـه إلا أعداد قليلة من حاميتها وعلي رأسهم القائد البيزنطي للمدينة ، أما باقي الحاميـة البيزنطية للمدينة فقد فضلوا البقاء والحياة في كرم وتسامح السـلطان أورخـان بدلا من ظلم وطغيان القادة البيزنطيين ولذلك ذهب بعض السـكان البيـزنطيين للقاء القائد المنتصر أورخان عند باب يني شهر Yanischehr [٧].

ولقد صدم بطريرك القسطنطينية ويدعـى حنا الرابع كاليكـاس John VI Kalekasعندما علم إن مواطني أكبر مدينة مسيحية قد تخلوا عن إيمـانهم الأرثوذكسي واعتنقوا الإسلام ولذلك وجه إليهم رسالة في شكل مرسوم بـأبوي

---

(٣) Hammer, *Histoire De L' Empire, Ottoman*, Tom. l, p.136.

(٤) Asik – Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 67.Cf. Also, Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. l, p. 136.

(٥) Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 67. Cf. Also, Hidden , *The Ottoman Dynasty*, p. 17.

(٦) Asik – Pasa - Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. Cf. Also, Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p 136.

(٧) Asik-Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.67.Cf. Also, Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p.67;Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom. 1, p 137.

أما يني شهر، فتقع على امتداد جبل الأوليمبوس قبالة مدينة نيقيه . انظر: Doukas, *The Decline and Fall*, pp. 52-53.

يدعوهم فيه للعودة إلي إيمانهم الأرثوذكسي لتخليص أرواحهم من العذاب ولكنهم رفضوا ذلك [٨] . وربما كان سبب بقاء سكان مدينة نيقيه البيزنطيين فيها يرجع إلي أن تجارتهم تعتمد بشكل أساسي علي مواد خام محلية من نسيج وخزف والتي تتوفر بمدينة نيقيه ولا يستطيعون الحصول عليها من منطقة أخري [٩] .

أما عن تدمير أسوار مدينة نيقيه فان ابن بطوطة زار مدينة نيقيه بعد خمس أو ست سنوات من سقوط المدينة في أيدي العثمانيين ، فوصفها بأنها سليمة وبحالة جيدة ، وأن المدخل الوحيد لهذه المدينة عبارة عن ممر ضيق لا يستطيع الفرسان المرور من خلاله ، فضلا عن أن المدينة محاطة بخندق من المياه [١٠] ولذلك من المرجح أن تلك المدينة استسلمت للقوات العثمانية ولم تسقط عنوة [١١] . ومهما يكن من أمر ، فقد اتخذ أورخان نيقيه عاصمة جديدة للدولة العثمانية [١] وجعل عليها ابنه سليمان [٢] وعامل أهلها باللين والرفق والحرية في إقامة شعائر دينهم [٣] .

---

(٨) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 171.

(٩) Gibbons , *The Foundation of Ottoman Empire*, pp. 60-61.

(١٠) ويشير ابن بطوطة أيضا : إلى أن عثمان حاصر مدينة نيقيه نحو عشرين سنة ، ومات قبل فتحها، فحاصرها ولده (أورخان) نحو اثنتي عشرة سنة وافتتحها . انظر : ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٠٥-١٠٦.

(١١) Gibbons, *The Foundation of Ottoman Empire*, p. 61.

(١) سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٩.

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٣.

(٣) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية،ص٤٣؛سرهنك:حقائق الأخبار عن دول البحار،جـ١،ص٤٨٩

ويشير عاشق باشا زاد إلى دخول أورخان مدينة نيقيه قائلا " عندما دخل السلطان أورخان مدينة نيقيه من بوابة يني شهر اجتمع بالناس في حديقة بها تسمى أبجولوس Abgulos ووجد أورخان هنالك نساء كثيرات في هذا المكان فسأل أين يا ترى أزواج هؤلاء النساء ؟ فأجابه الحاضرون بقولهم لقد ماتوا جميعا ، فريق منهم مات في القتال ، وفريق آخر مات من وطأة الجوع ، فأمر أورخان قومه بأن يتخذوا من هؤلاء الأرامل زوجات لهم على سنة الله ورسوله و أن يحسنوا معاملتهم وعمل أورخان على نشر روح التسامح في المدينة . انظر : Asik- Pasa- Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg* p. 68.

وعلي أية حال بعد سقوط مدينة نيقيه في أيدي القوات العثمانية في الثاني من مارس ١٣٣١م (٤) سيطر سليمان باشا علي مدن مدرنى (٥) وكليك(٦)،كما تعرضت مدينة تراقيا Thrace لهجمة عثمانية عنيفة وذلك مع نهاية عام ١٣٢٩م (٧) وفي رواية أخرى مع نهاية عام ١٣٢٧م (٨) ولكن من

---

(٤) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, pp. 458 ; La Chronique Brieve De 1352 , Tom. II , p. 49;
Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* ,p. 68; Schreiner , *Chronica Byzantinae Breviora* , Vol. II,
p. 238; Charanis, An Important Short Chronicle, p. 312.
انظر ايضا : القرماني : أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٨ . انظر أيضا :

Nicol, *The Last , Centuries of Byzantium*, p. 170; Taechner , *The Ottoman Turks To 1453*, p. 759;
Grousset , *L' Empire Du Levant* , p. 607 ; Inalcik , *The Emergence of The Ottoman Empire and*
Modern Turkey, Vol. 1, p. 15; Ostrogorsky, History *of The Byzantine State*, p. 451; Bosch, *Kaiser*
Andronikos III, p. 158; Breheir, *Vie et Mort De Byzance*, p. 430.
راجع أيضا : محمود سعيد عمران : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨، ص ٣٥٣، صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٨٩.
وهناك رأى يشير إلى إنها سقطت في عام ١٣٢٩م. انظر : سيد أحمد علي الناصري : الروم والمشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٤٦٨ ؛ رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٦٠ ؛ رانسيمان : تاريخ الحملات الصليبية ، جـ٣ ، ص٥١٤ . راجع أيضا : Michel. M , *Andronic III Paleologue , D. E. H.* ,
(Paris, 1986) Vol .A-B, p. 272 ; Diehl . C , *Etude Byzantines*, (Paris, 1906) p.163 ; Bertele. T, Die
Apologie Der Verurteilten Hochsten Richter Der Romer , *B.Z.*,Vol.56, (Munchen, 1963) p.72 .

(٥) مدرنى ، تعتبر ميناء لمدينة بروسه. انظر: سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص٤٦٣ .

(٦) Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* ,p .68.
أما كليك ، فتقع بالقرب من مدرنى وبها دار لصناعة السفن ومعامل البحرية وسكانها حوالي ثلاثة آلاف نسمة . انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ٤٦٣.

(٧) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1 , p. 399. Cf. Also , Lemerle. P , *L'Emirat D'Aydin Byzance et*

المرجح أنها تعرضت لذلك في عام ١٣٢٩م وذلك لأن الرواية الثانية قد أعطت تفصيلا لأحداث معركة بلكانون وليس هجوما علي تراقيا وذلك علي الرغم من عدم ذكر اسم بلكانون ولكنها أشارت إلي أهم نتائج المعركة وهي إصابة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بإصابة بسيطة في ركبته، وموت فرس الوزير حنا كانتاكوزينوس مما يؤكد أنها معركة بلكانون ، كما أن إشارة حنا كانتاكوزينوس لتلك الهجمة العثمانية مع نهاية عام ١٣٢٩م وهو بطبيعة الحال معاصر لتلك الأحداث.وأخيرا ، فإن الإمبراطور كان مشغولا في أواخر عام ١٣٢٧م بحربه ضد جده أندرونيكوس الثاني والاستيلاء علي الحكم . ومهما كان الأمر فقد رأى السلطان أورخان أنه من الحكمة أن يتوقف مليا لينظم جيشه ويعزز أملاكه وذلك لأن عملية إخضاع الإمبراطورية البيزنطية يحتاج إلي وقت طويل وعمل شاق ومن ثم راح بتحسين الفرصة لإقامة السلام مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث (٩) .

وفي أغسطس ١٣٣٣م عبر الإمبراطور أندرونيكوس إلي آسيا الصغرى كمحاولة منه لإنقاذ نيقوميديا من الحصار المفروض عليها من قبل القوات العثمانية ، ولكنه يفاجئنا بأن يتوسل إلي العثمانيين لعقد معاهدة سلام معه بدلا من خوض غمار الحرب ضدهم (١) . ويشير حنا كانتاكوزينوس إلي تلك المعاهدة قائلا " لقد صعد السلطان أورخان سفينة الإمبراطور أندرونيكوس قبل

L'Occident " Recherches Sur La Geste D' Umur Pacha ", (Paris, 1957) p. 64.

(٨). ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٩٣.

(٩)= La Chronique *Brieve De 1352* , Tom. II, p. 52.

= راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع :العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص٩١.

(١) Schreiner, *Chronica Byzantinae Breviora* , Vol. I, 243.

انظر أيضا : نيقولو بار بارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ١٩. راجع أيضا : Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170.

أن ينزل منها وسلم عليه وصرح بأنه مستعد للتفاوض معه ثم رجع إلي معسكرة بعد أن أخبر الإمبراطور بعدم الاعتداء علي الممتلكات والمدن البيزنطية الباقية في حوزة الإمبراطورية البيزنطيـة و أن يصبح أورخان حليفا مخلصا للإمبراطورية البيزنطية ، ثم نزل الإمبراطور إلي البر في نيقوميديا وظل بها سبعة أيام ثم عاد إلي القسطنطينية " [٢] وبذلك لم يقدم لنا حنا كانتاكوزينوس تفصيلا لبنود المعاهدة ونسى أو من الأفضل عمد إلي عدم ذكر السبب الذي جعل أورخان يقرر رفع الحصار عن نيقوميديا ويعقد اتفاقية بعدم الاعتداء علي الممتلكات البيزنطية [٣] .

وعلي أية حال تنص تلك الاتفاقية علي عدم الإغارة علي المدن الباقية البيزنطية من قبل القوات العثمانية ، وتعهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بدفع جزية سنوية تبلغ حوالي مائة وعشرون ألف هيبربيرون Hyperperon ، علي أن تكون مدة هذه الاتفاقية حوالي عشرين سنة، وكذلك بمقتضى تلك الاتفاقية اعترفت الإمبراطورية البيزنطية بامتلاك العثمانيين سائر الأراضي في أسيا الصغرى فيما عدا مدينة الأشهر وقلعة بيغا [٤] .

---

(٢) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, pp. 446 - 448.

(٣) La Chronique Brieve De 1352,Tom. II,p.53.

(٤) Schreiner, *Chronica Byzantinae Breviora,* Vol.I, 243; La Chronique *Brieve De 1352*, Tom.II,p.53.
Cf.Also , Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom . 1, p 172; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170.
راجع أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٩ ؛ خليل أفندي مطران. مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، ص ٣٥٢ .
أما الهيبربيرون Hyperperon ، نقد ذهبي قديم في البندقية ، و الهيبربيرون الواحدة تساوى ٢٤ قيراط ، منها ١١ قيراط من الذهب الخالص ، و٦ قيراط من الفضة و٧ قيراط من النحاس . لمزيد من التفاصيل انظر : *O. D. B,* Vol. 2 , pp. 964 – 965.
راجع أيضا هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي ، جـ٣ ، ص ١١٨ ؛ ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٤٢.

ولقد تبادل العاهلان البيزنطي والعثماني الهدايا لتكون عنوانا للتحـالف والصداقة بين الطرفين ولقد احتوت هدايا السلطان أورخان علي مجموعة مـن الكلاب المدربة ، الجياد، وجلود الحيوانات الثمينـة ، أمـا الهـدايا الخاصـة بالإمبراطور أندرونيكوس فكان من بينها أواني فضية وأقمشة من أنواع مختلفة والتي احتوت علي قطعة من الملابس الشخصية للإمبراطور البيزنطي كـدليل للاعتبار والشرف العظيم والعطف [٥] .

ويعلق هامر علي تلك الهدايا قائلا " أن إعطاء الإمبراطور أندرونيكوس إحدى ملابسه للسلطان أورخان دليل علي رغبة الإمبراطور البيزنطـي بـدوام الصداقة بينهم كارتباط الملابس بالجسد" [٦]. وفي حقيقة الأمر يبدو أن الـوزير حنا كانتاكوزينوس كان هو المحرك الرئيسي وصـاحب الاقتـراح لعقـد تلـك الاتفاقية مع العثمانيين وذلك لكونه لم يذكر أنها معاهـدة إذلال للإمبراطوريـة البيزنطية وعلي أية حال تعد تلك الاتفاقية أول معاهـدة سـلام مباشـرة بـين الإمبراطورية البيزنطية ، والدولة العثمانية [١] .

ولكن في واقع الأمر لم يدم السلام طويلا بين الطرفيين حيـث خـرج السلطان أورخان علي متن أسطول يتكون من ست وثلاثين شراعا [٢] لاجتيـاح المنطقة القريبة من القسطنطينية وعلي وجه الخصوص قلاع أثيروس Athyros وإيبيباتوس Epibatos والتي كانت بمثابة مراكز مراقبة علي أبواب العاصمة

---

(٥) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 448 .Cf. Also,Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,*Tom, I , p.172; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*. p. 170.

(٦) Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom, 1 ,p. 173.

(١) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium* , p. 170.

(٢) Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* ,p. 63. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. 1 ,p. 176.

[3] وكان ذلك عام ١٣٣٧م [4] مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث يبعث حنا كانتاكوزينوس وفي صحبته عدد من رجال الدولة والأشراف البيزنطيين والذين بلغ عددهم حوالي عشرون رجلا ، وفي حراسة بعض الجنود البيزنطيين والذين بلغ عددهم حوالي أربعين إلي المكان المحتمل لرسو الأشرعة العثمانية وهو إيناكوسيا Ennacosia [5] .

ومن الواضح أنها كانت سفارة بيزنطية اتجهت صوب المعسكر العثماني ومن أجل التفاوض مع السلطان أورخان وتذكيره بمعاهدة سلام ١٣٣٣م التي أبرمها مع الإمبراطور ومن الواضح أيضا أنها فشلت في تحقيق هدفها المنشود . حيث عبر أندرونيكوس ومعه سفينتان محملتان بالفرق العسكرية البيزنطية – تعتبر تلك السفينتان الوحيدتان من كل الأسطول البيزنطي المسلحتان تسليحا كافيا والقادرة علي الصمود في البحر – . وفي الواقع أن ضوء الحريق الذي أوقده العثمانيون في أرجاء المنطقة وصراخ الأطفال وعويل النساء اليائسين أعلموا الإمبراطور أندرونيكوس بمكان نزول القوات العثمانية وهو أتيرا Atyra إحدى ضواحي القسطنطينية والتي وصلها الإمبراطور أثناء الليل [6] .

ومع مطلع النهار ، وسطوع الشمس ، نزل الإمبراطور أندرونيكوس علي رأس قواته ويرافقه حنا كانتاكوزينوس إلي ساحة القتال في معركة عنيفة

---

[3] Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1. p . 332 ; La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, p. 53. Cf. Also, Breheir, *Vie Mort De Byzance*, p. 431; Sevecenko. I, The Decline of Byzantium Seen Through The Eyes of Its Intellectuals, *D. O. P.* , Vol. XXXI ,(Washington, 1977) p. 174.

[4] Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1 , p. 332 . Cf. Also, Breheir , *Vie Mort De Byzance*, p. 431; Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman* , Tom. I, p. 176.

[5] Cantacuzenus,*Historiarum*, Vol.1, p.481.Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. I, p. 176.

[6] Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, p.481. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman,* Tom. I, p. 171; Sevecenko, The Decline of Byzantium, p. 174.

وحامية مع القوات العثمانية دامت حتى منتصف النهار ، وهزمت فيها القوات العثمانية وقتل منها حوالي ألفي جندي ووقع في الأسر ما يقرب من ثلاثمائة آخرين (٧) وفي رواية أخرى تم القضاء علي القوات العثمانية المشاركة في تلك المعركة نهائيا ، بينما لم تتكبد القوات البيزنطية أية خسائر في الأرواح .

وعلي أية حال أبحر حطام الجيش العثماني من جديد علي متن ثلاثة سفن فقط ، تاركين بذلك الثلاثة والثلاثين سفينة الباقية للقوات البيزنطية المنتصرة ، ولقد حاولت السفن البيزنطية ملاحقة فلول القوات العثمانية الهاربة ، إلا أن القدر منعهم من تنفيذ ذلك ، حيث قطعه أحبال الأشرعة مما أدى إلى عطب تلك السفن مما جعل القوات البيزنطية تنهمك في سرقة الأجساد العثمانية الملقاة علي الأرض طوال الليل (٧) وما أن وصلت أخبار الهزيمة إلى أسماع السلطان أورخان حتى أرسل أسطولا جديدا يتكون من تسع سفن أخري مخرت عباب البحار بهدف الثأر من القوات البيزنطية . وبالفعل وصلت السفن العثمانية ونجحت في بداية الأمر بالإيقاع بإحدى السفينتين البيزنطيتين أثناء سيرهما تجاه مدينة القسطنطينية إلا أن القوات البيزنطية الأخرى استطاعت نجدتها و ألحقت بالقوات العثمانية الاحتياطية هزيمة ساحقة وبذلك تمكن الأسطول البيزنطي من دحر وإغراق السفن العثمانية المهاجمة بسبب خبرته البحرية الطويلة (١)ولقد كان لتلك الهزيمة آثار وخيمة علي مدينة نيقوميديا ، حيث تحرك السلطان أورخان علي رأس القوات العثمانية من يني شهر متجها صوب مدينة جيفي Geyve الواقعة جنوبها لينضم إليه القوات العثمانية المرابطة هناك ، ثم واصل السير

---

(٧) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.p.332.Cf. Also, Hammer, Histoire *De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 177.

(٧) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 418 Cf. Also , Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom . 1, p.177; Breheir, *Vie et Mort De Byzance* , p. 413.

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, pp. 481- 482.
انظر : أيضا نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ١٩ .
راجع أيضا : Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 178.

حتى تقابل مع ابنه سليمان علي رأس قواته عند أبسويو Apsuyu والتي تقع بالقرب من قلعة أبيدوس Abydos ، ثم واصلوا الزحف جميعا حتى وصلوا إلي مدينة نيقوميديا والتي كانت تحكمها امرأة تدعي يلاقونية Yalakonya والتي آثرت السلام علي الحرب مع العثمانيين ، حيث أنها قد فقدت أخاها قلايون Kalayon حاكم قيون حصارى في معركته مع القوات العثمانية [٢] ولقد عبرت عن ذلك قائلة " تجلب الحرب مزيدا من الدمار والخراب والهلاك ونهرا من الدماء لا يجف .... نسلمكم القلعة بشرط ألا نصاب منكم بأي أذى و أن نرحل ليلا" [٣] . وبالفعل سلمت يلاقونية مدينة نيقوميديا فأركبها السلطان أورخان وجنودها ومن أراد من أهالي المدينة الرحيل السفن و أرسلهم إلي القسطنطينية بناء علي رغبتهم وبذلك أصبحت حدود الدولة العثمانية قريبة من خليج القسطنطينية . ودخل السلطان أورخان نيقوميديا وعامل سكانها معاملة حسنة ، بل أوصى قواته بعدم الإساءة إليهم بالقول أو بالفعل ، ثم توافدت عليه الوفود العثمانية المرابطة في القلاع البيزنطية المفتوحة قريبا ، وعلي رأسهم قاطنو قلعة أبيدوس ليستقروا في نيقوميديا [٤] ، وكان ذلك – سقوط مدينة نيقوميديا في أيدى العثمانيين – في عام ١٣٣٧م [٥] .

---

(٢) Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p.63.
راجع أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص ٤٨٩؛ صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٩٤ .

(٣) Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, pp. 63-64.

(٤) Asik- Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*,p.64.
راجع أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٩.

(٥) Schreiner, *Chronica Byzantinae Breviora*, Vol.II. P.238; La Chronique Brieve De 1352,Tom.II, p.50;
Asik- Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 64.

انظر أيضا : نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ١٩ . راجع أيضا :
Bertele , Die Apologie Der Veruteiten , p. 78 ; Taechner, *The Ottoman Turks to 1453* , p. 759; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170 ;

ولقد دب الخلاف بين ولدى أمير إمارة كاراسي Karesi بعد وفاة والدهما أجيلان

Agilan ، فاستغل السلطان أورخان هذا الخلاف وضم إمارة كاراسي و أمن أهلها علي أرواحهم و أملاكهم ولقد أشار عاشق باشا إلي ذلك قائلا " يا أهالي البلد اعلموا أن بلدتكم من الآن فصاعدا تخضع للحكم العثماني وقد عهدت لكم بالأمن والسلام فأذعن له القوم" [١] . وكان ذلك في سنة ١٣٣٧م [٢] . ثم واصلت القوات العثمانية زحفها صوب مدينة القسطنطينية فسيطرت علي سكودار (سكوتارى Scutari) في نفس العام [٣] .

وبذلك كون الأتراك العثمانيون دولتهم في أسيا الصغرى علي حساب ممتلكات القسطنطينية بفضل جهود زعمائها الأقوياء ، أرطغرل ، عثمان ، و أورخان [٤] والتي تألفت في النصف الأول من القرن الرابع عشر من المقاطعات

Pirenne. H , *Histoire De L'Europe,*(Bruxelles, N.D) p. 392; Michel, *Andronico III Paleologue* , Vol. A- B, 272 ; Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 163 ; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire* , p. 64 ; Inalcik, *The Emergence of The Ottoman* , p. 274 ; Ostrogorsky , *History of The Byzantine State*, p. 451; Breheir, *Vie et Mort De Byzance*, p. 430; Diehl, *Etude Byzantines* , p. 163.

راجع أيضا : سيد أحمد الناصري : الروم والمشرق العربي ، ص ٤٦٨ ؛ جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م) الإسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨٤ ؛ رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٦٠ ؛ محمود سعيد عمران : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٣٧ ؛ محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص ١٦٤ ؛ بيلديسنيو : عثمان و أورخان ، ص٢٥ .

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 480 ; Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, pp.71- 72. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium,* p . 171.

راجع أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٨٩.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1 , p. 480 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1.p. 505.

(٣) Gregoras , Byzantinae Historiae , Vol. .1,p.505. Cf. Also, Shaw, History of The Ottoman Empire , p.15.

(٤) سيد أحمد الناصري : الروم والمشرق العربي ، ص ٤٦٨.

والإمارات الواقعة علي سواحل بحر مرمره الجنوبية بما فيها بروسه و نيقيه و نيقوميديا.[٥] .

والجدير بالذكر أن سقوط المدن الثلاث البيزنطيــة الســابقة فــي يــد العثمانيين لم يكن نتيجة تفوق حربي من جانب العثمانيين ، ولم يكن نتيجة فــتح عنوة بل كان مجرد تسليم من جانب البيزنطيين . ولم يكن هذا التسليم إلا نتيجة لإحساس سكان هذه المدن بأن الهيئة الحاكمة في القسطنطينية لم تعد تهتم ببــذل المساعدة لسكان هذه المدن فكان من الطبيعي أن يستسلم أهلها للعثمانيين [٦]

أما عن أهم العوامل التي أدت إلي سهولة مواصلة القــوات العثمانيــة فتوحاتها في الأراضي البيزنطية ، فهي انهيار الدفاعات البيزنطية علي الحــدود الأسيوية نتيجة للفيضانات الجارفة لنهر ساكاريا الذي كان بمثابة خط دفــاعي دائري طبيعي للعديد من القلاع والمدن البيزنطية ، الأمر الــذي ترتــب عليــه هروب الحاميات البيزنطية المدافعة عنها ، وبعد شهر عاد النهر إلــي مجــراه الطبيعي ، ولكن بعد أن جبلت الفيضانات معها كميات ضــخمة مــن الطمــي ترسبت في القاع فجعلت عمقه قليل ومن ثم أصبح عبوره علي الأقــدام أمــراً سهلا ، فإن ذلك فرصة مناسبة للقوات العثمانيــة لتواصــل فتوحاتهــا داخــل الأراضي البيزنطية في سهولة ويسر [٧] ، وكــذلك عــدم اهتمــام بــاقي البيزنطيين بما يحدث للبيزنطيين المحاصرين في المدن الأخرى ، ولــذلك ولد لدى هؤلاء المحاصرين شعورا بعدم الغيرة الدينية ولا الوطنية حيث إنهــم شعروا بأنهم متروكون من جانب إخوانهم في الــدم والــدين ولهــذا خضــعوا للعثمانيين [٨] ، وأيضا نتيجة لوحدة الصف العثماني ووحدة هدفه في مواجهــة العدو بينما كانت الإمبراطورية البيزنطية قد وصلت إلي حالة من الإعياء الشديد

---

(٥) إدوارد بروى:القرون الوسطى ، ترجمة يوسف أسعد داغر وآخرون ، بيروت ، باريس ، د. ت ، ص ٥٧٨.

(٦) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٢١.

(٧) صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٥٨.

(٨) Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire* , p. 57.

والتفكك السياسي والانحلال الديني والاجتماعي فسهل علي العثمانيين ضم أقاليم الإمبراطورية البيزنطية [٩].

وعلي أية حال فباستيلاء العثمانيين علي آخر المدن البيزنطية شمال غرب أسيا الصغرى ووصولهم إلي شواطئ البوسفور وأصبحوا يواجهون الآن مدينة القسطنطينية مباشرة، مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث يصدر مرسوما يقضي بإعدام كل من يقوم بالمساعدة في رسو أية سفينة عثمانية في مضيق البوسفور ، لأنه كان يأمل أن يستمر ذلك الحاجز الطبيعي حائلا بينه وبين تطلعات السلطان أورخان نحو العبور إلي أوربا والاستيلاء علي العاصمة القسطنطينية [٧] .

---

[٩] علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية ، ص ٥٧ .

[٧] نيقولوا ياربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ١٩-٢٠.
راجع أيضا : صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٩٦.

الفصل الثالث

سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه بلاد اليونان والألبان والبلغار والصرب

بعد سقوط بيزنطة في أيدي رجال الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤م – نتيجة لمؤامرة دبرها قادة الحملة وعلى رأسهم بلدوين من فلاندر Boldwin Of Flander وبونيفاس من مونتفرات Bonifas De Mantferrat وباركت البابوية هذا الغزو الصليبي للإمبراطورية البيزنطية بوصفها إمبراطورية منحرفة وكنيسة ضالة – أصبحت إمارة تساليا Thessaly التي تتمتع بموقعها الإستراتيجي المهم [(١٠١)] ضمن نصيب [(١)]

[(١)] الحملة الصليبية الرابعة «خرجت بناء" علي دعوة من البابا إنوسنت الثالث Innocent (١١٩٨-١٢١٦م) وكان هدفها الرئيسي مصر لتأمين الوجود الصليبي في بلاد الشام ولكن سرعان ما انحرفت صوب القسطنطينية العاصمة المسيحية بدلا من القاهرة العاصمة الإسلامية . ولمزيد من التفاصيل عن تلك الحملة انظر : رانسيمان : تاريخ الحملات الصليبية ، جـ ٣ ، ص ١٥٠ -١٧٣؛ قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص ١٥١-١٥٤؛ ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلي القرن الرابع عشر ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، ٢٠٠٣، ص ٢٠٢-٢١٧.

[(١٠١)] إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ١٢-١٥ .

أما تساليا Thessaly : إقليم يقع في منتصف بلاد اليونان جنوب مقدونيا وشمال هيلاس Hellas ، تحفها وتحميها الجبال من كل جانب ، فضلا عن سريان نهر بينوس Peneios فيها فجعلها سهلا خصيبا . يفصل بينهما وبين إمارة إبيروس جبال بيندوس Pindos ، ويمر بها طريق هام يمتد من شمال لاريسا Larissa - التي تعد من أهم مدنها – إلي مدينة مقدونيا . خضعت خلال القرن السادس الميلادي إلي القرن الثامن الميلادي خاصة الجزء الشمالي والشمالي الغربي لحكم السلاف، واحتلها الولاش Vlachs خلال القرن الحادي عشر الميلادي ولقد سيطر عليها اللاتين خاصة علي المدن الشرقية منها بعد عام ١٢٠٤م وتعتبر تساليا مقرا للتجار البنادقة والجالية اليهودية ، ولقد تعرضت لغزو القطلان عام ١٣٠٩م والاحتلال الصربي عام ١٣٤٨م ، وسقطت في أيدي العثمانيين عام ١٣٩٣م . انظر: *O.D.B*, Vol.3 , pp. 2073-2074.

بونيفاس مونتفرات إلى أن قضى ثيودور أنجيلـوس Theodore Angelos [102] في سنة ١٢٢٤م على المملكة الصليبية القوية التي كان بونيفـاس قـد أقامها في تساليا ، وضمها ثيودور ضمن أملاكه [103] حتـى عـام ١٢٤٦ م عندما سار الإمبراطور حنا الثالث فاتـاتزيس John III Vatazess (١٢٢١ – ١٢٥٤م) [104] ، على رأس حملة إلى بـلاد اليونـان واسـتولى عليها– منها تساليا – وجعلها تحت حكم حاكما من قبله يدعى أنـدرونيكوس باليولوجس [105] ولقد عادت تساليا إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطيـة بعـد استرداد القسطنطينية عام ١٢٦١ م ، فمنح الإمبراطور البيزنطـي ميخائيـل الثامن ميناءها للبنادقة من أجل تحييدهم في صراعه مع الفرنجة (اللاتين) .

---

(١٠٢) إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٢١.
أما ثيودور انجيلوس Theodore Angelos ، فهو أحد أشقاء ميخائيل الأول أنجيلوس الشرعيين ، وقد استقر به المقام بعد سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م في نيقيه،وهناك أبدى تعاونا مع ثيودور الأول لاسكارس Theodore I Laskares (١٢٠٤ – ١٢٢٢ م) إمبراطور نيقيه ، وساعده كثيرا في توطيد سيطرته علي معظم أسيا الصغرى وبعد أن نجح ميخائيل الأول أنجيلوس في تكوين إمارة إبيروس ، أرسل في طلب أخيه ليكون سندا له في إدارة الإمارة فاستأذن ثيودور من ثيودور لاسكارس فوافقه شريطة أن يقسم له قسم الولاء والطاعة قبل مغادرته لنيقيه والاعتراف به كإمبراطور شرعي . ولقد أبلي ثيودور بلاء حسنا في توسيع رقعة إمارة إبيروس وقد خلف ثيودور أخاه ميخائيل أنجيلوس في حكم الإمارة . لمزيد من التفاصيل انظر : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية (١٢٠٥-١٣٤٠م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، عام ١٩٩٧، ص ٤٩ وما بعدها .
(١٠٣) إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٢١.
(١٠٤) ولد حنا فاتاتزيس عام ١١٩٢م ، قد تولي الحكم بعد وفاة صهره ثيودور الأول لاسكارس الذي لم يترك أولادا كبارا ليكونوا مسئولين عن الحكم وذلك عام ١٢٢١م . وقد قابل في بداية حكمة حركة انفصالية من أشقاء ثيودور لاسكارس ، إلا أنه قضى علي حركتهم الانفصالية ، ولقد تميز حنا فاتاتزيس بالمهارات العالية عسكريا وإداريا في الحكم ولقد عقد تحالفا مع الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني (١٢١٢–١٢٥٠م) من أجل مساعدته لاسترداد القسطنطينية وكذلك فتح باب المفاوضات مع البابوية بشأن توحيد الكنيستين مقابل استرداد القسطنطينية ولكنه فشل في تحقيق ذلك . ولقد توفي في نيمفايون ودفن في دير=

= سوساندرا Sosandra في الثالث عشر من أكتوبر عام ١٢٥٥م . انظر : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ٤٦ إسحق عبيد الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٢٢.
(١٠٥) إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٢٦ .

ولكن في ٢٧ مايو ١٢٦٧ التقى شارلس من أنجو – شقيق لويس التاسع ملك فرنسا – مع الإمبراطور الصليبي الطريد بلدوين الثاني وفي حضور البابا كلمنت الرابع (١٢٦٥–١٢٦٨م) . ووقع الطرفان اتفاقية تنازل بلدوين لشارلس عن السيادة الإقطاعية على بلاد اليونان والتي كان من بينهما تساليا. وظلت الكلمة العليا فيها لبيت أنجو الفرنسي حتى نهاية حكم الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس [١٠٦] ولقد اهتم الإمبراطور أندرونيكوس الثاني اهتماما بالغا بتساليا فور توليه العرش البيزنطي ؛ ففي عام ١٢٨٣م أعد حملة عسكرية تحت قيادة ابن عمه ميخائيل طارخانيوتس ويدعى ألكسيوس رأول Alexius Raoul لمحاربة حنا الأول دوكاس John I Doukas حاكم تساليا لتحالفه مع الحاكم الصربي إيتين إيروش ميليوتين عام ١٢٨٢م [١٠٧] فاستولت الحملة البيزنطية على مدينة ديميترياس Demetrias [١٠٨] ثم تم إلقاء القبض على حنا الأول عن طريق الخيانة وأرسل إلى القسطنطينية مقابل مبلغ من المال [١٠٩] وعندما تولى حنا الثاني دوكاس John II Doukas

---

(١٠٦) لمزيد من التفاصيل انظر : إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٨١-٨٩.

راجع أيضا : *O.D.B*, Vol. 3,p.2073.

(١٠٧) Pachymers ,*De Michaele et Andronico*,Vol. 2 , pp. 67-68. CF. Also , Ostrogorsky,*The Palaeologi*, p. 339.

راجع أيضا : ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١٧٠.

(١٠٨) ديميترياس Demetrias ، فهي مدينة تقع في المنتصف الشرقي في بلاد اليونان علي خليج باجاسيتيك Pagasitic ، جنوب غرب مدينة فولوس Volos الحالية ، ولقد احتلها سلاف بيليجيزيتاى Belegezitai خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين ، ولقد أغار عليها العرب في عام ٩٠١م أو ٩٠٢م ، ولقد هاجمها البلغاريون في عام ١٠٤٠م . ومنحت مدينة ديمترياس للإمبراطورة إيوفرسيني دوكانيا كاماتيرا Euphrosyne Doukaina Kamatera عام ١٢٠٤م ، ثم نقلت ملكيتها إلي ماجاريت Magaret أرملة بونيفاس من مونتفيرات Boniface of Montferrat عام ١٢١٠ م ثم خضعت لحكم أسرة ميليسينوى Melissenoi بعد عام ١٢٤٠م ، ولقد احتلها القطلان عام ١٣٨١م ، ثم سقطت في أيدي الأتراك عام ١٣٩٣م. انظر : *O.D.B*, Vol. 1, pp. 603-604.

(١٠٩) ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١٧١.

حكم إمارة تساليا عام ١٢٨٩م سادت علاقات الود والصداقة بينه وبين الإمبراطورية البيزنطية (١١٠). وعقب وفاة حنا الثاني حاكم تساليا اجتاحت الجماعات القطالونية الأجزاء الجنوبية منها، فاحتلت مدينة نيوباتراس Neopatras وغيرها في عام ١٣١٨م (١١١). وكانت الأجزاء الغربية والغربية الجنوبية من إمارة تساليا خاضعة للحكم الذاتي لشخص يدعى ستيفين جابريلوبولوس Stephen Gabrielopoulos والذي سادت بينه وبين الإمبراطور أندرونيكوس الثاني العلاقات الودية ، ولذلك منحه الإمبراطور البيزنطي لقب السباستوقراتور Sebastcrator (١١٢)وكان ذلك في عام ١٣٢٥م(١١٣).

وعقب وفاة السباستوقراتور ستيفين جابريلوبولوس عام ١٣٣٢م دون وريث للحكم ، عمت الفوضى أرجاء إمارة تساليا ، فاستغل ميخائيل

---

(١١٠) *Chronique De Moree*, Publice Moral Fatio, (Geneva, 1885) p.117.

(١١١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p. 457. Cf. Also, Nicol, *The Despotate Of Epiros*, Vol.2,(1267-1479), (Cambridge, 1984) p.101.

أما نيوباتراس Neopatras فهي إحدى مدن تساليا فتقع في الجزء الجنوبي منها علي وادي سبيرخيوس Spercheios ، وإلي الشرق من مدينة لاميا Lamia وكانت تعرف قديما باسم نيايباترا Neaipatria ولقد احتلها القطلان عام ١٣١٩م ، وسيطر عليها العثمانيون عام ١٣٩٤م ، وتعرف حاليا باسم هيباتي Hypate. انظر: *O.D.B*, Vol. 2 , p. 1454.

(١١٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1 , p.457. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2,p. 101.

أما السباستوقراتور Sebasatocator ، ظهر هذا اللقب واستخدم منذ عهد الإمبراطور الكسيوس الأول كومنينوس Alexios I Komnenos (١٠٨١-١١١٨م) ويعني هذا اللقب "الحاكم الجليل" وفي عصر أسرة باليولوجس Palaiologos (١٢٦١-١٤٥٣م)كان هذا اللقب أعلي لقب يحمله أمير. انظر: رنسيمان:الحضارة البيزنطية ، ص ٩١ ؛ محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٧٨.

(١١٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.457. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2 ,p.101.

مونوماخوس Michael Monomachos [114] ذلك وخرج على رأس جيش بيزنطي من جنوب تسالونيكا Thessalonika [115]،واستطاع أن يحتل العديد من المدن والحصون في شرق تساليا ، أما الغرب والشمال الغربي من تساليا فلقد سيطرعليه حنا الثاني أورسيني John II Orsini [116] . لقد أرسل ميخائيل مونوماخوس إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ليعلمه بتلك التطورات وتدهور الأوضاع في تساليا،ومن المؤكد أن مونوماخوس لم يخرج من تلقاء نفسه على رأس القوات البيزنطية من مدينة تسالونيكا بل بناء على أوامر

---

(114) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1 , p. 473.

أما ميخائيل مونوماخوس Michael Monmachos فهو الحاكم البيزنطي علي تسالونيكا Thessaalonika وقائد الأقاليم الغربية للإمبراطورية البيزنطية وذلك بعد محاكمة سرجيانيز Syrgiannes في القسطنطينية بتهمة المؤامرة والخيانة ، وكان مونوماخوس يتمتع بالخبرة والمهارة العالية العسكرية والإدارية . انظر :

Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 103.

(115) تقع مدينة تسالونيكا علي خليج ثيرميك Thermaic بالقرب من وادى الفاردار Vardar ، وقد ظهرت اهميتها مع نهاية القرن الثالث الميلادي مع تفجر الغزوات الجرمانية التي عبرت الدانوب ، و كانت مقرا لإقامة الإمبراطور جاليروس ، كما كانت مقرا لقيادة الإمبراطور قسطنطين العظيم (٣٠٦-٣٣٧م) أثناء صراعه مع ليسينوس Licnius ، و أصبحت منفي للأخير ، وتعرضت لمذبحة مريبة عام ٣٩٠م علي يد الإمبراطور ثيودسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) ، وفي عام ٩٠٤م قام البحار المسلم ليو الطرابلسي Leo of Tripoli البيزنطي الأصل بالإغارة عليها ،ثم وقعت في أيدي العثمانيين في ٢٩ من مارس ١٤٣٠م انظر :

O.D.B, Vol.3 , pp.2071-2072.

راجع أيضا: محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ٢٥-٢٦ ؛ الأمين أبو سعده : بيزنطة في الملاحم العربية قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد التاسع والعاشر ، ٢٠٠١، ص ٢٩٩ ، هامش رقم ٦٣.

(116) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p.473.

أما حنا الثاني أورسيني ،فهو حاكم إبيروس وسيطر علي المناطق المحيطة بجبال بيندوس Pindos في إمارة تساليا . انظر:

Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p.101.

صادرة من الإمبراطو أندرونيكوس (١١٧). ولقد رأى أنـــدرونيكوس الثالـــث أن الفرصة سانحة لكي يعيد هذا الجزء إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطيـــة مـــرة ثانية و لذلك خرج على رأس الجيش البيزنطي بشكل سريع ليتبع مونامـــاخوس في تساليا وتجمعت القوات البيزنطية كلها واستولت علـــى فولـــوس Volos (جولوس Golos) ،وعلى منطقة قريبة منها تســـمى كاســـتري Kastri (١١٨) . وكذلك على مدينة ليكوستوميون Lykostomion وكان ذلك في أواخر صيف عام ١٣٣٣م (١١٩) . وربما كان العامل الرئيسي والأساسي لتدخل الإمبراطـــور أندرونيكوس وتحركه صوب إمارة تساليا هو رغبته الأكيدة في القـــبض علـــى سيرجيانيز Syrgiannes الذي هرب من القسطنطينية عبر المياه إلـــى تســـاليا (١٢٠).

وعلى أية حال ففي خريف ١٣٣٣م سيطرت القوات البيزنطية على فاناري Phanari ، داماسيس Damasis ، إلاسونا Elassona وغيرها من المنـــاطق

---

(١١٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1 , pp.473-474. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 178; Idem, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 102.

(١١٨) Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 487-488. Cf. Also , Soulis. G, *The Serbs and Byzantium During The Reign of Tsar Stephen Dusan (1331-1355) and His Successors* ,(Washington, 1984),p.9;
Fine. J, *The Late Medieval Balkans*,(America, 2000) p. 253.
=
= أما فولوس Volos ، فتقع في شمال شرق بلاد اليونان علي خليج فولوس Volos ، وتحد مدينـــة ديميتريـــاس مـــن جنوبهـــا الغربـــي انظـــر: *O.D.B*,Vol.1,p.603.

(١١٩) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1 , pp.474. Cf. Also, *The Serbes and Byzantium*, p. 9; Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 102.
أمـا ليكوسـتوميون ، فهـي مدينـة تقـع علـي مصـب نهـر الـدانوب فـي إقلـيم يسـمى بيريبرافـا Periprava ، الذي يقع علي أحد روافد نهر كيليا Kilia ، وكانت المرفا الخاصة بالأسطول البيزنطي في المنطقة خلال القرن التاسع الميلادي ، ولقد سيطر عليها ديفيلروس Develros خلال القرن العاشر الميلادي و أصبحت خلال القرنين الحادي والثاني عشر من أهم الموانى البيزنطية . انظر : *O.D.B*, Vol.2 , pp. 1258-1259.

(١٢٠) انظر ما يتقدم ، ص ١١٢.

الواقعة في شمال غرب تساليا . ولقد نفــذ الإمبراطــور أنــدرونيكوس عمليــة استعادة تلك المناطق السابق ذكرها بجدارة وبكل دقة ومهارة ، فضلا عن أنــه كان شديد الحرص والحذر تفادى إراقة الدماء وعدم وقوع أســرى فــي يــده ؛ ويبرهن على صدق ذلك وحسن نوايا الإمبراطور البيزنطي قيامة بإرسال فــرق إبيروس التي أرسلها حنا الثاني أورسيني لمحاربته إلى وطنهم دون أن تصــاب بأي أذى أو ضرر (١٢١) . وأصبح مونوماخوس الحاكم البيزنطي على تســاليا . وقبل مغادرة الإمبراطور البيزنطي تساليا استقبل وفد دبلوماسي من المهــاجرين الألبان (١٢٢) ثم قام الإمبراطور أندرونيكوس بعمل زيارة إلى تســالونيكا لعــدة أشهر وذلك في نوفمبر عام ١٣٣٣م (١٢٣) . أما عن المناطق الواقعة في غــرب إمارة تساليا ، فلقد خرج الإمبراطور أندرونيكوس على رأس الجيش البيزنطــي متجها إليها ، فسيطر على ترتككالا Trikkala وذلك في أواخر ١٣٣٣م بفضل مساعدة رهبان وقساوسة دير زابلانتيون Zablantion الذي يقع بالقرب مــن مدينة تريككالا ، و لذلك ذهب إليهم الإمبراطور أندرونيكوس بنفسه وفي صحبته القائد الأعلى والوزير حنا كانتاكوزينوس وحرسه الخاص وكبار رجال الدولــة

---

(١٢١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.474. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 178; Idem, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2 , p. 103 ; Bosch, *Kaiser Andronikos III* , pp. 134-135 ; Fine, The *Late Medieval Balkans* , p. 253.

(١٢٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 476;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 488-490. Cf. Also, Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 253 , Nicol , *The Last Centuries of Byzantium* , p 178 ; Idem, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2 , p. 104; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, . p. 9.

(١٢٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 490; Loenertez. R, Ordre et Desordre Dans Le Memoires De Jean Cantacuzenus, *R. E.B.*, Vol. XX II ,(Paris, 1964) p. 230. Cf. Also, Fine, *The Late*, p. 253.

فشكرهم على ذلك ومنحهم كثيرا من العطايا والهبات (١٢٤) . ثم قام أندرونيكوس الثالث بالهجوم على ستاجوين Stagoin فسيطر عليها في نفس العام بسهولة ويسر و أعادها إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطية وأجزل كثير من العطايا والمنح والامتيازات للسكان القاطنين والأديرة المنشرة في غرب تساليا إعلانهم الولاء والطاعة له أقام احتفالا بتلك المناسبة السعيدة (١٢٥) . ولأول مرة منذ الحملة الصليبية الرابعة تستعيد الإمبراطورية البيزنطية إمارة تساليا كاملة إلا مدينة كاستوريا Kastoria التي كانت ضمن ممتلكات ستيفين جابريلوبولوس ، حيث قد سبقه إليها القائد البيزنطي المتمرد سيرجيانيز وسيطر عليها وسلمها للحاكم الصربي ستيفان إيروش الرابع دوشان Stefan Uros IV Dusan ، وكان ذلك عام ١٣٣١م (١٢٦) . وعلى أية حال رجعت تساليا بعد فترة طويلة من

---

(١٢٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 473-474. Cf. Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.253.

أما تريككالا Trikkala ، تعرف أيضا باسم تريكي Triuke وتريككي Trikke ، تقع في الشمال الغربي من تساليا وتقع في منتصف الطريق الممتد من جبال بيندوس Pindos إلى إبيروس ، ومن شمال تساليا إلى مقدونيا – جريفينا Grevena - ، و لقد احتلها النورمان عام ١٠٨٣ م ولقد اتخذها الملك الصربي سيمون إيروش Symeon Uros مقرا لحكمه عام ١٣٥٩م ، وسيطر عليها العثمانيون عام ١٣٩٣م انظر :

O.D.B, Vol.2, pp.2115-2116.

(١٢٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 474;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p.579. Cf. Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.253; Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 102, Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 9; Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 134.

أما ستاجوين هي كالامباكال Kalampakal الحالية ، بنيت في مكان أيجميون Aigmion القديمة ، فوق ثغر سيرفيا Servia ولقد أغارت عليها القوات الصربية عام ١٣٤١م فور وفاة أندرونيكوس الثالث وخضعت للحكم الصربي نهائيا عام١٣٩١م . انظر:

O.D.B, Vol. 3 , p. 1941.

(١٢٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 452; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p.579. Cf. Also, Fine , *The Late Medieval Balkans* , p. 253 ; Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 91 , Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177.

الزمن دون مشاكل أو خسائر كثيرة [١٢٧] وكان لدمج إمارة تساليا مع الإمبراطورية البيزنطية عظيم الأثر حيث قوى ذلك عناصر المقاومة البيزنطية في مواجهة المملكة الصربية [١٢٨] .وفي النهاية يتضح من خلال ما سبق أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث قد استعاد أجزاء إمارة تساليا المختلفة بطرق سليمة وليس بفتحها عنوه ، مستغلا في ذلك حالة الفوضى والاضطراب التي حلت بتساليا فور وفاة حاكمها حنا الثاني دوكاس عام ١٣١٨ م وكذلك وفاة السباستوقراتور ستيفين جابريلوبولوس عام ١٣٣٢م ، فضلا عن أن الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس لم يكن لدية القوة الكافية لاستعادة هذا الجزء من بلاد اليونان و إلا استغل تلك القوة الطارئة في التصدي ومواجهة أعدائه من صرب وبلغار وعثمانيين في أسيا الصغرى والبلقان.

سياسة بيزنطة تجاه إبيروس :

أما عن إمارة إبيروس Epirus [١٢٩] والتي أسسها القائد البيزنطي ميخائيل الأول .

اما كاستوريا فتقع في جنوب مقدونيا علي قمة أحد التلال علي بحيرة تحمل نفس اسمها كاستوريا ، ولقد أعاد بناءها الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) بعد أن خربها الفرس و أطلق عليها اسم جستنيانونيليس Jastininanonplis ولقد احتلها النورمان عام ١٠٨٢-١٠٨٣م ، ولقد احتلها الصرب عام ١٣٤٣م ووقعت في أيدي العثمانيين عام ١٣٨٠م . انظر : *O.D.B*,Vol.2,p.1110.

(١٢٧) Nicol , *The Last Centuries*, p.178; Bosch, *Andronikos III*, p.135; Fine, *The Late Medieval,* p. 253.

(١٢٨) Nicol ,*The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 103.

(١٢٩) إبيروس Epirus تقع في الركن الشمالي الغربي من بلاد اليونان إلي الجنوب من ألبانيا فتقع ما بين جبال بيندوس Pindus والبحر الأيوني Ionion ، و لقد أكسبت مرتفعات بيندوس إمارة إبيروس حماية طبيعية من هجمات الأعداء ، ومناخها يمثل نقطة انتقالية بين مناخ البحر المتوسط المعتدل ووسط أوروبا البارد ، وترجع تسمية إبيروس إلي أهم حكامها ويدعى بيروس Pyrrhus الذي نجح في اجتياز الحاجز الجبلي من خلال الممرات الجبلية لتلك الجبال ويؤمنها لتمر خلالها القوافل البشرية لتعلن عن إحياء المنطقة لأول مرة واتصالها بعد ذلك ببقية بلاد اليونان ، ولقد تحققت لها الوحدة مع جميع بلاد اليونان علي يد الاسكندر الأكبر المقدوني ،وقد آلت إلي روما بعد صراع مرير مع مقدونيا عام ١٦٧ق.م ، ولقد تعرضت لكثير من عمليات السلب والنهب أثناء الهجمات التي شنها الوندال عليها خلال القرن الخامس الميلادي و أعاد تحصينها مرة أخري الإمبراطور جستنيان الأول ، ولقد احتلها الصرب عام ١٢٦١م وسقطت في أيدى العثمانيين في عام ١٤٣٠م ولمزيد من

أنجيلوس Michael I Angelos [130] وذلك أثناء حكم الإمبراطــور البيزنطي ألكسيوس الثالــث أنجيلــوس الثالــث Alexios III Angelos [١٣١] والذي أرسله لجمع الضرائب في منطقة إبيروس عام ١٢٠٣م ، إلا أن ميخائيل الأول استغل ذلك واستقل بها واتخذ من مدينة أرطا Arta عاصمة له [١٣٢] . لقد اتبع ميخائيل الأول سياسة مناهضة لمملكة بونيفاس دى مونتفرات اللاتينية التي قامت اغتصابا [١٣٣] وفي نفس الوقت أقام علاقات طيبة وودودة مع إمبراطــور نيقيه خلال فترة حكمه (١٢٠٥- ١٢١٥م) أما خليفته ثيودور أنجيلوس فلقــد

التفاصيل انظر : ليلي عبد الجواد : السياسة الخارجية للملكة اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٥٦-٥٧ ؛ محمد عثمان عبد الجليل : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٩-٢٠؛ ناهد صالح : السياسة الخارجية ، ص ١٨٠؛ إسحق عبيد : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠-٢١ ؛ روبرت لي وولف : الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، ص ٤٣٢، هامش رقم ٦١.

(١٣٠) ميخائيل الأول أنجيلوس Michael I Angelos ، وهو ابن عم الإمبراطور ألكسيوس الثالث أنجيلوس Alexios III Angelos ، وكان دوقا Doux على كل من ميلاسا Mylassa ،وميلائوديون Melaoudion وذلك قبل عام ١٢٠٤م ، وحكم إمارة إبيروس (١٢٠٥-١٢١٥م) تحت اسم ميخائيل الأول كومنينوس دوكاس Michael I Komnenos Doukas ، امتدت حدود إمارته من خليج كورنثة Corinth إلي ألبانيا وتم اغتياله في بيرات Berat عام ١٢١٥م . انظر : *O. D. B*, Vol. 2, p. 1362.

(١٣١) ألكسيوس الثالث أنجيلوس Alexios III Angelos ولد عام ١١٥٣م ، وهو الابن الأكبر للإمبراطور إسحاق الثاني، قضى معظم شبابه في سوريا ، حكم الفترة الممتدة من ١١٩٥م إلي ١٢٠٣م . لمزيد من التفاصيل . انظر: محمود عمران : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٤١.راجع أيضا: *O.D.B*, Vol. 1, pp.64 -65.

(١٣٢) لمزيد من التفاصيل : انظر : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص٤٤-٤٧ . أما أرطا Arta ، بنيت مكان أمبراكيا Ambrakia علي نهر أراختوس Arachthos ، وتبعد حوالي ثلاث عشر كيلو متر شمال خليج أرطا وكانت مركزا لتجارة البندقية ، وكانت عبارة عن إقليم زراعي يحتوى علي ثروات حيوانية كثيرة من ثيران و أبقار وخيول ولقد هاجمتها القوات النيقيه عام ١٢٥٩م ، ولقد احتلها الملك الصربي إيروش الرابع دوشان Uros IV Dusan بعد عام ١٣٤١م ، ولقد استولي عليها كارلو الأول توكو Carlo I Tocco عام ١٤١٦م ، وسقطت في أيدي العثمانيين عام ١٤٤٩ . انظر : *O.D.B*, Vol.1, p. 191.

(١٣٣) إسحق عبيد: الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٢٠.

اتسمت سياسته بالعداء ضد الإمبراطورية اللاتينية (١٣٤) وإمبراطورية نيقيه على حد سواء (١٣٥) . أما ميخائيل الثاني أنجيلــوس Angelos Michael II (١٣٦) ، فقد عمل على استقلال إمارته عن إمبراطورية نيقيه و أصبح سيد بلاد اليونـــان خلال فترة حكمه (١٢٣٢-١٢٦٨م) ، وذلك على الرغم من هزيمته على أيدى ميخائيل الثامن باليولوجس (١٢٦١- ١٢٨٢م) عند بيلاجونيا Pelagonia في سبتمبر ١٢٥٩ م . وبوجه عام استمر العداء بين بيزنطة و إبيروس طوال فترة حكم الإمبراطور ميخائيل الثامن (١٣٧) .

لقد سادت علاقات الود بين الإمبراطورية و إمـــارة إبيـــروس طـــوال السنوات الأولي من حكم الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى أن هاجم نقفـــور أمير إبيروس أملاك الإمبراطورية البيزنطية في إبيروس عام ١٢٨٩م ، ولذلك

---

(١٣٤) فعندما علم ثيودور أنجيلوس بقدوم إمبراطور صليبي جديد وهو بطرس من كورتيناى نصب لـه كمين وقبض عليه و ألقى بـه في السجن حتى مات وكذلك قضى علي المملكة الصليبية لبونيفاس عام ١٢٢٤م .
انظر: إسحق عبيد : الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ٢١.

(١٣٥) حيث انتصر ثيودور أنجيلوس علي الجيش البيزنطي تحت قيادة الإمبراطور حنا الثالث فاتاتزيس في سنة ١٢٢٥م ، واستمر في سياسته العدائية تجاه إمبراطورية نيقيه حتى تم سمل عينيه علي يد البلغار . لمزيد من التفاصيل انظر : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ٤٩ وما بعدها .

(١٣٦) ولد في سنة ١٢٠٦م ، وهو ابن غير شرعي لأبيه ميخائيل الأول أنجيلوس ، تزوج من جانجرين Gangrene التي تنتسب إلي عائلة أرستقراطية من أرطا ، وكذلك تزوج من ثيودورا بطرس ليفاس ذات الأصل العريق في منطقة إبيروس ، ولقد كان معروف عن ميخائيل الثاني المكر و الخداع ونقض العهود ، ولقد توفي في سنة ١٢٦٨م . انظر: محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ٦٨ .

(١٣٧) لمزيد من التفاصيل انظر: Pachymers , *De Michaele et Andronico* , Vol .2 , pp. 82 - 88 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1, pp. 71-74.
راجع أيضا محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص٦٨ وما بعدها .
أما بيلاجونيا Pelagonia، تعرف حديثا باسم موناستير بيتولا Monastir- Bitola ، تقع في غرب مقدونيا علي الطريق القديم المعروف باسم فيا إيجناتيا Via Egnatia، وهى عبارة عن سهل خصب ،أقام الملك البلغاري جابريل رادومير(١٠١٤-١٠١٥م) فيها قصرا ملكيا لـه ولقد تأرجحت بيلاجونيا تحت سيطرة كل من البلغار وإمارة إبيروس والإمبراطورية النيقيه خلال القرن الثالث عشر.انظر: *O.D.B*,Vol.3,pp.1619-1620.

أرسـل أنــدرونيكوس الثــاني حملــة بحريــة أبحــرت حــول البيلوبــونيز Peloponnesos ثم وصلت إلى أرطا فنزل الجنود البيزنطيون واكتفوا بإشعال النيران في المدن الساحلية بخليج أرطا، ثم رجعوا إلى سفنهم ، وبعد ذلك عادت علاقات الود مرة ثانية بين الطرفين البيزنطي والإبيروسي(١٣٨) .

وفي بداية عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث سادت علاقــات الــود والهدوء النسبي بين إمارة إبيروس والإمبراطورية البيزنطية ، وذلك لانشــغاله بحروبه المستمرة ضد العثمانيين(١٣٩) . وفي نوفمبر ١٣٣٢م أسرع حنا الثــاني أورسيني أندرونيكوس بخوض حرب شديدة الوطأة ضد الجنويه في بداية حكمة (١٤٠) ، ثم حروبه ومعاركه لعقد اتفــاق مــع الإمبراطــور أنــدرونيكوس فــي القسطنطينية (١٤١) ، اعتراضا منه على التبعية والطاعة والولاء لمملكة نــابولي Naples (١٤٢) . أما عن أهم ما جاء فــي الاتفــاق أن اعتــرف الإمبراطــور

---

(١٣٨) لمزيـد مـن التفاصـيل: انظـر: ناهـد عمـر صـالح : السياسـة الخارجيـة للدولـة البيزنطيـة ، ص١٨٠-١٨٤.

أما البيلوبونيز Peloponnesos ، هي عبارة عن شبه جزيرة تكونت في الجزء الجنوبي من بـلاد اليونـان ، وكانـت عاصـمة البيلوبـونيز كورنثـة Corintha ، و لقد سيطر السلاف علـى البيلوبـونيز إلا المـدن الشـرقية منهـا عـام ٤٢٩م ، وفـي القـرن السـابع الميلادي كانـت شـبه جزيرة البيلوبونيز جزء من ثغر هيلاس Hellas ، وتعرضـت خـلال القرن التاسـع والعاشـر الميلاديين لهجمـات عديدة مـن جانـب العـرب ، وكانـت خاضـعة لمقاطعـة أخايـا حتـى معركـة بيلاجونيا ١٢٥٩ م أصـبحت معظـم مدنها خاضـعة للإمبراطوريـة البيزنطيـة والتـي مـن أهمهـا مونيفازيـا وميسترا ولقد سيطر عليهـا الأتـراك أعـوام ١٤٤٦م ، ١٤٦٠م . انظـر : سـايولف : رحلـة الحـاج سـايولف لبيـت المقـدس ، ص ١٦ ، هـامش رقـم ٦ . راجـع أيضـا: رانسيمان : تـاريخ الحمـلات الصـليبية ، جـ ٢ ، ص ٣٣١. راجـع أيضـا: *O. D. B*, Vol.2, pp. 1620-1621.

(١٣٩) لمزيد من التفاصيل انظر ما سبق ، الفصل الثاني .

(١٤٠) لمزيد من التفاصيل انظر ما يتقدم ، الفصل الرابع .

(١٤١) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1, p. 490. Cf. Also, Nicol, *The Despotate,* Vol .2, p. 96.

(١٤٢) *Chronique De Moree*, p. 137. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 95.

أمـا نـابولي Naples فهي عبـارة عـن مينـاء ومدينـة في كامبانيا Campania ، ظهـرت فـي القرن الرابع الميلادي ، تعرضت للتخريب والتدمير في حرب القوط في عهد الإمبراطـور جستنيان الأول (٥٢٧- ٥٦٥م) وسيطر عليها القائد بليزاريوس Belisarios عام ٥٣٦م ،

البيزنطي أندرونيكوس بسلطة و أحقية حنا الثاني أورسيني في حكم إمارة إبيروس ، وكيفالونيا Kephalonia [١٤٣]. وذلك بوصفه صاحب الحق الشرعي في الحكم خاصة بعد اغتيال نيقولاس أورسيني Nicolas Orsini حاكم إبيروس عام ١٣٢٣م على يد أخيه [١٤٤]حنا الثاني أورسيني ، اعتراف الأخير بالتبعية والولاء و الطاعة للإمبراطور أندرونيكوس الثالث ، زواج حنا الثاني أورسيني من ابنة الإمبراطور أندرونيكوس كزواج سياسي يهدف لربط الإمارة بالإمبراطورية ، منحه الإمبراطور البيزنطي لقب ديسبوت Despot [١٤٥]

وخضعت لحكم القسطنطينية مرة ثانية عام ٥٥٢م – حيث استولي عليها توتيلا Totila عام ٥٤٣م - ، ولقد أغار عليها اللومبارديون في عام ١٥٨١م ، ولكن لم يستطيعوا احتلالها إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII Porphyrogennetos (٩١٣-٩٥٩م) ، ولقد تم عقد معاهدة تحالف مشتركة بين مملكة نابولي والعرب عام ٨٢٨ م والتي بمقتضاها ساعدت نابولي العرب في احتلال ميسينا Messina - ميناء قديم في شمال شرق صقلية – عام ٨٤٢/٨٤٣ م. ثم استولي النورمان علي مملكة نابولي عام ١١٣٩م وبعد ذلك أصبحت نابولي عاصمة صقلية انظر: *O.D.B*, Vol.2, pp. 1436-1437.

(١٤٣) كيفالونيا Kephalonia، تعرف أيضا باسم كيفالينيا Kephalenia ، وهي عبارة عن جزيرة في البحر الأيوني Ionian وجزء من مقاطعة أخايا Achaia وكانت نقطة الوصل بين الصقالبة وجنوب إيطاليا وكانت حائلا طبيعيا لمنع الهجمات العربية من عبور البحر الأيوني وكانت عبارة عن منفي للسجناء السياسيين، ولقد أغار عليها البنادقة عام ١١٢٦م ، واستولي عليها وليم الثاني الصقلي William II Sicily ، ثم حكمها حنا الثاني أورسيني مشاركة مع البنادقة ، ثم خضعت لحكم توكو Tocco عام ١٣٥٧م ولقد احتلها الأتراك عام ١٤٧٩، ثم رجعت للسيطرة البندقية عام ١٥٠٠م. انظر: *O.D.B*, Vol.2, pp. 1122-1123.

(١٤٤) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.229.

(١٤٥) *Chronique De Moree* , pp. 137-138; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p.491. Cf. Also, Nicol , *The Despot of Epiros*, Vol.2 , p.95; Idem, *The last centuries of Byzantium*, p. 180.

أما الديسبوت Despot ، ظهر هذا اللقب منذ منتصف القرن الرابع عشر وهو عضو صغير من الأسرة الإمبراطورية وكان يدين بالولاء والطاعة للإمبراطور البيزنطي ، و أول من حمل هذا اللقب هو ديسبوت Despot تسالونيكا انظر : رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٠٦-١٠٧ .

اعتناق حنا الثاني للمذهب الأرثوذكسي عقيدة الكنيسة البيزنطية [١٤٦] ولكن سرعان ما حنث حنا الثاني بيمين الولاء والطاعة للإمبراطور أندرونيكوس وتملص منه بل وهاجم شمال غرب تساليا-١٣٣٣م [١٤٧] ومن الأجدر بنا أن نقف على أسباب انقلاب حنا الثاني على الإمبراطور البيزنطي ، فقد أبرم حنا الثاني الاتفاق بناءً على رغبة النبلاء وليس بناء على رغبة السواد الأعظم من أهل إبيروس الذين كانوا ينظرون إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثاني بوصفة ولى نعمتهم الذي منحهم كثيرا من الامتيازات لمدنهم وكنائسهم ، بينما اعتبروا الإمبراطور أندرونيكوس الثالث عدوا تقليديا لهم [١٤٨] كما رغب حنا الثاني في التعاون مع كاثرين أوف فالوا Catherien of Valois خاصة بعد وفاة زوجها فيليب من تارنتو Philp of Taranto بدلا من الخضوع والاستسلام للقسطنطينية [١٤٩]. – فيلب من تارنتو كان يحمل لقب الإمبراطور اللاتيني للقسطنطينية – [١٥٠] ، كما أصيبت البندقية بكثير من الأضرار الناجمة عن الاتفاق المبرم بين أورسيني و أندرونيكوس في نوفمبر ١٣٣٢م ، وتعبيرا عن اعتراضها أرسلت السناتور البندقي لأورسيني يطالبه بدفع ألفين هيبربيرون Hyperpron تعويضا لها عن الأضرار السابقة ، وكذلك تحريم التجارة مع

---

(١٤٦) Gregoras, *Byzantinae Historiae*,Vol.1, p.491.Cf.Also, Nicol, *The Last Centuries*, p.180.
راجع أيضا : رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ١٩٨؛ رأفت عبد الحميد : الفكر المصري في العصر المسيحي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٥٠؛ ميشيل يتيم وآخرون : تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ، بيروت ، ١٩٩١م ، ص ١٧٧.

(١٤٧) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1 , p. 473.

(١٤٨) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol .1, p.491.

(١٤٩) *Chronique De Moree* , p.138.

(١٥٠) فيليب من تارنتو ، هو ابن الملك تشارلس الثاني Charles II (١٣٠١-١٣١٣م) ملك نابولي ، تولي إمارة أخايا خلال الفترة الممتدة من ١٣٠٧م إلي ١٣١٣م و اصبح حاملاً للقب إمبراطور لاتيني للقسطنطينية من ١٣١٣م إلي ١٣٣١م وتوفي في ديسمبر ١٣٣١ م بنابولي. انظر : *O. D. B* , Vol. 3 , p. 1652; Bosch, *Andronikos III*, p. 135; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 180.

أرطا العاصمة ، وفي حالة الاستمرار في تلك الاتفاقية مع الإمبراطورية سـيتم سحب جميع البنادقة مـن كـل فالونـا Valona و سبيناريتسـا Spinaritsa وكليسورا Kleisoura (كلاوسورا Clousura) التي تقع جميعا بالقرب مـن إقليم ألبانيا . كما رفضت مملكة نابولي الاعتراف بتلك الاتفاقية المبرمـة بـين الجانبين البيزنطي و الإبيروسي وتعبيرا عن الرفض قامت بالهجوم على الحدود الإبيروسية مما جعل حنا الثاني أورسيني يسرع بإرسال سفير إلى نابولي . من أجل تأمين إمارته فقدم السفير هدايا مالية لبلاط نابولي كدليل على ولائه وتبعيته لمملكة نابولي (١٥١) .

وهكذا نقض حنا الثاني معاهدته مـع الإمبراطـور البيزنطـي تحقيقـا لمصالحه الشخصية و إرضاءً للأطراف السابقة الآنفة الذكر وجـاء رد الفعـل البيزنطي بعد أن انتهى الإمبراطور أندرونيكوس مـن القضـاء علـى التمـرد والثورة الألبانية (١٥٢) فقام على الفور بالهجوم على إحدى مدن إبيروس القريبـة وتسمى جانينا Jannina (١٥٣) منتهزا في ذلك فرصة الفوضـى والاضـطراب والتزعزع التي كانت تنتاب إمارة إبيروس (١٥٤) والتي يصفها المؤرخ البيزنطي جريجوارس قائلا " لقد كانت إبيروس تعيش حياة وحالة من التخبط والفوضـى كأنها سفينة ليس لها مرسى وتتقاذفها الرياح والأمواج" (١٥٥) . وعلى أية حالـة فقد سيطرت القوات البيزنطية على مدينة جانينا في سـهولة ويسـر حيـث إن

---

(١٥١) أورد " نيكول " هذه الرواية نقلا عن " Cessi- Sambin, Deliberzione " الذي لم نتمكن من الحصول عليها . انظر : Nicol , *The Despotate of Epiros* , Vol. 2, pp. 100-101.

(١٥٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.497-499.

(١٥٣) جانينا Jannina ، وتعرف أيضا باسم جوانينا Joannina تقع في شمال إمارة إبيروس ولقد احتلها النورمانديون عام ١٠٨٢ . ومن عام ١٢٠٤م إلى عام ١٢٥٩ خضعت للسيطرة البندقية ، ثم السيطرة البيزنطية عام ١٣١٨م واحتلها الصرب عام ١٣٤٨م والأتراك عام ١٤٣٠م انظر: Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p. 229. Cf. Also , Ostrogorsky , *History of The Byzantine* , p. 443; *O.D.B*, Vol.2 , p. 1006.

(١٥٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 499.

(١٥٥) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1 , p. 544.

سكانها قد انفصلوا عن إمارة إبيروس و أعلنوا ولاءهم للإمبراطور البيزنطي وكان ذلك في عام ١٣٣٦م [١٥٦] .

وفي أوائل عام ١٣٣٧م جاءت الفرصة للإمبراطور أندرونيكوس للتدخل المباشر في شئون إمارة إبيروس و إعادتها لحظيرة الإمبراطورية البيزنطية ، خاصة بعد وفاة حاكمها حنا الثاني أورسيني على يد زوجته " أنا Anna " التي دست له السم في الطعام فلقى حتفه بموتة بشعة وبذلك طبقت العدالة الإلهة في نهاية حياة أورسيني كما طبقها مع سلفه [١٥٧] ومن بين الأسباب والدوافع التي جعلت "أنا " تتخلص من زوجها حنا الثاني هو قيامه بإرسال سفير إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ليبدى اعتذاره وندمه ويعلن ولاءه وطاعته وتبعيته له مرة ثانية [١٥٨] و إثباتا لحسن نواياه اقترح زواج ابنه نقفور من ابنة القائد الأعلى والوزير حنا كانتاكوزينوس ، ولكن " أنا " كانت لديها الرغبة في زواج ابنها نقفور من ابنة الإمبراطور أندرونيكوس الثاني العدو التقليدي للإمبراطور أندرونيكوس الثالث [١٥٩] ولقد .

---

(١٥٦) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p.500. Cf. Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.253;Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p.101; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium* , p.180.

راجع أيضا : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٧٨.

(١٥٧) Gregoras , *Byzantine Historiae* , Vol.1 , p. 536. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, pp. 105-106; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p.180; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.135.

يشير نيكول إلي أنها قد نصبت ابنها نقفور Nikephoros وهو طفل صغير علي عرش إبيروس وجعلت نفسها الوصية عليه وذلك بعد مقتل حنا الثاني أورسيني . انظر : Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 180.

(١٥٨) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 500; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 544. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries*, p. 180; Idem, *The Despotate of Epiros* , Vol. 2 , pp. 105 - 107.

(١٥٩) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, pp. 500 - 501. Cf. Also , Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, pp. 105-107.

أرسل حنا الثاني أورسيني لإتمام الاتفاق مع الإمبراطور (١٦٠) .

ولقد قام الإمبراطور أندرونيكوس بتنظيم صفوف الجيش البيزنطي والفرق المرتزقة التركمانية ثم تحرك على رأسهم وفي صحبته وزيره حنا كانتاكوزينوس إلى أن وصلوا إلى شمال إبيروس ومنها أرسل وفدا دبلوماسيا لاستدعاء " أنا " للوصية على الحكم لإبيروس للتفاوض معها دون استخدام القوة لإخضاع إبيروس (١٦١) .

وربما يكون لنا أن نتساءل لماذا لم يستخدم الإمبراطور أندرونيكوس القوة العسكرية لإعادة إبيروس لحوزة الإمبراطورية البيزنطية منذ البداية ؟ والإجابة على هذا التساؤل تقتضي التمعن في أحوال بيزنطة العسكرية وسياسية الإدارة البيزنطية في ذات الوقت فقد كان الجيش البيزنطي يعاني من حالة ضعف شديدة ولذلك اعتمد الإمبراطور أندرونيكوس على فرقة الجنود المرتزقة التركمانية ، رغبة الإمبراطور البيزنطي في تفادى ويلات الحرب ونفقاتها ، توفير القوة العسكرية البيزنطية المتبقية لمواجهة أعداءها من صرب وبلغار وعثمانيين ، كما كان الإمبراطور أندرونيكوس الثالث يميل إلى استخدام الدبلوماسية حينا واستخدام الرشوة أحيانا أخرى لتحقيق الهدف المنشود.

ومهما يكن من أمر فإن وصول الإمبراطور أندرونيكوس أدي إلى إثارة للرأي العام الإبيروسي وحدث نوع من الجدل والاختلاف في إمارة إبيروس و انقسم أهلها إلى قسمين ، القسم الأول، ويطلق عليهم غير الواقعيين ، وقد رأوا أنه من الأفضل الاستمرار في الحكم الذاتي والاستقلال عن القسطنطينية إظهارا

---

(١٦٠) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1 , p. 501 ;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1 p. 545. Cf. Also , Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 107.

(١٦١) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 501. Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1 p.545. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.180; Idem, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p.110;Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.136.

إلا أن فاين Fine يشير إلي أن الإمبراطور أندرونيكوس قرر استخدام القوة في إبيروس . انظر :

Fine , *The Late Medieval Balkans*, pp. 253-254.

لولائهم " لأنا " وابنها نقفور وبالتالي يجب الدخول في حرب شديدة ضد الإمبراطور البيزنطي . أما القسم الثاني ، ويطلق عليهم الواقعيون، فقد رأوا أنه يجب إرسال وفد دبلوماسي للتفاوض مع الإمبراطور أندرونيكوس للتوصل إلى اتفاق وتسوية معه ، وبالتالي عدم استخدام القوة إلا في حالة تعرض إمارتهم لأعمال السلب والنهب والتدمير من قبل الجنود البيزنطيين وذلك كوسيلة للمقاومة (١٦٢) . وفي النهاية أعطى الشعب الإبيروسي القرار النهائي " لأنا " و أعلنوا التزامهم بالمسلك الذي تتخذه "أنا" ، ومن الواضح أن " أنا " كانت تتمتع بعقلية واعية حيث أنها كانت ضد فكرة القيام بحرب ضد الإمبراطور البيزنطي وبذلك لم تحصل فكرة المقاومة والحرب على تأييد جماعي وفضلا عن عدم وجود الوحدة التي تساعد على تنفيذ ذلك(١٦٣) ولذلك رأت "أنا" أن حل الموقف يكمن في إرسال سفارة دبلوماسية إبيروسية محملة بالهدايا والأموال وتعترف بالسيادة البيزنطية على إبيروس ، مما يجعل الإمبراطور أندرونيكوس يغادر إبيروس ويعود إلى القسطنطينية ويتركها هي وابنها على حكم إمارة إبيروس . وبالفعل وصلت السفارة الإبيروسية إلى المعسكر البيزنطي وقدمت إلى الإمبراطور قائمة عروض والاقتراحات منها ، تجديد مشروع زواج نقفور من ابنة الصديق الحميم للإمبراطور البيزنطي حنا كانتاكوزينوس ، وذلك بهدف توثيق العلاقات بين الطرفين ولتكون حلقة الوصل بين أرطا والقسطنطينية ،وحصول نقفور على حقه كوريث شرعي لإمارة إبيروس ويدين بالطاعة والولاء للإمبراطور أندرونيكوس على أن تقوم إبيروس بتزويد الإمبراطور البيزنطي بما يحتاج إليه من مؤن و إمدادات وقوة عسكرية في حالة الحرب و أخيرا حماية بيزنطة لإمارة إبيروس من أي اعتداء أو هجوم خارجي (١٦٤) .

---

(١٦٢) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 499. Cf. Also, Nicol, The *Despotate of Epiros*, Vol. , p. 110;
Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p.136

(١٦٣) Cantacuzenus, *Historiarum*,Vol.1, p.500.Cf. Also, Nicol, The *Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 111.

(١٦٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 500-501. Cf. Also, Fine, The *Late Medieval Balkans*, p. 253;
Nicol, The *Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 111.

ولقد اختلف المؤرخون حول البند الخاص بعرض زواج نقفور من ابنة الوزير حنا كانتاكوزينوس ، فهناك رأى يشير إلى أن عرض الزواج كان من تدابير الوزير حنا كانتاكوزينوس بهدف تولي مقاليد الحكم وعرش الإمبراطورية البيزنطية ويدل على ذلك إسهابه في دوره في تصفية مشكلة إيبروس ، وكذلك لعدم ذكر المؤرخ جريجوارس وهو معاصر لتلك الأحداث لتلك الخطوبة أو الزواج بين نقفور وابنة حنا كانتاكوزينوس ولم يذكر للأخير أي دور في مشكلة إيبروس (١٦٥). بينما يرى نيكول " أن حنا كانتاكوزينوس لم يكن لدية نوايا سيئة كما ادعى البعض نتيجة خطبة ابنته لنقفور ؛ حيث إن فكرة الزواج السياسي بين إمارة إيبروس وبيزنطة لم تكن وليدة تلك الفترة فقط بل كانت تطبق من قبل ، فنجد نقفور الأول قد تزوج من ابنة أخو الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس ، وزواج توماس Thomas – أخو نقفور الأول – من ابنة ميخائيل التاسع ، ومن المعروف أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث في عام ١٣٣٨م لم يكن لديه بنات في سن الزواج و لا حفيدات أو أبناء أخ يقدمهن للزواج . فضلا عن أن حنا كانتاكوزينوس كان الوزير والمستشار والرفيق الأول في الجيش مع الإمبراطور البيزنطي وكان عنده ثلاث بنات غير متزوجات ، وربما وجد حنا كانتاكوزينوس في نقفور زوجا مناسبا لابنته الكبرى ، بوصفه الوريث الشرعي لعرش إيبروس ولذلك قدم حنا كانتاكوزينوس ابنته كقربان على مذبح الدبلوماسية من أجل مصالح الإمبراطورية البيزنطية . وبذلك فإنه يستحق الإقرار بالفضل والعرفان بالجميل مع نفي الشك في صداقته للإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث (١٦٦) ومهما كان الأمر فلقد رفض الإمبراطور أندرونيكوس الاقتراح الخاص بتمتع إمارة إيبروس بحكومة مستقلة ، ورحب بالعرض الخاص بخطبة ابنة حنا كانتاكوزينوس لنقفور (١٦٧) ، ولذلك ارتفعت

---

(١٦٥) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*,Vol.1, p.611. Cf.Also Fine, *The Late Medieval*, pp.253-254.

(١٦٦) Nicol, The Byzantine Family, pp. 309-316 ; Idem , *The Despotate* ,Vol. 2, pp. 111-112.

(١٦٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.501-502.Cf.Also, Nicol, The Despotate of Epiros,Vol.2,p.112.

الأصوات في إيبيروس لتعلن بكـل غطرسـة وعجرفـة رفضـهم للخضـوع للإمبراطور البيزنطي ، مما جعل الأخير يقوم بحملة عسكرية على أرطا ويعين بفصل الفرق التركمانية ثيودور سيناديتوس Theodore Synadenos حاكمـا إمبراطوريا عليها (١٦٨) ومنحه لقب بروتوسـتاراتور Protostratore (١٦٩) أو ستراتيجوس Strategus (170) ثم واصلت القوات البيزنطية تقدمها في أراضي إمارة إبيروس ، فاستولت على أيتوليا Aitolia (١٧١) ثم زحفت صوب أكارنانيا Akarnania فسيطرت عليها ورضخت "أنا" للأمر الواقع و أعلنت استسـلامها للإمبراطور البيزنطي مقابل منحها قصر وبعض الولايـات الكبيـرة الواقعـة

---

(١٦٨) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, pp. 503-504; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 546. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries*, p. 181; Fine, *The Late Medieval*, p.254.

(١٦٩) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 504.Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2 , p. 113, Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 181.

(١٧٠) Schreiner , *Chronica Byzantina Breviora* ,Vol. 1 , p. 611.

أما المؤرخ جريجوراس فلقد لقبه باسم إبيتروبوس Epitropos . انظر : Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1, p. 546.

أما لقب ستراتيجوس وجمعها ستراتيجوي Strategoi ،وهو لقب القائد الأعلى للنوموس Nomos -وحدة إدارية – الذي يتولى المسئولية القضائية والإدارية وذلك في العصر الروماني ، وفي العصر البيزنطي أصبح يعنى القائد العام للجيش البيزنطي . انظر: نفتالي لويس : الحياة في مصر تحت الحكم الروماني ، ترجمة السيد جاد ، الإسكندرية ، ١٩٩٤، ص ٢٥٥؛ رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٩٩؛ طارق منصور : فن القتال عند البيزنطيين دراسة في الإستراتيجية في ضوء " تكتيكا" ليو الحكيم ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، القاهرة ، ٢٠٠٣، ص ١٧٤ ، هامش رقم ٣.

(١٧١) وذلك بفضل سلاح الفرسان التركمان ومهارتهم العالية في المناطق الجبلية . انظر: Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol. 1, pp. 504-505. Cf. Also , Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.254.

أما أيتوليا ،تقع في إقليم جبلي في الجزء الغربي من وسط بلاد اليونان فيما بين خليج أمبراكيون Ambracion وكورنثة Corinth ، ويحدها من الغرب أكارنانيا ، وكانت أيتوليا جزءا من ثغر نيكوبوليس Nikpolis وجزءا من إمارة إبيروس وكان يُطلق عليها اسم أيجيون Aigion وكانت قديما تعرف باسم ناوباكتوس Naupaktos،وأقيم فيها المجمع الكنسي لعام ١٣٦٧م.انظر: *O.D.B*, Vol.1,p. 42.

بالقرب من تسالونيكا والعودة معه إلى تلك المدينة الأخيرة ، إلا أن الإمبراطور كان يرتب ويمهد لاصطحاب " أنا " وابنها نقفور وابنتها والعودة بهم إلى مدينة القسطنطينية (١٧٢) .

وقام الإمبراطور بزيارة إلى المدن الرئيسية في إبيروس وحصل فيها على اعتراف بالطاعة والولاء ، وأجزل عليها الكثير من العطايا والمنح والألقاب الخاصة والرفيعة وعامل أهلها بكل رفق واحترام ولقد سُرّ أندرونيكوس الثالث لعودة هذا الجزء الكبير لخطيرة الإمبراطورية البيزنطية والذي انفصل منذ الحملة الصليبية الرابعة فيشير إلى ذلك حنا كانتاكوزينوس قائلا " لقد ابتهج الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ابتهاجا شديدة لعودة إبيروس وشكر الرب على ذلك " (١٧٣) . وعلى أية حال قام الإمبراطور البيزنطي بعمل الترتيبات والتنظيمات الخاصة بخطبة نقفور من الابنة الكبرى لحنا كانتاكوزينوس وتدعى ماريا Maria ، على أن يكون حفل الزواج في تسالونيكا أو القسطنطينية ولكن الحزب المناهض للإمبراطور وسياسته أراد أن يعوق تخطيط الإمبراطور البيزنطي ، بأن خطف نقفور الشاب بالاتفاق مع معلمه ومدربه ريتشارد Richard وربما بتخطيط ومساعدة "أنا" لتهريبه خارج إمارة إبيروس حتى لا يستطيع الإمبراطور أن يصطحبها وابنتها معه إلى تسالونيكا (١٧٤) .

---

(١٧٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1 , p. 546 . Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.181.

أما أكارنانيا ، تحتل الجزء الجنوبي من إبيروس ويحدها من الشرق أيتوليا وتواجه سواحل الجزر الواقعة على البحر الأيوني وهي ليوكاس Leukas وكيفالونيا وغيرها . انظر : *O.D.B*, Vol.1, p.42; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 179.

(١٧٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1 , pp.502 - 503. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.181; Idem, *The Despotate of Epiros* , Vol. 2, 113; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.254; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.136.

(١٧٤) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 503.

ولقد قرر أندرونيكوس أن يرجئ مسألة اختطاف نقفور الشاب قليلا ، حيث غادر إبيروس في خريف عام ١٣٣٧م مصطحبا معه " أنا" وابنتها إلى تسالونيكا وتركهم فيها بعد أن وفر لهم قصرا وحياة كريمة (١٧٥) كما أصدر الإمبراطور تعليماته للحامية البيزنطية المرابطة في إبيروس أنه في حالة العثور على نقفور يجب إلحاقه بوالدته في تسالونيكا وكان ذلك قبل مغادرته إبيروس بقليل (176) وكانت عملية اختطاف نقفور لمنع إتمام خطبة ابنة حنا كانتاكوزيلوس هي شكل من أشكال الاعتراض على وضع إبيروس تحت الحماية أو الهيمنة البيزنطية . وكان هذا الاعتراض يحقق مصالح بعض الجهات ومنها الوصي على عرش أخايا Achaia وحاكمه المورة كاثرين أوف فالوا Catherine of Valios التي كانت المخطط الفعلي لعملية خطف نقفور لحماية مصالحها في إبيروس لتثبيت وتدعيم حكمها في أخايا والسيطرة على إبيروس ووضعها تحت حمايتها ولذلك خطبت نقفور لإحدى بناتها بوصفه الوريث الشرعي لعرش إبيروس ، كما كانت ترى أنها أحق بإمارة إبيروس من الإمبراطور أندرونيكوس بوصفها حاملة لقب الإمبراطور اللاتينية للقسطنطينية (١٧٧) ، كما كان هناك

يشير جريجوراس إلي عملية الخطف المديرة "كانت عقب تعين ثيودور سينادينوس علي أرطا عاصمة إبيروس كحاكم بيزنطي . انظر : Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 546-547.

حيث إن نقفور الشاب كان بمثابة رمزا للحرية والاستقلال عن بيزنطة لهؤلاء المعارضين للسياسة البيزنطية و أن خطفه حماية لهم ومطالبة لحقه في ميراث العرش الإبيروس . انظر : Cantacuzenus , *Historiarum,* Vol.1, pp. 503-504. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 113; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 181.

(١٧٥) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, p. 504. Cf. Also, Nicol, *The Despotate Of Epiros*, Vol.2, p. 113.

(١٧٦) Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1, p.546.Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2,p.114.

(١٧٧) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , p. 546;*Chronique De Moree* , p. 148. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, pp.113- 114.

الحزب المناهض لبيزنطة وهم الأرستقراطية في إبيروس نتيجة للأضرار التي لحقت به من جراء عودة إبيروس لحوزة الإمبراطورية البيزنطية . و أخيرا فهناك الوصية على العرش الإبيروسي " أنا " التي قتلت زوجها حنا الثاني أورسيني لمجرد أنه عقد اتفاقا مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ، ولذلك ساعدت وخططت لعملية تهريب نقفور الشاب (١٧٨) ومما سبق يتضح أن عملية اختطاف نقفور كانت بمساعدة وتخطيط " أنا " وتنفيذ الأرستقراطية في إبيروس إلى بلاط كاثرين أوف فالوا في أخايا.

وعلى أية حال سرعان ما كشفت إبيروس عن أنيابها واستأسدت على الإمبراطور البيزنطي ، حيث اندلعت حركة تمرد وثورة في إبيروس ضد الوجود البيزنطي بقيادة كل من ألكسيوس كاباسيلاس Alexios Kabasilas، و نقفور باسيليتزيس Nikephoros Basilitzes ، ولقد قام الأخير بتشديد الحصار على العاصمة أرطا ثم اقتحمها بمساعدة الثوار و ألقى القبض على الحاكم البيزنطي ثيودور سينادينوس المعين حديثا من قبل الإمبراطور البيزنطي وتم الزج به في السجن (١٧٩) .

أما أخايا Achaia ، فهي مقاطعة رومانية قديمة ، تقع في وسط بلاد اليونان إلي الشمال من ثيرموبيلاى Thermopylai وفي الشمال الغربي من شبة جزيرة البيلوبونيز ، و أهم مدنها باتراس Patras ، وتطل علي ساحل خليج كورنثة Corintha بشريط ساحلي ضيق ، و أحيانا كانت تسمي إحدى مقاطعات الموره Morea . انظر : *O.D.B*, Vol.1, p. 11; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p.181.

(١٧٨) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, pp.504-505; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , p. 536. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros* , Vol.2 , 113 ; Idem , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 181; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp.136-137.

(١٧٩) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1 , p. 509 . أما ألكسيوس كاباسيلاس ، كان من أصدقاء إيطاليا في إبيروس ، وفي عام ١٣٣٠م منح فيليب من تارنتو ابن ألكسيوس ويدعى حنا كاباسيلاس وورثته مملكة باروى كوى Paroikoi في خليج كورفو Corfu وكونتا علي أيتوس Aetos ، ومنحه لقب فارس وبارون علي مدينته وخليج كورفو ، وبعد وفاة فيليب من تارنتو جدد ابنة روبرت Robert المنح السابقة لعائلة كاباسيلاس وكان ذلك في عام ١٣٣٦م . انظر : Nicol, *The Despotate of Epiros* , Vol. 2 , pp. 114-115.

أما كاباسيلاس وأعوانه المتمردين ، فقد سيطروا على قلعة روجوى Rogoi (١٨٠) ، ثم قام أربعون أخرون من الثوار باحتلال حصن توموكاسترون Thomokastron وامتدت نيران الثورة في المنطقة الواقعة بين أرطا وبين البحر الأيوني Ionian Sea ، وطوق المتمردون كلا من ميسوبوتامون Mesopotamon ، سوبوتوس Soptos ، خيمارا Chimara، أرجيروكاسترون Argyrokstron ، بارجا Parga ، سانكتوس دوناتوس Sanctos Dontaos في جنوب إبيروس ، وكذلك انتشرت الثورة في معظم المواقع الشمالية في أيونيا وفي جنوب أنجيلوكاسترون Angelokstron (أخيلوس Acheloos) وبالتون Balton ، وأبولوخوس Euloichos (١٨١) .

ومع نهاية عام ١٣٣٨م نقلت كاثرين أوف فالوا إقامتها إلى إمارة المورة لتشجيع الثوار والمتمردين على مواصلة النضال ضد الإمبراطور أندرونيكوس وحتى تكون هي على اتصال مباشر مع الثوار والأحداث المتطورة في إبيروس ٠ وفي أوائل عام ١٣٣٩م جهزت كاثرين أوف فالوا نقفور الشاب بالجيش والسفن اللازمة لخوض المعركة المرتقبة مع الإمبراطور أندرونيكوس مقابل اعترافه بوضع إبيروس تحت حمايتها وتبعيته لها ، وقد تحرك نقفور من باتراس Patras من ميناء كلارينتزا Clarentza وفي صحبته أسطول صغير تحت قيادة لويزيو كاراكيولو Loizio Caracciolo – مندوب كاثرين أوف فالوا في إبيروس – (١٨٢) ولقد أبحروا صوب توماكاسترون وفيها أعلن نقفور نفسه قائدا للمقاومة ضد الهيمنة البيزنطية .

---

(١٨٠) قلعة روجوى Rogoi ، قلعة حصينة تقع علي مقربة من أرطا . انظر : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٧٩.

(١٨١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp. 509-510.

أما توموكاسترون ، تقع عل ساحل البحر الأيوني في شمال بلاد اليونان ، ومن المحتمل أنها الحصن الذي يقع خلف ريشا Risha (ريناشا Riniasa) التي تقع علي الساحل إلي الشمال من بريفيزا Preveza ، و أقامها نيقولاس أورسيني . انظر: Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p.115.

(١٨٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.510; Gregoras *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 550; *Chronique*

وعلى أية حال عندما وصلت أخبار القبض علــى الحــاكم البيزنطــي ثيودور سينادينوس والتدخل العسكري لكاثرين في إبيروس أصدر الإمبراطــور أندرونيكوس على الفور ، و أوامره بتجهيز الجيش للقيام بحملة عسكرية ضــد المراكز الثلاثة الرئيسية المتمردة أرطا، روجوى ، توموكاســترون لاســتعادة إبيروس من أيدي المتمردين ووضعها تحت السيطرة البيزنطية وفــي أكتــوبر ١٣٣٩م (١٨٣) ، خرج الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بنفسه على رأس حملــة متجها صوب إبيروس ولكن نتيجة لسوء الأحوال الجوية وشدة البــرودة قــرر الإمبراطور أن يقضى الشتاء في تسالونيكا. وفي نفس الوقت حــاول مفاوضــة المتمردين وبث الشقاق بينهم ، وكذلك أرسل الإمبراطور إلى كل من حاكم تساليا ميخائيل مونوماخوس (١٨٤) والبينكرينز حنا أنجيلوس Pinkernes John Angelos للخروج على رأس القوات البيزنطة لفرض الحصار علــى المــدن الثلاثة الثائرة وتخريب المناطق المحيطة بها بهدف تضييق الخناق عليها حتــى تصبح الحياة أكثر صعوبة وكان ذلك في أثناء فصل الشتاء (١٨٥) .

De Moree, pp.148-149. Cf. Also, *Bosch, Kaiser Andronikos III*, p.137 ; Nicol , *The Despotate of Epiros* , Vol.2, 115; Idem, *The Last Centuries* p. 181.

أما باتراس ، مدينة تقع في الركن الشمالي الغربي من شبة جزيرة البيلوبونيز عند رأس خليج كورنثــة هاجمهــا العــرب عــام ٨٠٥ م ، واحتلهــا الصــليبيون عــام ١٢٠٥م ، واسـتعادها قسـطنطين الحــادي عشــر بــاليولوجس (١٤٤٨- ١٤٥٣م) عــام ١٤٣٠م ، واحتلهــا الأتراك علم ١٤٦٠م . انظر :

O.D.B, Vol. 3, pp. 1597-1598.

(١٨٣) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 510; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 550-551.Cf. Also, Bosch *Kaiser Andronikos III*, p.137; Nicol, The *Despotate of Epiros*, Vol.2, pp.115-116; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 181.

راجع أيضا : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٨٠.

(١٨٤) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 510; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 551. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 182.

راجع أيضا : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٨٠.

(١٨٥) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1 , pp.510-511; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.551. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 137.

وفي ربيع عام ١٣٤٠م وصل الإمبراطور أندرونيكوس على رأس الجيش البيزنطي وفي صحبته وزيره حنا كانتاكوزينوس إلى توموكاسترون التي كانت تحت زعامة نقفور الشاب ، ففرضوا عليها الحصار ولكنها لم تعاني من أي حرمان ، ويرجع ذلك إلى أن الحصار كان مفروضا على الأجزاء البرية منها فقط ، حيث لم يستطيع الإمبراطور البيزنطي أن يحاصرها بحرا لعدم امتلاكه السفن اللازمة لذلك ، و بالتالي كانت المؤن والإمدادات تصل إليها عن طريق البحر . ثم قام الإمبراطور أندرونيكوس بتقسيم القوات البيزنطية إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول ، تحت قيادة ميخائيل مونوماخوس وحنا أنجيلوس ويتولى الاستمرار في حصار توموكاسترون . والقسم الثاني ، تحت قيادة الإمبراطور البيزنطي نفسه ويفرض الحصار على العاصمة أرطا أما القسم الثالث ، فيتولى حصار قلعة روجوى تحت قيادة حنا كانتاكوزينوس (١٨٦) ثم قامت القوات البيزنطية تحت قيادة حنا كانتاكوزينوس بنصب آلات الحصار على قلعة روجوى ، ثم قاموا بعده هجمات متكررة على أسوار القلعة بهدف إضعافها وبث روح الضعف بين المدافعين عنها ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك والنتيجة الإيجابية لتلك الهجمات كانت إطلاق سراح الحاكم البيزنطي ثيودور سينادينوس ، حيث رأى المدافعين عن القلعة أن في وجوده خطرا عليهم ، حيث من المحتمل أن يتزعم ثيودور مؤامرة مع المؤيدين لبيزنطة داخل القلعة فتجبرهم على الاستسلام والخضوع للإمبراطورية البيزنطية (١٨٧) .

أما حنا أنجيلوس فهو الحاكم السابق علي أيونيا-شمال إبيروس- وابن عم الوزير حنا كانتاكوزينوس انظر:

Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 116; Idem, *The Last Centuries*, p. 182.

(١٨٦) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, p. 511; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , pp.552 - 553.

Cf. Also , Nicol , *The Despotate of Epiros,* Vol.2, p.116; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 82; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 137.

(١٨٧) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 512; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp.553-552. Cf.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه نتيجة لفشل البيزنطيين في اقتحام القلعة عنوة ، فقد لجأوا إلى سياسة الرشوة مع كاباسيلاس ، ولكنه رفض العروض و الإغراءات البيزنطية وفضل أن يقتل أو يصلب ويعلق على برج القلعة على أن يستسلم لهم حيا . ولذلك قام حنا كانتاكوزينوس بتشكيل وفد دبلوماسي صغير يتكون من كبار ضباط الجيش البيزنطي للتفاوض مع ألكسيوس كاباسيلاس مستغلا الصداقة القديمة بينهما أثناء وجودهما في أكارنانيا إلا أن كاباسيلاس اعترض في البداية على ذلك ، فعندما رأى كاباسيلاس الوفد البيزنطي يقترب من أسوار القلعة صرخ بأعلى صوته محذرا بعدم الاقتراب (١٨٨) وفي النهاية وافق على النزول من القلعة إلى جسر مقام على نهر أمام القلعة على مضض ، ولقد حدثت ثلاث لقاءات بين ألكسيوس كاباسيلاس وحنا كانتاكوزينوس ، كان اللقاء الأول تم عن طريق المراسلين بين الطرفين ، وفيه وجه كانتاكوزينوس لكاباسيلاس تهمة التحريض على الثورة ضد الإمبراطورية البيزنطية بوصفة المحرك الأول والقائد للمتمردين والثوار ، ورد كاباسيلاس على ذلك بأنه قام بذلك من أجل مصلحته الشخصية ومصالح شعبه والتحرر من ظلم وجور الإمبراطورية البيزنطية ورفض الاستسلام ، فتركه حنا كانتاكوزينوس ثلاثة أيام يفكر فيها مليا . أما اللقاء الثاني ، فقد تميز عن اللقاء الأول بأنه أكثر مرونة حيث اقتنع ألكسيوس كاباسيلاس بأن يعبر الجسر ليتحدث مع حنا كانتاكوزينوس وجها لوجه وكذلك أصبح كاباسيلاس أقل عنادا وصلابة في الرأي (١٨٩) . ولقد تحدث

Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 116; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p.180;
Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 137 ; Nicol , *The Reluctant Emperor : A Biography of John Cantacuzene Byzantine Emperor and Monk 1295-1383,* (Cambridge, 2000) pp. 30-31.

(١٨٨) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 513. Cf. Also, Nicol, The *Despotate of Epiros,* Vol.2, p. 117; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 182.

(١٨٩) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, pp. 513-514. See Also, Nicol, *The Despotate of Epiros* , Vol. 2, p.117; Idem, *The Reluctant Emperor*, p.41.

حناكانتاكوزينوس مع ألكسيوس كاباسيلاس قائلا " إن اعترافك بالخضوع والتبعية للإمبراطورية البيزنطية ليست إهانة و إذلال و أن اختيارك الموت على أن تخضع للإمبراطور أمر ليس فيه ذكاء وفطنة لرجل محنك مثلك " ، وتركه كانتاكوزينوس يفكر في الأمر بعقلانية أكثر. أما اللقاء الثالث فقد تم بعد اللقاء الثاني بثلاثة أيام واستمر حوالي يوما كاملا من المناقشات والمفاوضات وفي النهاية استطاع الوزير حنا كانتاكوزينوس أن يقنع ألكسيوس كاباسيلاس بالاستسلام والخضوع للإمبراطور أندرونيكوس الثالث [١٩٠] . وعلى الفور قرر حنا كانتاكوزينوس العودة إلى العاصمة أرطا ليبشر الإمبراطور بخبر استسلام كاباسيلاس ، وفي أثناء سيره توقف ليأخذ قسطا من الراحة وتناول الطعام والشراب مع الرافقين له من كبار ضباط الجيش وفي أثناء ذلك رأى كانتاكوزينوس كاباسيلاس مسرعا خلفه وبمفرده دون أية حراسة أو حماية لتأمين طريقه ،وذلك لثقته العالية في كانتاكوزينوس، ولقد شكره الأخير على تلك الثقة التي تعد دليلا على الصداقة الحميمة وطلب منه العودة إلى القلعة حتى يبلغ الإمبراطور أندرونيكوس بتلك التطورات [١٩١] . ولقد سُرّ الإمبراطور بتلك الأخبار وطلب من حنا كانتاكوزينوس العودة إلى قلعة روجوى و إحضار كاباسيلاس و أهم رجالة وبالفعل جاء كاباسيلاس و أقسم يمين الولاء والطاعة واعترف بإجلال واحترام الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ، وفي المقابل عفى عنهم الإمبراطور أندرونيكوس وتعهد بالحفاظ على حياتهم [١٩٢] . و أجزل لهم كثيرا من المنح والعطايا وكافأ حنا كانتاكوزينوس بأن منحه لقب جراند

---

(١٩٠) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p.514. See Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 117.

(١٩١) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1 , pp. 514-516. Cf. Also , Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 138;
Nicol , *The Despotate of Epiros* , Vol.2,pp. 117-118; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 182;
Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 254.
راجع أيضا : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٨٠ .

(١٩٢) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, p. 516-517; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 138.

كونسطابل Grand Constable [193] وكبار ضباط الجيش المشارك في حصار روجوى كثير من الأوسمة والألقاب الرفيعة [194] بيد أن هناك مبالغة وخيالات واضحة في سرد كانتاكوزينوس بشأن استسلام قلعة روجوى حيث جعل لبلاغته وفصاحته الدور الرئيسي لإقناع كاباسيلاس بالاستسلام والخضوع للإمبراطورية البيزنطية ، ومن المرجح أن كاباسيلاس استسلم وأعلن ولاءه وطاعته لأسباب أخرى منها أن اشتداد الحصار على قلعة روجوى أدى إلى نقص المؤن والإمدادات وبالتالي صعوبة المعيشة . وحصول كاباسيلاس على اعتراف رسم من الإمبراطور أندرونيكوس على تولى أسرته حكم أكارنانيا ويتضح ذلك من خلال حوار ألكسيوس كاباسيلاس مع حنا كانتاكوزينوس في اللقاء الأول أنه يدافع من أجل مصلحته الشخصية واستعادة أسرته حكم أكارنانيا .

وعندما وصلت أخبار استسلام ألكسيوس كاباسيلاس والمدافعين عن قلعة روجوى إلى نقفور باسيليتزيس اتهموه بالخيانة والغدر والجبن ، و أعلنوا مواصلتهم للنضال والكفاح ضد الهيمنة البيزنطية واستحالة الاستسلام ، حتى لو حصلوا على عشرات الألاف من المنح والمنافع الخاصة . وعلى أية حال أثناء حصار الإمبراطور أندرونيكوس للعاصمة أرطا شعر بنوبة شديدة من المرض ، فاستدعى على الفور وزيره حنا كانتاكوزينوس ليتولى قيادة القوات البيزنطية في حصارها لأرطا ، ولقد استطاع حنا كانتاكوزينوس أن يرتب مقابلة للتفاوض مع نقفور باسيليتزيس عند مدخل المدينة . وبذلك قاد كانتاكوزينوس التفاوض مع باسيليتزيس نيابة عن الإمبراطور البيزنطي المريض [195] .

---

(193) هو كبير رجال القصر الإمبراطور وهو قائد الجيش ، يقود الجند في حالة غياب الإمبراطور ، ويحمل لوائه في حفل تتويجه ، وكان يقوم بدور القاضي ليفصل في القضايا بين الفرسان أثناء الحروب والمعارك انظر : Nicol , *The Despotate of Epiros* , Vol.2, p.118.
راجع أيضا: روبرت لي وولف : الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، ص ٤٣٥.

(194) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, pp. 518.

(195) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, pp. 518 - 519.Cf. Also, Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p.118.

ولقد وجه حنا كانتاكوزينوس خطبة لباسيليتزيس ورجاله ، حيث نصحهم فيها بضرورة الاستسلام والخضوع للإمبراطورية و التخلي عن العناد والتحالف مع اللاتين أعداء الإمبراطورية ، ثم تركهم يتشاورون مع أقاربهم فى قلعة روجوى [١٩٦] . وبالفعل اجتمع نقفور باسيليتزيس واتباعه مع ألكسيوس كاباسيلاس وأعوانه ويحضور حنا كانتاكوزينوس ، واستغرق النقاش بينهم ليلة كاملة ثم أعلن المدافعون عن أرطا اختيارهم للخضوع والاستسلام للإمبراطور أندرونيكوس من خلال قائدة الأعلى حنا كانتاكوزينوس [١٩٧] .

ويعلق " نيكول Nicol " على ذلك قائلا " وللمرة الثانية على التوالي استطاع حنا كانتاكوزينوس بفضل بلاغته وقدرته العالية أن يقنعهم ويحول الدفة لصالح الإمبراطورية البيزنطية ويرجع ذلك إلى تنويه حنا كانتاكوزينوس على المعاملة الحسنة و الحياة الأفضل فى حالة الخضوع للإمبراطورية البيزنطية وبين وقوعهم كأذلاء ورهائن في أيدي المغامرة الاستعمارية اللاتينية الغربية كاثرين أوف فالوا التي تعمل من أجل مصالحها الشخصية [١٩٨].

ومهما يكن من أمر فلقد طلب المدافعون عن أرطا من حنا كانتاكوزينوس أن يحضر الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بنفسه ليتسلم هذا الجزء المنفصل عن الإمبراطورية البيزنطية منذ زمن طويل ، وليأمنهم على أرواحهم و ممتلكاتهم وليحرم نقفور الشاب من ادعاءه فى ميراث عرش إبيروس [١٩٩] .

وربما يكون لنا أن نتساءل لماذا انقلب المدافعون عن نقفور فجأة عليه ، ألم يعلنوا الثورة فى وجه الإمبراطور البيزنطي من أجل الدفاع عن نقفور

---

(١٩٦) لمزيد من التفاصيل انظر الملحق الأول ، ص ١٥٢-١٥٤.

(١٩٧) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p.522. See Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p.119; Bosch, *Kaiser Andronikos III* p.139.

(١٩٨) Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, Vol. p. 182.

(١٩٩) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p. 523. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros* , Vol.2, p.119.

ليتولى إمارة إبيروس ؟!! والإجابة على هذا التساؤل تكمن فى عدة أسباب أولها ، اشتداد الحصار البيزنطي لأرطا الذي ربما شعر معه الجميع أنهم لن يصمدوا أمامه . وثانيها ، اقتناعهم بكلام الوزير حنا كانتاكوزينوس بشأن الوعود الإمبراطورية التي قدمها لهم ، و أخيرا فإن إعلان الثوار التمرد على الإمبراطور لم يكن فى حقيقة الأمر من أجل صالح نقفور الشاب بقدر ما كان من أجل مصالحهم الخاصة .

ومهما كان الأمر فلقد فتح نقفور باسيليتزيس وأتباعه بوابة قلعة أرطا ودخلها الجيش البيزنطي ، وحصل باسيليتزيس ورجاله على الصفح والعفو من قبل الإمبراطور أندرونيكوس، وبذلك استسلمت أرطا بعد حصار دام حوالي ستة أشهر . بعد ذلك توجه الإمبراطور على رأس الجيش صوب آخر المعاقل الثائرة توموكاسترون ، و أثناء سيرهم أصيب الإمبراطور البيزنطي وبعض الفرق العسكرية البيزنطية التي كانت تحت قيادته وكثير من الخيول والبغال بعض أنواع الأمراض الوبائية – ربما يكون وباء الدوسنتاريا – مما أدى إلى وفاة الكثير من الضباط والجنود والخيول البيزنطية . ومما تجدر الإشارة إليه أن القائد الأعلى حنا كانتاكوزينوس وفرقته العسكرية نجت من الإصابة بتلك الأمراض الوبائية ولذلك قرر أن يقود الجيش البيزنطي بنفسه إلى توموكاسترون إلى أن يتماثل الإمبراطور أندرونيكوس للشفاء فى أرطا (٢٠٠) .

وكانت مدينة توموكاسترون تتمتع بمتانة عالية وتحصينات قوية فضلا عن وصول الإمدادات لها عن طريق البحر من كاثرين أوف فالوا ، ولذلك عندما وصل إليها كانتاكوزينوس أرسل لها عدة رسائل تحثها على الخضوع والاستسلام للإمبراطور ولكنها رفضت ذلك (٢٠١) .

وبعد مرور حوالي اثنا عشر يوما من وصول حنا كانتاكوزينوس أمام أسوار توموكاسترون ظهرت على مرمى البصر حوالي ثلاث عشرة سفينة آتيه

---

(٢٠٠) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, p. 523. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2 ,p. 119.

(٢٠١) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, pp . 524-525; *Chronique De Moree* , p.149 . Cf. Also , Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 139.

نحو الشاطئ ومحملة بالمؤن والإمدادات ، وقوة عسكرية دعمـــا للمحاصـــرين الذين ابتهجوا ابتهاجا عظيما لرؤيتها ، ولكن لم تكتمل فرحتهم حيث أبحرت تلك السفن إلى مرسى بعيد خشية أن تقع فريسة فى أيدي القوات البيزنطية المرابطة على الساحل أثناء إنزال جنودها (٢٠٢) .

وبعد مرور ما يقرب من خمسة وعشرين يوما من فرض الحصار على توموكاسترون تحت قيادة كانتاكوزينوس ، تعرضت لمجاعة نتيجة لشدة الحصار عليها ولعدم وصول الإمدادات إليها ، مما أدى إلى إرسال وفد دبلوماسي مـــن توموكاسترون تحت قيادة ريتشارد الحارس الخاص لنقفور الشاب إلى المعسكر البيزنطي (٢٠٣) .

ولقد وجه حنا كانتاكوزينوس إلى هذا الوفد كلمة جاء فيها " لقد وقعـــتم فى خطأ جسيم عندما أعلنتم الثورة والعصيان ضد الإمبراطور الـــذي لـــم يقـــم ضدكم بأي فعل يمثل لكم ضررا أو أذى ، ثم تقومون بتنصيب نقفـــور كحـــاكم عليكم بمساعدة من اللاتين الغرباء الذين تميزوا بالجشع والطمع وشنوا الحـــرب على أكارنانيا فدمروها وشردوا سكانها ، ومن المعروف أن كاثرين أوف فـــالوا كانت متلهفة لتأييدكم فى بادئ الأمر إلا أنها على مدى سنة كاملة لم تمـــدكم إلا بعدد قليل من السفن التي ظلت راسية بعيدا عن الشاطئ ولم تســـتطيع أن تنـــزل رجالها من السفن وكذلك لم تستطع الصمود فقررت الانسحاب لتترككم تتعرضوا لمجاعة وتقعون فى أيدي القوات البيزنطية وذلك لأنها غير قادرة على مواجهـــة الجيش الإمبراطوري ، ثم نتساءل هل الخضوع والعبودية للاتين أفضل لكم من الخضـــوع والاستســـلام للإمبراطوريـــة البيزنطيـــة(٢٠٤). وقبـــل أن ينتهـــي

---

(٢٠٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 525. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 120; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 139.

(٢٠٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 526- 527; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.553. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 120; Fine, *The late Medieval Balkans*, p. 254.

(٢٠٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 526 - 527; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1 , pp. 527-

كانتاكوزينوس من إلقاء كلمته وجه لهؤلاء الثوار إنذاراً هددهم فيه بالويل والثبور ، حيث أوضح ذلك قائلا " عليكم أن تسارعوا قبل أن ينفذ صبر وحلم الإمبراطور وينتقم منكم و يستولي على ممتلكاتكم ويشرد أولادكم وزوجاتكم وأهلكم ، فقدموا فروض الولاء و الطاعة للإمبراطور لتحصلوا على كثير من المنافع والمكاسب والمنح والعطايا والألقاب العظيمة ، أما نقفور الشاب فعليه أن يصبح زوجا لابنتي وولداً لي ، ويتشرف بتبعيته للإمبراطور والوضع المميز بين البيزنطيين " (٢٠٥) ولقد أدرك المدافعون عن توموكاسترون عجز وطمع حكامهم ، فضلا عن حضور الإمبراطور البيزنطي إلى بلادهم بجيش كامل وقوى ، و بالإضافة إلى استسلام قلعة روجوى ومدينة أرطا والمنافع والمكاسب التي حصلوا عليها نتيجة لخضوعهم للإمبراطور أندرونيكوس ، ولذلك جاء ريتشارد في اليوم التالي إلى حنا كانتاكوزينوس ليعلمه بقرار الاستسلام والخضوع للإمبراطورية البيزنطية ، وليعترف بخيبة الأمل لانسياقهم وراء نداء الحرب والقتال (٢٠٦) .

وفى الواقع كان السبب الحقيقي والمباشر لاستسلام توموكاسترون هو التهديد بمصادرة أملاكهم ونفيهم خارج البلاد ولرغبتهم الأكيدة فى الراحة والاطمئنان . وبذلك استسلم آخر المعاقل الثلاث الثائرة ، ولقد حضر نقفور الشاب بنفسه فى صحبته وفد من القادة إلى المعسكر البيزنطي ، وقام حنا كانتاكوزينوس بدورة باصطحابهم إلى الإمبراطور أندرونيكوس فى أرطا ليعلنوا خضوعهم واستسلامهم له . ولقد استقبل الإمبراطور أندرونيكوس نقفور والوفد المرفق له بحفاوة بالغة ، وأجزل لهم كثير من المكافآت ، ومنح نقفور

---

529. Cf. Also , Nicol , *The Despotate of Epiros* , Vol. 2 , p. 120 ; Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 139.

(٢٠٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 530.

(٢٠٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 531-532; *Chronique De Moree*, p.149. Cf. Also, Nicol , *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, pp. 120-121; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 182.

الشاب لقب بانيبرسيباستو Panhypersebasto ، وأصبح صديقا حميما للإمبراطور البيزنطي و أعلن نقفور خطبته من ماريا حنا كانتاكوزينوس (٢٠٧) .

ومع حلول فصل الشتاء أوائل شهر نوفمبر عام ١٣٤٠م غادر الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى تسالونيكا وفي صحبته قائده الأعلى حنا كانتاكوزينوس و نقفور الشاب بعد أن عين حنا أنجيلوس حاكما بيزنطيا على إبيروس الذي اتخذ من أرطا عاصمة لحكمة وكذلك أصبح ثيودور سينادينوس حاكما على تسالونيكا وترك في إبيروس الحامية العسكرية البيزنطية اللازمة لحمايتها من الأخطار الداخلية والخارجية (٢٠٨) .

وهكذا استطاع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث أن يعيد توحيد أجزاء إبيروس و تساليا لحوزة الإمبراطورية البيزنطية بأقل جهد ودون إراقة دماء بعد أن عانى أسلافه الأباطرة خاصة ميخائيل الثامن و أندرونيكوس الثاني بكثير من النفقات و القتلى والكوارث التي نجمت عن الحملات الفاشلة لاستعادة تلك الولايات المفقودة (٢٠٩) . و إن استرداد الإمبراطورية البيزنطية لهذه الإمارات في شمال بلاد اليونان جعلنا نعتقد بأن بيزنطة قد حصلت على بعض المكاسب التي تعادل ما فقدته في أسيا الصغرى وأنها أصبحت مثل القوى الأوربية وأنها أصبحت ذات اقتصاد وموارد عسكرية عظيمة ولكن في حقيقة الأمر فإن تلك

---

(٢٠٧) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p. 533; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 553 - 554.
أما لقب البانيبرسيباستو ، هو لقب شرفي فقط و أقل مكانة من لقب الديسبوت Despot . انظـر:
Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 121.

(٢٠٨) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 534; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p.554. Cf. Also, Nicol, *The Desperate of Epiros*, Vol. 2, p.121; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p.182.

(٢٠٩) Magdalino. P, *Tradition and Transformation Medieval Byzantium*, (Variorum, Hampshire,1991) p. 105;Nicol, *The End of The Byzantine Empire*,p.34; Idem, *The Despotate of Epiros*,Vol.2,p.121.

التوقعات ليست في محلها . وعلى أية حال توارى دور إمارة إبيروس السياسي كمنافس للإمبراطورية البيزنطية [٢١٠] .

سياسة بيزنطة تجاه الألبانيين

لقد استقبل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث في شتاء عام ١٣٣٠ م وفدا دبلوماسيا من المهاجرين الألبانيين ، حيث أقسم الألبانيون يمين الولاء والطاعة للإمبراطور البيزنطي بوصفهم أتباعه المخلصين وتعهد الإمبراطور بحماية الألبان من الهجوم المتوقع عليهم من بلاد اليونان وفي المقابل تعهد الألبانيون بعدم الاعتداء على أراضي و أملاك الإمبراطورية البيزنطية ، وأجزل الإمبراطور البيزنطي على الألبانيين كثير من المنح و العطايا والامتيازات كمكافأة لهم على طاعتهم و إخلاصهم له [٥] . ولكن سرعان ما انقلب الألبانيون على الإمبراطور أندرونيكوس عندما ساعدوا المتمرد سيرجيانيز أثناء هروبه من القسطنطينية عبر تساليا عام ١٣٣١م ، استقبلوه فيها بوصفه صديق وحليف قديم [٦] حيث كانت بينهم علاقات ودية منذ كان سيرجيانيز حاكما على بيرات

---

(٢١٠) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp.182-183.
راجع أيضا : محمد عثمان : إبيروس وسياستها الخارجية ، ص ١٨١.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, pp. 436- 437 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 488-489.Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp.178-179;Bosch, *Kaiser Andronikos*, p.135;
Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 255.
وفي حقيقة الأمر لقد بلغ عدد هؤلاء المهاجرين الألبان حوالي اثنا عشر ألفا ، وكانوا يعيشون في التلال والجبال أثناء شهور الصيف، ثم ينزلون في السهول أثناء شهور الشتاء فقط. ولقدتم هذا اللقاء في أكتوبر ١٣٣٠م والذي أقسم يمين الولاء والطاعة للإمبراطور أندرونيكوس الثالث هم الألبانيون القاطنون في كل من ديفول Devol (ديابولس Deabolis) و كولونيا Kolonia أثناء وجوده في أوخريدا . انظر :
Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, pp. 104- 107.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.450-451; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.490. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p. 104.

Berat و أمدوه بالمرشدين الذين قادوه عبر الجبال إلى المملكة الصربية ليقود جيوشها ضد أملاك الإمبراطورية البيزنطية انتقاما من الإمبراطور أندرونيكوس الثالث [١] . وفى عام ١٣٣٧م وصلت أخبار للإمبراطور أندرونيكوس تفيد بتفاقم وتدهور الأوضاع فى الأقاليم الغربية خاصة بيرات وجانينا Kanina، حيث قام الألبانيون بإعلان التمرد والثورة فى كل من بالاجريتا Balagrita وجانينا ، وذلك على الرغم من الاتفاقيات والامتيازات التي منحها الإمبراطور أندرونيكوس الثالث لهم ويرجع ذلك إلى طبيعة الألبانيين التي تميزت سياستهم بالتقلب والتمرد والثورة والغدر والخيانة و إدمان حياة السلب و النهب وقطع الطرق [٢].

ومهما يكن من أمر فإن الألبانيين قد اقتحموا واحتلوا ثلاثة حصون هامة هي كليسورا Kleisoura [٣] وتيمورون Timoron وسكريباريون Skreparion. ولذلك قرر الإمبراطور أندرونيكوس القدوم إلى تلك المناطق التي احتلها الألبانيون لتحقيق هدفين ، الأول هو إرجاع تلك المناطق لحوزة

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1 , p. 451; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1.p.490. Cf.Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, pp.104 - 105.

أما بيرات Berat ، تقع بين أفلونا Avlona ، و دورازو Durazzo (ديوراخيوم Dyorachium) على ساحل البحر الأدرياتيكي Adriatic انظر :

Norwich, *Byzantium the Decline*, p. XIV.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp. 494 - 495 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 538-539. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 180 ; Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, pp.108 – 109; Bosch, *Kaiser Andronikos*, p.94.

أما بالاجريتا Balagrita ، تقع فى إقليم تومور Tomor (توموريت Tomorit) بالقرب من بيرات . انظر :

Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 108.

(٣) كليسورا Kleisoura ، تقع شرق ألبانيا بالقرب من تبلينى Tepeleni، ويسمى حاكمها كليسورارخيس Kleisouraches، ولقد زارها طيبريوس الثاني Tiberios II عام ٦٩٩م . انظر: *O. D. B*, Vol. 2, p. 1132.

الإمبراطورية البيزنطية ، و الثاني إخضاع وقمع الثورة الألبانية الـذي يعتبـر خطوة لإخضاع إمارة إبيروس والتي لا يمكن إخضاعها طالما كانت هناك ثورة في الشمال [٤] ، ورأى الإمبراطور البيزنطي أنه من الحكمـة عـدم اسـتخدام سلاح الفرسان في الحملة المقبلة على الألبانيين ، وذلـك لتفـوقهم ومعـرفتهم بتضاريس جبالهم بكل ما فيها من ثنايا و أركان مما يجعل الألبانيين لديهم القدرة على الاختفاء وتجنب الفرسان البيـزنطيين . كمـا أشـار إلـى ذلـك حنـا كانتاكوزينوس لها قائلا " كانت من عادات الألبانيين الحربية الفرار داخل الجبال والاختباء بها في حالة وجود عدو يطاردهم" [٥] فضلا عن أن الألبـانيين قـد اعتادوا على اللجوء إلى الإقامة على قمم الجبال والمرتفعات في فصل الصيف ، وبالتالي يكون عدوهم الأسفل مما يسهل عليهم رشق هؤلاء الفرسان من أعلى . وبذلك عمد الإمبراطور أندرونيكوس إلى طلب العون والمدد مـن الأميـر عمر أمير إمارة أيدين ، فسارع الأخير بإرسال الإمدادات اللازمة لخوض تلـك الحملة مع قوة عسكرية من الجنود الأتراك بلغت حوالي ألفين جندي من المشاة إلى تسالونيكا في ربيع ١٣٣٨م[٦]ولقد خرج الإمبراطور أندرونيكوس ويرافقـه

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,pp. 495-496; *Gregoras, Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p.539. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 179.

هما سكرابارى Skrapari وتومورون Tomoron اللذان يقعان في إقليم بيرات انظـر:

Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 109.

لمزيد من التفاصيل عن سياسة بيزنطة تجاه إبيروس انظر ما سبق ص ٨٨-٩٦ .

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp. 495 -4 96. Cf. Also , Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 180.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1 , pp. 496 - 497 ; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 540;

Enveri, *Le Destan*, pp.83-85. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol.2, p.109; Idem, *The Last Centuries of Byzantium* , p. 180 ; Fine , *The Late Medieval* , p. 255 ; Lemerle , *L'Emirat D'Aydin* , p.111.

الدوميستيكوس Domesticus حنا كانتاكوزينوس على رأس الجيش البيزنطي و الجنود الأتراك المرتزقة واخترق بهم منطقة ألليريا Illyria– شمال غرب البلقان – ثم عبر تساليا ومنها إلى بيرات التي عسكر فيها واتخذها مركزا لشن حملته على الألبانيين (١) . والجدير بالذكر أنه على الرغم من معرفة الألبانيين بالهجوم البيزنطي المتوقع عليهم ، إلا أنهم لم يعلموا بعملية انضمام الجنود الأتراك للجيش البيزنطي ، فضلا عن جهلهم بطبيعة قتال هؤلاء الأتراك ، ولذلك قرروا الاختفاء بين التلال في ثنايا الجبال للانقضاض على الفرسان البيزنطيين المتوقع وصولهم ، إلا أن أصحاب الأسلحة الخفيفة من جنود الأتراك الذين تميزوا بالحركة السريعة و اتخذوا طريقهم بين التلال والجبال وظهروا فجأة أمام القوات الألبانية مما أحدث ارتباك وفوضى و اضطراب في صفوف الألبانيين (٢) ولقد قام الجيش البيزنطي بالهجوم على كورفو Corfu (٣)

---

(١) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1,p. 497 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 540 - 541; Enveri, *Le Destan*, p. 85. Cf. Also, Nicol, *The Despotate*, Vol.2, pp.109-110.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p. 541.Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros* , Vol. 2,p.110 .

أما الدوميستيكوس Domesticus ، هو القائد الأعلى للجيش البيزنطي والمشرف على كافة دواوين الحكومة المركزية و توجيه سياسية الدولة وظهر هذا اللقب في عصر باليولوجس. انظر : وسام عبد العزيز فرج : الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع ، الكتاب السنوي الثالث ، الجمعية المصرية التاريخية للدراسات اليونانية والرومانية ، ١٩٩٨، ص ٣١٨.

(٣) كورفو Corfu ، جزيرة تقع على ساحل البحر الأيوني Ionian، وتعرف قديما باسم كيركيرا Kerkyra ، وتعد الطريق والمحطة الرئيسية بين القسطنطينية و أقاليمها الغربية ولقد خربها القوط واحتلها في القرن السادس الميلادي ، وهاجمها البشناق في منتصف القرن العاشر الميلادي ، وفرض عليها البنادقة الحصار عام ١٢٠٤م ، ومنذ عام ١٢١٤ م أصبحت الجزيرة الخاضعة لحكم ميخائيل الثاني حاكم إبيروس ، ثم منحها الأخير عام ١٢٥٩م إلى مانفريد حاكم صقلية ، وفي عام ١٢٧٢م سيطر عليها تشارلس الأول من أنجو – شقيق لويس التاسع ملك فرنسا - ثم وقعت تحت سيطرة النافار عام ١٣٨٢م واحتلها البنادقة عام ١٣٨٦م . انظر : سايولف : وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس، ص ١٦، هامش رقم ٢. راجع أيضا : *O. D. B*, Vol. 2, p.1124.

واجتاح دورازو Durazzo (ديوراخيـوم Dyorachium) أو (إبيـدامنوس Epidamnos) وسبيناريزا Spinarizza – يقعان جنوب ألبانيا على سـاحل البحر الأدرياتيكي – وذلك بفضل القوات التركمانية الخفيفة من الرمـاة ، التـي أبلت بلاءا حسنا في هذه الحملة ، حيث قاموا بعملهم على أكمل وجـه وتركـوا الألبانيين بين قتيل و أسير ، وبعد انتهاء الحملة وزع الإمبراطور أنـدرونيكوس على القوة التركمانية غنائم الألبانيين وخاصة مواشيهم ثم سرحهم عـن طريـق تساليا وبوتيا Botiee ليصلوا إلى تسالونيكا ومنها عبر البحر إلى أيونيـا (٤) ولقد خرج المواطنون في بيرات وغيرها من المناطق التي كانت محتلـة مـن جانب الألبان ، مسرورين ومهللين لنجاتهم من هذا الخطر الداهم ، حيث عـانى السكان المحليين كثير من اللصوصية الألبانية ، فعبروا عـن عمـق شـكرهم للإمبراطور أندرونيكوس الثالث الذي تحرك لينقذهم ويلحق الهزيمة بالألبـانيين فضلا عن توفيره لهم الأمن والطمأنينة . وتعد هذه الزيارة الأولى لإمبراطـور بيزنطي منذ عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) للإقلـيم الغربي – أي منذ قرنيين من الزمان تقريبا– (١) . وبذلك خلال عامي ١٣٣٧م ،

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,p. 499- 502;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.I.pp.542-543;
Enveri, *Le Destan*, p. 85. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, Vol. p.180.
ولقد كان من بين الأسرى أطفال وزوجات الألبانيين ولقد أطلق سراحهم الإمبراطور أندرونيكوس . ولقد بلغ عدد الماشية حوالي ثلاثمائة ألف من الثيران ، و خمسة الاف من الخيول ومليون ومائتان ألف من الغنم وزعت للإمبراطور ووزيره والباقي على الجنود المشاركة . انظر :
Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. p. 2, p. 109; Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*,p.111 .

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, pp. 502 – 503; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1 , p. 545;
Schreiner , *Chronica Byzantina Breviora* , Vol.2, p. 249. Cf. Also , Nicol , *The Despotate of Epiros*,
Vol. 2,p.110; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p.180; Fine *The Late Medieval Balkans*, p.255;
Lemerle, *L' Emirate D'Aydin*, p. 111.

١٣٣٨، استطاع الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث أن يقضي على ثورة وتمرد الألبانيين و اجتياحهم واستيلائهم على المناطق الواقعة في شـرق ألبانيـا خاصة كليسورا و تيمورون وسكريباريون وذلك يرجعَ إلى المهـارة العاليـة لجنود التركمان الذين أبلوا بلاءاً حسنا في تلك الحملة . ومما تجدر الإشارة إليه أنه أثناء تلك الحملة وصل وفد دبلوماسي من طرابيـزون Trabizond إلـى القسطنطينية من قبل " إيريني " – الابنة الغير شرعية للإمبراطور أندرونيكوس الثالث تزوجت من باسيليوس Basilios إمبراطور طرابيزون في السابع عشر من سبتمبر ١٣٣٧م – بهدف أن يختار والدها زوجا لها ليتـولى إدارة شـئون طرابيزون ويحقق مصالحها ، ولكن توفى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث عـام ١٣٤١م ولم يحقق طلب ابنته [٢] . وعلى أية حال فلقد قمع أندرونيكوس الثالث ثورة الألبان بفضل سلاح فرسان التركمان وفرض سيطرته على المناطق التي احتلوها.

سياسة بيزنطة تجاه البلغار :

أما الإمبراطور مانويل الأول كومنين ، ولد حوالي عام ١١٢٠م ، ولقد عمل على تقوية التحالف مع الإمبراطورية الألمانية ، ولذلك تزوج من أخت زوجة كونراد الثالث ملك ألمانيا وهى بيرتا أوف سالزباخ Bertha of Salsbach. ولمزيد من التفاصيل انظر:محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٧٥-٣٠٢.

(٢) Gregoras, Byzantinae *Historiae*,Vol.1, p.536.Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*,Vol.2, p.105.

أما طرابيزون Trabizond ، تقع في شمال شرق أسيا الصغرى في شبه جزيرة الأناضول بداية من الانحناء الذي يقع في الجزء الأخير من البحر الأسود في الزاوية الجنوبية الشرقية منه ، وتطل على ساحل تكثر فيه التلال ويفصله عن باقي أسيا الصغرى و أرمينيا سلسلة من الجبال تعرف باسم " جبال بنطس " التي حمت طرابيزون على مر تاريخها لكونها إحدى مدن إقليم بنطس Ponts ، وتقع بين خطوط طول ٣٣ ، ٤٠ شرقا ، و دائرة عرض ٤١ شمالا ، ويحدها من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب ولايات أرزن الروم Erznurum ، ومن الشرق جورجيا Georgia، ومن الغرب قسطمونية – Castamon هي من بلاد الروم ، تقع شمال الأناضول-، وعرفت بأسماء متعددة منها طرابيزون ، ترافن ، وترابسكوس ، وقام بتشيدها جالية يونانية وفدت أليها من سينوب- ميناء رئيس في منطقة بنطس – في القرن الثامن قبل الميلاد

ولمزيد من التفاصيل انظر : بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جـ٩، ص ٥٨. انظر أيضا: هناء محمد إبراهيم: التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر حتى سقوطها ١٤٦١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٩٨م ، ص ٢٤-٢٦ ، ٦٧-٦٨ .

أما عن سياسة بيزنطة تجاه البلغار ، فلقد انتهزت الأخيرة فرصة انغماس الإمبراطورية البيزنطية في الحرب الأهلية عام ١٣٢١م وقامت بالهجوم على المدن البيزنطية في تراقيا وسيطرت على العديد منها و التي من أهمها مدينة فيليبوبوليس Philipopolis وبحكم وجود أندرونيكوس الثالث في إقليم تراقيا في ذلك الوقت حاول التصدي للهجوم البلغاري و إرجاع مدينة فيليبوبوليس إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطية ففرض عليها الحصار ما يربوا على أربعة شهور ، حيث تم تشييد عدة أبراج خشبية والتي تم شحنها بالمقاتلين البيزنطيين المسلحين بهدف تسلق أسوار المدينة إلا أن القوات البلغارية نجحت في التخلص من تلك الأبراج عن طريق حفر خنادق حول المدينة وتغطيتها بأوراق الأشجار ، مما جعل أندرونيكوس الثالث يترك القوات البيزنطية لأحد قادته ويرجع إلى القسطنطينية ، حيث جعل الجيش البيزنطي تحت قيادة جورج بريني Georgios Bryennios الذي واصل حصار المدينة ونجح في استردادها من البلغار (٢١١) .

وفي شتاء عام ١٣٢٤ تعرضت المنطقة الجنوبية لنهر الدانوب لهجوم بلغاري عنيف وسريع عاث خلاله البلغار في الأراضي البيزنطية فسادا ثم

---

(٢١١) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1 , pp. 173 - 177 ; Schreiner , *Chronica Byzantina Breviora* , Vol. 1, p. 279. Cf. Also , Lebeau , *Histoire Du Bas-Empire*, Tom. XIX, pp. 312- 313; Nicol, *The Reluctant Emperor* ,p.28.

من الواضح أنه حدث تفاوض بين جورج بريني وقادة الحامية البلغارية للمدينة حول تسليمهم المدينة مقابل حصولهم على كثير من المنح والعطايا أي أنه تم فتح المدينة عن طريق رشوة حاميتها وهي من الأساليب البيزنطية المتبعة في حالة فشل القوة العسكرية في تحقيق هدفها المنشود .

أما عن فيليبوبوليس Philipopolis ، فهي مدينة تقع في الركن الشمالي من إقليم تراقيا على الضفة اليمنى من نهر هيبروس Hebros (ماريكا Marica) ، وكانت منطقة نزاع مستمر بين البيزنطيين والبلغاريين ولقد اتخذها الإمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦-١٠٥٢م) مركزا لقيادة حروبه ضد البلغار ولقد سقطت في أيدي القوات العثمانية في عام ١٣٦٣م أو ١٣٦٤م . انظر: *O.D.B*, Vol. 3 , pp. 1654-1655.

رجعوا محملين بكثير من الأسلاب والغنائم [٢١٢]. ثم شهدت الفترة الممتدة من عام ١٣٢٥م وحتى أوائل عام ١٣٢٨ نوع من الهدوء النسبي بين بيزنطة والبلغار بسبب قيام أندرونيكوس الثالث بعقد معاهد تحالف وصداقة مع الملك البلغاري ميخائيل سيسمان Michael Sisman [٢١٣] .

ومع بداية شهر يونيو عام ١٣٢٨م تعرضت المنطقة الشمالية لإقليم تراقيا لحملة بلغاريا مكونه من جيش بلغاري ومنغولي تحت قيادة الملك ميخائيل سيسمان منتهكا بذلك جميع الاتفاقيات المبرمة مع الإمبراطورية البيزنطية السابقة ، مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث يخرج فورا على رأس الجيش البيزنطي وفي صحبته وزيره حنا كانتاكوزينوس لمواجهة الغزو البلغاري لإقليم تراقيا ، وعندما وصل الجيش البيزنطي إليها أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث فرقة الاستطلاع البيزنطية لتحديد مكان القوات البلغارية و التي أبلغته بتمركز الجيش البلغاري حول هيبروس Hebrus . فتحرك الجيش البيزنطي والتقى مع القوات البلغارية في معركة انتهت بهزيمة القوات البلغارية التي فرت هربا وكان ذلك في ٢٣يوليو ١٣٢٨م [٢١٤] .

---

(٢١٢) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1 , pp. 189-191. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 68-69.

أما الدانوب Danube ، يعتبر أعظم أنهار أوروبا الجنوبية يصب في البحر الأسود و يأخذ شكل المثلث ، عرف قديما بعدة أسماء منها ، إستروس Istros ، دانوبيوس Danoubios ، دانوبيس Danoubis ، ولقد استخدمه الرومان كحد فاصل لحدودهم و أقاموا عليه العديد من الموانئ والمدن والمقاطعات والتي من أهمها رويتيا Roetia ، و نوريكوم Noricum ، ومويسيا Moesia وغيرها ، وبعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥ ميلادية أصبح الجزء الجنوبي من نهر الدانوب تابعا للإمبراطورية الغربية ، الذي تعرض لاجتياح من جانب الشعوب الجرمانية ، ومع نهاية عام ٥٦٨م تعرض لغزو الآفار Avars ولقد أقام عليه الأباطرة البيزنطيون خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر العديد من الثغور ، فضلا عن كون نهر الدانواب طريقا تجاريا هاما . انظر: *O.D.B*, Vol.1, pp. 586-587.

(٢١٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.207-208;Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1, pp.391-392.

(٢١٤) Cantacuzenus , *Historiarum,* Vol. 1 , pp. 323-324; Gregora , *Byzantina Historia,* Vol.1, p. 430;

ولم يكتف أندرونيكوس الثالث بما أحرزه من نجاح وصد للقوات البلغارية حيث قام بالهجوم على القلاع المنتشرة على الحدود البيزنطية البلغارية فسيطر على عدد كبير منها خلال شهر يوليو ١٣٢٨م . ورد الملك البلغاري على ذلك بأن هاجم شمال تراقيا مرة ثانية، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلحاق الهزيمة الساحقة بالقوات البلغارية بعد معركة عنيفة و حامية وكان ذلك في أغسطس ١٣٢٨م [٢١٥] ونتيجة لتلك الهزائم المتلاحقة ، قرر الملك البلغاري تغير سياسته تجاه الإمبراطورية البيزنطية ، بوقف الحملات العسكرية المتكررة على تراقيا وبعقد معاهدة صلح وسلام مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ، وبالفعل تم عقد معاهدة صلح بين الطرفين في أكتوبر ١٣٢٨م . من الواضح أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث وافق على عقد تلك المعاهدة للتفرغ لوقف الزحف الصربي المستمر في مقدونيا [٢١٦] ولمواجهة الهجمات العثمانية المتكررة على المدن البيزنطية في آسيا الصغرى [٢١٧] .

Schreiner , Chronica Byzantina Breviora , Vol. 2 , p. 255. Cf. Also , Nicol , *The Last Centuries,p168-169;* Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 68-69.
Byzantium, pp. 168 – 169 ; Idem , *The Reluctant Emperor*, p. 31 ; Bosch , *Kaiser Andronikos III*
pp. 69-70.
أما هيبروس Hebrus ، هو نهر في تراقيا ينبع من البحر الإيجيAegean بالقرب من منطقة أينوس Ainos وهو أكبر الأنهار الشمالية التي تنبع من البحر الإيجي ويخترق نهر الهيبروس سهول سيرديكا Serdica وفيليبوبوليس و أدريانوبل ويطلق عليه أيضا اسم نهر ماريكا Marica حيث كان مركز لمعركة ماريكا عام ١٣٧١م . انظر :
O.D.B, Vol.2 , p. 907.
(٢١٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 324 -325;Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1 , p. 430;

Schreiner , *Chronica Byzantina Breviora* , Vol. 2 , p. 255. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*,
p. 70.

(٢١٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 326-327;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 430-431.

وعلى أية حال ففي ربيع عام ١٣٣٠م تم تجديد معاهدة الصلح بين بيزنطة وبلغاريا ، وعقدت معاهدة تحالف مشتركة بصورة نهائية بين الطرفين ، و أمام الخطر الصربي الدائم والمتزايد ، قرر الحلفاء أندرونيكوس الثالث و ميخائيل سيسمان القيام بحملة عسكرية مشتركة ضد المملكة الصربية ، ولقد ذاع خبر تلك الحملة البيزنطية البلغارية ووصل أسماع ستيفين إيروش الثالث ديكانسكي Stephen Uros III Decanski الذي عرض الصلح على الطرفين إلا أن ميخائيل سيسمان رفض ذلك على الدخول في معركة مع القوات الصربية (٢١٨).

ومهما يكن من أمر فإنه أثناء تحرك القوات البلغارية والقوات البيزنطية كل في اتجاه الأخر للالتقاء في النقطة المتفق عليها بينهما قام الملك الصربي بهجوم مفاجئ على القوات البلغارية والتي بلغت حوالي اثنا عشر ألف من البلغار وثلاثة آلاف من الجنود المرتزقة التتار Tatars (٢١٩) ، قبل أن تنضم

Cf. Also, Fine, *The late Medieval Balkans* , p. 370;Nicol , *The Last Centuries of Byzantium* , p.176 ;
Bosch , *Kaiser Andronikos III*, p. 72.
راجع أيضا : عماد أمين : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ، ص ١٢٨.

(٢١٧) لمزيد من التفاصيل انظر ما سبق الفصل الثاني.

(٢١٨) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, p. 428; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1, pp.456-457 Cf. Also, Bosch , *Kaiser Andronikos III* p. 74 ; Fine , *The Late Medieval Balkans* , p. 270; Miller, *The Balkans* , pp. 269-270 ; Nicol , *The Last Centuries* , p. 176 ; Ostrogorsky , *History of the Byzantine State* , p.450.

أما ستيفين ديكانسكي، هو ابن الملك الصربي ستيفان إيروش الثاني ميليوتين ، و تم تتويجه في ٦ يناير ١٣٢٢م على العرش الصربي ، وفي أثناء شبابه اضطر والده لإرساله إلى الخان المغولي نوجاي Nogay كرهينة حتى عام ١٢٩٩م، وقاد حركة تمرد فاشلة ضد والده عام ١٣١٤م. انظر:

O. D. B, Vol. 3,p.1950.

(٢١٩) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1 , p. 429; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p. 457. Cf.

إليهم القوات البيزنطية وذلك عند فيلبوشد Velbuzd فى ٢٨ يوليو ١٣٣٠م و ألحقت بهم هزيمة ساحقة فقضى على الجيش البلغاري تماما و أصيب الملك البلغاري ميخائيل سيسمان بجرح مميت فى تلك المعركة العنيفة ويشير حنا كانتاكوزينوس إلى ذلك قائلا " لقد حاول ميخائيل سيسمان الهرب والنجاة بنفسه إلا أنه سقط من فوق جواده ومات متأثرا بجراحه" (٢٢٠).

وفى حقيقة الأمر أن البيزنطيين لم يفكروا فى تقديم المساعدة لحلفائهم البلغاريين الذين واجهوا الجيش الصربي وحدهم على الرغم من وجود القوات البيزنطية حول مقدونيا ، إلا أنهم فضلوا مصالحهم الخارجية وهى استعادة بعض الحصون والقلاع التي احتلها ستيفين ديكانسكي فى عام ١٣٢٩م – يقصد أوخريدا والمنطقة المحيطة بها – منتهزين فى ذلك فرصة انشغال الصرب فى حربها مع القوات البلغارية فى فيلبوشد (٢٢١) .

Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 270-271; Soulis, *The Serb and Byzantium*, p. 2.

أما التتار Tatar ، كلمة مشتقة من مقطعين الأول "تات " بمعني الجبل ، والثاني " ار" بمعنى الساكن وبذلك تعني كلمة "تتار" ساكن الجبال . ولقد انقسم العلماء حول تحديد أصول التتار إلى ثلاثة فرق الأولي ، تقول أنهم المغول الذين قاموا بغزوا روسيا وبلاد أوروبا الشرقية فى القرن الثالث عشر ، والثانية ، ترجع جذورهم إلى القبائل التركية فى وسط نهر الفولجا ،والثالثة ، تقول إنهم سلالة البولجار الذين اكتسبوا من المغول مجرد الاسم "تتار" والذين أصبحوا فيما بعد يعرفوا باسم البلغار . انظر : أبرار كريم الله : من هم التتار ، ص ١٧ وما بعدها .

(٢٢٠) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 430; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , p. 457. Cf. Also, Nicol , *The Last Centuries of Byzantium* , p. 176 ; Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 74 ; Fine , *The Medieval Balkans* , p. 272 ; Ostrogorsky, *History of The Byzantine State*, p. 450 ; Soulis , *The Serbs and Byzantium*, p.2.

أما فيلبوشد Velbuzd ، فتعرف قديما باسم باتاوليا Potaulia ، وهى عبارة عن مدينة وحصن فى نفس الوقت وتقع فى الركن الجنوبي من بلغاريا وهى كجوستنديل Kjustendil الحالية . انظر :

(٢٢١) Fine , *The Late Medieval Balkans* , p.272.

وعلى أية حال قام الملك الصربي ديكانسكي بتنصيب أخته "أنا– نيدا" Anna Neda وابنها حنا ستيفين John Stephen على العرش البلغاري في تورنوفو Turnovo [٢٢٢] مكان ثيودورا أخت الإمبراطور أندرونيكوس الثالث التي عادت إلى مدينة القسطنطينية ولذلك قام أندرونيكوس بحملة على الحدود البلغارية ، فسيطر على بعض الحصون والموانئ والمدن المطلة على البحر الأسود بإقليم تراقيا والتي من أهمها ميسمبريا Mesembria ، أنخيالوس Anchialos ، ديامبوليس Diampolis ، أيتوس Aitos (أيتون Aeton) ، كيتنيا Ctenia وروكاستترون Rhossokastron (Rhosscastrum) . ثم قام بالهجوم على جامبول Jambol (Yambol) – إحدى مدن تراقيا المهمة تقع على نهر هيبروس (ماريكا) – وذلك بحجة الانتقام لأخته ثيودورا [٢٢٣] .

ونتيجة للخسائر المالية الفادحة وفقد الكثير من الضحايا البلغاريين من قتلى وجرحى ، فضلا عن عدم قدرة "أنا – نيدا" على حماية حدودها من الهجمات البيزنطية المتتالية ، تم تشكيل وفد دبلوماسي بلغاري من نبلاء تورنوفو تحت رئاسة مويسورم Moesoraum ، اللوجوثيت فيليبوس Logothete Philippos وبروتوفيستياريوم راكسينام Protovestiarium

(٢٢٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.430. Cf.Also, Nicol , *The Last Centuries of Byzantium* , p. 176; Fine, *The Late Medieval Balkans* , p. 273; Soulis, *The Serbs and Byzantium* , pp. 2-3.

أما تورنوفو Turnovo ، مدينة تقع على نهر جانترا Jantra في الركن الشمالي من بلغاريا ، وكانت تورنوفو عاصمة للمملكة البلغارية الثانية ، ومنذ عام ١٢٣٥م أصبحت مقرا للبطريركية البلغارية ، ولقد احتلها العثمانيون في ١٧ يوليو ١٣٩٣م . انظر: *O.D.B*, Vol. 3, p. 2130.

(٢٢٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.431; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1, p.458. See Also, Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 78 ; Nicol , *The Last Centuries* , p. 176 ; Soulis , *The Serbs and Byzantium* , p. 3; *O.D.B*, Vol. 3 , pp. 2079-2080.

Rhaxinam للسفر إلى القسطنطينية (٢٢٤) إلا أن فيليبوس راكسينام قاموا بالإطاحة وإسقاط "أنا-نيدا" وابنها "حنا ستيفان" وقاموا بتنصيب إيفان ألكساندر ستراتزيمير Ivan Alexandrum Stratzimer وذلك بعد عودتهم من القسطنطينية إلى تورنوفو (٢٢٥) ولقد استهل إيفان ألكساندر حكمه بتحسين علاقته بالمملكة الصربية بأن عقد معهم معاهدة تحالف مشترك ضد الإمبراطورية البيزنطية ، ثم قام بالهجوم على شمال تراقيا واستعاد جميع المدن التي غزاها الإمبراطور أندرونيكوس الثالث منذ فترة وجيزة باستثناء ميسمبريا، ولقد استولى إيفان ألكساندر على بعض تلك المدن بالقوة، والأخرى بالتسليم منتهزا فرصة انشغال الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بنجدة نيقوميديا المحاصرة من السلطان أورخان وكان ذلك أوائل عام ١٣٣١م (٢٢٦) . وكان على الإمبراطور أندرونيكوس الثالث مهادنة إحدى القوتين المغيرتين البلغارية والعثمانية على أراضي البيزنطية ليتفرغ لمحاربة الأخرى وحتى لا يقع بين شقي الرحى (٢٢٧) .وعلى أية حال عندما عاد أندرونيكوس الثالث من أسيا الصغرى بعث برسالتين إلى إيفان ألكساندر الواحدة تلو الأخرى ، في الرسالة

---

(٢٢٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 458; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1 , pp. 455 - 456 ;
Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*,Vol.2, p.255.Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.78;
Fine, *The Late Medieval Balkans* , p. 273 .
أما اللوجوثيت Logothete ، هو رئيس وزراء الخارجية ، والمسئول عن المراسلات المتبادلة بين غيره من الوزراء و بين الحاكم . انظر رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٠٢.

(٢٢٥) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, pp.458-459;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 456. Cf. Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 273.

(٢٢٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.459; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1 , pp. 457 - 458. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* p.78.

(٢٢٧) Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 78.

الأولى، أوضح الإمبراطور لإيفان أنه لم يكن ليبدأ الحرب ضد البلغار أو يستولي على شئ من بلادهم إلا ليحمى دولته منهم ، ويحاول استعادة أملاك بيزنطة ، أبدى استعداده لعقد معاهدة سلام مع إيفان بشرط أن يرد إلى بيزنطة مدينة أنخيالوس ،أما فى الرسالة الثاني ، أشار إلى استعادة جميع المدن التى غزاها البلغاريون حيث إن هذه المدن أجزاء من مناطق تابعه للإمبراطورية البيزنطية ولم ينتقل حكمها إلى الملك البلغاري ثيودور سيفتوسلاف إلا أثناء هجوم الجماعات القطالونية و الأتراك (٢٢٨) وجاء رد إيفان على تلك الرسائل بالرفض ، فقام الإمبراطور البيزنطي بالخروج على رأس حملة عسكرية غزا بها المدن الواقعة على الحدود البلغارية مرة ثانية وشن هجوما عنيفا على مدينة خائيموس Haemus (٢٢٩) .

ثم تواجه الجيشان البلغاري عند أيتوس (أيتون) والبيزنطي عند مدينة روسوكاسترون ولم يفصل بينهما إلا طريق صغير ، وقد ظل أندرونيكوس الثالث ينظم قواته عدة أيام متتالية حتى بعث إليه الملك البلغاري إيفان ألكساندر رسالة دارت فحواها حول مدينتي أنخيالوس و ديامبوليس وتم إبرام اتفاقية مؤقتة بين الطرفين فى السابع عشر من يوليو ١٣٣١م حصل بمقتضاها البيزنطيون على أنخيالوس وحصل البلغار على ديامبوليس (٢٣٠).

---

(٢٢٨) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.459.Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.79;Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 450.

(٢٢٩) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 460-463. Cf. Also, Ostrogorsky, *History of Byzantine*, p.450.

أما خائيموس Haemus ، فهي إحدى مدن أنخيالوس الواقعة على الحدود البلغارية . انظر :

O.D.B, Vol. 1, p.90; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 79; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 273.

(٢٣٠) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, pp. 463-464. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 79.

وفى اليوم التالي – الثامن عشر من يوليو ١٣٣١م – لتوقيع الاتفاقية انضمت قوات مساعدة من البشناق Scythians [٢٣١] للقوات البلغارية فدفع بها إيفان ألكساندر لخوض معركة ضد القوات البيزنطية عند مدينة روسوكاسترون ، فحققت القوات البلغارية بمساعدة قوات البشناق انتصاراً ساحقا على القوات البيزنطية ، فاضطر الإمبراطور أندرونيكوس إلى طلب الصلح وتوقيع اتفاقية جديدة تنص على أن يحصل البلغار على أنخيالوس في مقابل حصول البيزنطيون على ديامبوليس و إطلاق سراح الأسرى البيزنطيون وزوج ابنه الإمبراطور أندرونيكوس من ابن الملك البلغاري ويدعى ميخائيل أسان Mechael Asan ، و أن يسترد البلغاريون مدن روسوكاسترون و كيتنيا و أيتوس و ميسمبريا [٢٣٢] .

وفى حقيقة الأمر فقد تردد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث كثيرا في تنفيذ مطلب زواج ابنته فى بداية الأمر وذلك لأنها لم تكن قد بلغت من العمر سوى ثلاث سنوات ولكنه اضطر ليعلن موافقته على خطبتها خوفا من تكوين حلف بلغار مغولي ضد القسطنطينية، ويصف حنا كانتاكوزينوس ذلك قائلا " لقد حزن الإمبراطور أندرونيكوس حزنا شديدا لكونه مجبرا على تزويج ابنته لأمير بربري (بلغاري) ولصغر سنها ولكن لابد له أن يفضل مصلحة الإمبراطورية على العواطف الشخصية ، حيث أقيم حفل عرس الإمبراطور

---

(٢٣١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.464; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 459.

أما البشناق Scythians ، فهم قبائل بدو رحل ينتمو للشعوب الأورسية (أوربي أسيوي) ، وموطنهم الأصلي شمال البحر الأسود ولكنهم هجروه نتيجة لإغارات السراطة المتكررة عليهم وفي القرن الحادي عشر الميلاد سيطر البشناق علي الطريق التجاري الكبير الدانوب – القسطنطينية ولقد ألحق البشناق بالجيش البيزنطي هزائم متعددة خلال الفترة الممتدة من ١٠٨٦–١٠٩١م ، وفي عام ١٠٩١م أوقف الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس خطر البشناق . انظر: أنا كومنينا : ألكسياد ، ص ٢٦٨–٢٧١ . راجع أيضا : حاتم الطحاوي : بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص٣٢. راجع أيضا: *O.D.B*, Vol.3, pp.1857-1858.

(٢٣٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.466-467; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp.462- 463.

Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 79.

على الأمير ميخائيل أسان في مراعـــي كــومينيس Komenen فـــي تونـــدزا Tundza أمام أبواب أدرنه في مهرجان من الألعاب والشراب وكل ما يســـر، اختتم بذهاب ابنة الإمبراطور في صحبة بيزنطية كبيرة إلى بلد زوجها " (٢٣٣) . ويعلق المؤرخ نقفور جريجوراس على هذا الزواج قائلا " كـــان زواج ابنـــة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث من ابن الملك البلغاري إيفان ألكساندر أســـاس للعلاقات الجيدة بين بيزنطة وبلغاريا " (٢٣٤) .

وبالفعل فقد شهدت العلاقات البيزنطية البلغارية نوعا من الهدوء النسبي حتى عام ١٣٤١م . وعندما لجأ ابن الملك البلغاري السابق ميخائيل سيســـمان و الذي يحمل نفس الاسم إلى القسطنطينية لمساعدته في المطالبة بحقه في العرش البلغاري ، فأرسل إيفان ألكساندر تهديدا صـــريحا للإمبراطوريـــة البيزنطيـــة بالحرب في حالة عدم تسليم ميخائيل سيسمان الابن إليه ولكن في تلـــك الأثنـــاء كان أندرونيكوس الثالث قد مات (٢٣٥) .

وبذلك تأرجحت السياسة البيزنطية تجاه البلغار بين السلام الحذر المؤقت والقتال المستمر خلال عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ؛ حيث حدث بينهما عدة معاهدات سلام من أبرزها معاهدة ربيع عام ١٣٣٠م والتي ترتبت عليهـــا معركة فيلبوشد ، أما عن القتال فقد كان لصالح البلغار ، حيث خسرت بيزنطـــة كثيرا من المدن والموانئ المطلة على البحر الأسود بإقليم تراقيا فـــي معاركهـــا ضد البلغار.

---

(٢٣٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.468-469; Gregoras, Byzantinae Historiae , Vol. 1, p . 464 Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 80.

(٢٣٤) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 465.

(٢٣٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1 , pp. 470-471; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 483 Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 81-82.

سياسة بيزنطية تجاه الصرب

لقد كان الإمبراطور أندرونيكوس الثالث خصما شخصيا للصرب منذ عام ١٣٢١ لعدم تنفيذ ستيفان إيروش الثاني ميليوتين الاتفاق السري الذي أبرمه معه من خلال راهبه كاليتيكوس Kallinikos بشأن تقديم المساعدة له ضد جده الإمبراطور أندرونيكوس الثاني[٢٣٦]، وكذلك لتحالف الملك الصربي ستيفين ديكانسكي مع أندرونيكوس الثاني في عام ١٣٢٧م ضده مقابل حصوله على بعض المناطق المحيطة بمدينة بروسك Prosek [٢٣٧] والجدير بالذكر أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث اتخذ منذ بداية حكمة سياسة معادية للصرب بإعادة اتفاقية شيرنومين Cernomen الحربية مع الملك البلغاري ميخائيل سيسمان في أكتوبر ١٣٢٨م ضدهم [٢٣٨].

وجاء رد الملك الصربي ستفين ديكانسكي على تجديد اتفاقية شيرنومين بأن أرسل فرقة عسكرية صربية اجتاحت المناطق الجنوبية والغربية لمقدونيا فسليت ونهبت تريبالوس Triballos ، ثم خربت المنطقة المحيطة بمدينة أوخريدا (Achridem) بل وفرضت الحصار على المدينة الأخيرة ، وكان ذلك

---

(٢٣٦) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, pp. 36-37. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 88.

(٢٣٧) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1, p.378. Cf. Also, Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p. 446; Zivojnovic. M , *La frontiere Serbs- Byzantine Dans Les Premieres Decennies Du XIVe Siecle* , in. *Byzantium and Serbiain The 14 Century,* (Athens, 1996) p. 64.
أما بروسك Prosek، فهي مدينة حصينة تقع على الضفة اليمنى من نهر الفاردار في بلغاريا وعلى مقربة من ديميركابيجا Demirkapija ولقد وقعت تحت السيطرة العثمانية عام١٣٨٩م انظر: .*O.D.B*,Vol.3,p.1738

(٢٣٨) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.326-327; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol.1 , p. 430. See Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 72.
أما شيرنومين Cernomen ، تقع على نهر هيبروس (ماريكا) ضمن إقليم تراقيا وتبعد خمس وعشرون ميلا عن أدريانوبل (أدرنه) ، وتعرف حديثا باسم أورمينيون Ormenion انظر : .*O.D.B*, Vol.2 , p. 1298

في ديسمبر عام ١٣٢٩م . وعندما علم الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بتلك الإغارات الصربية أرسل على الفور فرقة عسكرية بيزنطية لمساعدة المدينة المحاصرة في أول عام ١٣٣٠م مما جعل القوات الصربية تقرر الانسحاب بأقصى سرعة من أمام المدينة (٢٣٩) . وأمام التوغل الصربي في الأراضي البيزنطية في مقدونيا ، تم التخطيط لحملة بيزنطية بلغارية ضد الصرب ، إلا أن الأخيرة علمت بتلك الحملة فقامت بهجوم مباغت على القوات البلغارية في معركة فيلبوشد قبل أن تنضم إليها القوات البيزنطية وذلك في الثامن والعشرين من يوليو ١٣٣٠ والتي انتهت بهزيمة ساحقة للقوات البلغارية (٢٤٠) .

وبعد معركة فيلبوشد نهج الملك الصربي ستيفين ديكانسكي سياسة سليمة جديدة تجاه الإمبراطورية البيزنطية ، مما أدي إلى قيام النبلاء الصرب بثورة ضده ، لأنها سياسة تتعارض مع مصالحهم و أهدافهم التوسعية في مقدونيا البيزنطية ولذلك عزلوا ستيفين ديكانسكي وعينوا ابنه ستيفن دوشان Stephen Dusan (ستيفين إيروش الرابع Stephen Uros IV) (٢٤١) . وعندما تولى

(٢٣٩) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 427-428 Cf. Also, Fine, *The Late Medieval Balkans* , p. 271; Bosch, *Kaiser Andronikos III,* p. 93.

(٢٤٠) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 429-430; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 457 Cf. Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 271; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 78.
لمزيد من التفاصيل عن معركة فيلبوشد انظر ما سبق ، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢٤١) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 472. Cf. Also , Fine , The Late Medieval Balkans , p. 285; Soulis , The Serbs and Byzantium, pp. 4-5.
أما ستيفين دوشان Stephen Dusan ، تعني كلمة دوشان الروح الأبوية ، وفي رواية أخري الشنق أو الخنق ، وعلى أية حال لقد قضى ستيفين دوشان سبع سنوات من شبابه في المنفى مع والدة ستيفين ديكانسكي في القسطنطينية ، وقاد القوات الصربية في معركة فيلبوشد ١٣٣٠م وقاد حركة تمرد ضد والده ديكانسكي بمساعدة نبلاء زيتا Zeta ، وأقام علاقات سلام مع البلغار عن طريق الزواج من هيلانه Helena أخت إيفان ألكساندر الملك البلغاري ، وتوفي في ٢٠ديسمبر ١٣٥٥م . انظر عماد أمين محمد : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ص ١٣١. راجع أيضا : *O.D.B*, Vol.3 , p. 1950.

ستيفين دوشان العرش الصربي عام ١٣٣١م ، كانت الإمبراطورية البيزنطية تعانى من ازدياد الأخطار العثمانية فى أسيا الصغرى [٢٤٢] ، والأخطار البلغارية على مدن وموانئ البحر الأسود بإقليم تراقيا [٢٤٣] فاستغل دوشان ذلك وخرج على رأس القوات الصربية إلى مقدونيا فهاجم ستروميتزا Strumitza (ستروميكا Strumica) – قبالة بروسك – لكنه فشل فى اقتحامها ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٣٣١م [٢٤٤] .

و إذا كانت الهجمات الصربية على مقدونيا البيزنطية قد توقفت مع حلول عام ١٣٣٢م، فكان ذلك نتيجة لانسحاب ستيفين دوشان للقضاء على ثورة بوجوجى Bogoje فى زيتا Zeta ، ولعل السبب الرئيسي لهجوم دوشان على أراضى البيزنطية هو خشيته من ظهور سيمون ابن ستيفين ديكانسكي من زواجه بأميرة بيزنطية ، ليهدد ويطالب بحقه فى ميراث العرش الصربي . وعلى أية حال فقد عين الإمبراطور أندرونيكوس الثالث قائد سيرجيانيز على الأقاليم الغربية لمقدونيا و ألبانيا الشمالية بهدف وقف الزحف الصربي المستمر فى الأراضي البيزنطية [٣] إلا أن سيرجيانيز سرعان ما انقلب على ولى نعمته

---

(٢٤٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.460; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.458; Asik – Pasa – Sohn, *Fruhzeit and Aufstieg*, p. 68. Cf. Also , Bosch , *Kaiser Andronikos III*, p. 158.

(٢٤٣) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, pp.463-466; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1, p. 459.

(٢٤٤) Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1 , pp. 472 - 473. Cf. Also , Ostrogorsky , *History of The Byzantine State*, p. 446; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 285.

(٣) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1 , pp. 437 ff ; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1 , pp. 362-364.See Also, Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.274; Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 91 ; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177.

بوجوجي أمير مقاطعة زيتا Zeta الصربية وزعيم نبلائها الذين لعبوا دورا بارزا في سير الأحداث فى المملكة الصربية ، فهم الذين قاموا باغتيال ستيفين ديكانسكي . وعندما تولى ابنه ستيفين دوشان قام بوجوجي وصديقه ديميتريوس سوما Demetrius Soma بقيادة ثورة فى

أندرونيكوس الثالث وعقد اتفاقا سريا مع ستيفين دوشان ، ولذلك تم إحضاره إلى القسطنطينية لمحاكمته على خيانته ولكنه فر هاربا صوب البلاط الصربي وكان ذلك مع نهاية عام ١٣٣١م. وعندما وصل سيرجيانيز إلى بلاط دوشان الذي استقبله بحفاوة بالغة و أكرمه و أبرم معه اتفاقا ينص على أن يقود سيرجيانيز القوات الصربية للاستيلاء على المدن والقلاع البيزنطية ، على أن يقدم دوشان لسيرجيانيز القوات العسكرية الصربية اللازمة للاستيلاء على العرش البيزنطي [٤] ، وخرج القائد المتمرد سيرجيانيز على رأس القوات الصربية صوب القلاع والمدن البيزنطية في مقدونيا ، فسيطر على كاستوريا وسلمها إلى الملك الصربي ستيفين دوشان . وخلال عام ١٣٣٣م وحتى منتصف صيف عام

زيتا من أجل تأكيد الامتيازات التي حصلوا عليها في عهد ابنه ديكانسكي ، ولرغبتهم الأكيدة في الانفصال عن الصرب ؛ إلا أن الملك الصربي ستيفين دوشان تحرك على رأس إحدى الطرق العسكرية الصربية وقضى على تمردهم وثورتهم وفرض سيطرته مرة ثانية على زيتا عام ١٣٣٢م. لمزيد من التفاصيل . انظر :

Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. I, p. 457. See Also, Soulis, *The Serbs and Byzantium* , p. 8;

Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 288.

راجع أيضا : عماد أمين : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسة ، ص ١٣١ .

أما زيتا Zeta ، مقاطعة تضم أجزاء من الجنوب الغربي من يوغسلافيا Yugoslavia، وشمال ألبانيا ولقد رفت باسم زينتينا Zentina في عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بور فيروجيليتوس (٩٣١-٩٥٩م) ، وفي أثناء حكم أسرة نيما نجيد Nemanjid أصبحت جزءا من الصرب ، ولقد هاجمها الأتراك عام ١٣٧١م ، ثم خضعت لحكم أسرة جديدة تسمى كرنوجيفيشي Crnojevici في عام ١٤٤٤م، ولقد عرفت في القرن الرابع عشر الميلادي باسم مونتينيجرو . Montenegro . انظر :

O. D. B, Vol. 3, p. 2224; Fine, *The Late Medieval*, p. 286.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. I, pp. 448-449; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 440.Cf. Also, Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177 ; Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 286;

Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 91 ; Cirkovic. S , *Between kingdom and Empire : Dusan's State 1346-1355 Reconsidered, in. Byzantium and Serbia in The 14 Century* (Athens, 1995) p. 112.

١٣٣٤م واصل سيرجيانيز زحفه فسيطر على أوخريدا ، ستروميتزا و بريليب و بعدها عبر نهر الفاردار ودق أبواب مدينة تسالونيكا [١].

وبذلك وجد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث نفسه فى موقف لا يحسد عليه ، حيث أصبح مجبرا على خوض حرب ضد سيرجيانيز وحليفه الصربي دوشان ، فبعد هروب سيرجيانيز بقليل سارع الإمبراطور البيزنطي إلى ديديموطيق ليستدعي بعض القوات البيزنطية المرابطة فيها لخوض تلك الحرب المرتقبة وفي ديديموطيق عرض عليه سفرانتزيس باليولوجس Sphrantzes Palaiologos [٢] خطة للتخلص من سيرجيانيز تتلخص فى أن يقيم سفرانتزيس صداقة مع سيرجيانيز ويكسب ثقته وذلك عن طريق إعلانه عداءه الواضح للإمبراطورية أندرونيكوس الثالث، ولكي ينفذ تلك الخطة منحته الأخير الولاية على المدن المحيطة بكاستوريا و أرسله إلى تسالونيكا [٣] . وبالفعل نجح

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1, p.450; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.490; Loenertez, Order et Desorder , p. 230.Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177; Fine, *The Late Medieval Balkans*. p. 288; Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 93 ; Cirkovic , *Between kingdom and Empire,* p. 112; Soulis, *The Serbs and Byzantium* , p. 8; *O.D.B*, Vol. 2 , p. 11.

في حقيقة الأمر لم يقم الملك الصربي بأي إجراء ضد الإمبراطورية البيزنطية فى عام ١٣٣٢م بسبب ثورة بوجوجي فى زيتا انظر : ما سبق الصفحة السابقة ص ١١٢.

(٢) Cantacuzenus, Historiarum , Vol.1, pp. 451- 452; Gregoras, Byzantinae Historiae, Vol.1, p500.

أما سفرانتزيس باليولوجس ، هو أحد أقارب الإمبراطور أندرونيكوس الثالث، وكان رئيسا لمجلس الشيوخ البيزنطي (السناتور) ، منذ عام ١٣٣٤ ، وكان حاكما على قلاع سوسكوس Soskos ، ديبري Dibre فلورينا Florina ، ستاريدولا Staridola في غرب مقدونيا . انظر :

Soulis, *The Serbs and Byzantium* , p. 7; Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 94.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol. 1, p. 452 - 453; Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1, p. 500. Cf. Also, Soulis, *The Serbs and Byzantium,* p.7 ; Bosch, *Kaiser Andronikos III,* p. 94.

سفرانتزيس بمكره و خداعه أن يكسب ثقة سيرجيانيز و دوشان معا بكل سهولة ويسر ، اللذان اعتبراه حليفا مخلصا فـي حربهـا المقبلـة مـع الإمبراطـور أندرونيكوس الثالث [٤].

وعلى أية حال ، اقترب اللقاء في أواخر صيف ١٣٣٤م ، حيث لم يكن الجيشان بعيدين عن بعضها البعض ، فالصرب يعسكرون في أكسيوس Axios ، أما القوات البيزنطية فترابط على هضبة على بحيرة بولبسي Bolbesse (بولبين Bolben) [٥] – بالقرب من تسالونيكا – وبعد ذلك زحف الإمبراطور البيزنطي إلى تسالونيكا وبقي حولها عدة أيام ليؤمن وصول الإمدادات أليهـا ، وفي تلك الأثناء نجح سفرانتزيس في استدراج سيرجيانيز بحجة عمـل جولـة استطلاعية ، وفي أثناء سيرهم طعنه طعنة مميتة أودت بحياته في الحال ، وذلك على نهر جاليكوس Galykos الذي يقع على مقربة من تسالونيكا وكان ذلك في ٢٣ أغسطس ١٣٣٤ م [٦] .

وفي السادس والعشرين من أغسطس عام ١٣٣٤م عقـدت معاهـدات صلح وسلام بين الإمبراطور أندرونيكوس الثالث والملك الصربي استيفن دوشان تنص على أن يتنازل دوشان عن كلا من برلين و أوخريـدا ، سـتروميتزا ، كاستوريا ، سيديروكاسترون Siderokastron (شـيليزنيك Zeleznec) وشيمرين Cemren ، وبروسك للإمبراطورية البيزنطية. على أن تعـد تلـك المدن السابقة الحد الفاصل بين الحدود البيزنطية الصربية و أن يعيد الصـرب

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, p.454.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1 , p. 455. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 94; Cirkovic, Between Kingdom and Empire, p.112.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.455- 456;Gregoras, *Byzantinae Historiae*,Vol.1, p.501.Cf. Also, Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 288 ; Soulis , *The Serbs and Byzantium* , p. 7 ; Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 94.

جميع الحصون والمدن الأخرى التي احتلوها منذ فترة وجيزة لحوزة الإمبراطورية البيزنطية . و أن يقدم الإمبراطور أندرونيكوس الثالث المساعدة العسكرية للصرب في حربها المرتقبة مع هنغاريا Hungary (١) .

ولعل السبب المباشر الذي دفع الملك الصربي لطلب توقيع تلك المعاهدة ويتخلى عن موقفه العدائي لبيزنطة ، يرجع إلى فقدان حليف ذا مهارات عسكرية عالية مثل سيرجيانيز ، وكذلك لظهور الشبح الهنغاري تحت قيادة الملك روبرت كونت أنجو على الحدود الشمالية الصربية . أما الإمبراطور أندرونيكوس الثالث فقد رحب بعقد تلك الاتفاق ليأمن شر الجانب الصربي وليتفرغ لاستعادة بلاد اليونان الشمالية خاصة تساليا و إبيروس (٢) .

و أثناء إقامة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث في تسالونيكا وصلت إليه سفارة صربية تدعوه لمقابلة الملك الصربي ستيفين دوشان في إحدى قرى مقدونيا والتي تسمى فيامي Vaimi، فوافق الإمبراطور على طلبهم وذهب ومعه وفد بيزنطي كبير بلغ حوالي ثلاثمائة رجل ، وتقابل الطرفان البيزنطي والصربي على تل رادو بسدين Rhadobsdein (رادو فيشتى Radoviste) بمقدونيا ، واستمر اللقاء حوالي سبعة أيام أقام فيها الإمبراطور البيزنطي في القصر الملكي لدوشان الذي استقبله بحفاوة بالغة و

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. I, p. 457-458; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , pp. 501.Cf. Also, Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 8; Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 95; Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 288 ; Popovic. M , *Les Forteress Dans Les Regions Des Conflits Byzantino – Serbes Au XIVe Siecle, in.Byzantium and Serbia in 14th Century*, (Athens, 1996) p.74.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, pp. 458,473 ff.Cf.Also, Soulis, *The Serbs and Byzantium*, pp.8-9;Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 95 ;Ostrogorsky, *History of The Byzantine State*, p. 506.

أكرمه وكانت معاملة وضيافة الملك الصربي ملكية رائعة (٣) . وساد اللقاء نوع من الهدوء والود بين العاهلين البيزنطي والصربي وتبادلا فيما بينهما الهدايا التي تشتهر بها بلديهما وتم توقيع معاهدة صداقة وتحالف بين الطرفين في حضــور لفيف من كبار رجال البلدين (٤) . ولعل ولغرض الرئيس من تلك المقابلــة هــو رغبة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث الأكيدة في الحصول على وعد من الملك الصربي بنهج سياسة الحياد وعدم التدخل على الأقــل أثنــاء قيامــه بحملتــه العسكرية على ابيروس كخطوة تالية بعد عودة تســاليا لحــوزة الإمبراطوريــة البيزنطية (٥)

ولقد ظلت العلاقات الودية سائدة بين الطرفين ، وحافظ دوشــان علــى معاهدة مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ، ولــم يحــاول اســترداد المــدن البيزنطية التي سبق أن سلم بخضوعها للإمبراطورية البيزنطيــة وذلــك علــى الرغم من إعلان قائده هارلجى Harlje انفصاله عنــه بمقاطعــة علــى نهــر ستروما Struma وانضمامه للحلف البيزنطي الذى رحب بضمه ومنحه لقــب قيصر Caesar (٦)

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p.487-490; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp.497-498.
See Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 95; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 9.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 491-492; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 498-499.
Cf. Also, Soulis, *The Serbs and Byzantium*, pp. 8-9.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*,Vol.1, p.492.See. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.177.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, p. 540 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 570.See Also,
Fine, The Late. Medieval Balkans, p.291; Popvic, Les Forteresses Dans Les Regions, p. 75.
راجع أيضا : عماد محمد أمين : الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية ، ص ١٣٦ .

وبذلك استطاع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث أن يستعيد أملاك أجداده المنفصلة منذ الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤ م فى شمال بلاد اليونان خاصة إبيروس و تساليا دون إراقة دماء بفضل ذكاء وبلاغة وزيره و قائده الأعلى جنا كانتاكوزينوس . إلا أن الإمبراطورية البيزنطية فقدت الكثير من المدن البيزنطية المنتشرة على البحر الأسود خلال صراعها ضد المملكة البلغارية وكذلك انهارت مقاومة الحامية البيزنطية وسيطرت القوات الصربية على الممتلكات البيزنطية فى الجنوب الشرقي من أوربا و أصبحت صربيا سيدة مقدونيا بلا منازع و أعظم قوة فى شبه جزيرة البلقان .

أما لقب القيصر Caesar ، هو لقب يمنحه الإمبراطور البيزنطي للأمراء والأجانب فى الأماكن البعيدة عن الإمبراطورية البيزنطية مثل تساليا والصرب وغيرها . انظر :
O.D.B, Vol . 1,p.363.

الفصل الرابع

سياسة بيزنطة تجاه كل من الإمارات التركمانية ودولة المماليك والمدن الإيطالية ومملكة نابولي والبابوية

لقد لعبت القبائل التركمانية دورا بارزا في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني ، حيث اجتاحت الأقاليم الممتدة من سواحل البحر الإيجي إلى ترافيا البيزنطية وهاجمت أسيا الصغرى . ففي عام ١٢٧٥م احتلت إمارة جيرميان التركمانية مدينة أنقرة Ankara [(١)] . وفي عام ١٣٠٤م أسس محمد بك (١٢٢٩-١٣٣٣م) أمير أيدين Aydin إمارته [(٢٤٦)] واتخذ من مدينة تيرا Teira(ترايا Thraia) عاصمة لها [(٢٤٧)] .

---

(١) Pachymeres , *De Michaele et Andronico* , Vol. 2 , pp. 210 – 213 ; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 248- 249.

أما أنقرة Ankara ، هي بلدة لها قلعة على تل عال ، وهي بين الجبال ، وليس بها بساتين ولا ماء وشرب أهلها من الآبار ، وتقع غرب قسطمونية وهي مدينة أنقيرا Ankyra اليونانية القديمة عاصمة إقليم غلطيه Galata ، فتحها الخليفة المعتصم ، وتتصل بمدينة قونيه بواسطة طريق بري ، وكانت مركزا تجاريا وعسكريا هاما في منتصف بلاد الأناضول ، ولم تعترف بالمسيحية إلا في القرن الخامس الميلادي ، ولقد احتلها وخربها الفرس عام ٦٢٢م و أعاد بناءها الإمبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٥٩ م وسيطر عليها الأتراك ١٠٨١م وكانت تعرف أيضا باسم أنكورية . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ١٤ ، ص ٢٧١- ٢٧٢ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٣٥٣- ٣٥٤ . انظر أيضا : صلاح ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانيين و الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٢٩؛ ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٦٢. راجع أيضا: *O . D. B*, Vol. 1, p. 102.

(٢٤٦) إمارة أيدين Aydin ، كونها محمد بن أيدين حول بركي القريبة من ماغنيسيا ، و كانت اكثر الإمارات الأسيوية اجتياحا للشاطئ الأوربي ، وقد نشأت تلك الإمارة تابعة لإمارة جيرميان ثم استقلت عنها .انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٣٦٧ . انظر أيضا:

Doukas, *Decline and Fall of Byzantium*, pp. 265-266.

ثم احتل العديد من المدن فى أسيا الصغرى والتي من أهمها مدينتي بيرجاموس Pregamos [248]و إفسوس Ephesus [249] وفى عام ١٣١٧م هاجم مدينة سميرنا Samyrna [250] فسيطر على إحدى قلاعها العالية ومقر الحرس البيزنطي المرابط بها ولكن فشل فى احتلالها كاملة [٢٥١] .

ولقد واصل عمر بك نشاط والده بشأن التوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية حيث أغار على سميرنا واحتل ميناءها وسيطر عليها فى سهولة ويسر كما أشار إلى ذلك المؤرخ " إنورى Enveri " قائلاً " لقد

راجع أيضا : أحمد رشاد : السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية (من استعادة البيزنطيين القسطنطينية عام ١٢٦١ م حتى دخول العثمانيين لها عام ١٤٥٣م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الأداب ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٦ هامش رقم ٢.

(٢٤٧) Enveri, *Le Destan* , Lines.142-143, p.40. See Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin Byzance*, pp.57- 58. أما تيرا Teira ، فتقع على مقربة من مدينة إفسوس على ساحل بحر إيجه فى أسيا الصغرى . انظر : ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٨٥. راجع أيضا : ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٧١.

(٢٤٨) بيرجاموس Pregamos ، تقع فى أسيا الصغرى على الساحل الإيجى بالقرب من سميرنا . انظر :

Ramsay. W, *The Historical Geography of Asia Minor,* (Amsterdam, 1962) p. 401.

راجع أيضا :أحمد رشاد : السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٧.

(٢٤٩) إفسوس (إفسس) Ephesus ، تقع فى أسيا الصغرى مقابل جزيرة ساموس Samos وهى عبارة عن ميناء على البحر الإيجى فى أسيا الصغرى ، وبمثابة عاصمة لها ، ولقد اعترفت بالديانة المسيحية فى القرن الرابع الميلادي ، ولقد تعرضت للإغارات العربية بداية من عام ٦٥٤م ولقد سيطر عليها الأتراك خلال الفترة الممتدة من ١٠٩٠م إلى ١٠٩٦م واتخذها القطلان قاعدة لهم عام ١٣٠٤م ، ثم سيطر عليها تركمان أيدين فى نفس العام . انظر : دانيال الراهب : رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب ، ص ٤٣. راجع أيضا : حاتم الطحاوى : بيزنطة و المدن الإيطالية ، ص٥٣ . راجع أيضا : *O.D.B*, Vol.1, p. 706.

(٢٥٠) سميرنا Samyrna ، وهى مدينة من أسيا الصغرى ، تقع على ساحل بحر إيجه على بعد ٤٥ ميلاً من إفسوس . انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٤٦٦ .

(٢٥١) Enveri, *Le Destan D'Umur* , Lines . 145- 224, pp.50-55.

خرج الأمير عمر بك على رأس أسطول مكون من ثمان سفن ، متجهاً بها صوب سميرنا في عام ١٣٢٩م " [١] .

أما عن الأسباب التي أدت إلى سقوط مدينة سميرنا في أيدي تركمان أيدين، فأولها، كان انشغال حاكمها مارتينو زاكاريا Martino Zaccaria بصراعه مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث . وبالتالي سحب جميع القوات الجنويه المرابطة لحمايتها مما أدى إلى إخلاء سميرنا فسهل ذلك مهمة عمر أمير أيدين في السيطرة عليها [٢]. وثانيها ، هو انشغال الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث نفسه في تلك الفترة بالاستعداد والخروج على رأس القوات البيزنطية لخوض معركة حربية مع القوات العثمانية في مايو ١٣٢٩م [٣] .

وعلى أية حال ، فقدت زحفت القوات التركمانية وعبرت مضيق الدردانيل و أغارت على جزيرة تنيدوس Tenedos (بوزكا Bozca) وهناك وجدت القوات التركمانية لإمارة أيدين أسطولا بيزنطيا مكونا من خمس سفن حاول الهرب عندما رأى الزحف التركماني متجها صوبهم . وعندما رأت السفن البيزنطية القوات التركمانية ، عمدت إلى الهرب صوب مدينة القسطنطينية ؛ إلا أنهم اضطروا إلى البقاء فترة من الزمن بسبب هبوب عاصفة شديدة سببت لهم كثيرا من الخسائر المادية و الأرواح ولكنهم فروا هاربين إلى القسطنطينية فور انتهاء العاصفة [٤] .

---

(١) Enveri, *Le Destan D'Umur* , Line . 200, p.54.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. p. 370; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 433. See Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 58.

أما مارتينو زاكاريا Martino Zaccaria ، فهو ينتمي إلى عائلة زاكايا الجنويه التي ظهر نشاطها في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، ودخل في صراع مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث حول جزيرة خيوس Chios وتوفي عام ١٣٤٥. انظر: *O. D. B*, Vol.3, p. 2217.

راجع أيضاً ما يتقدم سياسة بيزنطة تجاه جنوه.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 340. See Also Nicol, *The Last Centuries*, p. 169.

لمزيد من التفاصيل انظر ما سبق ، الفصل الثاني .

(٤) Enveri, *Le Destan D'Umur* , Lines. 219- 224, p.55.

وفى نهاية عام ١٣٢٩م أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث سفارة بيزنطية إلى قادة الأمراء التركمان وعلى رأسهم أمراء صاروخان و أيدين للحضور من أجل التفاوض وعقد معاهدة صلح وسلام معه . ولقد حضر أمير صاروخان بنفسه ، أما محمد بن أيدين فلم يستطع الحضور لظروف مرضية ولكنه أرسل وفدا دبلوماسيا يحمل العديد من الهدايا للإمبراطور أندرونيكوس ويبرم اتفاقا معه [٥]. تضمن على أربعة بنود أولها ، عدم اعتداء القوات التركمانية على الأراضي البيزنطية . وثانيها ، مساعدة الإمبراطور البيزنطي في حروبه ضد الجنويه لمنعهم من الحصول على مقاطعات جديدة في المياه البيزنطية . أما ثالثها، فهو اتخاذ الأمراء التركمان موقف الحياد على الأقل أثناء صراع أندرونيكوس الثالث مع القوات العثمانية . و أخيرا ، عقد معاهدة صلح وسلام بين الطرفين البيزنطي والتركماني. وأرسل الإمبراطور أندرونيكوس بدوره مع الوفد الدبلوماسي لتركمان أيدين مجموعة من الهدايا البيزنطية القيمة والثمينة لمحمد بن أيدين تعبيرا عن سعادته لعقد تلك الاتفاقية وتوثيقا لها[١] .

ويعلق "ليميرل" على ذلك قائلا " تعد تلك الاتفاقية دليل على سياسة بيزنطية جديدة تجاه الأتراك ليأمن شرهم وليتفرغ لصراعه ضد العثمانيين ، ولتشجيع تلك الإمارات التركمانية على محاربة العثمانيين أنفسهم ، ويتضح من خلال تلك الاتفاقية أيضا أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث كان يدفع لهؤلاء التركمان جزية سنوية مقابل عدم اعتدائهم على الأراضي البيزنطية و اتباع

أما تنيدوس ، التي تسمى بوغجه أطه سى ، وتبعد أربعة وعشرون كيلو متر إلى الجنوب الغربي من مضيق الدردانيل وتبعد ثلاثين فرسخا عن جزيرة كريت . انظر : دانيال : رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب ، ص ٤٣. انظر أيضا : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٦٦.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp. 370- 374; Enveri, *Le Destan D'Umur*, Line. 220, p. 55. Cf. Also , Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 291; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.172.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p.374.Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.172.

سياسة الحياد ، فقد كانت تلك الاتفاقية دليلا على خضوع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث لمحمد بن أيدين" [٢] .

وعلى أية حال ، واجهت تلك الاتفاقية معارضة شديدة من أبناء أمراء صاروخان و أيدين ومنتشيا – اعترضت الأخيرة لعدم عقد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث معاهدة مماثلة معهم – ولذلك تم التحالف بين أمراء تلك الإمارات التركمانية السابقة لشن حملة تركمانية مشتركة على الأراضي البيزنطية ، وتعبيرا عن رفضها لتلك الاتفاقية . وبالفعل خرج الأمير عمر على رأس أسطول مكون من خمسة وثلاثين مركبا صوب إمارة صاروخان ليلتقي به مع كل من أمير صاروخان [٣] ، و أورخان [٤] واتخذت القوات التركمانية المتحالفة من ماغنيسيا مركزا لهجماتها على الأراضي البيزنطية [٥] ، حيث قاد الأمير عمر حملته ومنها ونزل فى غاليبولى Gallipoli. فاستولى على أهم شواطئها لوزجول Lozgol ، إلا أن الحاكم البيزنطي لغاليبولى ويدعى آسن Asenتصدى لهذه الحملة التركمانية الشرسة ودافع عنها بكل بسالة و استماتة ، ولذلك لم يتمكن عمر من فرض سيطرته على غاليبولي ، فرجع إلى سميرنا وتقابل مع والده محمد فى بيرجى Birgi القريبة منها الذى قد أرسل إليه عدة

---

(٢) Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 66.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p. 447; Enveri, *Le Destan* , Lines . 245 - 255 , p. 56. See . Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 67.

(٤) من المؤكد أن أورخان المشار إليه هنا ليس أورخان بن عثمان أمير بيثينيا و أنه أورخان بن مسعود أمير منتشيا الذى تزوج من بنت سليمان شقيق عمر وذلك لأن أورخان بن عثمان كان في ذلك الوقت يخوض حرب مع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث فى بلكانون ربيع ١٣٢٩م وتوجه للاستيلاء على نيقيه وقاد هجمة عثمانية عنيفة على إقليم تراقيا فى نهاية عام ١٣٢٩م . انظر:
Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1, p.390. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, pp. 64-65.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1, pp. 469-470. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p.65.

رسائل أثناء وجوده فى غاليبولى يأمره فيها بالانسحاب والعودة فورا من أمـــام غاليبولى حفاظا على الاتفاقيات المبرمة مع الإمبراطوريـــة البيزنطيـــة ، إلا أن عمر لم يهتم بهذا الكلام مطلقا واستمر فى حملته على غاليبولي ولكنه فشل فـــى السيطرة عليها [٦] .

وخلال شهري ينـــاير وفبرايـــر ١٣٣٠م أثنـــاء وجـــود الإمبراطـــور أندرونيكوس الثالث فى ديديموطيق اجتاحت أكثر من سبعين سفينة تابعة لأميـــر كاراسي التركمانية ساحل تشيرسون Cherson [1] ثم قامت بعمليـــات ســـلب ونهب وسفك دمـــاء فـــى كـــل مـــن بيرويـــا Berroia (كـــارا فيريا Karaferia) ، و تراجانوبوليس Trajanopolis(أورى كيفا Orikheva) [٢] .

---

[٦] Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p .470; Enveri, *Le Destan*, Lines. 355 –375, p. 60. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p63. - 65.

اما غاليبولى Gallipoli ، تعرف قديما باسم كاليبوليس Kallipolis ، وتقع على الساحل الأوربي لبحر مرمره شمالا وتنحصر بين بحر الأرخبيل ومضيق الدردانيل وبحر مرمره ، ولقد جدد الإمبراطور جستنيان الأول أسوارها ، ولقد كانت قاعدتا لشن الهجمات على الشرق أثناء الحملات الصليبية الأولى ، ولقد سيطر عليها البنادقة عام ١٢٠٥م ، ثم هاجمها حنا الثالث فاتاتزيس فى أعوام ١٢٣٤م ، ١٢٣٥م ، ثم أصبحت مركزا للجماعات القطالونية عام ١٣٠٤م ، ولقد هاجمها عمر بك فى أعوام ١٣٣١م ،١٣٣٢م، وسيطر عليها العثمانيون عام ١٣٥٦م ، وتبعد عن القسطنطينية بحوالي مائتان واثنا عشر كيلو مترا جنوبيا ، ويبلغ عدد سكانها حوالي عشرين ألف نسمة وتحميها حوالي أربع عشرة قلعة .انظر :

O.D.B,Vol.2, pp. 1094-1095; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom.1, p.197.

راجع أيضا : مىرهنك :حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٦٤.

[١] Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, p. 426. Cf. Also , Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. I, p.171.

[٢] Cantacuzenus, Historiarum,Vol.1, pp.426-427. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman* , Tom. I, p.171.

أما بيرويا Berroia ، فهي إحدى مدن تراقيا ، ملحت عام ١٢٠٤م لبونيفاس مونتفرات و أعادها إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور حنا السادس كانتاكوزينوس (١٣٤١-

وعندما علم الإمبراطور أندرونيكوس بنبأ تلك الحملة جمع على الفور قواته للتصدي لها ، إلا أنه وصل متأخرا بعد انسحاب السواد الأعظم من القوات التركمانية ولكنه استطاع أن يقضي على ألف وخمسمائة منهم كانوا يجوبون أحياء تراقيا وكان ذلك في عام ١٣٣١م [٣] .

ولقد جهز الأمير عمر عددا من المراكب و التي بلغت حوالي ثمانية وعشرون مركبا بهدف الهجوم على جزيرة خيوس Chios – بعد رجوعها لحوزة الإمبراطورية البيزنطية – بمساعدة أخيه خضر بك Hizir في إفسوس الذي خرج على رأس اثنين وعشرين مركبا لينضم بها إلى أخيه عمر لشن تلك الحملة المشتركة على خيوس ، و تقابل الأخوان عند مكان يسمى تشيتشمي Tchechme – مقابل ميناء خيوس – وفرضا الحصار على الخليج الذي يحمل نفس الاسم ، ولكن فجأة و أثناء فترة الحصار قرر الأمير خضر بك العودة والانسحاب إلى إفسوس بمفرده وترك لأخيه قيادة قواته ومراكبه [٤] ، إلا أن

١٣٥٥م) ، واحتلها العثمانيون عام ١٤٣٠م .أما عن تراجانوبوليس ، فتقع بالقرب من دوريسكوس Doriskos القديمة بالقرب من بيرا Bera في الركن الجنوبي الغربي من تراقيا، و أسس فيها الإمبراطور إسحاق كومينوس دير كوسموسوتيرا Kosmosteira .
انظر : *O.D.B*, Vol.1, pp. 282-283.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.435. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. I, p.171

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum* ,Vol.1, p.470. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 59.
أما خيوس Chios ، جزيرة تقع في الركن الشمالي من ساحل بحر إيجه بالقرب من ساحل أسيا الصغرى ، تتمتع بموقع جغرافي عظيم الأهمية ، وتنتج كميات كبيرة للتصدير من أنبذة ممتازة ، وزيت وتين وفواكه أخرى ، وكان حرير خيوس يحظى بتقدير كبير ، وكانت حاصلات التربة ومنتجات الصناعة متوفرة بها ، أما عن مبانيها فترجع إلى القرن السادس الميلادي ، ولقد أغار عليها تزاخاس Tzachas عام ١٠٨٣م ، وتم منحها لبلدوين أوف فلاندرز Baldwin of Flanders عام ١٢٠٤م ، ثم أصبحت خاضعة للجنويه بموجب اتفاقية ١٢٦١م ، ثم منحت لأسرة زاكاريا Zaccaria الجنويه خلال الفترة الممتدة من ١٣٠٤م إلى ١٣٢٩م ، وتحت السيطرة البيزنطية من عام ١٣٢٩م إلى عام ١٣٤٦م ، ثم رجعت للحظيرة الجنويه في أول يونيه ١٣٤٦م إلى ١٥٥٦م حيث احتلها الأتراك . انظر : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٥٩؛ ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من

عمر فشل فى السيطرة على خيوس [٥] . أما عن السبب المباشر الذى أدى إلى انسحاب خضر بك من أمام خيوس هو الإنذار الذى وجه الأمير محمد بن أيدين لكل من خضر وعمر لفك الحصار المفروض على خيوس والعودة فورا ولكن لم يستجب لهذا الإنذار إلا خضر بك بوصفة ولد طائع لم ينكر دور والده [٦] .

وفى أول عام ١٣٣٢م أثناء استعداد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث للرحيل من القسطنطينية لعمل زيارة لمدن تراقيا ، جاءت إليه الأخبار بنزول جديد للقوات التركمانية تحت قيادة أمير كاراسى و التي انقسمت إلى فرقتين الأولى ، اتجهت نحو الشمال وهاجمت كيزيكة (كيزوس Kissos أو كيزى Cizye) [١] ، والمناطق المحيطة بها والتي من أهمها بوليبوتوس Polybotos و أكونيتيس Akonites . أما الفرقة التركمانية فقد توجهت نحو الجنوب ، و أغارت على رودستو Rhaedestus . وبالفعل وصلت القوات البيزنطية تحت قيادة الإمبراطور أندرونيكوس فى منصف عام ١٣٣٢م والتقت بالفرقة التركمانية الأولى و ألحقت بها هزيمة ساحقة وقضت عليها تماما ، ثم نزلت القوات البيزنطية صوب الجنوب لمواجهة الفرقة الثانية ولكن الأخيرة نجحت فى الهرب من ثأر الإمبراطور البيزنطي [٢] .

القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع العشر ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ٢٠٠٣ م ، ص ٣٤١ . انظر أيضا : *O.D.B*, Vol. 1,pp .423-424.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum* ,Vol.1, p.471.

(٦) Enveri, *Le Destan D'Umur*, Line . 260, p.57. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p67.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.435. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. I, p.171

أما كيزيكة Kissos ، فتبعد سبعين ميلا من الجنوب الغربي للقسطنطينية ، أحرقها الفينيقيون عند محاربتهم للفرس ، و أعاد بناءها اليونانيون ، يعمل سكانها بالزراعة . انظر ; سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١ ، ص ٤٦٤ .

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.435.

أما رودستو ، مدينة حصينة تقع على الساحل التركي بأوربا ، وتبعد حوالي ستون ميلا من الشمال الشرقي لغاليبولى ، و كانت تتبع أدرنه وعدد سكانها حوالي ٣٠,٠٠٠ نسمة ،

وبعد فشل الأمير عمر فى السيطرة على خيوس التي ظلت تحت الهيمنة البيزنطية ، قام بالهجوم على ميتيلين Mitylin (ميديلى Midilli) فى شتاء عام ١٣٣٣م واكتفى بسلب ونهب الجزيرة فقط ثم عاد إلى سميرنا [٣].

وفى شهر مارس ١٣٣٣م خرج الأمير عمر يرافق سليمان بن صاروخان على رأس حملة مشتركة مكونة من مائتين وستة وسبعين سفينة لشن هجوم على ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية فى البيلوبونيز وخاصة مدينة مونيمفازيا Monemavasia [٤] ،وبلاد إشبن وميستريا Mistrai ولقد نزلت القوات التركمانية بالقرب من مونيمفازيا وفرضت عليها الحصار، ولكن على

وتحتوى على الكثير من البساتين والحمامات والكنائس ، وتبعد عن جبال جانوس Ganos فى تراقيا بحوالي خمس عشرة كيلو . انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص ٤٦٤. راجع أيضا : *O . D. B*, Vol. 2, p. 822.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* ,Vol.1 , 1, pp. 478- 479 .

بينما يشير "إنوري" و " جريجوراس" للهجوم عليها عام ١٣٣٦م. انظر : Enveri , *Le Destan* ,p. 41 ;

Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p.523.

أما ميتيلين Mitylin ، فهي عاصمة جزيرة ليسبوس Lesbos وميناء على الساحل الجنوبي الشرقي لبحر إيجه ، خضعت للحكم الأثيني ، ثم أعلنت الثورة عليه عام ٤٢٨ ق . م ومدة حروب البيلوبونيز ، ثم استعاد الأثينيون سيطرتهم عليها بالقوة عام ٣٥٦ ق . م ، ولقد أغار عليها الرومان وخربوها عام ٨٦ ق . م ثم جددها بومبيوس بعدها . انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص ٤٦٩- ٤٧٠ ؛ أحمد عبد المقصود : الجماعات القطالونية ، ص ٤٦٩ أحمد رشاد : السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٧ .

(٤) Enveri, *Le Destan*, Lines . 869-875, p.66. Cf. Also , Lemerle , *L'Emirat D'Aydin* , pp. 100 -101.

أما مونيمفازيا ، فتقع فى الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة البيلوبونيز ، ولقد احتلها وليم الثاني فيلهاردويني William II Villehardouin عام ١٢٤٨م ، ورجعت لحظيرة الإمبراطورية البيزنطية عام ١٢٦٢م ، ولقد منحها الإمبراطور ميخائيل الثامن كثير من الامتيازات ، ووقعت تحت الهيمنة البندقية أعوام ١٤٦٢م ، ١٤٦٣م ، وسقطت فى أيدى الأتراك عام ١٥٤٠م انظر: Asdracha. C, Deux Actes Inedits Concernant L'Empire,*R.E.B.*,Vol.35 (Paris,1977), p. 164. Cf. Also, *O.D.B*, Vol.2, p. 1394.

الرغم من كون مونيمفازيا مدينة محصنة وغنية إلا أنها لم تستطع الصمود فترة طويلة أمام الحصار بسبب شدته ، التي أدت إلى عدم وصول الإمدادات والمؤن اللازمة لمواصلة المقاومة ، وكذلك نتيجة لانتشار المجاعة فيهـا، ممـا جعـل حاكمها البيزنطي يعلن خضوعه واستسلامه ، ويدفع مبلغا من المال للأمير عمر مقابل رفع الحصار والانسحاب من أمام المدينة وبالفعـل رحـل عمـر مـن مونيمفازيا وعبر رأس مالي Malee ورأس تينارTenare – يقعان على خليج ميزينيا Messenia – [١] ، متجها صوب بلاد إشبن علي رأس ثلاثين ألـف جندي ، والتي استعد حاكمهـا قسـطنطين سـبانيس Constantin Spanes لمواجهتهم – حيث جاءه إنذار من الحاكم البيزنطي لمونيمفازيا تحذره من قدوم الخطر التركماني إليه – ولقد دارت معركة حامية انتهت بهزيمـة قسـطنطين واستيلاء عمر علـى أهـم قلاعهـا أندروفيسـتا Androuvista وكينسـترنا Kinsterna [٢] .

وفى أواخر صيف ١٣٣٤م و أثناء وجود الإمبراطور أندرونيكوس على بحيرة بولبين Bolben القريبة من تسالونيكا ، كاستعداد لملاقاة القوات الصربية

---

(١) Enveri, *Le Destan* , Lines. 887-942, pp. 70 - 73. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 103.

أما بلاد إشبن Ispen ، هي منطقة حدودية بين ميزينيا – جنوب غرب البيلوبونيز – و لاكونيا Lakonia فى جنوب البيلوبونيز ، وكلمة إشبن مـأخوذة من اسم المكان شبانوس Spanos نسبة لميخائيل شبانو Michali Spano قائد أندروفيستا ، أو مـأخوذة من كلمـة شبانيس Spanis نسبة لشبانى Spany حـاكم كنسـترنا ومقاطعـة كالاماتـا Kalamata - إحدى مدن ميزينيا التي تقع على خليجها – انظر :

O. D. B, Vol. 2, p. 1091; Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 103.

أما ميستريا Mistrai ، مدينة وحصن تقع في شبه جزيرة البيلوبونيز فوق تل غرب اسبرطه Sparta ، أسستها إستريس قرينة دار أخر ملوك الفرس ، وكانت عاصمة إمارة المورة ، ولقد احتلها السلطان العثماني محمد الثاني فى ٣١مايو ١٤٦٠م. انظر :سرهنك حقائق الأخبـــار عـــن دول البحـــار ، جـــ١ ، ص ٤٦١ . راجـــع أيضـــا : *O.D B* , Vol. 2, p. 1382.

(٢) Enveri, *L' Destan* , Lines.1020- 1030, p. 83. Cf. Also, Lemerle, *L' Emirate D'Aydin*, pp. 104- 105.

(٣) وصل أسطول تركماني قوامه حوالي ستون سفينة حربية تحت قيادة الأمير عمر عند سيرميليا Sermylia فخرب الجزيرة المطلة عليهـا والتـي تسـمى خالكيديكي Chalkidike بسبب كثرة عدده (٤) ، ثم اجتـاح منطقـة الأثـوس Athos و بوتيدايا Potidaea (كاساندرا الحالية Cassandra) القريبة منهـا. وبذلك وجد الإمبراطور نفسه في موقف لا يحسد عليـه ، حيـث إنـه أصـبح محاصرا بين قوتين صربية وتركمانية ، ولذلك أرسل على الفور وزيـره حنـا كانتاكوزينوس على رأس جزء من القوات البيزنطية لمواجهة خطـر تركمـان أيدين ونجح في دحرهم و إلحاق هزيمة ساحقة بهم ، حيث أصـبحت القـوات التركمانية بين قتيل وجريح و أسير ولم ينج منهم إلا عدد قليـل اختبـأوا فـي الغابات القريبة ، ورجع الجيش البيزنطي منتصرا ومحملا بالغنائم والأسـلاب إلى تسالونيكا (٥) إلا أن الأمير عمر قد عبر خليج لاكونيا Lakonia وهـاجم

---

(٣) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, pp. 455 - 456 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol.1, p. 501.
Cf. Also , Bosch , *Kaiser Andronikos III* , p. 94 ; Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 288; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 7.
لمزيد من التفاصيل عن سياسة بيزنطة تجاه الصرب انظر ما سبق الفصل الثالث .

(٤) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, pp. 456- 457; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 501.
Cf. Also, Bosch , *Kaiser Andronikos III* ,p.94-95; Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. I, p173.
أما خالكيديكي Chalkidike ، شبه جزيرة في الشمال الغربي من بحر إيجه ، تحتوي على العديد من القرى والتلال ، ولقد سيطرت عليها الجماعات القطالونية من عام ١٣٠٧م إلى عام ١٣٠٩م . انظر :
O. D. B, Vol.1, p. 406.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p.457; Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1, p.501. Cf. Also, Bosch, *Andronikos III*, p. 95.

=

= أما أثوس ، فتقع شمال شبه جزيرة خالكيديكي بطول خمسة و أربعين كيلو متر وعرض خمسة عشرة كيلو مترا ، وتعرضت خلال القرن الرابع عشر لكثير من إغارات الجماعات القطالونية واحتلها العثمانيون عام ١٤٣٠م . انظر: *O. D.B*, Vol. I, pp. 224-226.

المناطق القريبة منه وكان من أهمها منطقة جيثيون Gythion ، و أوروتاس Eurotasولم يلق أية مقاومة فيها ، ثم فرض الحصار على مستريا التي لم تستطع الصمود حيث عقد حاكمها البيزنطي اتفاقا مع الأمير عمر يحصل بموجبه الأخير على مبلغ من المال مقابل الرحيل عن مستريا(١).

وفى نهاية عام ١٣٣٤م خرج الأمير عمر بن أيدين على رأس القوات التركمانية متجها صوب مدينة فيلادلفيا Philadelphia وفرض عليها الحصار وحاول ثلاثين من جنوده التسلل داخل المدينة ، إلا أن الحامية البيزنطية المرابطة فيها قضت عليهم بشجاعة . وعلى الرغم من شدة تحصيناتها ومتانتها إلا أن حاكمها البيزنطي قرر التفاوض مع الأمير عمر بسبب اشتداد الحصار عليهم ، وبالتالي انقطع وصول الإمدادات و المؤن ، بل و انتشار مجاعة بينهم ، و أخيرا تم الاتفاق على رحيل القوات التركمانية من فيلادلفيا مقابل دفع جزية (٢) ، وبالفعل انسحب عمر إلى بيرجى ، ويشير " إنوري " إلى ذلك

---

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, pp. 457- 458; Enveri, *L' Destan,* Lines.942- 944, p. 78.Cf.Also, Lemerle, *L' Emirate D'Aydin*, p.105.

أما لاكونيا Lakonia ، فتقع في جنوب البيلوبونيز وكانت عاصمة لإسبرطة القديمة ، وخضعت لحكم الإفرنج خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، ثم أصبحت تابعة لحكم مستريا خلال القرن الرابع عشر ، وكانت تعرف قديما باسم لاكيدايمون Lakedaimon . انظر : *O. D. B*, Vol. 2, p. 1170.

(٢) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, p. 481; Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol. 1, p. 529; Enveri, *L' Destan,* Line, 1025, p. 80. Cf. Also, Lemerle, *L' Emirate D'Aydin,* p.106.

أما فيلادلفيا ، هي الأصيشهر Alasehir الحالية إحدى مدن ليديا بآسيا الصغرى ، احتلها الأتراك عام ١٠٧١م ولكن استعادتها الإمبراطورية البيزنطية فى نفس العام ، وكانت مركزا لشن الهجمات على الشرق عام ١٠٩٨م ومقر للجالية البندقية منذ عام ١١٨٨م والجالية الجنويه منذ عام ١٣٤٢م واجتاحها الجماعات القطالونية عام ١٣٠٤م ، وسيطر عليها السلطان العثماني بايزيد الأول عام ١٣٩٠م . انظر :

O . D. B, Vol. 2, p. 1648.

قائلا " لقد رحل عمر عائدا إلى سميرنا بعد أن فرض عليهم الجزية وحصل على خيرات تلك المدينة الغنية ولكن دون أن يدخل المدينة" [٣].

وفي بداية عام ١٣٣٥م خرج عمر أمير أيدين على رأس أسطول مكون من خمس وسبعين سفينة ، اجتاح به شواطئ تراقيا والتي من أهمها ساموتراكي Samotraki وبوروس Poros ، ثم عسكر في إحدى سهول تراقيا الذي يسمى كوموتزينيس Koumoutzenes، وعندما وصلت تلك الأخبار إلى أسماع الإمبراطور أندرونيكوس ، أرسل حنا كانتاكوزينوس على رأس جيش كبير من القوات البيزنطية نزل بهم في مكان قريب من القوات التركمانية يعرف باسم باناجيا Panagia ، والتقى الطرفان وحدثت بينهما مناوشات واحتكاكات بسيطة في بداية اليوم الأول من القتال ، ولكن مع غروب الشمس انسحبت القوات التركمانية إلى سفنها دون أن تتعرض لهم القوات البيزنطية بأي أذى أو ضرر [٤]. ومن الواضح أن القوات التركمانية قد انسحبت بناءً على اقتراح حنا كانتاكوزينوس بعقد اتفاق مع الأمير عمر ، حيث إنه في أبريل ١٣٣٥م حدثت مقابلة في كلازومنيس Clazomenos بين حنا كانتاكوزينوس ممثلا عن الإمبراطور أندرونيكوس والأمير عمر حاول فيه حنا كانتاكوزينوس جاهدا أن يكسب ود وصداقة عمر و أن يجعله حليفا مخلصاً للإمبراطورية البيزنطية ، ولقد استمر اللقاء حوالي أربعة أيام أحسن فيها الوزير حنا كانتاكوزينوس استضافة الأمير عمر و استقبله استقبالا حافلا و أكرمه ، ودار النقاش بينهم حول العفو عن مدينة فيلادلفيا وتقديم المساعدة للإمبراطورية البيزنطية بوصفة حليفا لبيزنطة [١] و أخيرا تم الاتفاق بين الطرفين على أن يرسل الأمير عمر

---

(٣) Enveri, *Le Destan* , Line , 1030, p . 83.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1, p.458.Cf. Also, Hammer, *Histoire, De L'Empire Ottoman,* Tom. 1,p 174; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 94; Soulis, *The Serbs and Byzantium,* p.3.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.481; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol.2, p.246.Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom.1,p175; Nicol, *The Last Centuries*, p.175.

مساعدة مكونة من السفن اللازمة لحملة الإمبراطور البيزنطي ضد الجنويه . و أن يعفو عمر عن أهل فيلادلفيا بناءً على طلب كانتاكوزينوس لذلك . – حيث أقام عمر مسجدا في فيلادلفيا و أصبح حاميا للمدينة من أطماع جيرانها من الإمارات التركمانية الأخرى و أعفاهم من الجزية السنوية المفروضة عليهم – وتدعيم أواصر الصداقة بين حنا كانتاكوزينوس و الأمير عمر والتي دامت عشر سنوات تقريبا ولم تنته إلا بموت الأخير – أي عام ١٣٤٦م –[٢] . وقد قام أتراك سواحل الهيلسبونت Hellespont والذين يطلق عليهم المؤرخ البيزنطي نقفور جريجوراس أتراك السكيتيانز Scythians – البشناق – بالهجوم على تراقيا و اجتاحوها سلبا ونهبا ولذلك خرج الإمبراطور أندرونيكوس على رأس القوات البيزنطية وفرقة من الجنود المرتزقة بلغت حوالي ألفين جندي من تركمان أيدين . و ألحقت بهم هزيمة ساحقة وكان ذلك في ربيع ١٣٣٦م[٣] .

ومهما يكن من أمر فلقد أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بعثة دبلوماسية بيزنطية محملة بالهدايا إلى إمارة صاروخان لإبرام اتفاق معها من أجل الحصول على المساعدة اللازمة لاستكمال الحصار المفروض على ميتيلين وفوكايا الجديدة New Phokaia وبالفعل تم عقد اتفاق بينهم ينص على أن يوفر

أما كلازومنيس Clazomenos ، فتقع على مقربة منه فوكايا Phokaia وقرب ورلا Wourla الحالية . انظر : Lemerle, *L' Emirate D'Aydin*, p.107.

(٢) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1 , pp. 482 – 483. Cf. Also, Hammer , *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 176; Lemerle , *L'Emirat De L' Aydin*, p107.

(٣) حيث يشير جريجوراس إلى هذه الحملة قائلا " أن عملية هجوم أتراك السكيتيانز على تراقيا جاء بعد حدوث إشارة سماوية عبارة عن خسوف القمر تبعة كسوف للشمس بعد ١٦ يوما ، وذلك في ربيع ١٣٣٦م " . انظر : Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol.1,p. 536.

أما الهيلسبونت Hellespont ، هو إقليم يقع في شمال غرب أسيا الصغرى ، ويطل على بوغاز يحمل نفس اسمه ويربط بين بحر إيجه وبحر مرمره . انظر : Lemerle , *L'Emirat De L' Aydin*, p.109; *O. D. B* , Vol. 2, pp. 912- 913

أمير صاروخان السفن والقوات العسكرية اللازمة لمواصلة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث حصار فوكايا ميتيلين [٤] وعقد معاهدة تحالف ودفاع مشترك بين الطرفين البيزنطي وتركمان صاروخان، وأن يتعهد الإمبراطور البيزنطي بفك أسر سليمان بن صاروخان والنبلاء المحتجزين معه والذين بلغ عددهم حوالي أربعة وعشرين نبيلا من أيدي الجنويه [٥] .

ولذلك تحرك أمير صاروخان نحو فوكايا ومعه عدد كبير من المشاة والفرسان وحوالي أربع وعشرون سفينة ليشارك البيزنطيين في الحصار المفروض على فوكايا ، وكذلك زود الجيش البيزنطي بما يحتاج من مؤن وإمدادات لاستمرار الحصار ، وترك فرقته العسكرية أمام أسوار فوكايا حتى استسلام المدينة في شهر مايو ١٣٣٥م [٦] .

وبعد مرور حوالي خمسة أشهر من حصار فوكايا التقى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث مع ثلاثة من أبناء محمد بن أيدين وهم ، خضر وعمر وسليمان الذين استقبلهم استقبالا حافلا لمدة عدة أيام وأجزل لهم العطايا والهدايا

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.465. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. I, p.175; Nicol. *The Last Centuries of Byzantium*. p. 175; Lemerle, L'Emirat D'Aydin , p. 109.
أما فوكايا الجديدة New Phokaia ، تقع على نهر هيرموس Hermos وعلى مقربة من إمارة ماغنيسيا التركمانية وتعرف باسم فوجليا فيتشيا Faglia Vecchia انظر : Doukas , *Decline and Fall* , p.267.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp.466 – 467; Schreiner , *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, p.246. Cf. Also, Hammer, *Histoire, De L'Empire ottoman*, Tom.I, pp.1765-176; Lemerle, *L'Emirat D' Aydin*, pp. 109 – 110.

(٦) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, pp.466 – 467; Schreiner, *Chronica Byzantina*, Vol.2, p. 246. Cf. Also, Hammer, *Histoire De L'Empire*, Tom .I, pp.175-176; Lemerle, *L'Emirat*, pp.109 –110.

تعبيرا لهم عن تقديره وشكره [1] من الواضح أن الذى استقبل الوفد التركماني هو حنا كانتاكوزينوس وليس الإمبراطور أندرونيكوس ، حيث إن كارابورون Kara Burun (ميلانيا أكرا Melania Akra) أول لقاء دبلوماسي بين الإمبراطور أندرونيكوس و الأمير عمر بن أيدين [2] .

وعلى أية حال حدث لقاء كارابورون بين العاهلين البيزنطي والتركماني بناءا على طلب الإمبراطور أندرونيكوس ، بعد هجوم الأمير عمر على مدينة فيلادلفيا بوقت قصير فوق سطح السفينة الخاصة بالإمبراطور البيزنطي حفاظا على ما تبقى من كرامة وهيبة للإمبراطور البيزنطي ولقد استغرق اللقاء حوالي أربعة أيام [3] .

ومن الواضح أن هذا اللقاء قد تم بناءً على مبادرة بيزنطية ودليلا على ضعف الإمبراطور البيزنطي وخضوعه للأمير عمر ، حيث إنه ذهب بنفسه إلى كارابورون التي كانت ضمن ممتلكات إمارة أيدين لإبرام اتفاق معه ، و ذلك على الرغم من الإمبراطور أندرونيكوس حاول أن يستعرض قوته العسكرية بوضع حراسة بيزنطية مكونة من عدة سفن حربية حول سفينة الخاصة [4] .

وكان اتفاق كارابورون يتضمن على بنود هي أن يقدم الأمير عمر مساعدات لصالح بيزنطة و إمبراطورها وذلك بتوفير ما يحتاج إليه الإمبراطور أندرونيكوس فى صراعه مع الجنويه والألبان من قوات عسكرية ومؤن. و أن يعفو عن أهالي مدينة فيلادلفيا . وعدم اعتداء الأمير عمر على الأراضي

---

(1) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, p. 482. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 113.
أما كارابورون Kara Burun ، فتقع على الحدود الشمالية و الشمالية الغربية من جزيرة إريتريا Erythria ، بين جزيرة خيوس و سميرنا . انظر : Nicol, *The Last Centuries of Byzantium* , p. 175 ; Idem , *The Reluctant Emperor* p. 35.

(2) Gregoras, *Byzantinae Historiae*,Vol.1,p. 529.Cf.Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*,p.175.

(3) Enveri, *Le Destan* , Line 1035, p. 83. Cf. Also , Lemerle, *L'Emirat D' Aydin*, pp.113-114.

(4) Enveri , *Le Destan* , Lines. 1035 - 1040, p. 83 ; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, pp. 246-247. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 114.

البيزنطية وبلاد اليونان فى شبه جزيرة البيلوبونيز والحصول على الغنائم التي تخلفها الحرب في فوكايا وضد الألبان (٥) وحصول الأمير عمر على مبلغ مالي من الإمبراطور أندرونيكوس وقدره حوالي مائه ألف هيبربيرون وعدم قيام الإمبراطور أندرونيكوس بأي محاولة لاسترداد الأراضي البيزنطية الخاضعة لإمارة أيدين . و أن يعترف الإمبراطور أندرونيكوس رسميا باستقلال إمارة أيدين الدائم . و أن يمنح الإمبراطور أندرونيكوس الثالث جزيرة خيوس للأمير عمر أو على الأقل جزءا من إيرادات وعائدات الجزيرة (٦) .و أن يكون الاتفاق بمثابة معاهدة تحالف دفاعي مشترك بين بيزنطة و إمارة أيدين ضد كلا من العثمانيين والإيطاليين ودليلا على السلام والأمن بين الطرفين (٧) .

ولقد كانت تلك الاتفاقية التي تمت بين الأمير عمر و الإمبراطور أندرونيكوس عبارة عن تسوية سليمة بين الطرفين وتأكيداً على الاتفاقيات الأخرى التي أبرمها الإمبراطور أندرونيكوس مع الأمير محمد بن أيدين ، والتي وصفها " إنوري " بأنها خيانة للإسلام ، وكان

يجب على الأمير عمر أن يبقى فى خدمة الإسلام بحملاته ضد الكفار (البيزنطيين) (١) .

ولقد ظهرت آثار الاتفاق بما تم من تعاون بين الطرفين البيزنطي والتركماني ، ففي صيف وخريف ١٣٣٧م عندما وصلت الأخبار إلى الإمبراطور أندرونيكوس عن تمرد الألبان ، فأرسل على الفور إلى الأمير عمر

---

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.486 – 487. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p.114; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.267; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p.10.

(٦) Enveri, *Le Destan*, Lines .1040-1045, p. 83; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.581.Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 175; Lemerle, *L'Emirat D' Aydin*, p. 114.

(٧) Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol.1, p. 487; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, p.247; Enveri, *Le Destan*, Line. 1045, p. 83.

(١) Enveri, *Le Destan* , Line. 1050, p. 84. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 114.

يطلب منه المساعدة لكبح جماح الألبان . وبالفعل وصلت القوات التركمانية الخفيفة الحركة من الرماة والفرسان، وابلوا بلاءً حسنا فى تلك الحملة . ثم قام الإمبراطور البيزنطي بتسريحهم عن طريق تساليا ليصلوا إلى تسالونيكا ومنها عبروا البحر إلى أيدين [٢] .

وفى عام ١٣٤٠ اجتاح حوالي ثمانية آلاف من تركمان الهيلسبونت مناطق تراقيا ومقدونيا و ميسيا Mysia سلبا و نهبا مرة أخرى ثم عادوا محملين بالغنائم والأسلاب إلى أسيا الصغرى بعد أن دمروا تراقيا و ميسيا [٣] . وفى النهاية فلقد سيطر تركمان إمارة أيدين على سميرنا وهاجموا جزيرة تنيدوس و خيوس و ميتيلين و غاليبولى و فيلادلفيا ، مما دفع الوزير حنا كانتاكوزينوس إلى عقد معاهدة صداقة مع الأمير عمر بن أيدين كان من أهم بنودها أن يصبح الأمير عمر حليف وصديق لبيزنطة . أما عن أهم المعاهدات التي عقدها الإمبراطور أندرونيكوس بنفسه مع الإمارات التركمانية فكانت معاهدة عام ١٣٢٩م مع أمراء صاروخان ومحمد بن أيدين إلا أنها فشلت بسبب اعتراض أبناء أمراء صاروخان ومنتشيا و أيدين عليها بل وقاموا بحملة مشتركة على ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية فى المورة والتي من أهمها مونيمفازيا و بلاد إشبن ومدينة ميستريا. وكذلك معاهدة كارابورون بين أندرونيكوس وعمر بن أيدين و التي كان من أهم نتائجها مساعدة الأمير عمر للإمبراطور أندرونيكوس فى حروبه ضد الجنويه و الألبان . أما عن تركمان إمارة كاراسى ففي عام ١٣٣٠م اجتاحوا إقليم تراقيا سلبا ونهبا فدمروا وخربوا

---

[٢] Cantacuzenus, *Historiarum* , Vol. 1, pp. 495-496; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, p. 249. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*. p. 175; Idem, *The Reluctant*, p. 35; Fine *The Late Medieval Balkans*, p. 275 ; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p.10; Lemerle, *L'Emirat, D'Aydin*, p. 110.

[٣] Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1,p.511.Cf.Also,Hammer, *Histoire De L'Empire*, Tom.1.p.178.

العديد من مدنه والتي من أهمها بيرويا و تشيرسون و تراجانوبوليس ، وفى عام ١٣٣٢م هاجموا كيزوس ، بوليبوتوس و أكونيتيس و أغاروا على مدينة رودستو . أما عن تركمان سواحل الهيلسبونت – أتراك البشناق – ففي ربيع ١٣٣٦م اجتاحوا إقليم تراقيا سلبا ونهبا . ثم أغاروا على إقليم مقدونيا و ميسيا مع أوائل عام ١٣٤٠م . وبذلك تأرجحت العلاقات البيزنطية التركمانية بين السلم حينا والحرب أحيانا كثيرة ، ومن المؤكد أن السلام بين بيزنطة و التركمان جاء نتيجة الجزية التي قام الإمبراطور أندرونيكوس بدفعها للأمير عمر بن أيدين سنويا ، ويدل ذلك على ضعف الإمبراطور البيزنطي و أنها خطوة على طريق انهيار الإمبراطورية البيزنطية .

سياسة بيزنطة تجاه دولة المماليك .

لقد أدي ازدياد نفوذ وخطر الإمارات التركمانية فى أسيا الصغرى إلى سعى الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني لعمل تحالف مع سلطنة المماليك ضد التركمان . واستمرت العلاقات الودية بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك طيلة عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني – اتبع نهج أبيه ميخائيل الثامن باليولوجس تجاه سلطنة المماليك – حيث تبادل الطرفان العديد من السفارات المحملة بالهدايا الثمينة كدليل على حسن العلاقات بينهما [1] .

---

(1) حيث تحالف السلطان بيبرس مع ميخائيل الثامن باليولوجس عام ١٢٦٢م ، و ارسل إليه سفارة على رأسها الأمير فارس الدين أقوش المسعودى ، وتضم عددا من الأساقفة المسيحيين – اتباع مذهب الإمبراطورية البيزنطية – وفى القسطنطينية رحب بهم الإمبراطور البيزنطي و أكرمهم . وقد استمرت العلاقات الودية بين سلطنة المماليك و الامبراطورية البيزنطية طوال عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن . ولقد كان والإمبراطور أندرونيكوس الثاني حريصا على صداقة دولة المماليك . لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات " تاريخ الدول والملوك " ، المجلد السابع ، بيروت ، ١٩٤٢، ص ٢٢٩-٢٣٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٧ ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣٠٣-٣٠٥؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، جـ ٩ ، ص ٣٣٧ . راجع أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ٢٧٢- ٢٧٥ ؛ قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى دراسة وثائقية ، القاهرة ، ١٩٧٩، ص ٩٤-٩٥ ؛ ليلى عبد الجواد: علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك (٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦١- ١٣٨٢م) مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد ٤٦، ٤٧ لسنة ١٩٨٦، ص ٩٣-١٠٦؛ قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٩٨م ،ص ١٩٦؛ ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٨٧-٩٠.

وفي عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث دامت علاقات الود بينه وبين سلطنة المماليك ، فلقد أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون سفارة إلى بلاط الإمبراطور أندرونيكوس عام ١٣٣٠م (٢) ومعهما خطابا سلمته للإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس (٣)جاء فيه " ضاعف الله تعالى عمر حضرة الملك الجليل ، المكرم ، المبجل ، الأسد ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرغام ، العالم فى ملته ، العادل في أهل مملكته ، عز الأمة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، جمال بنى المعمودية ، صمصام الملوك اليونانية ، حسام المملكة الماكصونية ، مالك البرغلية و الإملاحية ، صاحب أمصار الروس و العلان ، معز اعتقاد الكُرج والسريان ، وإرث الأسرة والتيجان ، الحاكم على الثغور والبحور والخلجان ، الدوقس الأنجالوس الكمنينوس البالالوغس ، صديق الملوك والسلاطين" (٤) . فأكرمهم الإمبراطور البيزنطي وأحسن ضيافتهم (٥) .

---

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1,p.444.

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، اعتلى العرش لأول مرة ولم يتجاوز التاسعة من عمره ، ولذلك يمكن القول أن سلطنته الأولى التي امتدت من ١٢٩٣م وحتى عام ١٢٩٤م كانت اسمية و أن السلطة الفعلية تركزت في أيدي مجموعه من كبار الأمراء ، وسلطنته الثانية من ١٢٩٨ ــ ١٣٠٨م عقب مقتل السلطان المنصور لاجين (١٢٩٦ــ١٢٩٨م) ، والثالثة من عام ١٣٠٩م وحتى عام ١٣٤٠م ولمزيد من التفاصيل انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي فى مصر والشام ، ص ١٠٩-١١٠؛ ١٣٥؛ قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ، ص ١٢٨ ــ١٢٩.

(٣) اورد كوروبينيكوف ذلك نقلا عن : Regel. W, Analecta Byzantino- Rossica. . الذى لم نتمكن من الحصول عليه . انظر : Korobeinikov. D, Diplomatic Correspondence Between Byzantium and The Mamluk Sultanate in Fourteenth Century, *AL- Masaq*, Vol. 16, No. 1 , March, 2004. p. 60.

لمزيد من التفاصيل : انظر الملحق الثاني ، ص ١٥٢-١٥٣.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى ، جـ ٨، ص ٤٥.

(٥) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1,p. 445.

وفى عام ١٣٣١م ، أرسل الإمبراطور أندرونيكوس سفارة بيزنطية إلى بلاط السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون محملة بالهدايا الثمينة والقيمة الذى استقبل الوفد الدبلوماسي البيزنطي استقبالا حافلا وأحسن وفادتهم [١] .

ولقد دامت علاقات الود بين الإمبراطور أندرونيكوس وسلطنة المماليك ويدل على ذلك موقف السلطان الناصر محمد من حوادث عام ٧٤٠هـ-١٣٣٩م والتي قام بها رعايا بيزنطيون ، حيث أضرموا حريقا كبيرا بدمشق أضر كثيـر بعمارة المسجد الأموي وسوق الخيل فأوقع أضرارا بالغة بتجار المدينة وكـان ذلك في منتصف شوال ٧٤٠هـ/١٣٣٩م [١] .

وكان الذى أشعل تلك الحرائق مجموعـة مـن رعايـا الإمبراطوريـة البيزنطية وعلى رأسهم راهبان بيزنطيان كما أشار المقريزي إلى ذلك قـائلا " أن كتاب النصارى أحضروا بين يدي الأمير تنكز ، و أقـروا جميعـا بـذلك ، وكتب عليهم تنكز محضرا ملخصه أن الرشيد سلامة بن سـليمان بـن مرجـا النصراني كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقدار ، أنه حضر إليـه منتصـف شوال المكين يوسف بن مجلي كاتب الأمير بهادر آص ، والمكين يوسف عامل الجيش ، وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلاني [٢] و الأخر اسـمه عـازر ، وقدما من القسطنطينية ليجاهدا فى الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعـا نفسـيها على ذلك" [٣] .

أما عن كيفية قيام الراهبان البيزنطيان بتلك الحرائق فيروى المقريـزى قائلا " أنهما يعلمان صناعة النفط ، فاجتمعوا فى بسـتان المكـين يوسـف ، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط وعملوا كعكات ، وتنكروا فى لباسـهم ،

---

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1,p. 473.

(١) أبـو الفـدا : المختصـر فـى أخبـار البشـر ، الجـزء الرابـع ، مصـر ، ١٣٢٥هـ ، ص١٣٢؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص ٤٩٥. انظر أيضا : ليلى عبد الجواد : علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك ، ص ١٠٧.

(٢) يطلق عليه ابن كثير اسم ميلاثي انظر: ابن كثير:البداية والنهاية ، جـ ١٤، بيروت ، ١٩٩٦، ص١٢٦.

(٣) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ٢ ، ص ٤٩٥-٤٩٦.

ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا في جوانبها ، و ابتاعوا منها قماش ودفعوا ثمنه لصاحبه ، وجعلوا القماش عنده وديعة ، وقد دسوا فيه تلك الكعكات فوقع منها ذلك الحريق ، ثم دفعوا إلى الجرائحي النصراني الذى على باب قيسارية بكعكة من تلك الكعكات فرمى بها في دكان داخل القيسارية فكان منها الحريق الثاني" (٤).

وبعد إشعال الحريق فروا هاربين صوب قبرص ، إلا أن النائب تنكز ألقى القبض على هؤلاء النصارى وقام بتعذيبهم وصلب منهم أحد عشر رجلا وقتل البعض منهم ، ثم أرسل إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليعلمه بذلك ، فغضب الأخير غضبا شديد من فعل تنكز لما في ذلك من تأثير عظيم على طبيعة العلاقات البيزنطية من مصالح وتجارة مشتركة بين البلدين (٥) ففي ذلك إغراء لأهل القسطنطينية بمن يرد إليهم من التجار المسلمين (٦).

وهكذا حرص السلطان محمد بن قلاوون على ألا تؤثر هذه الأحداث على العلاقات بين بيزنطة ودولة المماليك ، فلم يطالب حتى بأي تعويض من بيزنطة عن الخسائر التي وقعت بدمشق ، ولم تخبرنا المصادر المعاصرة لا الإسلامية ولا البيزنطية عن أي اتصال بين الناصر والإمبراطور البيزنطي بشأن هذه الأحداث . بل نجده يؤنب نائبه في الشام على مقتل الراهبين البيزنطيين . فقد كانت العلاقات التجارية بين بيزنطة ودولة المماليك تتمتع بأهمية كبرى لدى السلطان بحيث لا تؤثر فيها مثل تلك التي وقعت في دمشق (٧).ذلك في وقت كان السلطان الناصر يعتمد على التجارة مع غرب أوربا

---

(٤) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ٢ ، ص ٤٩٦.

(٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٤ ، ص ١٣٢. انظر أيضا: ليلى عبد الجواد ؛ علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك ، ص ١٠٧.

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٢، ص ٤٩٧ .

(٧) المقريزى : السلوك ، جـ٢، ص ٤٩٧ . انظر أيضا: ليلي عبد الجواد : علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ، ص ١٠٧-١٠٨.

وبيزنطة اعتماداً كبيراً لزيادة مصادر دخل دولته بل كمصدر أول للثــروة فــي بلاده، سيرا على نهج أسلافه من سلاطين المماليك [٨].

وعلى أية حال فــي أواخــر عــام ١٣٤٠م أرســل الإمبراطــور البيزنطــي أندرونيكوس وفدا دبلوماسيا بيزنطيا إلى بلاط السلطان المملوكي الناصر محمد . ولقد ركزت السفارة البيزنطية السابقة على قضيتين ، الأولى ، هــي الحفــاظ على حقوق الرعايا المسيحيين الذين يعيشون في مصر المملوكية وتوفير الحماية اللازمة لهم [١] والثانية ، هي بحث قضية بطريرك بيت المقدس لازار Lazar [٢] والتحالف مع مصر [٣] ومـمــا تجــدر الإشــارة إليــه أن المــؤرخ نقفــور

---

(٨) فلقد كتب السلطان الناصر محمد منشورا إلى التجار الذين يفدون على مصر من بلاد الروم يرحب بهم ويصف لهم محاسن مصر ويغريهم على القدوم إليها بمتاجرهم . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٣، ص، ٣٤٠-٣٤١ . انظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور:العصر المماليكى ، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(١) Cantacuzenus , *Historiarum,* Vol. 3, p.91. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 43.

راجع أيضا ليلى عبد الجواد :علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ، ص ١٠٨.

ولكن يشير إلى تلك السفارة المؤرخ جريجوراس فى عام ١٣٣٠. انظر: , Gregoras *Byzantinae Historiae,* Vol.I, p.443.

(٢) Cantacuzenus , *Historiarum ,* Vol. 3, p.91; Gregoras, *Byzantinae Historiae,* Vol.1, p. 443.

راجع أيضا: ليلى عبد الجواد : علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك ، ص ١٠٨ .

أما البطريرك لازار Lazar ، انتخب الأساقفة كالعادة لازار بطريرك على بيت المقدس ، ثم ذهب إلى القسطنطينية ليصدق الإمبراطور أندرونيكوس الثالث على انتخابه ، وفى نفس الوقت ذهب إلى هناك الراهب جراسيموس Gerasimus مع بعض رجاله ووجه إلى لازار اتهامات ، كان لابد معها من عزله من منصبه غير أن الإمبراطور لم يعزله على أثر سماع اتهامات جراسيموس له واعتبر هذه الاتهامات مجرد هراء ، ولذلك طلب من البطريرك لازار أن يظل بالقسطنطينية حتى يبحث الأمر ، ولكن توفى أندرونيكوس الثالث وقامت حرب أهلية بين حنا السادس كانتاكوزينوس وحنا الخامس باليولوجس أيد فيها لازار كانتاكوزينوس فعزله حنا الخامس من منصبه كبطريرك على بيت المقدس وعين بدلا منه جراسيموس بطريركا على بيت المقدس . انظر : ليلى عبد الجواد : علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك ، ص ١١١، هامش رقم ١.

(٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p. 443. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 43.

جريجوراس قد نوه عن تلك السفارة ولكنه تحدث عنها سريعا ولم يهتم بإلقاء الضوء على أهم التفاصيل الخاصة بها سوى أنه أشار قائلا " لقد أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث سفارة إلى سلطان مصر بهدف التحالف معه وتأييد البطريرك لازار " [٤]. وبذلك تبادلت الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك العديد من السفارات الرسمية من أجل استمرار العلاقات الطيبة بين الطرفين والتي كان من أهمها سفارة عام ١٣٣١م للبلاط البيزنطي من قبل السلطان المملوكي والتي سلمت بدورها خطابا إلى الإمبراطور البيزنطي والذي ظهر من خلاله مدى حرص السلطان الناصر محمد بن قلاوون على استمرار العلاقات الودية بينه وبين الإمبراطورية البيزنطية ، وسفارة عام ١٣٣١م التي أرسلها الإمبراطور أندرونيكوس إلى السلطان الناصر محمد كرد على السفارة السابقة والاستمرار العلاقات حميمة بين الطرفين ، وكذلك سفارة عام ١٣٤٠ لبلاط سلطنة المماليك من أجل تدعم روابط الود بين الطرفين وبحث قضية لازار ولكن في حقيقة الأمر كانت العلاقات البيزنطية المملوكية و التي أخذت شكل سفارات متبادلة بين الطرفين كانت بهدف تحييد دولة المماليك حتى تتفرغ بيزنطة لمواجهة الأخطار التي تهدد كيانها خاصة الأتراك التركمان والعثمانيون . أما بالنسبة للمماليك فكانت تهدف من وراء تلك السفارات المتبادلة هو استمرار العلاقات التجارية بين البلدين خاصة تجارة الرقيق الأبيض الذي يسمح البيزنطيون بمرورها عبر أراضيهم إلى مصر ، حيث إن تلك التجارة تحقق أرباحا كثيرة فضلا عن أن المماليك كانوا يحتاجون الرقيق ليكونوا جندا مقاتلين مماليك [٥].

سياسة بيزنطة تجاه المدن الإيطالية ومملكة نابولي .

---

(٤) Gregoras *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p.443.

(٥) فلقد حدث عن طريق السفارات والمراسلات بين بيزنطة وسلطنة المماليك أن تم الحصول على تصريح بمرور السفن المصرية المحملة بالرقيق الأبيض في البوسفور لتعزيز قوات السلطان المملوكي . لمزيد من التفاصيل انظر: Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1,p.101; Pachymers, *De Michaele et Andronico*, Vol. 1, pp. 174-179.

راجع أيضا: هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ، جـ٤ ، ص ٥٢.

سياسة بيزنطة تجاه المدن الإيطالية .

سياسة بيزنطة تجاه البندقية .

لقد تميزت البندقية بما يمكن تسميته بحالة من الجشع الاقتصادي الكبير ، فعلى الرغم من تمتعها المبكر بامتيازات تجارية هائلة في الإمبراطورية البيزنطية دون غيرها من المدن الإيطالية الأخرى ، إلا أنها كانت تطالب دائما بمزيد من الامتيازات والإعفاءات [1] . فلقد اتبعت بيزنطة فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني سياسة متشددة تجاه البنادقة وجالياتهم التجارية في القسطنطينية – خاصة البنادقة الجازميل – لم تنته إلا بعد عقد اتفاقية ١٣٢٤م بينهما [2] . ولقد انشغل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث منذ توليه عرش الإمبراطورية البيزنطية فى مايو ١٣٢٨م بصراعه ضد الجنويه حول جزيرة خيوس [3] ، ثم حروبه المستمرة مع العثمانيين [4] فاستغلت البندقية تلك الفرصة وأرسلت حملة كبيرة فى عام ١٣٢٨ تحت قيادة الأميرال البندقي جوستنيانو جوستنيانى Gustiniano Giustiniani الذى قسم أسطوله إلى قسمين ، فنجح القسم الأول فى أن يحتل هيرون Hieron ، أما القسم الثاني وعلى رأسه الأميرال جوستنيانو نفسه فقد احتل برج لياندر الواقع على مقربة من مدينة سكودار (سكوتارى) واسر عددا كبيرا من السفن التجارية البيزنطية [5].

---

(١) حاتم الطحاوى : بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص ١٥٨.

(٢) الجازميل ، هم نتاج زواج بندقى من أم بيزنطية ، ولقد خضع الجازميل بمقتضى معاهدة ١٢٧٧م لكل من سلطة الإمبراطورية البيزنطية والبندقية لمدة تقرب على نصف قرن . لمزيد من التفاصيل انظر : ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١٥٣-١٧٥.

(٣) Cantacuzenus , *Historiarum,* Vol.1,p. 470; Gregoras *Byzantinae Historiae* , Vol.1, p. 439. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 112.

(٤) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol.1 , p. 342; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p. 433 ; La Chronique Brieve De 1352, Tom. II, p. 45.

(٥) Gregoras , *Byzantinae Historiae,* Vol.1,p. 416.

راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٤٦-١٤٧.

وفى يوليو ١٣٣٢م أمرت البندقية القنصل (Bailli) البندقى فى مدينة القسطنطينية أن يعرض على الإمبراطور أندرونيكوس الثالث الانضمام لمعاهدة التحالف المشترك للقيام بحملة صليبية ضد الأتراك (٦) ، و أن يحصل منه على مبلغ من المال وقدره أربعة آلاف ، هيبربيرون – أحد أقساط الدين الذى كـان على جده أندرونيكوس الثاني – وكذلك يطلب منه أن يتخذ الإجراءات اللازمـة لتجديد معاهدة ١٣٢٤م والتي قد انقضت مدتها فى عام ١٣٢٩م. لـذلك أرسـل

أما هيرون Hieron ، فهو حصن يقع على مضيق البوسفور يتولى حراسة الطريق المؤدى إلى مدينة القسطنطينية ، ولقد احتله الجنويه عام ١٣٥٠م ، وسيطر عليه العثمانيون عام ١٤٥٢م ، ويعرف حاليا باسم أناضولوكافاك Anadolukavak. انظر: *O. D. B,* Vol. 2, p. 931.

(٦) لقد هددت إغارات تركمان أيدين و ماغنيسيا على سواحل بحر إيجه تجارة البندقية ولذلك سعت لتكوين حلف حربي يضم البابوية و الاسبتارية فى رودس و قبرص وبيزنطة - إلا أن الأخيرة رفضت الاشتراك حرصا على اتفاقاتها مع التركمان ولتتفرغ لصراعها مع العثمانيين – وقام الحلف الصليبي بمطاردة الأتراك التركمان في بحر إيجه عام ١٣٣٤م ودمر قلعة سميرنا . ثم تكرر هجوم الحلف المسيحي مرة ثانية عام ١٣٤٣م واستولى على مدينة سميرنا.لمزيد من التفاصيل انظر: Enveri, Le Destan, Line. 1093, p. 87;Marino Sanudo, Letters Inedites et Memoire De L'Ancient, B. D. E.C., Vol. LVI,(Paris, 1895) p. 21.

راجع أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٣، جـ٢، ص ١٢٤٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص ٥٥.

أما البايلي Bailli (النائب) ، هو لقب القنصل البندقى فى المستعمرات البندقية فى موانئ البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، وخاصة فى موانئ الشام تحت الاحتلال الصليبي ١٠٩٨-١٢٩١م ، وهو ممثل الجمهورية البندقية فى مدينة القسطنطينية ، و كان القنصل البندقى Bailliff المسئول الأول عن الجالية البندقية بالقسطنطينية طول عهد أسرة باليولوجس ، وكان راتبه يبلغ مائة ليرا Librae شهريا ، و أحيانا== استخدمت كلمة البايلي تعبيرا عن الوصي أو النائب عن الملك أو الحاكم فى حالة غيابة أو عجزه . انظر : نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ٩٠ انظر أيضا: هانس إبرهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، ليبيا، ١٩٩٠م ، ص ٢٣٧؛ حاتم الطحاوى : الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ص ١٠٦-١١٠؛ ناهد عمر صالح: السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص٥٣ .

راجع أيضا : Nicol, *Byzantium and Venice* , p. 253.

الإمبراطور أندرونيكوس الثالث سفارة بيزنطية إلى البندقية تحت رئاسة كل من جريجوراس كليداس Gregory Kleidas و ستيفن سيروبولوس Stephen Syropoulos بهدف تجديد المعاهدة السابقة . وعندما وصلت السفارة البيزنطية إلى البندقية ، تم استقبالها في مقر السيناتور Senate البندقي ، ولقد دار بينهم وبين أعضاء السناتور مناقشات استمرت عدة أيام حول طبيعة بنود المعاهدة الجديدة ومدتها [١] وتم إبرام المعاهدة التي نصت على ، إعطاء الحرية للتجارة البنادقة في شراء وبيع قمح البحر الأسود في أي مكان من أنحاء الإمبراطورية البيزنطية دون قيد أو عائق و إعفاء التجار البنادقة من الضرائب البيزنطية ، واحتكار التجار البنادقة للإنتاج الزراعي داخل وخارج الإمبراطورية البيزنطية ، و أن يتعهد الإمبراطور البيزنطي بدفع تعويض مالي من خزانته الخاصة إذا ما قام أحد البيزنطيين أو أي فرد آخر داخل الإمبراطورية البيزنطية بالاعتداء على أي شخص بندقي وليس للإمبراطور البيزنطي الحق في المطالبة بتعويضات مماثلة من البندقية في حالة اعتداء التجار أو الموظفين البنادقة على أحد أفراد الشعب البيزنطي ، و إقامة تحالف مشترك بين بيزنطة والبندقية لصد الخطر العثماني و أن تكون مدة هذه المعاهدة ست سنوات [٢] .

ولقد عادت السفارة البيزنطية إلى مدينة القسطنطينية وسلمت الإمبراطور أندرونيكوس الورقة الخاصة بتلك المعاهدة ليوقع عليها بخاتمه

---

(١) حيث إنه أثناء الحرب الأهلية بين الإمبراطور أندرونيكوس الثاني والإمبراطور أندرونيكوس الثالث استدان الأول من البندقية مبلغا وقدره اثنا عشر ألفا هيبربيرون أو أربعة عشر ألفا هيبربيرون وقد وافق على دفع هذا المبلغ على شكل أقساط وقام بدفع القسط الأول إلى القنصل توماسو سورانزو Tommaso Soranso في نهاية يوليو ١٣٢٥م . وكذلك ديون عمه أندرونيكوس باليولوجس التي استدانها من التجار البنادقة في أرطا بإبيروس و فالونا بألبانيا Valona والتي بلغت حوالي خمسة عشرة ألف وثمانمائة هيبربيرون . لمزيد من التفاصيل انظر : Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p. 370-373. Cf. Also, Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 255; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 114.

(٢) أورد " نيكول " هذه الرواية نقلا عن : Thiriet. F , Regestes Des Deliberations Du Senat الذى لم نتمكن من الحصول عليه . انظر : Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 249-254.

الخاص . وبالفعل وقع الإمبراطور بخاتمه عليها في حضور وزيره حنا كانتاكوزينوس وحشد كبير من كبار رجال الدولتين البيزنطية والبندقية ، ثم تم تسليمها إلى جياكومو سورانزو Giacomo Soranso القنصل البندقي في مدينة القسطنطينية في ذلك الوقت وكان ذلك سبتمبر ١٣٣٢ (٣) .

ومما سبق يتضح أن الإمبراطورية البيزنطية أصبحت في حالة من الضعف والاستسلام لرضوخها لمثل تلك الشروط المجحفة ولكن ربما وافق الإمبراطور على تلك المعاهدة اتقاءً لشر البنادقة أصحاب الأساطيل الكبيرة التي يعجز الأسطول البيزنطي عن صدها ، ومن المرجح أن السبب المباشر لقبول تلك المعاهدة هي رغبة الإمبراطور في الحصول على مساعدة البنادقة لوقف الزحف العثماني المنتشر في الأراضي البيزنطية في أسيا الصغرى ويدل على ذلك وجوده كأحد بنود المعاهدة ، فضلا عن عداءه لجنوه ولذلك عقد هذا التحالف مع البندقية .

وعلى أية حال ففي يناير ١٣٣٥م أرسلت البندقية القنصل جياكومو سورانزو إلى الإمبراطور أندرونيكوس ليبلغه تهديد وقرار البندقية بشأن سحب جميع البنادقة من الإمبراطورية البيزنطية في حالة عدم التزامه بدفع القسط المحدد من الدين خلال ستة أشهر . وكان هذا التهديد غير ذات قيمة بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية ، حيث إنه يمثل خسائر فادحة للبنادقة نفسها ، لما ينتج عن عملية سحب البنادقة من خسائر مالية كبيرة وكان على البندقية أن تتغاضى عن هذا المبلغ التافه الذى يطالبون به أمام المكاسب العظيمة التي يحققونها من وراء الإمبراطورية البيزنطية ، فضلا عن أن ذلك سوف يعطى للجنويه اليد العليا وحرية التصرف في الإمبراطورية البيزنطية (١) .

---

(٣) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 3, p. 188. Cf. Also Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 89; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 119-120.

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae* , Vol. 1, p. 447; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, p. 246. Cf. Also, Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 255-256; Idem, *The Last Centuries*, p. 174.

ولقد سرّ البنادقة كثيرا عندما رأوا منافسيهم الجنويه مقهورين ومهزومين فى خيوس وفوكايا و ميتيلين على أيدى القوات البيزنطية . و فى يونيو ١٣٣٨م أمرت البندقية قنصلها في القسطنطينية بأن يُذكر الإمبراطور البيزنطي بأن معاهدته مع البنادقة على وشك الانتهاء و أن يوضح له أنهم لن يستطيعوا أن يقوموا بتجديد هذه المعاهدة حتى يقوم بدفع ما عليه من ديون متأخرة و التي بلغت حوالي تسعة عشر ألف هيبربيرون فى عام ١٣٣٨م و أن يوضح له المشاكل التي حدثت للبنادقة فى تسالونيكا وما ترتب عليها من خسائر مالية فادحة لهم [٢].

ولقد جددت البندقية معاهدتها التجارية مع الإمبراطورية البيزنطية فى بداية عام ١٣٣٩م بعد أن دفع أندرونيكوس جزءا من مبلغ الدين . وفى فبراير ١٣٤٠م أرسلت سفارة دبلوماسية بندقية تحت رئاسة السفير جيوفاني جرادينيجو Giovanni Gradenigo إلى بلاط الإمبراطور أندرونيكوس فى القسطنطينية لعقد معاهدة جديدة معه. والجدير بالذكر أنه حتى شهر يوليو ١٣٤٠م لم يكن أندرونيكوس قد وقع على المعاهدة الجديدة بسبب انشغاله بحملاته على بلاد اليونان حتى أبريل ١٣٤١م ثم مرضه ووفاته دون التوقيع عليها [٣] .

و أخيرا لقد كان النشاط التجاري للبنادقة فى بيزنطة فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث قد استعاد بعض حياته بعد أن كان يعانى من ضعف شديد ، إذا أن الطرفين كانا مهمتين بالحد من نفوذ الجنويه وتفوقهم فى بيزنطة والبحر المتوسط من جهة ، وفى وضع حد لغارات الأتراك العثمانيين فى أسيا الصغرى من جهة أخري ، إلا أن الزحف والتوغل العثماني قد افقد البندقية كثيرا من الامتيازات .

---

[٢] Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.501-502; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,Vol.1, pp. 545 - 546; Schreiner, *Chronica Byzantina,* Vol. 2, p.247-284.Cf. Also, Nicol, *Byzantium and Venice*, p.257.

[٣] Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol.1, pp. 503-504; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , p . 546 ; Schreiner, *Chronica Byzantina,* Vol.2, p.248.Cf.Also, Nicol, *Byzantium and Venice*, p.257.

أما عن الجنويه ، ففي الوقت الذى أتبع الإمبراطور أندرونيكوس الثاني مع البندقية سياسة متشددة نجده يمنح الجنويه امتيازات جديدة جعلت لهم مركزاً خاصاً داخل الإمبراطورية البيزنطية ، حيث أكد لهم المعاهدات التجارية التي أبرمها الإمبراطور ميخائيل الثامن ووعدهم بالسير على نهجه والمحافظة على مكانتهم فى القسطنطينية،ومن الوجهة الدينية كان الجنويه يتمتعون بحرية مطلقة فى بناء كنائس خاصة بهم لممارسة شعائرهم الدينية[٤].

وعندما ارتقى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث عرش الإمبراطورية البيزنطية كان أول أعماله هو استرداد جزيرة خيوس من أسرة آل زاكاريا Zaccaria الجنويه ، ويمكن إرجاع ذلك إلى قيام مارتينو زاكاريا Martino Zaccaria بتحصين الجزيرة ورفع أسوارها دون علم الإمبراطور أندرونيكوس الثالث وتنكيسه للأعلام البيزنطية فيها [١] . إلى جانب تحالف مارتينو مع فيليب

---

(٤) فى حقيقة الأمر يدين الجنويه للإمبراطورين ميخائيل الثامن و أندرونيكوس الثاني بالفضل العظيم حيث قاما الإمبراطوران بإلغاء الرسوم الجمركية المفروضة على الجنويه فى المياه البيزنطية والبحر الأسود . لمزيد من التفاصيل انظر : Pachymers, De Michaele et Andronico , Vol. 1, pp. 419- 420; Gregoras, *Byzantine Historiae*, Vol. 1, p. 134.

راجع أيضا: هايد: تاريخ التجارة ،جـ٢، ص٩٦-١٢٠،١٩٨؛ ناهد عمر صالح :السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ٢٠١ ؛ عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية ، ص ١٠٤ .

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.369-370;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 416-417.

Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.112; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.172.

أما أسرة آل زاكاريا Zaccaria ، عائلة جنويه استمر نشاطها من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر . ويرجع تأسيسها إلى بينيديتو الأول Benedetto I الذى توفى عام ١٣٠٧م وكان فى خدمة الملك الإفرنجي فيليب الرابع (١٢٨٥-١٣١٤م) ومنحه ميخائيل الثامن باليولوجس مقاطعة فوكايا، ثم منحهم الإمبراطور أندرونيكوس الثاني جزيرة خيوس لمدة عشر سنوات، ولقد منح فيليب من تارنتو مارتينو زاكاريا لقب " ملك آسيا الصغرى وطاغيتها " لانتصاره على الأتراك ، كذلك منحه البابا حنا الثاني والعشرون بالمخالفة للحظر العام المفروض على الاتجار مع مصر ، تصريحا بتصدير المستكة إلى الإسكندرية اعترافا بالخدمات التي أداها للمسيحيين ، مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث يخشى من ازدياد نفوذ وقوة مارتينو فضلا عن تحالفه مع العدو التقليدي للإمبراطورية

من تارنتو المطالب اللاتيني بعرش القسطنطينية ، وكذلك لرغبة الإمبراطور أندرونيكوس نفسه في السيطرة على جزيرة خيوس نفسها ذات النشاط التجاري الواسع والإيرادات العظيمة وَ التي بلغت حوالي اثنا عشر ألفاً هيبربيرون سنوياً [٢] ، ويشير حنا كانتاكوزينوس إلى السبب المباشر للهجوم البيزنطي على الجنويه في خيوس وعدم تجديد عقد منح مارتينو جزيرة خيوس قائلاً " لقد كان لاتحاد مارتينو زاكاريا مع فيليب من تارنتو العامل الرئيسي لعدم تجديد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث لمارتينو عقد الإقطاع الخاص بجزيرة خيوس عام ١٣٢٩م " [٣] .

وعلى أية حال قبل انتهاء العقد بقليل وصل أحد اليونانيين من أصحاب النفوذ الكبير في جزيرة خيوس ويدعى ليو كالوثيتوس Leo Kalothetos إلى تراقيا ، ثم التقى مع ثيودورا باليولوجينا Theodora Palaiologina [٤] في ديديموطيق بوصفه صديق حميم لعائلة كانتاكوزينوس ، فأوضح لها في النقاش الذى دار بينهما عن رغبة اليونانيين بالجزيرة في مساعدة الإمبراطورية البيزنطية بإعادة فرض سيطرتها لمرة ثانية على الجزيرة نظراً للضرائب الباهظة التي أرهقت كاهلهم و التي فرضها عليهم الجنويه أصحاب الأصل اللاتيني. ولذلك أرسلت ثيودورا على الفور إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث

البيزنطية فيليب مارتينو انظر: هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ١٢٢ . راجع أيضاً: *O.D.B*, Vol. 3,p.2217.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1,p.370. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium,*p. 172.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1,p.370.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum,* Vol.1,p.370-371; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora,* Vol.2, 245. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* p. 112.

وابنها حنا كانتاكوزينوس لمقابلة ليو كالوتيتوس ليوضح لهم الأمر بنفسه [٥] كان ذلك في صيف ١٣٢٨م [٦] ثم جاءت الفرصة للإمبراطور أندرونيكوس عندما قام اليونانيون في الجزيرة بثورة عارمة ضد حاكمها مارتينو والوجود الجنوى فيها[٧]، فأرسل أندرونيكوس رسالة شديدة اللهجة إلى مارتينو جاء فيها أن قيامه بتحصين الجزيرة يعد نقضا لشروط الاتفاق مع البيزنطيين ، فضلا عن عدم اهتمامه بالذهاب إلى القسطنطينية بنفسه لتجديد الاتفاق معها [١] .

ولقد ذهب بينيديتو زاكاريا الثاني Benedetto Zaccaria II – أخو مارتينو – إلى بلاط الإمبراطور أندرونيكوس بمدينة القسطنطينية وقدم له فروض الولاء و الطاعة مقابل مطالبة أندرونيكوس بحقه في ميراث جزيرة خيوس من أخيه مارتينو الذى سلبه هذا الحق . فأصبحت حملة الإمبراطور البيزنطي على جزيرة خيوس ذات صبغة شرعية [٢]. وفي عام ١٣٢٩م جهز الإمبراطور أسطولا كبيرا لم يشهد أحد مثله منذ زمن بعيد بلغ حوالي مائه وخمس وخمسين سفينة ذات المجاديف الثنائية والثلاثية وكان خمسا منها لنقل

---

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 371 ; Enveri , *Le Destan* , p. 40. Cf. Also , Bosch , *Kaiser Andronikos III, p.* 112.

راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢ ، ص ١٤٧.

(٦) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1 , p. 372 ; Enveri , *Le Destan* , p. 40. Cf. Also , Bosch , *Kaiser Andronikos III, p.* 113.

(٧) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 373 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p. 433. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 56

(١) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, p. 373; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p. 433.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.374; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, pp. 433- 434. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* p. 114; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 171.

الخيول والتي بلغت حوالي ثلاثمائة جواد وكذلك لنقل ثلاثمائة من الفرسان و المشاة ، وكانت تلك السفن مزينة بشكل رائع حيث تنافس كل قبطان مع الأخر في تزين سفينته بشكل مبهر، فيدل ذلك على مدى فرحة البيزنطيين بتلك الحملة الموجهة ضد مارتينو زاكاريا وموافقتهم عليها [٣]. وعندما علم مارتينو بأخبار تلك الحملة البيزنطية المواجهة ضده أصدر على الفور قرارا يجبر فيه سكان جزيرة خيوس على حمل السلاح لمحاربة البيزنطيين ومن يتقاعس ويتخاذل يكون الموت والهلاك والتشرد مصيره ، ثم أعلن حالة من الطوارئ والاستعدادات القصوى لملاقاة الأسطول البيزنطي الزاحف وكذلك عمل على تدعيم وتزويد تحصينات الجزيرة [٤] وعندما وصل الأسطول البيزنطي أمام جزيرة خيوس في ديسمبر ١٣٢٩م استطاع مارتينو أن يغرق ثلاثة سفن بيزنطية منه عند مدخل ميناء الجزيرة ، إلا أن باقي الأسطول استطاع أن يرسوا حول الجزيرة ويفرض الحصار عليها . ولقد احتمى مارتينو مع ثمانمائة من رجاله في أحد أبراج الجزيرة وقد رفع عليه العلم الجنوى على مرأى البيزنطيين المحاصرين للجزيرة . ثم لعبت الخيانة دورا بارزا في سقوط جزيرة خيوس في أيدى القوات البيزنطية ، حيث تظاهر بينيديتو الثاني بمحاربة البيزنطيين ثم قام بفتح أبواب الحصن للبيزنطيين ، مما جعل مارتينو يتخلى عن الدفاع عن الجزيرة وسلم نفسه طوعا للإمبراطور أندرونيكوس بعد أن يأس من النجاح في التصدي للحملة البيزنطية خاصة بعد أن اشتدت ثورة اليونانيين داخل الجزيرة تحت زعامة ليو كالوتيتوس [٥] وقام الإمبراطور بنقل القائد الجنوى

---

(٣) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, p.374-375; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 434 . Cf. Also Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 171.
راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢ ، ص ١٤٧.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p.375; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p.434. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 115.

(٥) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, p. 376; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 434 -435;

مارتينو إلى مدينة القسطنطينية مكبلا بالقيود . ثم زج به في السجن ولم يشفع له محاولات البابا بيندكت الثاني عشر Benedicet XII و جنوه لإطلاق سراحه ، حيث لم يتم الإفراج عنه إلا في عام ١٣٣٧م (٦) .

وعلى أية حال فقد جرت مفاوضات بـين الإمبراطـور البيزنطـي و الجنوى بينيديتو الثاني فور إلقاء القبض على مارتينو وتم الاتفاق علـى تعيـين بينيديتو محل أخيه مارتينو كمكافأة له على ولاءه لبيزنطة و أن يحصـل علـى الغنائم المالية للجزيرة وذلك على الرغم من الحاجة الماسة لخزينة الإمبراطورية البيزنطية لها وكذلك حصول بينيديتو على ثلاثة سفن بيزنطية لحماية الجزيـرة (١) ومنحه لقب البودستا Potesta وقصرا في مدينة القسطنطينية . ولقد كـان بينيديتو شديد الرضا بهذا الكرم الإمبراطوري ، ولكن سرعان ما انقلب أنصـار مارتينو في وجه بينيديتو بمساعدة من أسقف الجزيرة الكاثوليكي ويدعى نيكولو ساناو Niccolo Sanado وقاموا بطرده خارج الجزيرة لخيانته لأخيه ولعـدم رضاهم عن الامتيازات السابقة الممنوحة لـه (٢) ، ولـذلك قـام الإمبراطـور

Schreiner, *Chronica Byzantine Breviora*, Vol. 2 , pp. 245-246. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 115; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 171. .

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp.376-377; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.435. Cf. Also, Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 171-172.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p.377-378; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp. 435-436; Enveri, *Le Destan*, p. 56. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.115.

راجع أيضا : هايد : التاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٤٧.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*,Vol.1,pp.380-382; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1.pp. 435-436. Cf. Also, Miller. W, The Zaccaria of Phocaea and Chios, *J. H S*, Vol. 31 (London, 1911), p. 42.

أما البودستا Potesta ، من اللاتينية Potestas بمعنى سلطة أو قوة ، وهو لقب كان يمنح في أواخر العصور الوسطى لموظف كبير في كثير من المدن الإيطالية ولكنه أقل من لقب القنصل (البايلي) البندقي ويدل على ذلك أنه عندما يستقبل الإمبراطور البيزنطي في حفل

أندرونيكوس الثالث بتعين ليو كالوتيتوس الصديق الحميم لحنا كانتاكوزينوس على خيوس بدلا من بينيديتو المطرود . والجدير بالذكر أن إعادة ضم جزيرة خيوس للإمبراطورية البيزنطية كان بالنسبة للإمبراطور أندرونيكوس وسيلة هامة ليحقق لنفسه الاحترام والهيبة فى القسطنطينية وخاصة بعد هزيمته فى معركة بلكانون – فيلوكرين ، فضلا عن وجود الإمبراطور أندرونيكوس الثاني على قيد الحياة وله مناصرون وأصدقاء (٣) . وفى بداية عام ١٣٣٠م شن بينيديتو زاكاريا هجوما على جزيرة خيوس بهدف استردادها ، ولكن سفنه فشلت فى أن ترسو أمام الجزيرة ومنيت قواته بهزيمة ساحقة على أيدي أهالي الجزيرة أدت إلى إصابته بنوبة صرع مات متأثرا بها ، وذلك بعد الهجوم السابق بثمانية أيام (٤) .

وفى عام ١٣٣٥م اتجه الإمبراطور أندرونيكوس صوب فوكايا Phokaia وفرض عليها الحصار لمدة ثلاثة شهور أثناء غياب حاكمها أندريولو كاتانيا Andreolo Cattanea الذى عهد إلى عمه أريجو تارتارو Arrigo Tartaro بالدفاع عنها (٥). أما عن كيفية استيلاء الإمبراطور

رسمي لأول مرة البودستا الجنوي ، يؤدي البودستا انحناءتين ، ثم يسمح له بتقبيل يد الإمبراطور وقدمه ، في حين لا يؤدي البايلي البندقى سوى انحناءه واحدة و لا يقبل يد الإمبراطور أو قدمه . انظر : هايد تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ٩٨، هامش رقم ٥٨ ؛ ناهد عمر صالح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١٥٣، هامش رقم ٢؛ روبرت لي وولف : الإمبراطورية اللاتينية ، ص ٤٢٧.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp.383-385; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1 , p. 437; Enveri, *Le Destan*, p. 55. Cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 116-117.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,pp.387-388;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.438. Cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 117-118.
راجع أيضا : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ، جـ٢، ص ١٤٨.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, pp.388-390 ; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p.438; Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 117.

أندرونيكوس على فوكايا فهناك روايتان ، الأولى تشير إلى " أن أريجو تارتارو قام بتسلم المدينة كاملة للإمبراطور أندرونيكوس الثالث بمجرد وصوله أمام المدينة دون أدنى مقاومة وأقسم يمين الولاء والطاعة بين يديه ومعه الحامية الجنويه كلها ، ثم ذهب أهالي المدينة لاستقبال الإمبراطور أعلنوا استسلامهم وخضوعهم له ، فأهديت له المدينة مرة أخرى بعد ثلاثة أيام ودخل الإمبراطور أندرونيكوس القصر وظل في بلاطه يومين ، وعندما وطد سيادته على هذا النحو عليها أقام أريجو حاكما على المدينة لمدة غير محددة بصفته ممثلا لأندريولو كاتانيا الغائب ومنحه الإمبراطور البيزنطي لقب باسيلوس Basileus – لفظة معناها الحاكم أو الملك – [1] .

أما الرواية الثانية فتشير إلى أنه عندما فرض الحصار على فوكايا في بداية شتاء عام ١٣٣٥م طلب الجنويه المحاصرين النجدة من الاسبتارية في رودس الذين تدخلوا واستطاعوا من خلال اتصالهم بالإمبراطور أندرونيكوس أن يتوصلوا معه لاتفاق فحواه حول رفع الحصار المفروض على فوكايا مقابل اعتراف فوكايا بالطاعة والولاء للإمبراطور أندرونيكوس و أن تطلق سراح أبناء صاروخان ونبلائها [2] .

ولقد قام الجنويه في غلطيه Galata بتقوية التحصينات القديمة بها ، وشيدوا العديد من الحصون والقلاع ، وكدسوها بالمقاتلين ، وما أن أبلغ الإمبراطور أندرونيكوس بذلك حتى خرج على رأس جيشه ليعطي لأهل غلطيه درسا قاسيا ، حيث قام بإشعال النيران في القلاع التي شيدوها أمام أسوار غلطيه ، فشدد عليهم الحصار ، وعلى الرغم مما أظهره سكان غلطيه من استبسال وعزيمة قوية واستعداد لمقاومة الحصار ، إلا أنهم بعد عدة أيام من الحصار أصبحوا مهددين بالمجاعة ، وذلك لأنهم كانوا يتزودون من القسطنطينية

انتقلت مدينة فوكايا في عام ١٣١٤ من أيدي بالبولوجس زاكاريا إلى أيدي أندريولو كاتانيا . انظر : هايد : تاريخ التجارة ، ج٢، ص ١٤٨.

(1) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,p. 390; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, pp.523-525. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 117; *O. D. B*, Vol. 1,p. 264.
راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٤٨.

(2) Enveri, *Le Destan* , pp. 55-57. See Also, Lemerle, *L'Emirat D' Aydin* , p. 108.

بضروريات لمعيشتهم ، فحمل ذلك قادة التمرد فى غلطيه على التفكير ، ولما مضى أسبوع أعلن القادة المتمردين خضوعهم واستسلامهم للإمبراطور[٣] ثـم علم الإمبراطور بقيام حاكم فوكايا الجديـدة دومنيكـو كاتـانيو Domenico Cattanea بالهجوم على جزيرة ليسبوس Lesbos لعدم اقتناعه بكونه سـيداً على فوكايا فقط [٤] ولذلك أصدر الإمبراطور أنـدرونيكوس أوامـره بعمـل الترتيبات اللازمة لاستعادة جزيرة ليسبوس مـن غزاتهـا ، وعنـدما وصـل الإمبراطور البيزنطي أمامها بدا بإغراق ما يربوا على ثلاث أو خمس سفن ملك الجنوي دومنيكو كاتانيو . وبعد أن أنزل فى الجزيرة عددا من الفرق العسـكرية

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p.390; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, pp. 416-417. See Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 118.

راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٥٠ .

أما غلطيه Galata ، تقع شمال القرن الذهبي فى مواجهة القسطنطينية منحها الإمبراطور ميخائيل الثامن عام ١٢٦٧م للتجارة الجنويه وجدد منحها الإمبراطور أندرونيكوس الثاني عـام ١٣٠٤م ، وسيطر عليهـا السلطان محمـد الفـاتح عـام ١٤٥٣م ، مدينـة حصينة متينـة الاستحكامات تتميز بكنائسها و أديرتهـا الرائعـة وكانت مركزا عالميا للتجارة . لمزيد من التفاصيل انظر: Pachymeres , *De Michaele et Andronico*, Vol. 1, pp. 420- 425.

انظر أيضا : نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ص ١٠٧، هامش رقم ٢. راجع أيضا : ناهد عمر صـالح : السياسـة الخارجية للدولـة البيزنطيـة ، ص ١٤٨. انظـر أيضـا : Dalleggio. E, Galata La Souverainete De Byzance, *R. E. B*, Vol. XIX, (Paris, 1961), pp. 315-320.

(٤) Cantacuzenus , *Historiarum*, Vol. 1, pp. 391 - 392; Gregoras, Byzantinae Historiae, Vol.1, p. 525; Schreiner, *Chronica Byzantine Breviora*, Vol. 2, p. 246.See Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 118.

راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٥٠.

أما ليسبوس Lesbos ، من أعظم جزر بحر إيجه تقع بالقرب من سواحل أسيا الصغرى ، تشتهر بالرخام والنبيذ واستولى عليها الفرس أول حكم كيروش وخربها الأثينيون عام ٤٠٥ ق م و أخضعها الاسكندر الأكبر والرومان واستولى عليها السلطان محمد الفاتح عام ٨٦٧هـ /١٤٦٢م ، وتبلغ مساحتها مائة ميل وعرضها ٢٥ ميلا وطولها ٢٦ ميلا . انظر: سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص ٤٧٠.

التي كلفها بمحاصرة ليسبوس وتركها واتجه صوب فوكايا بسبب برودة الطقس [1].

وقد اختلف المؤرخون حول كيفية عودة السيادة البيزنطية على ميتيلين عاصمة ليسبوس . فبينما يخبرنا حنا كانتاكوزينوس بأنه بعد أن قام الإمبراطور البيزنطي بإغراق وأسر معظم سفن دومنيكو عاد إلى فوكايا وترك ألكسيس فيلانثروبين Alexis philanthropene الذى استطاع أن يسيطر على جميع جزر ليسبوس فيما عدا ميتيلين الذى فرض عليها الحصار براً وبحراً لمدة خمسة أشهر ولكنه فشل فى الاستيلاء عليها ولذلك عاد حنا كانتاكوزينوس إلى ميتيلين واستطاع من خلال المفاوضات وقدرته العالية على الإقناع أن يعيد ميتيلين إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطية [2] .

إلا أن نقفور جريجوراس يخبرنا بأنه بعد عودة الإمبراطور إلى فوكايا عين ألكسيس فيلانثروبين على رأس القوات البيزنطية على جزيرة ليسبوس وعاصمتها ميتيلين وبالفعل استطاع فيلانثروبين أن يعيد السيطرة البيزنطية على ميتيلين وغيرها من جزر ليسبوس دون الدخول فى حرب شديدة حيث إنه استطاع أن يرشوا الجنود الجنويه لدومنيكو والذين بلغ عددهم خمسمائة شخص بالذهب البيزنطي فتخلوا عنه [3] .

فى الواقع تعد الرواية الثانية هي الأقرب للصواب لأن حنا كانتاكوزينوس ذكر الرواية الأولي من باب المبالغة والمفاخرة وإظهار الذات [4]

---

(1) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,p .393; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p.527; Schreiner, *Chronica Byzantina* Breviora, Vol. 2, pp. 246-247.
راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٥٠ .

(2) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,p .494- 495.

(3) Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,Vol.1 , p. 531.

(4) Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, pp. 110-111.

وعلى أية حال اتجه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى فوكايا مرة ثانية حيث تعاون معه فى هذه المرة صاروخان أمير ماغنيسيا، حيث قامت القوات البيزنطية والتركمانية بحصار فوكايا (٥) التي قاومت أكثر من ستة أشهر وأصبح المحاصرون مهددين بالمجاعة والتي لم يتحملوها فتفاوضوا حول التسليم للإمبراطور على أن يطلقوا سراح الأسري التركمان ، ويجلو دومنيكو عن جزيرة ليسبوس ، وأن يسمح للجنويه فى فوكايا بحرية التجارة فى جميع أرجاء بلاد اليونان ويمدهم صاروخان بما يحتاجون إليه من إمدادات ومؤن . وعلى ذلك عاد دومنيكو إلى فوكايا التي وافق الإمبراطور أندرونيكوس بحق استغلاله لها لاحق ملكيتها . ومع انكماش ممتلكاته على هذا النحو لم يستمتع بها زمنا طويلا ، فبعد أربع سنوات أي فى عام ١٣٤٠م كان دومنيكو كاتانيو ذات يوم يصطاد ، فثار السكان البيزنطيون وقتلوا جنود الحامية الجنوية الصغيرة ، وأعلنوا أنهم لن يعترفوا بحاكم عليهم إلا من قبل أندرونيكوس، وجاء حاكم بيزنطي يدعى ميجادوكاMegaducal أرسله الإمبراطور أندرونيكوس تسلم باسمه مقاليد الأمور والحكم فى المدينة(٦). ولقد استقرت الأوضاع على هذا النحو بين بيزنطة و الجنويه بقية عهد الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث . ويتضح مما سبق أن الأخير اتبع نهجا مخالفا لأسلافه مع الجنويه حيث إنه بمجرد توليه مقاليد الحكم قام بتجهيز حملة عسكرية بيزنطية سيطرت على جزيرة خيوس التي كانت ممنوحة للجنويه بامتياز عام ١٢٨٢م مستغلا فى ذلك ثورة اليونانيين عام ١٣٢٨م وجعل عليها صديق وزيره و قائده الأعلى حنا كانتاكوزينوس ليو كالوتيتوس ولقد أهان أندرونيكوس الثالث آل كاتانيو الجنويه

---

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1,p. 494- 495; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p. 531-532;
Enveri, *Le Destan* , pp. 82-83. Cf. Also, Lemerle, *L'Emirat D'Aydin*, p. 111.
راجع أيضا : هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٤٩-١٥٠ .

(٦) Cantacuzenus , *Historiarum* , Vol. 1, p. 495; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 553.
راجع أيضا: هايد: تاريخ التجارة ، جـ٢، ص ١٥٠.

عندما هاجم فوكايا الممنوحة للجنوي مانويل زاكاريا منذ عام ١٢٧٥م وعين عليها الحاكم البيزنطي ميجادوكا وكذلك قضى على ثورة الجنويه فى غلطيه. وأخيرا يرجع الفضل فى تحقيق تلك الانتصارات السابقة على الجنويه فى غلطيه . إلى تحالفه مع تركمان أيدين وصاروخان .

سياسة بيزنطة تجاه مملكة نابولي.

بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية وطأة الغزوات الجرمانية المتبربرة ، تعرضت نابولي للغزو والنهب من جانب المتبربرين خاصة الوندال . ولقد ظهرت مملكة نابولي فى القرن الرابع الميلادي . وفى عام ٥٣٦م سيطر عليها الإمبراطور جستنيان العظيم (٥٢٧-٥٦٥م) وفى القرن السابع أصبحت خاضعة لدوقية كامبانيا Campania – إقليم جنوب روما– ولكن فى عام ٧٣٦م تمتعت بالحكم الذاتي واستقلت عن الإمبراطورية البيزنطية ، حيث قامت دار ضرب العملة فيها بوضع صورة القديس جانوريوس Januarius لمن نابولي بدلا من صورة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (٧٤١– ٧٧٥م) .ولقد ساعدت العرب فى فتح ميسنيا عام ٨٤٣ م وتعرضت للغزو النورماني عام ١٠٦٠م الذى سيطر عليها عام ١٠٩١م إلى عام ١١٨٩م. ثم خضعت لحكم فريدريك الثاني الألماني من عام ١٢٠٨م إلى عام ١٢٥٠م حيث تولى ابنه الغير شرعي مانفريد الذى دخل فى صراع مرير مع ميخائيل الثامن باليولوجس ثم أصبحت فى عام ١٢٦٥ خاضعة لتاج الفرنسي شارل من أنجو– شقيق لويس التاسع ملك فرنسا – الذى دخل أيضا فى صدام مع الإمبراطور البيزنطي حتى عام ١٢٨٥م حيث تم طرد الفرنسيين من الجزيرة وخضعت لحكم بطرس الثالث ملكا على صقلية و نابولي – عاصمة لها – [1] .

وفى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني استغلت مملكة نابولي فرصة انغماس الإمبراطورية البيزنطية فى الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثاني

---

[1] لمزيد من التفاصيل انظر: إسحق عبيد : الدولة البيزنطية فى عصر باليوغوس ، ص ٩١-١٠٦ راجع أيضا : *O. D. B*, Vol. 1, pp. 1436-1437.

وحفيدة أندرونيكوس الثالث خلال الفترة الممتدة من عــام ١٣٢١م إلــى عــام ١٣٢٨م ، فاحتاجت المناطق القريبة منها في بلاد اليونان [٢] .

وفي يوليو ١٣٣١م حصل والتر الثاني Walther II [٣]علــى موافقــة البابا حنا الثاني والعشرين ، كاثرين أوف فالوا وملك نابولي فيليب من تــارنتو (١٣١٣-١٣٣١م) لإخضاع إبيروس . وفي أغسطس ١٣٣١م أبحــر والتــر الثاني من برينديس Brindisi على رأس جيش مكون مــن ثمانمائــة فــارس وخمسمائة جندي مشاة ، واحتل بهم أماكن عديدة في إبيروس ، بــل وحاصــر عاصمتها أرطا ولكنه فشل في اقتحامها فرجع إلى نابولي مكتفيا بما حققه مــن نصر . ولم يقم الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بأي إجراء ضد تلك الهجمــات بسبب انشغاله في تلك الأونه بحربه ضد العثمانيين [١] . وعندما تم توقيع اتفاقية

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum* ,Vol. l, pp.160 - 163 ; Gregoras , *Byzantinae Historiae* , Vol. 1 , p. 321; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora* , Vol. 2 , p. 279. Cf. Also Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 152; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 11-12; Diehl, *figures Byzantines*, p.243.

لمزيد من التفاصيل عن الحرب الأهلية (١٣٢١-١٣٢٨) انظر ما سبق ، الفصل الأول .

(٣) أما والتر الثاني Walther، فكان كونت ليسي Lecce ، وحصل على لقب دوق أثينا منذ عام ١٣١١م ، وتزوج من بياتريس Beatrice ابنة فيليب الأول حاكم أخايا عام ١٣٢٥م . انظر : Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, pp. 97-98.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 460 ; Gregoras , *Byzantinae Historiae*, Vol. 1, p. 458 ; La Chronique Brieve de 1352, Tom. 2, p. 49. Cf. Also, Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2, p. 98; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 136.

لمزيد من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية العثمانية في تلك الفترة انظر ما سبق الفصل الثاني .

أما مدينة برينديسي Brindisi ، فتقع في الركن الجنوي من أبوليا Apulia ، بنيت مكان فيا أبيا Via Appiaالقديمة ، وكانت عبارة عن حلقة الوصل مع الشرق ، ومركز تجاريا بين دالماشيا Dalmatia وتجارة البحر المتوسط الشرقية أثناء الحرب ضد توتيلا Totila ، ولقد تعرضت لكثير من الإغارات العربية فلقد خربها ودمرها العرب عام ٨٣٨م ولقد احتلها روبرت جويسكارد النورمالي Robert Guiscard عام ١٠٧١م ، ولقد حاولت الإمبراطورية البيزنطية استعادتها مرات عديدة حتى عام ١١٥٠م ولكنها فشلت في تحقيق

نوفمبر ١٣٣٢م بين حنا الثاني أورسيني والإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس ، اعترض ملك نابولي روبرت Robert – ابن فيليب من تارنتو – علــى تلــك الاتفاقية ، ولذلك هاجم حدود إيبروس . ولكن منذ عام ١٣٣٧م سادت علاقــات الود والصداقة بين مملكة نــابولي والإمبراطوريــة البيزنطيــة ، حيــث إنــه أثناء إعادة السيطرة البيزنطية على إمارة إيبروس لم يهاجم الإمبراطور المــدن الخاصة لحكم مملكة نابولي في إيبروس وهــي ليوكــاس Leukas وفونيتســا Vonitsa و ناوباكتوس Naupaktos [٢].

وعلى أية حال ففي أوائل عام ١٣٣٨م حدثت اتصالات دبلوماسية بــين الإمبراطور أندرونيكوس وملك نابولي ، حيث أرسل الأول ســفارة دبلوماســية بيزنطية تحت رئاسة شخص يدعى ديميتريوس Demetrios إلى بلاط نابولي من أجل تدعيم أواصر الود بين البلدين ، ولقد استقبل ملك نابولي تلك الســفارة بحفاوة بالغة و أكرمها ، ثم رجعت تلك السفارة إلي الإمبراطــور البيزنطــي محملة بالهدايا و التي كان من بينها كاس من الفضة من قبل ملك نابولي كــدليل على استمرار الصداقة والمحبة بين الطرفين [٣] .

ذلك انظر : O. D. B, Vol. 1, p.325.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol. 1, p 495; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.538. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 136; Nicol, *The Despotate of Epiros*, Vol. 2 , p. 97.

أما ناورباكتوس Naupaktos ، فهي مدينة تقع في الركن الغربي على الساحل الشمالي من خليج كورنثة ، وكانت الميناء الرئيسي الذى يربط بين خليج كورنثة و أوكسايا Oxaeai خلال القرن الرابع الميلادي ، وعرفت باسم أبوليس Apolis في عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بورفيروجينتوس (٩٣١-٩٥٩م) وفي عام ١٠٢٥م تم تعين الاستراتيجوس جورج Strategos George الذى قتل لنتيجة تمرد فيها ، فقام الإمبراطور قسطنطين الثامن بورفيروجينتوس بإنزال العقاب بالثوار وخرب المدينة ، وبعد عام ١٢٠٤م أصبحت جزءا من إمارة إيبروس وفي عام ١٢٩٤م استولى عليها فيليب حاكم أخايا ، وفي عام ١٣٦١م استوى عليها القطلان ، ثم استولى عليها البنادقة عام ١٤٠٧م وجعلوها مركزا تجاريا، وسيطر عليها السلطان العثماني بايزيد الثاني عام ١٤٩٩م. انظر : *O. D. B*, Vol. 2, p.1442.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, pp. 502- 503; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p.546. Cf.

و بذلك استغلت مملكة نابولي حالة الفوضى والاضطراب الناتجة عن انغماس الإمبراطورية البيزنطية فى الحرب الأهلية بين الجد والحفيد (١٣٢١-١٣٢٨م) واجتاحت بلاد اليونان القريبة منها ، وكذلك استغلت فرصة انشغال الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بحروبه المستمرة ضد العثمانيين وساعدت في قيام حملة صليبية مقدسة قادها والتر الثاني ودعمتها كاثرين أوف فالوا وباركتها البابوية – حنا الثاني والعشرون – وسيطرت تلك الحملة على لعديد من المدن في إمارة إبيروس عام ١٣٣١م . وحتى بعد قيام الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بحملة عسكرية بيزنطية على بلاد شمال اليونان خاصة إبيروس لم يحاول مهاجمة المناطق والمدن التابعة لمملكة نابولي بل قام بإرسال سفارة بيزنطية لتدعيم علاقته بمملكة نابولي عام ١٣٣٨م ومن المرجح أن الإمبراطور أندرونيكوس قام بذلك من اجل تحييد مملكة نابولي أثناء حملته لإخضاع إبيروس لإعادتها لحوزة الإمبراطورية البيزنطية .

سياسة بيزنطة تجاه البابوية :

لقد قام الأتراك العثمانيون بالتوغل فى إقليم أسيا الصغرى و سيطروا على العديد من القلاع والحصون البيزنطية والتي كان من أهمها قلاع أكيازى و أكوفا ، ثم قاموا بالاستيلاء على مدن بروسه ، نيقيه ، و نيقوميديا . أما الأتراك التركمان فقد هاجموا الأقاليم الممتدة من تراقيا البيزنطية إلى أسيا الصغرى فسيطروا على العديد من المدن و التي من بينها بيرجاموس و إفسوس و سميرنا ، وهاجموا غاليبولى و فيلادلفيا وغيرها . مما جعل الإمبراطورية البيزنطية في خطر جسيم وفي حاجة ماسة للمساعدة الأوربية الغربية ولذلك سعى أباطرتها لجذب البابوية والغرب لمساعدتهم عن طريق طرح مشروع توحيد الكنيستين البيزنطية واللاتينية ، ففي عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس عمل على كسب ود البابوية لتدعيم وتوطيد نفوذه ويظهر ذلك من خلال رسالته إلى البابا جريجوري العاشر Gregory X (١٢٧١-١٢٧٦م) فى مجمع ليون ٧

Also, Nicol, *The Despotate of Epiros,* Vol.1, p.113; Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p. 136.

مايو ١٢٧٤م [١] . ولقد أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني في عام ١٣٢٤م إلى البابا حنا الثاني والعشرين John XXII (١٣١٧-١٣٣٤م) يعرض عليه اتحاد كنيسة القسطنطينية مع كنيسة روما وكذلك أرسل إلى شارلس الرابع ملك فرنسا لإتمام الاتحاد الكنسي . ولكنه لم يتم بسبب انشغال أندرونيكوس الثاني بمحاربة حفيدة أندرونيكوس [٢] .

وفي السادس من سبتمبر عام ١٣٣٢م عقدت معاهدة تحالف في رودس بين البندقية و أندرونيكوس الثالث و الاسبتارية Hospitaller بتكوين أسطول من عشرين سفينة ضد الأتراك العثمانيين ولكن لم تسهم البابوية بشكل فعال في تلك المعاهدة [٣] ولقد تزامن مع هذا الموقف أن جاءت رسائل مارينو سانودو الذي يعرض فيها مشروعه لكيفية استرداد الأراضي المقدسة من المسلمين الذي يعتبر دليل للبابوية والغرب ، إلا أن البابوية لم تفطن إلى الخطر العثماني وكان

---

(١) ففي مجمع ليون جاء في رسالة ميخائيل الثامن منها " إلى الحَبر الأقدس السعيد الأول الأعظم ، بابا الكرسي الرسولي الجامع ....السيد جريجوريوس من ميخائيل إمبراطور الروم دوكاس أنجيلوس كومنينوس باليولوجس الابن الروحي لقداستكم العظمى...... مع الحب الطاهر المخلص وطلب الدعاء....." انظر :

Acta Urbani IV, Clementis IV, Gregori IX (1261- 1276), Vol. V, ed. by. Tautu Aloysius (Vaticanis, 1953) pp. 116-123 . Cf. Also, Schroeder . H , *Disciplinary Decrees of General Councils Text, Translation and Commentary* ,(London, 1937) pp.324-364.

(٢) *Acta Ioannis XXII (1317-1334)* ed . By Tautu Aloysius (Vaticanis, 1952) p.135; Omont. H , Lettre D' Andronic II Paleologue au Pape Jean XXII, *B. D. E. C,* Vol. LXVIII (Paris, 1906), p. 587; Idem, Project De Reunion De Eglises et Latine Sous Charles Le Bel en 1327, *B. D. E. C.*, Vol. LIII, (Paris, 1892) , p . 254 . Cf . Also , Viller . M , La Question De L' Union Des Eglises Entre Grecs et Latins Depuis Le Concile De Lyon Jusqu'a Celui De Florence (1274-1438), *R. H.E,* Vol. XVIII (Louvain, 1922) p. 20.

(٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.523. Cf. Also, Gill. J, *Byzantium and papacy, (1198-1400),* (New Jersey, 1979) p.192; Housley. J, Angevin Naples and the Defence of The Latin East Robert the Wise and Naval league of 1334, *B.*, Vol. LI , (Bruxelles, 1981) p. 552.

أمر توحيد الكنيستين عندها يتمتع بالأولوية عن نجدة بيزنطة . وهذا أمر كان يتطلب وقت طويل إلى حد ما للتمهيد له فى بيزنطة . هذا إذا كانت نية البيزنطيين حسنة .فلا طرح بيزنطة لمشروع توحيد الكنيستين كان إيمانا منها بفحوى هذا المشروع وضرورته بقدر ما كان طمعا لأوربا والبابوية فقط لتقديم المساعدة . ولا كانت العقلية البابوية وعقلية السلطات العلمانية التي تتبعها فى أوربا ذات بصيرة سياسية لتتغاضى عن تنفيذ المشروع و تأجيله إلى ما بعد التخلص من الخطر العثماني . و أصرت على إتمام توحيد الكنيستين أولا. فلا تم التوحيد ، ولا تم التخلص من خطر العثمانيين وترك الغرب وتركت البابوية بيزنطية لقمة سائغة للمد العثماني . وعلى أية حال دعا سانودو العالم الغربي لتشكيل حلف مسيحي ضد الأتراك عامة ولكن بيزنطة رفضت الاشتراك حفاظا على اتفاقياتها مع التركمان ولكى تتفرغ لصراعها ضد العثمانيين [١]

---

[١] Enveri, *Le Destan*, p. 87; Marino Sanudo, Lettres Inedites et Memoire p. 21. Cf. Also, Atiya. S, *The Crusade in Later Middle Age* (London , 1938) p . 103; Setton , *Papacy and Levant (1204-1571)*, (Philadelphia , 1976) p. 177 ; Laiou , Marino Sanudo Torssello , Byzantium and the Turks The: Background to The Anti-Turkish League of 1332-1334, *Speculum* , Vol. XLV, (Cambridge,1970) p. 385; Viard . J, Les Projects De Croisade De Philippe VI Valois , *B. D. E. C.*, Vol. XCVII , (Paris, 1936), p. 20.

أما مارينو سانودو ، بندقي الأصل ويعد من أهم دعاة الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر . جاء فى ٢٤سبتمبر ١٣٢١م إلى مدينة أفينون الفرنسية ، حيث قدم إلى البابا حنا الثاني والعشرين كتابا كان قد استغرق فى تأليفه خمسة عشر عاما . والكتاب فى مجملة عبارة عن مشروع صليبي لاسترداد الأراضي المقدسة من المسلمين على أن تكون مصر هي الهدف الأول للحملة الصليبية . فمصر هى مفتاح فلسطين وهى مركز الثقل للمقاولة الإسلامية ضد الغزو الصليبي . على أن يصحب الهجوم على مصر حصار اقتصادي لها . وحدد سانودو فى كتابه أهم السلع التي تعتمد عليها مصر فى الحرب ضد الفرنج . و إذا كان هناك من يخشى من الصليبيين الكساد التجاري ، فقط حدد سانودو المصادر البديلة لرواج التجارة الأوربية التي يضربها عدم الاتجار مع مصر ، وكذلك الطرق التجارية الأخرى ، كما قدم سانودو نسخا أخرى من كتابة إلى كل من شارل الرابع ملك فرنسا وحكام إنجليز و نابولي و أرمينيا وبيزنطة ، وسائر رجال وحكام بقية دول أوربا الغربية . إلا أن مشروع سانودو قوبل بالرفض ومات سانودو خائب الأمل . انظر حسين محمد عطية : إمارة انطاكية ، ص ٤٦-٤٧ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢ ، ١١٩٨.

ولقد أرسل البابا حنا الثاني والعشرون سفارة إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث فى القسطنطينية بهدف وحدة كنيسة بيزنطة مع كنيسة روما تحت رئاسة جيوفاني بيسانو Giovanni pisano وكان ذلك أوائل عام ١٣٣٣م ، إلا أن تلك السفارة عادت إلى أفينون Avignon الفرنسية دون أن تحقق أهدافها المرجوة منها بسبب انشغال الإمبراطور أندرونيكوس بالعبور إلى أسيا الصغرى لمحاولة إنقاذ مدينة نيقوميديا المحاصرة من قبل القوات العثمانية . وبعد عودته بقليل إلي القسطنطينية أرسل إلى البابا حنا الثاني والعشرين يطلب منه العون والمساعدة ضد العثمانيين ويطلعه ، على سوء الأوضاع فى الشرق [٢] ولقد وافق البابا على مساعدة أندرونيكوس بشرط إتمام عملية اتحاد الكنيستين اليونانية واللاتينية ؛ إلا أن الإكليروس الأرثوذكسي رفضوا الإذعان والانصياع لرغبة البابا حنا الثاني والعشرين مما أدى إلى فشل المفاوضات بشأن المساعدة والاتحاد . وفى مارس ١٣٣٧م أرسل الإمبراطور أندرونيكوس وفد دبلوماسي بيزنطي إلي البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII (١٣٣٤-١٣٤٢م) يعرض عليه فكرة القيام بحملة صليبية مشتركة تضم أوربا الغربية وبيزنطة ضد التوغل العثماني المستمر ولكن لم يحدث تعاون للقيام بتلك الحملة بسبب سوء الأوضاع السياسية فى أوربا الغربية فى ذلك الوقت [٣] .

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1,pp.446-448;Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol.2.p.243.
راجع أيضا : أسد رستم : الروم فى سياستهم ، وحضارتهم ، ودينهم ، وثقافتهم و صلاتهم بالعرب ، بيروت ، ١٩٥٦، جـ٢، ص ٢٣١؛ المرسلين البولسيين ; الاجتهاد فى سبيل الاتحاد ، بيروت ، ص ٤٤.

(٣) *Acta Ioannis XXII (1317-1334)* , p. 140; *Acta Benedicti XII (1334 – 1342)* Vol. VIII, p. 40; Gordillo. M, *Theologia Orientalium Cum Latinorum Comparata (431-1453)*, (Romae, 1960), *O. C. A*, Vol. 158, p. 300. Cf. Also, Bosch, *Kaiser Andronikos III* , p.125 ; Housley, Angevin Naples and the Defence of The Latin , p. 555.
حيث إن الصراع بين البندقية وجنوه كان على أشده فى ذلك الوقت ، وكذلك اشتعال الحرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا . انظر : أسد رستم : الروم ، جـ٢ ، ص ٢٣١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرس ، ص ١٣٦.

وفى يونيو ١٣٣٩م اضطر الإمبراطور أندرونيكوس الثالث لإرسال سفارة بيزنطية جديدة إلى البابا بندكت الثاني عشر فى أفينون الفرنسية تحت رئاسة الراهب بارلام Barlaam و ستيفين داندولو Stephen Dandolo البندقى لعقد مجمع مسكوني هدفه إتمام الاتحاد و إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية من الخطر العثماني الداهم [(١)] وبعد وصول الراهب بارلام و ستيفين داندولو إلى أفينون بعدة أيام التقى بهما البابا بندكت الثاني عشر [(٢)] ، فتحدث الراهب بارلام قائلا " أيها الحَبر الأقدس السعيد الأعظم ، بابا الكرسي الرسولي الجامع الأب المشترك لجميع المسيحيين و أبى إمبراطوريتنا الأكرم السيد بندكتوس ، من أندرونيكوس إمبراطور الروم (البيزنطيين) ورئيسهم الأمين فى المسيح الإله دوكاس أنجيلوس كومنينوس باليولوجس الابن الروحي لقداستكم العظمى ،

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p 551; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1.p.557; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, p. 249; Gordillo , Theologia Orientalium , p. 302 ; Giannelli, Un Progetto Di Barlaam Calabro Per L' Unione Delle Chiese , *Mi* , Vol. III (Vaticano, 1946) p.1; *Acta Benedicti XII* , p. 67. Cf. Also, Meyendorff. J , *Introduction a Etude De Gregoire Palamas* (Paris,1954) p.72;Idem, Un Mauvis Theologian De L'Unite Au XIV Siecle Barlaam La Calabrais , *E . L . E.* , Vol. 2 ,(Chevetogne, 1955) p. 490; Buchberger.M, Andronicus III Palaeologus, *L. F. T. K.*, Vol. A, (America, 1967) p. 498.
أما بارلام Barlaam ، فهو رئيس دير المخلص فى القسطنطينية وهو راهب بيزنطي إيطالي الأصل و أمه تسالونيكية الأصل . انظر : أسد رستم : الروم ، جـ٢، ص ٢٣٣ ؛ المرسلين : الاجتهاد فى سبيل الاتحاد ، ص ٤٤.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p. 575; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1.p.559; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2. p. 249 ; *Acta Benedicti XII* , p. 67 ; Gordillo , *Theologia Orientalium*, p.302. Cf. Also, Gill, *Byzantium and papacy*, p. 196.
راجع أيضا : أسد رستم : الروم ، جـ٢، ص ٢٣١ ؛ المرسلين : الاجتهاد في سبيل الاتحاد ، ص ٤٤؛ إدوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، القاهرة ، ١٩٩٧، جـ٣، ص ١٩٣.

سلاما و إكراما كما يحب مع الحب الطـاهر المخلـص ... إن الإمبراطـور أندرونيكوس متشوقا لإتمام اتحادا بين الكنيستين ولكنه مضطر إلى احترام هيبته و كرامته و أهواء شعبه . وهناك وسيلتان للاتحاد هما القوة و الإقناع ، أما القوة ، فأثبتت عدم فاعليتها عندما استخدم الاثنين القوة فى إخضـاع الإمبراطوريـة البيزنطية ولكنهم لم يستطيعوا إخضاع عقولهم ، أما الإقناع فعلى الـرغم مـن كونه وسيلة بطيئة ولكنه مؤكد ودائم [٣] فسـاعدونا أولا فـي الـتخلص مـن العثمانيين وبعد ذلك يتم الاتحاد ، فان الإمبراطورية البيزنطيـة قـوم يحتـرم قرارات المجامع العامة فلم يهاجم قرارات مجمع ليون لعدم حضور ممثلين عن الكنائس الشرقية " [٤] . ثم استمر الراهب بارلام فى إلقاء كلمته أمام البابا بندكت الثاني عشر ورجال الإكليروس اللاتين قائلا " إن الإمبراطورية البيزنطية فـي هذه الأونه تواجه خطر جسيم ألا وهو الأتراك العثمانيون الذين اجتاحوها سـلبا ونهبا واستولوا على كبريات مدنها فى أسيا الصغرى . ولذلك يؤمن البيزنطيون وكنيستهم الرومانية المقدسة إيمانا ثابتا ، وتعلن وتؤكد عن رغبتها في الاتحـاد وقيام حملة صليبية مقدسة من الغرب لمساندة أقرانهم فى الشرق للوقـوف فـي وجه العثمانيين عدونا للدول ثم الطريق إلى بيت المقدس و أخيراً علمنا

---

(٣) *Acta Benedicti XII*, p. 67 ; Gordillo , *Theologia Orientalium*, p. 303. Cf. Also, Gill , *Byzantium and papacy*, p. 196.

راجع أيضا : إدوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ٣، ص ١٩٣.

(٤) *Acta Benedicti XII*, pp. 67 - 68 ; Gordillo , *Theologia Orientalium*, pp. 303-304. Cf. Also , Gill , *Byzantium and papacy* , pp. 196-197.

راجع أيضـا : إدوارد جيبـون : اضـمحلال الإمبراطوريـة الرومانيـة وسقوطها ، جـ٣، ص ١٩٣؛ المرسلين : الاجتهاد في سبيل الاتحاد ، ص ٤٤ .

بأنكم تحالفتم مع التتار ضد المسلمين ، فمن الأولى أن تضعوا ثقتكم فى إمبراطوريتنا المتداعية لحمايتها من جيوش البرابرة (العثمانيين) [١] .

وعلى أية حال تم معاملة الوفد الدبلوماسي البيزنطي ورئيسه بارلام بشيء من التحقير و الإهانة ، وقوبلت عروض ومطالب الإمبراطور أندرونيكوس بالرفض من قبل كل من البابا وملك فرنسا وملك نابولي بحجة الخوف من ويلات الحرب . وعاد بارلام إلى القسطنطينية ودخل فى صدام مع اتباع بالاماس Palamas فى أول شهر يونيه ١٣٤١م ، فانشغل الإمبراطور أندرونيكوس بالصدام بين بارلام و بالاماس وتوفى فى الخامس عشر من يونيه ١٣٤١م دون أن يحقق الاتحاد أو الحصول على مساندة الغرب ضد العثمانيين [٢] . وبذلك فشلت جميع محاولات الاتحاد بين الكنستين اليونانية واللاتينية ،

---

(١) *Acta Benedicti XII*, pp. 70 - 73 ; Gordillo, *Theologia Orientalium*, pp. 303 - 304. Cf. Also , Gill , *Byzantium and papacy*, p. 198.

راجع أيضا : إدوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ٢، ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.557; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol. 1,p.559; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2 , p. 249 - 250 ; *Acta Benedicti XII*, pp.73 - 74 ; Gordillo, *Theologia Orientalium*, pp.304-305. Cf. Also, Gill, *Byzantium and papacy*, p. 198.

راجع أيضا : إدوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ٢، ص ١٩٣؛ أسد رستم : الروم ، جـ٢، ص ٢٣٢؛ البولسيين : الاجتهاد في سبيل الاتحاد ، ص ٤٤. حيث إنه أثناء عودة بارلام عبر تسالونيكا اطلع على رسالة النور الإلهي التي أعدها بالاماس أثناء غيابه ، فأعاب عليها بارلام ثم ذهب مع السفراء يشكو بالاماس إلى البطريرك يوحنا كالليكاس Calecas فاستدعى الأخير بالاماس للمثول أمام المجمع الكنسي تحت رئاسة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث فى العاشر من يونيو عام ١٣٤١م ، فافتتحه الإمبراطور بإعلان أن بارلام قد أخطأ وعليه الاعتذار لأن الأساقفة وحدهم منوطين بالبت فى العقيدة . لمزيد من التفاصيل انظر :

Arnakis. G, Gregory Palmas Among the Turks and Documents of his Captivity as Historical Sources,

رغم الحاجة الماسة لهذا الاتحاد لمواجهة خطر الأتراك العثمانيين . ويرجع ذلك لأن العقلية البابوية وتتبعها عقلية أوربا الغربية هدفهم الاتحاد وليس هدفهم إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية التي ينهش في جسدها أعداءها من كل جانب خاصة العثمانيون ، وليس لديهم بعد سياسي لإدراك حقيقة أن العثمانيين ليسوا خطرا على الإمبراطورية البيزنطية فقط بل خطر أيضا عليهم أنفسهم ولكنهم لم يدروا تلك الحقيقة إلا بعد فوات الأوان . أما الإمبراطورية البيزنطية فكان هدفها جذب البابوية والغرب بطعم الاتحاد لمساعدتها لصد الخطر العثماني وليس الاتحاد فى حد ذاته . ولذلك لم يتم الاتحاد ولا المساعدة ووقعت بيزنطة فريسة سهلة فى أيدى القوات العثمانية .

وفى النهاية لقد لعبت الإمارات التركمانية دورا بارزا فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث حيث إنها اجتاحت مدن تراقيا البيزنطية سلبا ونهبا والممتلكات البيزنطية على ساحل البحر الأسود ، و التي كان من بينها تشيرسون وكذلك ساحل بحر إيجه المطل على أسيا الصغرى . وكذلك هاجمت الممتلكات البيزنطية فى إمارة المورة ، وهددت كل من غاليبولى و فيلادلفيا ، بل و اقترب الخطر التركماني من القسطنطينية عندما هاجموا كيزيكة والمناطق المحيطة بها و التي تبعد عن القسطنطينية حوالي سبعون ميلا . إلا أن الفضل الكبير يرجع للتركمان فى إعادة السيطرة البيزنطية على كل من فوكايا و ميتيلين وشمال بلاد اليونان وقمع ثورة الألبان و غلطيه الجنويه . أما عن المماليك فلقد تعددت السفارات المتبادلة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك من اجل استمرار العلاقات الودية بين الطرفيين حيث إن بيزنطة كانت تريد تحييد المماليك لتتفرغ لصراعها ضد التركمان والعثمانيين ، بينما كانت سلطنة المماليك هدفها من استمرار العلاقات الطيبة هو الحصول على تجارة الرقيق الأبيض التي تدر عليها أرباحا طائلة ، فضلا عن الاستعانة بهم كجنود مقاتلين مماليك و التي كانت تمر عبر الأراضي البيزنطية . أما المدن الإيطالية فلقد اتبع

Speculum , Vol. XXVI (Cambridge, 1901) , pp. 104-118.
راجع أيضا : أسد رستم : الروم ، جـ٢، ص ٢٣٥؛ البولسيين : الاجتهاد في سبيل الاتحاد ، ص٤٤.

الإمبراطور أندرونيكوس الثالث سياسة مشددة مع الجنويه و يتضح ذلك من خلال رفضه تجديد الامتيازات و الإقطاعيات . الممنوحة لهم منذ عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس بينما نجده يتبع سياسة متسامحة مع البنادقة يجدد لهم معاهداتهم وامتيازاتهم السابقة عكس أسلافه . أما البابوية فلقد فشلت فى جميع محاولات الاتحاد بين الكنيستين اللاتينية واليونانية رغم السفارات العديدة المتبادلة بين الطرفين طيلة عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث . أما عن مملكة نابولي فلقد استغلت فرصة انشغال الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بحربه ضد العثمانيين وسيطرت على العديد من المناطق فى إبيروس . ولقد عمل أندرونيكوس الثالث على كسب مملكة نابولي لصالحه ليتفرغ لحملته فى شمال بلاد اليونان ، ولذلك أرسل سفارة لها من أجل تحقيق ذلك .

الخاتمة

في بداية العقد الثاني من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي أصبح ميخائيل الثامن باليولوجس (١٢٦١-١٢٨٢م) إمبراطورا متوجا على عرش الإمبراطورية البيزنطية التي عمل على إحيائها والحفاظ على ممتلكاتها المتبقية لها . وعلى العكس من ذلك سار ابنه الإمبراطور أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢-١٣٢٨م) ؛ حيث لم يهتم الاهتمام الكافي بشئون الإمبراطورية البيزنطية ، فنجد أن المملكة الصربية والمملكة البلغارية قد استغلتا الضعف الذى آلت إليه الإمبراطورية البيزنطية فى عهده ، فسيطرتا على العديد من المدن البيزنطية الهامة في البلقان . فأظهر ذلك مدى ضعف الإمبراطور أندرونيكوس الثاني الذى أخذ يتزلف للملك الصربي إيتين إيروش الثاني ميليوتين ليكسب وده ويتقى شره عن طريق إرسال السفارات العديدة للبلاط الصربي ويمكن إرجاع ذلك إلى أن الجيش والأسطول البيزنطي كانا فى حالة يرثى لها . فنجد الجيش كثير التمرد بسبب تأخر رواتبه ، فضلا عن عدم قدرته على حماية أملاك الإمبراطورية ، أما الأسطول فقد أصبح ضعيفا ويكاد أن يكون عديم الوجود ، وخزانة الإمبراطورية خاوية غير قادرة على تحمل أعباء خوض حملات عسكرية ناجحة ضد أعدائها، والإيفاء بمتطلبات وحاجات الإمبراطورية الداخلية، فضلا عن اعتماد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني على الجنود المرتزقة سواء كانوا من الجماعات القطالونية أو الآلان اللتان كانتا تشكلان عبئاً على الإمبراطورية البيزنطية وليستا سندا لها حيث إن هذه الجماعات قد تخلت عن الدفاع عنها بسبب تأخر رواتبهم لدى الإمبراطور، فتحولوا إلى عدو لدود يجتاح الإمبراطورية البيزنطية سلبا ونهبا .

وفى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث (١٣٢٨-١٣٤١م) قامت السياسية الخارجية البيزنطية بشكل عام على محورين رئيسيين ، الأول ، هو محاولة الوقوف فى وجه الخطر الصربي والعثماني والبلغاري بالحرب حينا

والمهادنة أحيانا كثيرة ، أما المحور الثاني ، فهو الحصول على مساندة البابوية واستعادة الأجزاء المفقودة في شمال بلاد اليونان منذ الحملة الصليبية الرابعة .

وخلال هذه المحاولة – معالجة السياسية الخارجية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث – تعرض هذا العمل لعدة قضايا فرضها على البحث المنهج الذى اتبع في معالجة هذا الموضوع والمادة التاريخية التي أمكن الحصول عليها . ومن أهم هذه القضايا الحرب الأهلية و أثرها على السياسية الخارجية البيزنطية فقد اعتاد المؤرخون الحديثون على الإشارة إلى الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثاني والثالث دون توضيح الأسباب الحقيقية والرئيسية لتلك الحرب . لذا كان لابد من دراسة الحرب الأهلية بوصفها العامل الرئيسي الذى مزق شمل الإمبراطورية البيزنطية الداخلية وبالتالي شجع عدوها الخارجي على التدخل في شئونها الداخلية والسيطرة على أملاكها . وإن أهم أسباب اشتعال الحرب الأهلية جاء نتيجة لضياع العديد من المدن البيزنطية الهامة دون أن يحرك الإمبراطور أندرونيكوس الثاني ساكنا ، فضلا عن الضرائب العديدة الواقعة على كاهل الشعب البيزنطي .

لقد أمكن التوصل من خلال الدراسة إلى أن جهود الوزير والقائد الأعلى حنا كانتاكوزينوس بشكل خاص في الحرب الأهلية هي العامل الرئيسي والمؤثر لانتصار حلف الإمبراطور أندرونيكوس الثالث على جده و إجبار الأخير على التنازل عن العرش وهذه أولى نتائج البحث.

ومن القضايا الهامة التي تعرض لها هذا البحث هي العلاقات البيزنطية العثمانية، وأمكن التوصل من خلالها أن القوات العثمانية تجيد فن القتال في المناطق الجبلية ، وأنها اتخذت من سياسة الكر و الفر طابعا وأسلوبا لها في معاركها الحربية ، وكذلك مدى وحدة هدفها وصفها في مواجهة أعدائها ومدى سماحة قادتها وعدلهم في المدن البيزنطية التي فتحوها ، حيث إنهم لم يقوموا بأي إجراء تعسفي أو قهري ضد أهلها بل سمحوا لهم بحرية ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية والاعتماد على قادة المدن البيزنطية المفتوحة – مثل إفرينوس حاكم بروسه وغيره – للاستفادة بخبراتهم في إدارة شئون بلادهم ، وأن

الأسلوب العثماني في السيطرة على المدن البيزنطية يكمن في تضـيق الخنـاق عليها وعزلها عن العالم الخارجي عن طريق الاستيلاء على القـلاع المحيطـة بالمدينة المراد السيطرة عليها أو إقامة قلاعا مواجهه لها . إلا أنه تم التوصـل إلى أن معظم المدن البيزنطية الهامة والتي منها بروسه و نيقيـه و نيقوميـديا سقطت في أيدى القوات العثمانية بسبب الرغبة في الهروب من الظلم والجـور والفوضى البيزنطية ، وبحثا لحياة آمنة مستقرة تحت الحكم العثماني الذى ظهر في شكل دولة ذات كيان سياسي مستقر ذي عاصمة وجيش نظامي وشعب منظم وحكومة عادلة وخاصة بعد استيلائهم على بروسه ذات الموقع الحيوي بين نيقيه ومدينة القسطنطينية .

ومن أهم القضايا التي تناولها البحث أيضا هو السبب من وراء حملـة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث على بلاد البيلوبونيز – خاصة إمارة تسـاليا و إيبروس بهدف إرجاعها لحوزة الإمبراطورية البيزنطية . وذلك ما أشـار إليـه المؤرخون الحديثون ، إلا أنه أمكن التوصل إلى السبب الحقيقي لقيامـه بهـذه الحملة ، فقد خرج نتيجة لرغبته الأكيدة فـي الانتقـام مـن القائـد البيزنطـي سيرجيانيز الذى فر هاربا إلى شمال بلاد اليونان في بادئ الأمر ، الأمر الذى لم تشر إليه المراجع الحديثة . ويدل على ذلك طريقة السـيطرة البيزنطيـة علـى الأجزاء المختلفة لإمارتي تساليا و إيبروس عن طريق استخدام الحلول السـلمية أكثر من كونها حلولا عسكرية لعدم وجود قدرة عسكرية قوية على تنفيذ ذلك . وفي حقيقة الأمر إن استعادة الإمبراطورية البيزنطية لهاتين الإمارتين لم يكـن يعادل الخسائر التي لحقت بها في آسيا الصغرى وفقدان معظمها .

ومن القضايا المهمة أيضا التي ركز عليها البحث معركة فيلبوشد ، و قد أمكن التوصل من خلالها إلى أن القوات البيزنطية لم يكن لديها الرغبة الأكيدة في القتال مع القوات البلغارية ضد القوات الصربية ، وأن المملكـة الصـربية أصبحت الحاكم الفعلي لإقليم مقدونيا وأكبر قوة في شبه جزيرة البلقان . وكذلك قضية خيوس و غاليبولي و فيلادلفيا والممتلكات البيزنطية في إمارة المـورة ، حيث تم التوصل إلي أن تلك المناطق السـابقة تعرضـت للحصـار والهجـوم التركماني تحت قيادة الأمير عمر بن محمد بن أيدين دون أن يحرك الإمبراطور

أندرونيكوس الثالث ساكنا . وكذلك إنه حدث تحالف واتفاق بين إمارتي صاروخان و أيدين وبين الإمبراطورية البيزنطية على تقديم المساعدات و الإمدادات العسكرية اللازمة للإمبراطور أندرونيكوس الثالث لإعادة السيطرة على الجنويين والألبانيين المتمردين . ولقد دفع الإمبراطور البيزنطي ثمن هذا السلام وتلك المساعدات بإقراره دفع جزية سنوية لحلفائه التركمان وهذا لم يذكره المؤرخون الحديثون .

ومن القضايا المهمة على الإطلاق موضوع العلاقات البيزنطية المملوكية حيث تم الحصول على خطاب موجه من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث و هو نص محفوظ باللغة اليونانية ولم يشر إليه جميع المؤرخون الحديثون الغربيون أو العرب إلا ديميتري كوروبينيكوف Dimitri Korobeinikov . وكذلك أشار إليه القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى . وقد أفاد الخطاب البحث فى معرفة طبيعة العلاقات البيزنطية المملوكية فى تلك الفترة ومدى حرص السلطان الناصر محمد بن قلاوون على العلاقات الطيبة مع الإمبراطورية البيزنطية ، ويرجع ذلك إلى رغبته الأكيدة فى الحفاظ على تجارة الرقيق الأبيض الذى يمر عبر أراضى الإمبراطورية البيزنطية .

ولقد أمكن التوصل من خلال البحث إلى أن البنادقة قد تميزوا بالطمع والجشع الاقتصادي والرغبة فى المزيد دائما ، على الرغم من حصولهم على كثير من الامتيازات التجارية الهائلة من الإمبراطورية البيزنطية ، حيث استعاد البنادقة كثير من نشاطهم التجاري المفقود فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث .

ومن خلال تتبع العلاقات البيزنطية الجنويه أمكن التوصل إلى أن الأسباب الحقيقة والمباشرة لقيام الجنويين بالثورات العديدة ضد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث جاءت نتيجة لانتزاع الأخير لجزيرة خيوس من آل زاكاريا وإهانة آل كاتانيو فى فوكايا فضلا عن تخليه عن سياسة أسلافه المتشددة تجاه البندقية .

كما أنه تم التوصل إلى أن جميع محاولات الاتحاد الكنسي بين كنيستي روما وبيزنطة باءت بالفشل الذريع رغم السفارات العديدة المتبادلة بين الطرفين ورغم الجهود المبذولة لتحقيق ذلك ، وكذلك ظهر مدى حرص الإمبراطور أندرونيكوس الثالث على عدم توتر العلاقات بنيه وبين مملكة نابولي عن طريق إرساله إليهم سفارة لتدعيم أواصر الود بين البلدين وكذلك لعدم مهاجمته لممتلكات مملكة نابولي في إمارة إيبروس .

وتم التوصل من خلال البحث أن القوات الألبانية من عاداتها الحربية الاختباء داخل الممرات الجبلية أثناء محاربتهم لأعدائهم مثل القوات العثمانية ، وأن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث قمع ثوراتهم وسيطر على بلادهم بفضل سلاح الفرسان التركماني .

ومن أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث أن المحرك الرئيسي والفعلي لسياسة الإمبراطورية البيزنطية الخارجية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث هو و وزيره والقائد الأعلى لجيشه حنا كانتاكوزينوس ، وأن الإمبراطورية البيزنطية كانت تعانى من سكرات الموت البطيء وحالة من التفكك الداخلي والانهيار الخارجي وضياع أملاكها .

وبذلك ، واستنادا إلى ما جاء في المصادر المعاصرة فقد أمكن من خلال هذا البحث، تناول بعض القضايا التاريخية بالدراسة والمناقشة ، والتوصل إلى كثير من الاستنتاجات ، الأمر الذى كان له أكبر الأثر في إلقاء الضوء على كثير من نقاط البحث التي شابها الغموض حينا والاضطراب أحيانا ، وكان الهدف هو محاولة الإتيان بجديد فيما يخص موضوع البحث سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة .

الباب الثاني

الفصل الأول

سياسة بيزنطة الخارجية قبل (١٣٢٨-١٣٤١م)

* سياسة بيزنطة تجاه البلغار:
* سياسة بيزنطة تجاه الصرب:
* سياسة بيزنطة تجاه الأتراك العثمانيين:
* سياسة بيزنطة تجاه البابوية:
* سياسة بيزنطة تجاه المدن التجارية الايطالية:

قضى ميخائيل الثامن باليولوجوس فترة حكمه كلها يعيد للإمبراطورية البيزنطية مركزها القديم ومجدها الغابر ومع ذلك لم يستطع إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء [1]، ثم خلفه ابنه الإمبراطور أندرونيكوس الثاني Andronicus II (١٢٨٢-١٣٢٨م) الذي شهد عهده أحداثاً ساعدت بشكل كبير على سقوط الإمبراطورية [2].

أما الإمبراطور أندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨-١٣٤١م) الذي استهل حياته السياسية بحرب أهلية (١٣٢١- ١٣٢٨م) أرهقت الإمبراطورية البيزنطية ومزقتها إلى أحزاب متناحرة وأشلاء متناثرة، وسمحت للقوى الخارجية للتدخل في شئون الإمبراطورية الداخلية، فكانت فترة حكمه بداية النهاية ومرحلة من مراحل الموت البطيء [3].

أما عن علاقة البلغار ببيزنطة؛ فمنذ قيام دولتهم الثانية (١١٨٥-١٣٩٨م)- حيث كونوا دولتين في القرون الوسطى كانت الأولى على نهر

---

[1] جوزيف نسيم، الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م)، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص ٢٧٩.

[2] لمزيد من التفاصيل انظر: اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (١٢٦١-١٢٨٢م)، بنغازي، د.ت، ص ١٢؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيقوس الثاني باليولوجوس (١٢٨٢-١٣٢٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٧ وما بعدها.

[3] لمزيد من التفاصيل عن الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٢١-١٣٢٨م) انظر :
Cantacuzenus, *Historiarum*,vol .I, pp. 67-94; Gregoras,*Byzantinae Historiae*,vol. I, pp. 393-394; Schreiner, P., *Die Byzantinischen Klein Chroniken (Chronica Byzantina Breviora) CFHB*, 3 vols, Vienna, 1976-1978, vol.2, p. 279. cf. also, Bosch,U., *Kaiser Andronikos III Palaiologos Darstellungder Byzantinischen Geschichte Inden Jahren1321-1341*, Amsterdam,1965, pp. 24ff; Hemmerdinger, B., Deux Notes d'Heralique, *BZ.* ,vol. LXI, 1968, pp. 304-309; Nicol *The Last Centuries of Byzantium 1261-1453*, Cambridge, 1996, p. 157-160; Voordechers, E., Apropos De La Renonciation Au Throne d'Andronic II Paleologueen 1330, *REB.*, vol. XXIV,1968,pp. 186ff.

راجع أيضا: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة، ٢٠٠٣م . ص ٨٣؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٥١-٥٨؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٥٢-٥٥.

الفولجا Volga (٦٨١-١٠١٨)-[٤] زادت توسعاتهم على حساب الممتلكات البيزنطية حيث أسسوا دولتهم الجديدة جنوبي الدانوب السفلي [٥].

ومنذ عام ١٢٨٢م اجتاحت القوات البلغارية إقليم تراقيا Thrace [١] ومقدونيا ولم تحرك الإمبراطورية البيزنطية ساكنا سوى إصدارها تحذير لرعاياها البيزنطيين والولاش Vallachians [٢].

ولقد شهد العقدان الأول والثاني من القرن الرابع عشر تفوقاً وسيطرةً بلغارية على المدن البيزنطية المهمة المنتشرة على ساحل البحر الأسود، حيث فشل الجيش البيزنطي في درء الخطر البلغاري نتيجة لانقلاب الجنود المرتزقة

---

[٤] بلغت الدولة البلغارية الأولى (٦٨١-١٠١٨م) ذروة قوتها وازدهارها أثناء عهد سيمون Simeon (٨٩٣-٩٢٧م) الذي اعتبره البلغار أقدر حكامهم و أطلقوا عليه لقب Demi-Grec أي النصف يوناني، فقد قضى فترة حكمه يحلم بأن يصبح إمبراطور للبيزنطيين والبلغار، لذلك قام بحملاته التوسعية ضد بيزنطة فشن حملات ضد تراقيا ومقدونيا والقسطنطينية نفسها لمزيد من التفاصيل انظر: راجع أيضا: احمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥-١٣٩٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٤م، ص ١٣ وما بعدها؛ هاني عبد الهادي للبشير، بيزنطة وبلغاريا ٦٨١- ١٠١٨م، القاهرة، ٢٠٠١م ، ص ١٢٥.

[٥] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٩٤.

[١] تراقيا هو إقليم كبير يحتوى على خمس مدن هامة هى فيليبوبوليس Philippoplis عاصمة أوجستاتراجانا Augustatrajana، ديوكليتا نوبوليس Diokletainopolis، سيباستوبوليس Sebastopolis، وديوسبوليس Diospolis، ويحد إقليم تراقيا من الشمال الشرقي البحر الأسود ومن الجنوب بحر مرمره ومن الغرب مرتفعات البلقان انظر: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣٤. راجع أيضا: *ODB*, vol. 3, pp. 2079-2080

[٢] Pachymeres , *De Michaele et Andronico*, vol. 2, pp. 73-80. cf. also. Janin. R, "La Thrace Byzantine", *EO*, vol. XX, 1921, p. 55; Lebeau, *Histoire du Bas-Empire*, Paris, 1885,Tom XVIII, p. 335; Miller, W., *The Balkans, Roumania, Bulgaria, Servia, and Montenegro*, New York , 1899 ,p. 268.

- الولاش، فهم شعب سلافي يقطن المنطقة الحدودية بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية. انظر: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣٤ هامش (٥).

تحت قيادة روجر دي فلور Roger de Flore [٣]، بينما شهدت الفتـــرة مـــن ١٣٢١م إلى ١٣٢٤م نوعاً من السلام و الهدوء بين بيزنطة والبلغار[١].

---

(٣) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,vol.2, p. 410. cf. also, Failler, A., "Chronologie et Composition dans Histoire de Georges Pachymeres Livre VII-XII", *REB*, vol.48, (1990), p. 62.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٩٥ .
أما عن روجر دي فلور Roger de Flore ابن فارس ألماني يدعى ريكاردو دي فلورRicardo de Flore عمل مع فرسان الداوية ثم تركها ليدخل في خدمة فريدريك الثالث ملك صقلية(١٢٩٦-١٣٣٧م) والجدير بالذكر أنه بعد إبرام معاهدة كالتابيلوتا Caltabellota سنة ١٣٠٢م راح الإمبراطور البيزنطي- أندرونيكوس الثاني- يستنجد بقوى الغرب الأوروبي ضد الأتراك، وعليه زحفت بعض الفرق من فرسان ومتطوعي قطالونية وأراجون، التي كانت تقاتل في صقلية، لنجدة القسطنطينية ضد الأتراك، وكان روجر دي فلور قائداً للفرقة القطالونية التي اتجهت إلى بلاد المشرق، وقد حققت هذه الفرقة بعض الانتصارات ضد الأتراك، ولكنها في النهاية أصيبت بخيبة أمل، عندما قام البيزنطيون باغتيال روجر عن طريق الغدر. ولقد تمرد جند قطالونية ضد السلطات البيزنطية، وراحوا يخربون وينهبون الأراضي، ثم قاموا بالاستيلاء على دوقيتي أثينا، ونيوباتراس سنة ١٣١١م، ولمزيد من التفاصيل انظر: محمد محمود النشار، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك،(٦٥٨-٧٤١هـ/١٢٦٠-١٣٤١م)، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥٧؛ روسر سالكر وإيمي لوتش، التوسع الأراغوني والقطلوني، ترجمة إسحاق عبيد، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر الميلادي: قيام وسقوط إمبراطوريات، الإسكندرية، ٢٠٠٧م. راجع أيضا:

Finlay, G. , *A History of Greece From Its Conquest by the Romans to the Present Time B.C 146 to A.D.1884*, Oxford, 1877, vol. 3, p. 390; Schlumperger, G, *Expedition des Almugavares Au Routiers Catlansen Orient de l 'an 1302 a l 'an 1311*, Paris , 1902, pp. 4-10.

(١) ذلك بسبب الفوضى والاضطراب الذي حل بالمملكة البلغارية عقب وفاة الملك جورجيوس تيرتيرز الثاني Georgius Terters II(١٣٢١-١٣٢٣م) ولقد توج هذا الهدوء بعقد اتفاقية سلام بين الطرفين الذي كان من ثمارها عقد زواج بين الملك البلغاري ميخائيل سيسمانMichael Sisman وشقيقة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ثيودورا Theodora لمزيد من التفاصيل انظر :

Pachymeres, *De Michaele et Andronico*, vol. 2, pp. 410 –411.cf. also, Boojamra, J., "Social Thought and Reforms of The Patriarch Athanasios of Constantinople (1289 – 1293 ,1303- 1309)", *B.*, vol. LV,1985, p.379; Laiou. A, "The Provisioning of Constantinople During The Winter Of 1306-1307", *B.*, vol. XXXVII ,1967, p.96;

وخلال الفترة الممتدة من عام ١٣٢٥م وحتى أوائل عام ١٣٢٨ كان هناك نوع من الهدوء النسبي بين بيزنطة والبلغار بسبب قيام أندرونيكوس الثالث بإبرام معاهدة تحالف وصداقة مع الملك البلغاري ميخائيل سيسمان Michael Sisman وانشغال الأول بحربه مع جده أندرونيكوس الثاني(٢)، ولكن معاهدة الصلح الأخيرة والزواج الذي تم بين ميخائيل سيسمان وشقيقة أندرونيكوس الثالث لم يمنع الطرفين البيزنطي والبلغاري من تبادل الهجمات(٣)، فلقد حدث اتفاق بين البلغار والمغول Mongols كان من أهم بنوده خروج حملة مشتركة للهجوم على الأراضي البيزنطية في إقليم تراقيا شمالا. وبالفعل تحركت القوات البلغارية المغولية واخترقت الأراضي البيزنطية وعسكرت في منطقة بالقرب من مدينة فيليبوبوليس Philipopolis (٤)على الضفة اليمنى لنهر هيبروس Hebros (٥)، وعندما علم الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بتلك الحملة – عن

Failler, A., "Une Dernier Mention Du Bulgare Vojisil Dans L' Histoire de Pachymeres", *REB*, vol.43, 1985, pp. 228-229.

(٢) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٦؛ أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥–١٣٩٨م، ص ١٣٨.

(٣) أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥–١٣٩٨م ، ص ١٣٨.

(٤) مدينة فيليبوبوليس Philipopolis تقع في الركن الشمالي من إقليم تراقيا علي الضفة اليمني من نهر ماريكا Marica وكانت منطقة نزاع مستمر بين بيزنطة وبلغاريا ولقد كانت مركزا لانطلاق الهجمات البيزنطية صوب بلغاريا في عهد الإمبراطور باسيل الثاني(٩٧٦– ١٠٥٢م) ولقد استعادها الإمبراطور أندرونيكوس الثالث مرة ثانية نهاية عام ١٣٢١م، وذلك بعد أن حاصرها الجيش البيزنطي أربعة أشهر تحت قيادة جورج بريني Georgios Bryennios، وعلي أية حال ظلت هذه المدينة تتأرجح بين السيادة البيزنطية والبلغارية إلي أن سقطت في أيدي العثمانيين عام ١٣٦٣م أو ١٣٦٤م. انظر:
Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp.173-177; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.1, p. 279.cf .also. Lebeau, *Histoire du Bas-Empire*, Tom. XIX, pp. 312- 313; Nicol, *The Reluctant Emperor: A Biography of John Cantacuzene Byzantine Emperor and Monk 1295-1383*, Cambridge, 1996, p. 28.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٥ – ١٠٦.

(٥) هيبروس Hebros، هو نهر في تراقيا ينبع من البحر الإيجيAegean بالقرب من منطقة أينوس Ainosوهو أكبر الأنهار الشمالية التي تنبع من البحر الإيجي ويخترق نهر هيبروس سهول سيرديكا Serdica وفيليبوبوليس وأدريانوبل ويطلق عليه أيضا اسم نهر

طريق إحدى الفرق الاستطلاعية البيزنطية – خرج على رأس القوات البيزنطية يرافقه وزيره حنا كانتاكوزينوس، حيث دارت رحى المعركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الجيش البلغاري المغولي في الثالث والعشرين من يوليو عام ١٣٢٨م[١].

وعلى أية حال، تم عقد اتفاقية دفاع مشترك جديدة بين بيزنطة وبلغاريا في ربيع عام ١٣٣٠م، نصت على ضرورة خروج حملة مشتركة لدرء الخطر الصربي [٢]، المتزايد على الأراضي البيزنطية والبلغارية على حد سواء [٣]. إلا أن أنباء هذه الحملة المشتركة انتشرت ووصلت إلى مسامع الملك الصربي ستيفن أوروش الثالث ديكانسكي Stephen Uroš III Decanski (١٣٢١–١٣٣١م) فبادر بعرض الصلح على الطرفين في بادئ الأمر، إلا أن

ماريكا Marica حيث كان مركزا لمعركة ماريكا عام ١٣٧١م بين العثمانيين والصرب. انظر: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٧. راجع أيضا: *ODB*, Vol.2 , p. 907.

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 68; Nicol, *The Last Centuries*, p. 168-169.

(٢) اختلف المؤرخون حول أصل الصرب، منهم من يشير إلى انتمائهم إلى قبائل السرامطة Sarmtians الإيرانية الرعوية التي عبرت في اتجاه الغرب تحت ضغط القبائل المغولية Mongolians إلى أورسيا، فاستقر الصرب في منطقة سكسوني Saxony وعرفوا باسم الصرب البيض بينما يشير المؤرخ وليم الصوري إلى أن " الصرب قوم غلاظ ترجع أصوله إلى المنفيين الذين طردوا من الإمبراطورية البيزنطية للعمل في محاجر الرخام والمناجم في الإقليم الجبلي الواقع بين دلماشيا والمجر والليريا" أما عن لفظة الصرب Serb فهي كلمة مشتقة من مقطعين وتعني الرجال. لمزيد من التفاصيل انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩٥، جـ ٤، ص ١٠٠ – ١٠١. انظر أيضا: وسام عبد العزيز، البوسنة. الصرب. كرواتيا قراءة في التاريخ الباكر، القاهرة، ١٩٩٤، ص، ٣٦؛عماد أمين محمد، الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية في البلقان في العصور الوسطى (٦٢٦– ١٤٥٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٣م، ص ٢١-٢٣.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.I, p. 428; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.I, pp. 456-457 cf. also. Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 74; Fine, *The Late Medieval Balkans*, America, 2000, p. 270; Miller, *The Balkans*, pp. 269-270; Nicol, *The Last Centuries*, p. 176; Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, New Jersey, 1956, p. 450.

الملك البلغاري ميخائيل سيسمان رفض ذلك وأصر على خوض المعركة مع الصرب لاسترداد الأراضي البلغارية المغتصبة من قبل الأخيرة [٤].

ومهما يكن من أمر فإن الملك البلغاري استعد للخروج على رأس تلك الحملة وجهز جيشاً بلغارياً قوامه خمسة عشر ألف [٥]. وبالفعل تحرك الجيش البلغاري للهجوم على الأراضي الصربية دون أن ينتظر حلفاءه البيزنطيين – كما هو متفق عليه في المعاهدة المبرمة بينهما في ربيع ١٣٣٠م آنفة الذكر – إلا أن الملك الصربي أوروش الثالث باغت القوات البلغارية أثناء تحركهم وألحق بهم هزيمة ساحقة في الثامن والعشرين من يوليو ١٣٣٠م في منطقة تقع في الركن الجنوبي من بلغاريا تعرف باسم فيلبوشد Velbužd [١] والتي قتل فيها الملك البلغاري نتيجة لسقوطه من فوق فرسه[٢].

---

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 270.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٩.

– أما ستيفين ديكانسكي، فهو ابن الملك الصربي ستيفان إيروش الثاني ميليوتين، وتم تتويجه في ٦يناير١٣٢٢م على العرش الصربي، وفي أثناء شبابه اضطر والده لإرساله إلى الخان المغولي نوجاي Nogay كرهينة حتى عام ١٢٩٩م، وقاد حركة تمرد فاشلة ضد والده عام ١٣١٤م. انظر: إبراهيم مصباح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ،ص ١٠٧. راجع أيضا:

ODB, vol. 3, p. 1950.

(٥) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 74; Nicol, *The Last Centuries*, p. 176.

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 74; Nicol, *The Last Centuries*, p. 176.

– تعرف فيلبوشد Velbužd قديما باتاوليا Potaulia وحديثا كجوستنديل Kjustendil انظر:

ODB, vol. 3, p. 2156; Nicol , *The Last Centuries*, p. 176

راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥–١٣٩٨م، ص ١٣٨.

(٢) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 74-75.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٩؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٨.

من الواضح أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث تخلى عن حلفائه البلغار ولم يقدم لهم يد المعونة والمساعدة في هذه المعركة وانتهز فرصة انشغال الطرفين بالقتال وقام باستعادة الأراضي البيزنطية التي احتلتها القوات الصربية منذ عام ١٣٢٩م بإقليم مقدونيا[٣]، ومن المرجح أن بيزنطة اختارت مصالحها الشخصية كخيار استراتيجي على حساب حليفتها بلغاريا وتركتهم يواجهون مصيرهم وحدهم أمام القوات الصربية، وعمدت إلى استرجاع القلاع التي سيطر عليها الصرب في غرب مقدونيا.

ثم قام الصرب بطرد ثيودورا شقيقة أندرونيكوس الثالث من بلغاريا، ونصبوا حنا ستيفان John Stephan ابن شقيقته أنا نيدا Anna Neda – تحت وصاية أمه – على العرش البلغاري [٤].

ومهما يكن من أمر فلقد قضت معركة فيلبوشد على الآمال البيزنطية والبلغارية بشأن إيقاف الزحف الصربي نحوهم، ونتج عنها أن أصبحت بلغاريا دولة تابعة للصرب في سياستها وعلاقاتها الخارجية وإن احتفظت باستقلالها الشكلي [٥].

ونتيجة لطرد ثيودورا من بلغاريا وعودتها إلى القسطنطينية قرر الإمبراطور أندرونيكوس الثالث الانتقام لشقيقته، بأن أخضع مدينتي أنخيالوس Anchialos [٦]

---

(٣) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 272.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 272-273.

راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥-١٣٩٨م ، ص ١٣٩.

(٥) عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٢٨-١٢٩.

(٦) أنخيالوس Anchialos هي إحدى مدن تراقيا، تقع على البحر الأسود، وكانت في العصر الروماني تتبع مقاطعة حائيمي مونتوس Haemi Montos احتلها الآفار Avars في القرن السادس الميلادي، وفي عام ٧٦٣م ألحق الإمبراطور قسطنطين الخامس بالجيش البلغاري هزيمة ساحقة على حقول أنخيالوس وأصبحت تابعة للبلغاريين خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين ولكن في عام ١٤٢٣م أصبحت تحت السيطرة البيزنطية مرة ثانية ثم احتلها العثمانيون بعدها بفترة قصيرة انظر:

وميسمبريا Mesembreia [1] وغيرها من المدن والقــلاع المنتشــرة علــى البحر الأسود [2]؛ مما جعل أنا نيدا الوصية على عرش بلغاريا ترسل سفارة من كبار رجال الدولة تحت زعامة اللوجوثيت فيليبــوس Logothete Philippos [3] ومويسورم Moesoraum للتفاوض مع أندرونيكوس الثالث، مما أدى إلى حدوث انقلاب ضد أنا نيدا من الجبهة المعارضة لبيزنطة داخل بلغاريــا وتــم اختيار إيفان ألكساندر ستراتزيمير Ivan Alexandrum Stratzimer مكانها على العرش البلغاري [4].

وعندما اعتلى إيفان ألكساندر سدة الحكم البلغاري عــام ١٣٣١م نهــج سياسة أسلافه العدائية تجاه بيزنطة، فعقد اتفاقية مع الصرب ضد بيزنطــة، ثــم استعاد جميع المدن والقلاع والحصون التي احتلتها بيزنطة منذ وقت قريب على ساحل البحر الأسود، واستغل ما كانت تعانيه بيزنطة في ذلك الوقت من توغــل عثماني في أراضيها في آسيا الصغرى واجتاح إقليم تراقيا [5].

ODB, vol.1, p. 90.

راجع أيضا: عماد أمين، الصرب، ص ٣٥ .

(١) ميسمبريا، فتقع على ساحل البحر الأسود وتبعد حوالي ٣٥ كم شــمال شــرق بورجــاس Burgas، تأرجحت بين السيادة البيزنطية والبلغارية، فأصبحت تحت السيطرة البلغاريــة عام ١٣٦٧م، ثم عادت إلى الهيمنة البيزنطية ١٣٩١محتى عام ١٤٥٢م، ثم سقطت فــي أيدي الأتراك العثمانيين في فبراير ١٤٥٣م انظر:

ODB, vol. 2, pp. 1347 –1348.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, p. 431; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.1, p. 458. cf. also. Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 78; Nicol , *The Last Centuries*, p. 176; Soulis, G., *The Serbs and Byzantium During The Reign of Tsar Stephen Dusan (1331-1355) and his Successors*, Washington, 1984, p. 3; *ODB*, vol. 3, pp. 2079-2080.

(٣) اللوجوثيت Logothete، هو رئيس وزراء الخارجية، والمسئول عن المراسلات المتبادلة بين غيره من الوزراء و بين الحاكم. انظر رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٠٢.

(٤) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 78; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 273 .

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, p.459; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1, pp. 457 - 458. cf. also. Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.78.

بذلك أصبح أندرونيكوس الثالث بين شقي الرحى وكان عليه مهادنة إحدى القوتين المغيرتين البلغارية والعثمانية على أراضي الدولة البيزنطية ليتفرغ لمحاربة الأخرى(٦)، فعمد إلى عقد صلح وسلام مع الملك البلغاري الجديد إيفان ألكساندر، غير أن الأخير رفض طلبات أندرونيكوس وتوصل إلى اتفاق سلمي مع بيزنطة وذلك نتيجة لإصرار الإمبراطور البيزنطي على عودة جميع الأراضي التي استعادها إيفان ألكساندر على البحر الأسود منذ فترة وجيزة والتي من أهمها مدينتي أنخيالوس وميسمبريا بوصفهما أملاك بيزنطية (١).

على أية حال اضطر الإمبراطور البيزنطي إلى الخروج على رأس جيشه للهجوم على المدن الواقعة على الحدود البلغارية على ساحل البحر الأسود، فاجتاح خاثيموس Haemus التابعة لمدينة أنخيالوس، ثم تمركزت قواته عند أيتون، وعندما علم الملك البلغاري بتلك التحركات البيزنطية خرج على رأس قواته صوب الجيش البيزنطي لوقف زحفه على الأراضي البلغارية، فعسكر في منطقة قريبة من الجيش البيزنطي عند روسوكاستروم، فأصبحت القوات البلغارية بذلك مواجهة للقوات البيزنطية، وأثناء استعداد القوات البيزنطية لخوض المعركة أرسل الملك البلغاري رسولاً من قبله للإمبراطور أندرونيكوس الثالث يعلن له عن رغبته في التوصل لتسوية ترضي الطرفين، وبالفعل تم توقيع معاهدة بينهم في السابع عشر من يوليو ١٣٣١م كان من أهم بنودها وقف القتال بين الجانبين وأن تعود مدينة أنخيالوس إلى بيزنطة، مقابل رجوع مدينة ديامبوليس لبلغاريا (٢).

---

(٦) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.78.
راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٠٩.

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.79; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 450.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 463-464. cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 79.

من الواضح أن المعاهدة السالفة الذكر قد أبرمها الملك البلغاري من باب وقف القتال وكسب بعض الوقت حتى يتسنى لـه استكمال صفوف جيشه، والاستعانة بقوات أخرى لمواجهة الجيش البيزنطي وهذا ما سيتضح فيما يلي .

وبالفعل عندما جاءت مساعدة عسكرية للبلغاريين من جانب البشناق Scythians [٣] الذين دخلوا في معركة عنيفة ضد الجيش البيزنطي عند روسوكاستروم والتي انتهت بهزيمة ساحقة للجيش البيزنطي في الثامن عشر من يوليو ١٣٣١م، مما جعل أندرونيكوس يطلب وقف القتال مقابل اعترافه بأحقية امتلاك البلغار لجميع المدن المطلة على البحر الأسود [١] فقبل الملك البلغاري ذلك وزوج ابنه ميخائيل أسان Mechael Asan من ابنة الإمبراطور البيزنطي التي أقيم عرسها أمام أسوار أدريانوبل لقربها من الحدود البلغارية [٢]، ثم ساد السلام بين الجانبين حتى وفاة أندرونيكوس الثالث عام ١٣٤١م [٣].

ومما سبق يتضح أن الدولة البلغارية منذ قيامها وهي تسعى دائما لاقتطاع أجزاء كبيرة من أملاك الإمبراطورية البيزنطية، فقد اجتاحت إقليم تراقيا ومقدونيا سلبا ونهبا، مستغلة في ذلك ما كانت تعانيه الإمبراطورية

---

(٣) البشناق Scythians، فهم قبائل بدو رحل ينتموا للشعوب الأورسية (اوربي آسيوي)، وموطنهم الأصلي شمال البحر الأسود ولكنهم هجروه نتيجة لإغارات السرامطة المتكررة عليهم وفى القرن الحادي عشر الميلاد سيطر البشناق على الطريق التجاري الكبير الدانوب – القسطنطينية ولقد ألحق البشناق بالجيش البيزنطي هزائم متعددة خلال الفترة الممتدة من ١٠٨٦–١٠٩١م، وفى عام ١٠٩١م أوقف الإمبراطور الكسيوس كومنيوس خطر البشناق. انظر: آنا كومنينا، ألكسياد، ص ٢٦٨–٢٧١. راجع أيضا: حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية ١٠٨١ – ١٢٠٤م، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٢. راجع أيضا:
Golden, P.B, Pečenegs,in. *EI*; *ODB*, vol.3, pp.1857-1858.

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 79.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 468-469. cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 80.

(٣) *Bosch*, *Kaiser Andronikos III*, pp. 80-81.

البيزنطية من ضعف بسبب الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثاني والثالث من جهة، والتوغل العثماني في آسيا الصغرى من جهة أخرى. ومن الواضح أن البلغار كانوا يعتمدون بشكل دائم في حربهم ضد بيزنطة على قوات مساعدة لهم من منغوليين وتتار وبشناق وغيرهم، ورغم تلك الحروب إلا أنها لم تمنع وجود بعض فترات السلام بين الجانبين وعقد بعض معاهدات الصلح بينهم والتي كان من أهمها المعاهدة التي أبرمت في ربيع ١٣٣٠م، أما عن المعارك بينهم فكانت الهزيمة من نصيب بيزنطة وأهم تلك المعارك معركة الثامن عشر من يوليو ١٣٣١م عند روسوكاستروم.

أما عن الصرب فقد عاشوا في القرون الأولى لاستقرارهم في شمال غرب شبه جزيرة البلقان – الطرف الجنوبي الشرقي للقارة الأوروبية –[٤] في شكل جماعات إقليمية تحت حكم زعيم قبلي[٥] يعرف باسم ذويانس Zupans – أي شيوخ القبائل –، وفي القرنين التاسع والعاشر الميلاديين اقتصر التوسع الصربي على وسط و غرب البلقان [٦]، ثم حصلوا على اعتراف رسمي من بيزنطة باستقلال كيانهم السياسي في غرب البلقان مقابل اعترافهم بالتبعية لبيزنطة، ومع بداية الخمسينات من القرن الثالث عشر الميلادي وحتى النصف الأول من القرن الرابع عشر أصبح للصرب كيان و دور سياسي في البلقان [٧].

ومهما يكن من أمر فإن الصرب سعوا دائما للتوسع على حساب ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية وكانوا يشكلون خطرا عليها في شبه جزيرة البلقان، فقد سيطروا على سهول ومدن مقدونيا الغربية العظيمة في العقد الأخير من القرن الثالث عشر [١] والتي كان من أهمها مدينة أوخريدا Ochrida [٢]،

---

[٤] وسام عبد العزيز، البوسنة. الصرب. كرواتيا قراءة في التاريخ الباكر، ص ٩، ٣٧–٣٨ ؛ عماد أمين محمد، الصرب، ص ٦ ؛ ٢٦.

[٥] إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣٠.

[٦] عماد أمين محمد، الصرب، ص ٢٦–٢٧.

[٧] إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣٠.

[١] دائرة المعارف الإسلامية، المجلد، ١٤، ترجمة محمد ثابت، إبراهيم ذكي و آخرون، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٨١. راجع أيضا:

Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 120.

ووادي ونهر الفاردار Vardar [٣] وبريليب Prilep، ثم توغلت القوات الصربية في الأراضي البيزنطية على الساحل الأدرياتيكي [٤]، مما جعل الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني يقرر الدخول في مفاوضات عام ١٢٩٧م مع الجانب الصربي بناء على اقتراح القائد البيزنطي ميخائيل جلاباس طارخانيوتس Michael Glabas Tarchaniotes [٥]، فأرسل مستشاره ثيودور ميتوخيتس

---

(٢) أوخريدا Ochrida تقع على الطريق الروماني القديم Via Egnatia الذي يمتد من تسالونيكا إلى دورازو على البحر الأدرياتي وهي عاصمة صموئيل Samuel ملك البلغار وتقع على الطرف الجنوبي لبحيرة أوخريدا وتتمتع بمناعة عالية لوقوعها على سلسلة من الجبال انظر: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦٤٨.

(٣) Obolensky, D., *The Byzantine Commonwealth, Eastern Europe 500-1453*, London , 1974 , p. 325.

يمتد وادي ونهر الفاردار من مدينة تسالونيكا إلى مدينة سكوبيا Skopje في إقليم مقدونيا انظر:

Nicol, D., *The End of The Byzantine Empire*, London, 1979, p. 10; Norwich. J, *Byzantium the Decline and Fall*, Viking, 1995, p. XLII .

(٤) Obolensky, *The Byzantine Commonwealth*, pp. 325-326; Brehier.L, *Vie et Mort de Byzance*, Paris,1948, p. 415; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 120.

- بريليب هي إحدى المدن البيزنطية الحصينة على الحدود الصربية، تقع في الركن الجنوبي من إقليم مقدونيا، احتلها الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني عام ١٠١٤م من الحاكم البلغاري صموئيل انظر: *ODB*, vol. 3, p .1718.

(٥) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,vol.2 , p. 271-272.cf.also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 120.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٨٥.

- ميخائيل جلاباس طارخانيوتس، هو قائد بيزنطي توفي عام ١٣٠٥م تقريبا وكان بيتا جلاباس وطارخانيوتس من البيوت الحربية البارزة التي تمتلك مساحات واسعة من الأراضي في القرن الثالث عشر، وكان ميخائيل جلاباس ينتمي إلى هاتين الأسرتين معا، وكان جنديا في خدمة الدولة حيث إنه حارب أولا تحت راية الإمبراطور ميخائيل الثامن ثم تحت لواء أندرونيكوس الثاني في بلغاريا وصربيا وارتفع قدره حتى بلغ مرتبة البروتوستراتوف Protostratov أو القائد الكبير وألقيت إليه مقاليد الحكم فى الولايات الغربية ومن ثم فإنه اتخذ من تسالونيكا مركزا لعملياته الحربية ولقد نظم مانويل فيليس

Theodor Metochites[١] إلى بلاط الملك الصربي إيتين أوروش الثاني ميليوتين Etienne Uroš II Milutin [١] الذي استطاع أن يتوصل إلى عقد معاهدة سلام مع الملك الصربي مقابل زواج الأخير من أخت الإمبراطور أندرونيكوس الثاني إيودوكيا Eudocia [٢] إلا أن إيودوكيا رفضت الزواج من إيتين، فاضطر أندرونيكوس الثاني إلى أن يزوج ابنته سيمون Simonis للملك الصربي لإتمام الاتفاقية وفي المقابل رجعت مدن مقدونيا الغربية لحوزة الإمبراطورية البيزنطية [٣].

وخلال الفترة الممتدة من عام ١٣١١م إلى عام ١٣٢٧م حاول الصرب استغلال المشاكل والأزمات الداخلية والخارجية التي تمر بها بيزنطة في توطيد وضع دولتهم، وفي الحصول على مكاسب إقليمية على الأرض، ومن ثم قلبت المملكة الصربية ظهر المجن لبيزنطة، فعملت على مساعدة أعداءها في الداخل والخارج؛ فعلى الصعيد الداخلي ساندت الصرب حنا قسطنطين بورفيروجينتوس

Manule Philes شاعر بلاط أندرونيكوس الثاني قصيدة طويلة لتمجيد أعمال طارخانيوتس الحربية. انظر: دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية ص ٢١٠ .

(١) Verpeaux, " Le Cursus Honorumed Theodor Metochites ", *REB*, vol. XVII 1959, p. 196; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 120.

- ثيودور ميتوخيتس، هو الأديب ورجل الدولة الذي عاش من سنة ١٢٧٠م حتى عام ١٣٣٢م، درس الفلك على يد مانويل بريئيوس، وتولى أرقى المناصب حيث أصبح وزيراً للمالية من عام ١٢٩٥إلى ١٢٩٦م، ثم المستشار والوزير الأول للإمبراطور أندرونيكوس الثاني انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٢١٧-٢١٨؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص٣١.

(١) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,vol.2, p. 273-272.cf.also.Verpeaux ," Le Cursus Honorumed Theodor Metochites ", p. 196.

(٢) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,vol.2, p. 274.

(٣) Pachymeres, *De Michaele et Andronico*,vol.2, p. 274. cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.120; Miller, W., *Essays of The Latin Orient*, Cambridge, 1921, p.449.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٨٦- ١٨٧.

John Constantin Porphyrogentus الذي انقلب على بيزنطة وسيطر على سيريس Serres – شمال إقليم مقدونيا – البيزنطية بمعاونتهم [٤]، وعلى الجانب الخارجي عقدت اتفاقية مع فيليب من تارنتو اللاتيني Philip of Tarentum تنص على القيام بحملة عسكرية مشتركة ضد بيزنطة [٥].

ولقد اتخذ الإمبراطور أندرونيكوس الثالث موقفا معاديا تجاه الصرب منذ توليه الحكم في ٢٤ مايو ١٣٢٨م، لما قدمه الملك الصربي ستيفن أوروش الثالث ديكانسكي Stephen Uros III Decanski للإمبراطور أندرونيكوس الثاني من معونات ومساعدات عسكرية أثناء الحرب الأهلية (١٣٢١-١٣٢٨م) مقابل حصول الأول على مدينة بروسك Prosek [٦] حيث قام أندرونيكوس الثالث بتجديد معاهدة تشيرنومين Černomen المعادية للصرب مع الدولة البلغارية في أكتوبر ١٣٢٨م [١].

---

(٤) لمزيد من التفاصيل عن تطور الأحداث في تلك الفترة انظر :
Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.1, p. 390; Magistri, *Oratie Pro Chandrenos*, pp. 365-366.cf. also, Mavromatis, L., "La Serbie de Milutin Entre Byzance Et Occident", *B*., vol. X LIII , 1973, p. 131.

(٥) Miller, *The Balkans, Roumania*, p. 268.

(٦) Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p. 446; Zivojnovic, M. , *La frontiere Serbs- Byzantine dans Les Premieres Decennies du XIVe Siecle*, in. *Byzantium and Serbia in 14Th Century*, Athens, 1996, p. 64.

– بروسك Prosek، هي مدينة حصينة تقع على الضفة اليمنى من نهر الفاردار في بلغاريا وعلى مقربة من ديميركابيجا Demirkapija وكانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية، ولكن منذ عام ١٣٢٧م أصبحت مدينة بروسك خاضعة للملك الصربي ستيفان ديكانسكي نتيجة لتحالفه مع الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني باليولوجوس (١٢٨٢-١٣٢٨ م) ضد حفيده أندرونيكوس الثالث مقابل حصوله عليها، ولقد وقعت تحت السيطرة العثمانية عام ١٣٨٩م. انظر:
Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 72; *ODB*,vol.3, p. 1738.
راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١١١.

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 72.

– تشيرنومين Černomen فتبعد حوالي خمس وعشرون ميلا من مدينة أدرنه، وتقع ضمن حدود إقليم تراقيا على نهر ماريكا وتعرف حاليا باسم أورمينيون Ormenion انظر:
ODB, vol.2, p. 1298.

ونتيجة لتجديد اتفاقية تشيرنومين بين الجانبين البيزنطي والبلغاري، قامت القوات الصربية بأمر من الملك الصربي ستيفن أوروش الثالث في أواخر عام ١٣٢٩م بشن هجوم عنيف على الأراضي البيزنطية في إقليم مقدونيا، حيث عاثت فسادا في الأجزاء الجنوبية والغربية منه، فاجتاحت أوخريدا وفرضت عليها الحصار، وجاء رد فعل الإدارة البيزنطية على تلك التحركات الصربية بأن أرسل أندرونيكوس الثالث قوة بيزنطية لنجدة أوخريدا وحماية الأملاك البيزنطية في مقدونيا والتي استطاعت أن تواجه الفرقة الصربية و تنهي الحصار المفروض على أوخريدا [٢].

وعلى أية حال قرر أندرونيكوس الثالث أن يوقف الزحف والخطر الصربي المتنامي نحوه بأن عقد اتفاقية دفاع مشترك مع الملك البلغاري ميخائيل سيسمان تنص على وجوب خروج حملة مشتركة – بيزنطية بلغارية – ضد الصرب، وعندما علمت الأخيرة بأنباء تلك الإتفاقية، عرضت الصلح و لكن الجانب البلغاري رفض، مما جعل الجانب الصربي يباغت الملك ميخائيل سيسمان بالهجوم على قواته قبل انضمام القوات البيزنطية له في المكان المتفق عليه بينهم ويلحق به هزيمة عند فيلبوشد في الثامن والعشرين من يوليو ١٣٣٠م [٣].

ولقد تغيرت السياسة الصربية تجاه الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية من عدائية إلى سلمية بعد معركة فيلبوشد مما أثار حفيظة نبلاء الصرب على ملكهم ديكانسكي لأن سياسته تتعارض مع مصالحهم وأهدافهم التوسعية على حساب الأراضي البيزنطية ولذلك أعلنوا تمردهم ضده والضم إليهم ولده ستيفن دوشان Stephen Dušan(ستيفن أوروش الرابع Stephen Uroš IV) (١٣٣١-١٣٥٥م) [٤]– حيث خاف الأخير أن يحرمه ديكانسكي

---

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 271; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 93.

(٣) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 271; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 78.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 271; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, pp. 4-5.

من ولاية العهد ويولي أخاه غير الشقيق سيميون Symeon ولاية العهد بـدلاً منه–(1).

وعلى أية حال ثار ستيفن دوشان على والده ديكانسكي مع المتمـردين الصربيين الذين ساعدوه على خلع والده من الحكم وتنصيبه مكانه، حيث تـم تتويجه على العرش الصربي على أيدي رئيس الأساقفة دانيال الثاني Danial II في الثامن من سبتمبر ١٣٣١م أما ديكانسكي فقـد تـم سـجنه فـي زفتشـاني Zvecani (2).

وعندما تولى ستيفن دوشان سدة الحكم نهج سياسة سلمية مـع البلغـار حتى لا يقع بين شقي الرحى – بيزنطة والبلغار – (3)، كما انتهج فـي الوقـت

– أما ستيفين دوشان Stephen Dusan، تعني كلمة دوشان الروح الأبويـة، وفـي روايـة أخري الشنق أو الخنق، وعلى أية حال لقد قضى ستيفين دوشان سبع سنوات من شبابه في المنفى مع والده ستيفين ديكانسكي في القسطنطينية، وقاد القوات الصـربية فـي معركـة فيلبوشد ١٣٣٠م وقاد حركة تمرد ضد والده ديكانسكي بمساعدة نبلاء زيتا Zeta ، وأقـام علاقات سلام مع البلغار عن طريق الزواج من هيلانه Helena أخت إيفـان الكسـاندر الملك البلغاري، وتوفى في ٢٠ ديسمبر ١٣٥٥م. انظر: ول ديورانت، قصـة الحضـارة، المجلد الثاني، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٠؛ عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣١. راجع أيضا:

ODB, vol.3, p. 1950.

(1) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 275.

(2) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 275; Soulis, *The Serbs*, pp. 2-3.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٢٩.

– زفتشاني Zvecani تقع في الشمال الغربي من مدينة كوسوفسكا ميتروفيكا Kosovska Mitrovica وتعد خط الدفاع الأول عن الاقاليم الصربية كوسوفو Kosovo وميتوهيجا Metohija، وهي أقدم وأضخم قلعة في الركن الجنوبي الشرقي من أوروبا . انظر:

http://en.wikipedia.org/wiki/Zve%C4%8Dan_Fortress

(3) حيث اعترف بالملك البلغاري إيفان ألكساندر وتزوج من أخته هيلانة وسادت بينهم العلاقات الطيبة.

– لمزيد من التفاصيل عن العلاقات الصربية البلغارية انظر :

Miller, W.,"*The Balkans States. The Zenith of Bulgaria and Serbia (1186 – 1355)*", *CMH*, vol. IV, (1923), pp. 517-551; Dinic, G., "The

نفسه سياسة عدائية تجاه بيزنطة لتتوافق مع أهداف ومصالح نبلاء الصرب والتي ترمي إلى الحصول على المزيد من الأراضي البيزنطية في إقليم مقدونيا (٤).

ومهما يكن من أمر فلقد استغل ستيفن دوشان ما كانت تعانيه بيزنطة من اضطرابات في آسيا الصغرى على أيدي العثمانيين (٥) وفي إقليم تراقيا على أيدي البلغاريين (٦)، وقام بالهجوم على ستروميتزا Strumitza (ستروميكاStrumica) في أواخر عام ١٣٣١م (٧)، ولكن بحلول عام ١٣٣٢م لم يقم الملك الصربي بأي إجراء ضد الإمبراطورية البيزنطية(١) بسبب ثورة بوجوجي Bogoje في زيتا Zeta (٢).

Balkans (1018-1499)", *CMH*, vol. IV, Part. 1, (1960), p. 537; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 176.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٢.

(٤) Miller, *The Balkans States. The Zenith of Bulgaria and Serbia*, p. 540; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 176.

(٥) Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p. 449; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 176.

(٦) Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p. 449.

(٧) Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p. 449; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 286; Popovic, M., *Les Forteresses dans Les Regions des Conflits Byzantino-Serbes Au XIVE Siécle, in. Byzantium and Serbia in 14Th*, Athens, 1996, p. 74.

– تقع ستروميكا Strumica في جنوب شرق مقدونيا على نهر ستروميكا. انظر: http://en.wikipedia.org/wiki/Strumica

(١) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١١٣.

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 274; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 3; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp.176-177.

– بوجوجي أمير مقاطعة زيتا Zeta الصربية – زيتا Zeta، مقاطعه تضم أجزاء من الجنوب الغربي من يوغسلافيا Yugoslavia، وشمال ألبانيا ولقد عرفت باسم زينتينا Zentina في عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بورفيروجينتوس (٩٣١–

وعلى أية حال جاء رد الإدارة البيزنطية على التحركات الصربية السابقة في إقليم مقدونيا، بأن قامت بتولية سيرجيانيز باليولوجوس Syrgiannes Palaiologos [٣] قيادة المناطق الغربية من إقليم مقدونيا، لصد العدوان الصربي عن الأراضي البيزنطية [٤].

ولكن سرعان ما انقلب سيرجيانيز باليولوجوس على الإمبراطور أندرونيكوس الثالث نتيجة لقيام الأخير بتقريب حنا كانتاكوزينوس له وجعله المحرك الرئيسي لشئون الإمبراطورية ومنحه لقب الوزير الأول والقائد الأعلى، مما أشعل الغيرة في قلب سيرجيانيز [٥] ولذلك اتجه للصرب، حيث عقد مع

٩٥٩م)، وفي أثناء حكم أسرة نيما نجيد Nemanjid أصبحت جزءا من الصرب، ولقد هاجمها الأتراك عام ١٣٧١م، ثم خضعت لحكم أسرة جديدة تسمى كرنوجيفيشي Crnojevici في عام ١٤٤٤م، ولقد عرفت في القرن الرابع عشر الميلادي باسم مونتينيجروMontenegro – أي الجبل الأسود و ما تزال تسمى بهذا الاسم حاليا، وهي إحدى جمهوريات يوغسلافيا السابقة– ولعب بوجوجي دورا بارزا في سير الأحداث في المملكة الصربية، حيث شارك في اغتيال ستيفين ديكانسكي. وعندما تولى ابنه ستيفين دوشان قام بوجوجي وصديقه ديميتريوس سوما Demetrius Soma بقيادة ثورة في زيتا من أجل تأكيد الامتيازات التي حصلوا عليها في عهد ابنه ديكانسكي، ولرغبتهم الأكيدة في الانفصال عن الصرب؛ إلا أن الملك الصربي ستيفين دوشان تحرك على رأس إحدى الفرق العسكرية الصربية وقضى على تمردهم وثورتهم وفرض سيطرته مرة ثانية على زيتا عام ١٣٣٢م.لمزيد من التفاصيل. انظر: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣١؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١١٢. راجع أيضا:
Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 286; *ODB*, vol. 3, p. 2224.

(٣) كان سيرجيانيز باليولوجوس Syrgiannes Palaiologos من رجال الحرب والسياسة، ولد عام ١٢٩٠م من أصل منغولي عن طريق والده، وهو ابن أحد كبار المسئولين الذين انخرطوا في خدمة الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس، تنتسب أمه إيوجينيا باليوجينا Palaiologina التي تمت بصلة القربى إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث وإلى عائلة كانتاكوزينوس. وكان سيرجيانيز مطبوعا على المراوغة والطمع، ولما كان صديقا ومعينا للإمبراطور الشاب أندرونيكوس في بداية الحرب الأهلية التي اندلعت سنة ١٣٢١م فقد انضم إلى معسكر العدو واتهم بالتآمر مما أفضى بالزج به في الحبس فلما انتهت الحرب سنة ١٣٢٨م سعى حنا كانتاكوزينوس إلى إطلاق سراحه وأرسله إلى تسالونيكا واليا عليها، ومات في جاليكوس Galykaos في ٢٣ أغسطس ١٣٣٤م انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٢٤٢.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 275.

(٥) Miller, *The Zenith of Bulgaria and Serbia*, p. 540; Nicol, *The Last Centuries of*

الملك الصربي ستيفن دوشان اتفاق غير معلن، إلا أن هذا الاتفاق ذاع خبره ووصل إلى أسماع أندرونيكوس الثالث الذي أصدر أوامره على الفور بالقبض على البيزنطي الخائن سيرجيانيز لمحاكمته في القسطنطينية بتهمة التآمر والخيانة العظمى، وعند مثول سيرجيانيز أمام المحكمة أنكر ذلك، وفي إحدى الليالي استطاع الأخير الفرار من محبسه صوب الصرب بمساعدة أصدقائه (١).

وعندما وصل سيرجيانيز لبلاط ستيفن دوشان أواخر عام ١٣٣١م أحسن وفادته وأكرم مثواه وأسكنه في قصر منيف ووفر له كل ما يحتاج إليه من وسائل المعيشة والرفاهية وأمن شخصه (٢)، ثم حدث لقاء موسع بين سيرجيانيز والملك الصربي وحاشيته ونبلائه، تم الخروج منه باتفاق يخدم مصالح الطرفين هو أن يساعد الصرب سيرجيانيز في عملية خلع أندرونيكوس الثالث من العرش البيزنطي وتنصيبه مكانه، ومقابل ذلك يقوم سيرجيانيز بقيادة الجيش الصربي- لما يتمتع به سيرجيانيز من ذكاء وحنكة سياسية فضلا عن خبرته العسكرية ودرايته الكاملة بطبيعة المدن والتحصينات البيزنطية – للاستيلاء على المدن والقلاع البيزنطية في مقدونيا- (٣). ولقد خرجت القوات الصربية تحت قيادة سيرجيانيز وتوغلت في الأراضي البيزنطية، فسيطرت على العديد من المدن المقدونية والتي كان من أهمها أوخريدا، وستروميكا وبريليب وغيرها، بفضل علاقات وصداقات سيرجيانيز الحميمة مع قادة تلك المدن(٤).

Byzantium, p. 176.

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 91; Čirkovic, S., *Between kingdom and Empire: Dusan's State 1346-1355 Reconsidered*, in. *Byzantium and Serbia in The 14Th Century*, Athens, 1995, p. 112.

(٢) Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 7.

(٣) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 286; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 7; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 286; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 7; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 91.

ولقد أدرك أندرونيكوس الثالث مدى الخطر الذي يشكله ستيفن دوشان وحليفه الجديد المتمرد سيرجيانيز على الأراضي البيزنطية في مقدونيا، ولذلك أخذ يعد العدة من أجل التصدي لهما؛ بأن شرع في استقدام القوات البيزنطية من المدن البيزنطية الكبرى التي أرسلت قوة عسكرية بيزنطية مدربة تحت قيادة سفرانتزيس باليولوجوس Sphrantzes Palaiologos الذي اقترح على أندرونيكوس الثالث فكرة التخلص من سيرجيانيز وذلك بأن يتظاهر سفرانتزيس باليولوجوس باللجوء إلى بلاط ستيفن دوشان والظهور أمامه بأنه منقلب على ولي نعمته أندرونيكوس الثالث ليكسب ثقة وود كل من ستيفن دوشان وسيرجيانيز معا ومن ثم يستطيع العمل سرا وعن طريق الخداع للتخلص من الخائن وفي الوقت نفسه محاولة صد الخطر الصربي [(١)] .

وبالفعل ذهب سفرانتزيس بكل حماس إلى العاصمة الصربية واستطاع من خلال خداعه ومكره ودهائه أن ينفذ خطته السابقة و يظهر بوصفه عدواً للإمبراطور البيزنطي ويكسب ثقة ستيفن دوشان وسيرجيانيز، حيث كان هدفه الحقيقي الإيقاع بالأخير وقتله لكي يحصل على مكانته وهي أن يتولى قيادة الأقاليم الغربية بمقدونيا [(٢)].

وعلى أية حال خرجت القوات البيزنطية تحت قيادة أندرونيكوس الثالث في نهاية صيف ١٣٣٤م، وعسكرت فوق ربوة عالية على بحيرة بولبين Bolben (بولبسي Bolbesse)، وعندما علم الملك الصربي بتلك

---

(١) Miller, The Zenith of Bulgaria and Serbia, p. 540; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 94.

– كان سفرانتزيس باليولوجوس، أحد أقارب الإمبراطور أندرونيكوس الثالث، وكان رئيسا لمجلس الشيوخ البيزنطي (السناتو)، منذ عام ١٣٣٤، حاكما على قلاع سوسكوس Soskos، ديبري Dibre فلورينا Florina، ستاريدولا Staridola في غرب مقدونيا. انظر:

Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 94 ; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 7.

راجع أيضا : إبراهيم مصباح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١١٣.

(٢) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 94; .

Soulis, *The Serbs*, p. 7

التحركات استنفر جيشه وخرج على رأسه وبصحبته كل من سيرجيانيز وصديقه المخادع سفرانتزيس لمواجهة الخطر البيزنطي الزاحف صوبهم وعسكروا في مكان مقابل للمعسكر البيزنطي وهو أكسيوس Axios في غرب مقدونيا بالقرب من نهر الفاردار، وفي ذلك الوقت – الثالث والعشرين من أغسطس ١٣٣٤م – استطاع سفرانتزيس أن يغدر بسيرجيانيز ويقتله على نهر جاليكوس Galykaos[٣].

كان لمقتل سيرجيانيز أثر عظيم على ستيفن دوشان ورجاله لما سبق وأن حققه من مكاسب عسكرية خدمت مصالحهم وأهدافهم بفضل مهاراته في التوسع في مقدونيا؛ وعلى أية حال أدى موت سيرجيانيز إلى عقد صلح بين العاهلين البيزنطي والصربي في السادس والعشرين من أغسطس ١٣٣٤م؛ كان من أهم بنوده انسحاب القوات الصربية من مقدونيا الغربية، وأن تستعيد بيزنطة جميع المدن المنتشرة على نهر ووادي الفاردار – مدن بريليب وأوخريدا و ستروميتزا –، وأن تقدم بيزنطة دعماً عسكرياً للمملكة الصربية في حالة تعرضها لأي اعتداء خارجي [٤].

ويرجع السبب المباشر الذي دفع الملك الصربي لطلب توقيع تلك المعاهدة والتخلي عن موقفه العدائي لبيزنطة، ليس فقط فقدان حليف ذي مهارات عسكرية عالية مثل سيرجيانيز، إنما يرجع لظهور الخطر المجري Hungary [١]

---

(٣) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 94; Soulis, *The Serbs*, p. 7; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 288.

(٤) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 95; Soulis, *The Serbs*, p. 8; Popovic, *Les Forteresses dans Les Regions des Conflits*, p. 74.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٤.

(١) تصنف المصادر الإسلامية المجريين بين الشعوب التركية، وتذكر المصادر الروسية أن المجريين قبائل رعوية، بينما تشير المصادر البيزنطية إلى المجريين باسم الترك وأونجروي Ungroi وسابارتوي أسفالوي Sabartoi Asphaloi وغيرها، أما المصادر المجرية فقد أرجعت أصول المجريين إلى شعب الهون Hunni، وقد أطلقت عليهم اسم موجور Mogor وماجيار Magyar، بينما تثبت الأصول اللغوية للمجر أنهم شعب فينو-أوجريان Fino-Ugrian ، وورد اسم المجريين في المصادر العربية في شكليين هما : هنغاريا Hungaria وأونجارا Ungara. كانت جبال الأورال الموطن الأول للمجريين،

تحت قيادة الملك روبرت كونت أنجو على الحدود الشمالية الصربية. أما الإمبراطور أندرونيكوس الثالث فقد رحب بعقد تلك الاتفاق ليأمن شر الجانب الصربي وليتفرغ لاستعادة بلاد اليونان الشمالية [٢].

وقد اضطر المجريون في فترة مبكرة من تاريخهم إلى ترك هذا الموطن والتوجه جنوبا، بسبب الزيادة السكانية، حيث هاجرت الشعوب المجرية، واستقرت بين نهري الدون والكوبان، وكان يحد بلادهم من الغرب البحر الأسود، ومن الشمال نهر الدون، ومن الشرق بلاد اللان، ومن الجنوب نهر الكوبان، الذي كان يفصلهم عن بلاد القوقاز. وعاش المجريون في سهوب شمال القوقاز ضمن اتحاد فيدرالي مع شعب الأونوجور التركي، ولقد تم الاتصال الأول بين بيزنطة والعناصر المكونة للشعب المجري أثناء إقامتهم في سهوب شمال القوقاز عام ٤٦٣م حين تعرضت قبائل الأنوجور، والتي كانت آنذاك في المنطقة الواقعة بين الدون والقوقاز، لضغط شديد من قبائل السابيرز Sabirs، لذلك أرسلوا مع شعوب أخرى من الأوجريان سفراء إلى القسطنطينية لإثبات حسن نواياهم ولإقامة علاقات صداقة مع بيزنطة يتعهدون فيها بحماية المصالح البيزنطية في شمال القوقاز مقابل الاحتفاظ بالممتلكات التي استولوا عليها بصفتهم حلفاء للدولة البيزنطية، وقد تم تعميد زعمائهم في عهد الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧–٥٦٥م)، ومنذ النصف الأول من القرن التاسع هاجر المجريون إلى منطقة سهوب جنوب روسيان و التي أقاموا فيها ثلاثمائة سنة، وخلال عامي ٨١٧م إلى حوالي عام ٨٣٧م قام الخزر بإعادة توطين القبائل المجرية إلى الغرب من نهر الدون في المنطقة الواقعة بين نهري الدون والدنيبر والتي عرفت باسم ليبيديا Lebedia وذلك لمواجهة الخطر الروسي، ثم هاجروا من سهوب جنوب روسيا إلى موطنهم في وسط أوروبا، واستقرت دولة المجر في حوض الدانوب الأوسط و يقسمها نهر الدانوب إلى شطرين: هما السهل المجري الكبير وإقليم بانونيا. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن روسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٤٢؛ ابن حوقل(ت أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، ليدن، ١٩٦٧م، ٣٩٦؛ الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٩٢٣. انظر أيضا:

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, vol. I: Greek Text ed. by. Moravesik, Eng. Trans. by. Jenkis. R, Budapest,1949;vol. II: Commentary ed. Jenkis and Others, London,1962.

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية بعنوان: قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة وتحليل وتعليق محمود سعيد عمران، بيروت، ص١٣٩–١٤٩. راجع أيضا: المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠– ١٤٥٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، عام ٢٠٠٤م، ص ١٨– ٤٧.

(٢) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص ١١٤. راجع أيضا :

Bosch , *Kaiser Andronikos III*, p. 95; Soulis, *The Serbs*, p. 8-9.

واستمراراً لحسن العلاقات السائدة وتدعيمها بين الصرب وبيزنطة وصل في عام ١٣٤٠م وفد دبلوماسي صربي من قبل ملك الصرب لمقابلة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث أثناء تقدمه في بلاد اليونان على رأس حملة عسكرية لاستعادة ممتلكاته المسلوبه منه في شمال البلاد. وقد عرض رئيس الوفد رغبة الملك الصربي في مقابلته، فوافق أندرونيكوس الثالث وتم اللقاء في رادوبسدين Rhadobsdein (رادوفيشتي Radoviste) في قرية فيامي Vaimi بمقدونيا واستمرت المحادثات بين الطرفين لمدة لا تقل عن أسبوع دارت فحواها حول حياد الملك الصربي أثناء قيام أندرونيكوس باسترجاع شمال بلاد اليونان لحوزة الإمبراطورية البيزنطية، وأن تسود الصداقة والمودة بين الطرفين وعدم اعتداء كل منهما على أملاك الآخر، وشهد هذا الاتفاق كبار رجال الدولة من الجانبين البيزنطي والصربي [١].

ولقد شهدت الفترة الممتدة من توقيع معاهدة رادوفيشتي وحتى وفاة أندرونيكوس الثالث عام ١٣٤١م نوعاً من الهدوء النسبي في العلاقات، حاول كلا الطرفين البيزنطي والصربي الحفاظ على تطبيق معاهدة رادوفيشتي، وذلك على الرغم من ترحيب بيزنطة بالمتمرد الصربي هارلجي Harlja ومساندته في حركته الانفصالية بالإقليم الواقع على الحدود البيزنطية الصربية على نهر ستروما Strumaعن المملكة الصربية، بل ومنحه لقب قيصر Caesar[٢].

أما بالنسبة لسياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الأتراك العثمانيين[٣] – الذين قامت

---

(١) Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 95; Soulis, *The Serbs*, p. 9.

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 291; Bosch , *Kaiser Andronikos III*, p. 95; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 186.

راجع أيضا: عماد أمين محمد ، الصرب، ص ١٣٦.

– القيصر Caesar، لقب يمنحه الإمبراطور البيزنطي عادة للأمراء والأجانب في الأماكن البعيدة عن الإمبراطورية البيزنطية مثل تساليا والصرب وغيرها. انظر : *ODB*, vol. 1, p. 363.

(٣) ترجع جذورهم إلى قبيلة " قابي خان " إحدى قبائل غز الخزر التركية، والتي حكمت منطقة ماهان الصغيرة في الجزء الشمالي الغربي من إيران في أواخر القرن الثاني عشر

الميلادي، ولما ظهر التتار من أقصى آسيا، واستولوا على البلاد الإسلامية، وأفسدوا فيها بالقتل والسلب والنهب، هاجر سليمان شاه من وطنه ماهان بقبيلته العظيمة البالغ عدد محاربيها ألفا فارس إلى صحاري بلاد أرمينية الكبرى حيث مكث نحو سبع سنوات اشتعلت أثناءها نار الحرب بين جلال الدين الخوارزمي وعلاء الدين سلطان قونية وكبير السلاجقة، فتحزب سليمان شاه إلى السلطان علاء الدين و نزل مع جيوشه إلى ميادين القتال وظل يحارب بجانبه إلى أن حقق النصر على أعدائه، ثم أقام سليمان شاه في أخلاط. وعندما اقترب التتار من مدينة أخلاط، هاجر منها سليمان إلى أذربيجان، ثم قرر العودة إلى وطنه الأصلي، فسار مع قبيلته إلى أمام قلعة جعبر- التابعة لولاية الرها - قرب مشارف حلب، وعند عبورهم نهر الفرات وقع فيه سليمان شاه ومات غريقا في ١٢٣١م / ٦٢٩هـ، ودفن تحت القلعة السالفة الذكر في مكان يعرف باسم " ترك مزاري " أي مزار الترك، وعندئذ انقسم قومه بين أبنائه الأربعة، فقاد اثنان منهم سنقورتكين و كون طوغدي- أي طلعة الشمس - معظم قومه عائدين إلى خراسان للدخول في خدمة المغول، بينما تابع الأخوان الباقيان أرطغرول Ertoghrul ودوندر المسير غربا إلى الأناضول. وبعد أن صار أرطغرول (١٢٣١ -١٢٨١م) رئيسا على جماعته التي بلغت حوالي أربعمائة فارس وعائلاتهم، أرسل ابنه ساوجي إلى السلطان علاء الدين كيقباد(١٢١٩- ١٢٣٧م) يلتمس منه مسكنا له ولقبيلته ومرعى لمواشيهم، فأجاب له الطلب، وتوفي ساوجي أثناء عودته لأبيه. ثم تصادف أن فرقة من التتار كانت تحارب عساكر السلطان السلجوقي وإذا بأرطغرول مار عليهم، فهجم بقبيلته على التتار فانهزموا شر هزيمة، فما كان من علاء الدين إلا أن كافأ أرطغرول بمنحه وقبيلته أرضا كإقطاع على الحدود البيزنطية في أقصى الحافة الشمالية الغربية للأراضي السلجوقية، على بعد أقل من خمسين ميلا من بحر مرمرة، وأقل من مائة ميل من القسطنطينية نفسها، ثم مات أرطغرول ١٢٨١م / ٦٨٠هـ عن عمر يناهز التسعين سنة. وبذلك جاء الأتراك العثمانيون من وسط آسيا نحو آسيا الصغرى بحثا عن الكلأ والمراعي و العيش الرغيد ولكن الظروف السياسية جعلت لهم دورا بارزا نتيجة لتوسع السلاجقة غربا في آسيا الصغرى على الحدود البيزنطية، فاستغل العثمانيون ما كانت تعانيه الإمبراطورية البيزنطية من ضعف وتوسعوا على حسابها في الجزء الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى تحت قيادة حفيد أرطغرول عثمان كوندز ألب - أي قهرمان النهار-. وبعد وفاة أرطغرول في سنة ١٢٨١م انتقلت زعامة القبيلة إلى عثمان (١٢٨١-١٣٢٤م)، والذي انحصرت اهتماماته في تأسيس قواعد الدولة العثمانية وبداية توسعها بالتدريج على حساب البيزنطيين وقد بدأ عثمان فتوحاته بالاستيلاء على الحصون والقلاع البيزنطية التي أهملتها بيزنطة في آسيا الصغرى، والتي كان من أهمها كولادجا Koladja الواقعة في المنطقة الجنوبية لجبل الأليمبوس Olympus - يقع على مقربة من بحر مرمرة -، فكافأه السلطان علاء الدين الثالث على ذلك بأن رقاه إلى رتبة الأمراء، وأرسل له لواء أبيض وآلات الموسيقى ومنشورا بإمارته و لقبه فيه " عثمان غازي " وكان ذلك في سنة ١٢٨٩م / ٦٨٨هـ، وفي حوالي ١٣٠٠م / ٦٩٩هـ مكنه الانهيار النهائي لدولة الأتراك السلاجقة و وفاة آخر سلاطينها علاء الدين الثالث من الاستيلاء على مدينة يني شهر Yenischehir (تعني المدينة الجديدة) التي اتخذها عاصمة لملكه وبداية لنقل أتباعه من البداوة إلى التحضر ولقب نفسه باد شاه- السلطان أو الملك-. لمزيد من التفاصيل انظر : القرماني أبي العباس

دولتهم على أنقاض دولة السلاجقة [1] – إبان تلك الفترة الزمنية فقد اتسمت العلاقات بينهما بالعداوة والبغضاء بسبب ما عانته الإمبراطورية من التوغل

أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، بيروت، القاهرة، دمشق، د.ت، ص ٢٩٦. انظر أيضا: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص ٤٠؛ إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٣١-٣٢؛ حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عزت، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ص ٢٩-٣٠؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٣٧؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١٤؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، القاهرة، د.ت، ص ١٥٤؛ محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٩٣م ، ص١١٦ ؛ إبراهيم مصباح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٤٥؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان وأورخان " في تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الأول، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٧؛ علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م، ص ٢٥؛ ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، مراجعة عبد الرحمن الشيخ، القاهرة، ١٩٩٩م، الجزء الثاني، ص ٢٢؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ٢، ص ٢٠٥؛ ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، جـ ٢، ص ٢٢؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الأول، القاهرة ١٣١٢هـ، ص ٤٨٢؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م، مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات) ١٥١٧- ١٩٢٤م، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٧؛ خليل أفندي مطران، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، مصر، ١٨٩٧م، ص ٣٥. راجع أيضا:

Inalcik,H.,Osman Ghazi's Siege of Nicaea and the Battle of Bapheus, in. Zachariadou, E.,(ed.) *The Ottoman Emirate (1300-1389)*, Crete, 1993, pp. 77-100.

[1] ظهر الأتراك السلاجقة في إقليم ما وراء النهر في القرن العاشر الميلادي، ويرجع أصلهم إلى الأتراك الغز الذين ظهروا في القرن السادس الميلادي انظر: عماد الدين الأصفهاني، تاريخ آل سلجوق، القاهرة، ١٩٠٠، ص ٦٣. انظر أيضا: أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٩؛ قاسم عبده قاسم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، عالم الفكر، الكويت، ١٩٩٤، ص ٣٦٦؛ جوزيف شاخت وآخرون، تراث الإسلام، الجزء الأول، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون، تحقيق شاكر مصطفى، عالم المعرفة العدد ٢٣٣، الكويت ١٩٩٨م، ص ٢٥٨؛ محمد عبد العظيم، السلاجقة تاريخهم السياسي

العثماني في الأراضي البيزنطية طوال الفترة الممتدة بين عامي ١٣٠١م و١٣٢٨م في شمال غرب آسيا الصغرى وما ترتب على ذلك من وقوع كثير من القلاع والحصون والمدن البيزنطية في أيدي العثمانيين والتي كان من أهمها قلعة لوباديون Lopadion و كيستل Kestel و كوبري حصار Koepri Hissar ويار حصار Yar Hissar وغيرها، ثم زحفت القوات العثمانية واجتاحت المدن والقلاع المنتشرة على ساحل البحر الأسود الهامة وهي خيلاي Khelai و هيرون Heiron وغيرها من القلاع [1]. ولقد استغل العثمانيون في ذلك ما كانت تعانيه الإمبراطورية البيزنطية من ضعف واضطراب وتدهور في الأحوال الداخلية بسبب الحرب الأهلية (١٣٢١ – ١٣٢٨م) بين الجد والحفيد – أندرونيكوس الثاني وأندرونيكوس الثالث – والتي

والعسكري، القاهرة ٢٠٠١ م، ص ٢٩؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية، ص ٤٢؛ أميرة محمد محمود خليل، الطوائف المسيحية في بلاد الشام فترة الحروب الصليبية(١٠٩٧-١٢٩١م/٤٩١-٦٩١هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٧م، ص ٢٣، هامش(٢).

(1) لمزيد من التفاصيل عن التوسعات العثمانية في الأراضي البيزنطية في تلك الفترة انظر : Asik-Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, pp. 27 - 38. cf. also. Lavallee, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Paris,1855, p. 127; Grousset, R., *L'Empire du Levant*, Paris, 1946, p. 606; Taeschner, Fr., " The Ottoman Turks to 1453" *CMH*, vol 4,(1966), p. 759; Creasy, E., *History Of The Ottoman Turks*, Beirut 1968, p. 8; Davis, S., *A Short History Of The Near East from the founding of Constantinople*, London, 1923, p. 185; Brehier, *Vie et Mort de Byzance*, pp. 415-416; Gibbons, *The Foundation Of The Ottoman Empire : A History* of *The Osmanlis up to The Death of Bayezid* I *(1300-1403)*, Oxford,1916, p. 33 ;Show, S., *History of The Ottoman, Empire and Modern Turkey*, Cambridge,1976, p. 14; Alix, *Precis de Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 45; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, New York, 1912, pp. 7-8.

راجع أيضا: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، القاهرة، د.ت، ص ١٥٤- ١٥٦؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ص٧٩-٩٠؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٤٥- ٥٠.

مزقت جسد الإمبراطورية البيزنطية إلى أشلاء متناثرة وأحزاب متنـــاحرة [(١)]، فضلا عن الأخطار الخارجية المتمثلة في الصرب والبلغار، القطلان [(٢)].

وعندما تولى أورخان Orkhan [(٣)] قيادة الجيش العثماني عام ١٣٢٦م/ ٧٢٦هـ نتيجة لمرض والده عثمان قام بتضيق الخناق على مدينـــة بروســـة (

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الحرب الأهلية. انظر: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية، ص ٥١-٥٥.

Voordechers, E, "Apropos De La Renonciation Au Throne D'Andronic II Paleologueen 1330 ", *REB*, vol. XXIV,1968, p.186; Laiou , A., *Constantinople and the Latins: The Foreign Policy of Andronicus II 1282-1328*, Harvard,1972, pp. 284-300.

(٢) الجماعات القطالونية هي جماعات من المرتزقة نالت شهرة هائلة في القرن الرابع عشـــر الميلادي في مجال الحرب والقتال، وتنسب هذه الجماعات إلى إقليم قطالونيا Catalonia الواقع في شمال شرق الجزيرة الأيبيرية، ومما تجدر الإشارة إليه انـــه نتيجـــة لمعاهـــدة كالتوبليوتا Caltobellotta سنة ١٣٠٢م وإحلال السلام بين فريدريك الثاني ملك صقلية وشارل الثاني، ومن ثم لم يجد الجنود القطالونيون المرتزقة في صقلية ما يشغلهم، فاقترح فريدريك الثاني على قائـــدهم روجـــر دي فلـــور Rogeer de Flor أن يـــذهب لنجـــدة الإمبراطور أندرونيكوس الثاني بناء على طلب الأخير. ولمزيـــد مـــن التفاصـــيل عـــن الجماعات القطالونية في الإمبراطورية البيزنطية انظر أحمد عبد المقصـــود، الجماعـــات القطالونية في الإمبراطورية البيزنطية، ١٣٠٣- ١٣٨٨م، رسالة ماجستير غير منشـــورة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٩٦م، ص١٥؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجيـــة للدولة البيزنطية، ص ٩٧-١٣٢؛ محمد محمود النشار، علاقة مملكتي قشـــتالة وأراجـــون بسلطنة المماليك، ص ٥٧-٥٨ . راجع أيضا:

Laiou, *Constantinople and the Latins*, pp. 284-300; Setton, K., *Catalan Domination of Athens , 1311-1388*, London , 1975 , pp. 3ff

(٣) أورخان Orkhan، ولد عام ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م أو ٦٨٠هـ / ١٢٨١م، وهو أكبر أبناء عثمان، وكانت أمه "ملك خاتون" ابنة الشيخ "أدبالي" من قرية إيتبورنو بالقرب من إسكي شهر، ولقد تزوج عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م من ابنة يارحصار واسمها نيلوفير خاتون وعمره اثنتا عشرة سنة، وما أن بلغ سن المراهقة حتى ظهرت عليه مخائل النجابة والذكاء ومال إلى حمل السلاح و قد قلده والده قيادة الجيش في جملة غزوات فعاد منتصرا، وعندما ارتقى الملك كان يناهز الأربعين. وقيل أن ذلك كان في رمضان من عام ٧٢٦هـ/ أغسطس ١٣٢٦م، وأقام أورخان لأخاه علاء الدين باشا وزير له، وبلغت مدة حكمة حوالي ٢٧سنة. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، تقديم فوزي محمد أمين، القاهرة، ٢٠٠٥، الجزء الخامس، ص ٣٦٧؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص ٢٩٧. انظر أيضا: خليل أفندي مطران، مرآه الأيام في ملخص التاريخ العام، ص ٣٥٢؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية لعثمانية، مصر، ١٣١٤هـ /١٨٩٦م، ص٤٠؛ دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثالث، ص ١٢٦-١٢٧؛ إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة

بورصة) Proussa [٤] وذلك بسبب تآمر تيكور (تكفـور) Tukur بروسـة على عثمان [١]، فحاصرت القوات العثمانية المدينة وعزلتها عن العالم الخارجي [٢] مما جعل حاكمها البيزنطي إفرينوس Everenos يسلمها بعد مباحثات بـين الجانبين والتي انتهت بعقد اتفاق ينص على أن يسلم إفرينوس المدينة وأن يـدفع

العثمانية العلية، ص ٣٦؛ حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ٣٣.

(٤) Pears, E. , *The Destruction of Greek Empire and Story of the Capture of Constantinople by the Turks*, New York , 1968, p. 97.
أما بروسة (برصا) Proussa، بضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين والف في الأخر. وربما أبدلت السين صادا مهملة وهي مدينة كبيرة في أسيا الصغرى إلى الشمال الغربي من جنوب غرب البحر الأسود، مبنية بالطوب والحجر، وسقوفها من الخشب، وبها مساجد وأسواق وحمامات، ولها سور عظيم، وبوسطها قلعة شاهقة مرتفعة البناء بها سكن سلطانها، وفيها قصور عظيمة متعددة، وجامع وثلاث حمامات، وهي حسنة الأسواق فسيحة الشوارع، تحف بها البساتين من جميع جهاتها. وخارج ربض المدينة نهران: أحدهما يسمى (ككدرا) ومعناه واد أزرق. والنهر الثاني يسمى (منرباشى)؛ وبها جبل عظيم اسمه (كمش) به معدن فضة. وهي أيضا عاصمة بيثينيا القديمة، وتعد واحدة من اكبر وأعظم المدن البيزنطية بآسيا الصغرى، وتقع على ربوة مرتفعة على سفح جبل أوليمبوس، وعلى بعد ستة عشر ميلا من ساحل بحر مرمره وتبعد عن القسطنطينية بحوالي مائة كيلومتر فقط. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، الجزء الخامس، ص ٣٤٣؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لبنان، د.ت، ص ٢٠٤. انظر أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٢.

(١) Asik-Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, pp. 44.

– لقب تيكور أو تكفورTukur هي لفظة أرمينية تعني الملك. انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، بيروت، ١٩٩٢م ، ص ٢٥٦، هامش رقم ٣.

(٢) حيث قطعت وسائل المعيشة عن مدينة بروسة، وضيقت الخناق عليها، مما أدى إلي تخريب المنطقة، وعدم استقرار الأمن في الطرق وارتفاع الأسعار وانتشار المجاعة والفوضى والاضطراب، فهجر السكان المنطقة، وفي نفس الوقت كانت خيالة عثمان يقومون بتخريب المنطقة الممتدة من البوسفور إلي البحر الأسود وعندما اشتد المرض على عثمان استدعى ولده أورخان وأعطاه شارة قيادة الجيش العثماني المرابط أمام مدينة بروسة ليفتحها وأن حصار بروسة استمر حوالي عشر سنوات منذ عهد السلطان عثمان. انظر: القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٧. انظر أيضا :
Asik- Pasa – Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* , p. 53.
راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص، ٥٨، ٦٠.

ثلاثين ألف بيزنط Bezant [٣] وفي المقابل يخرج البيزنطيون المحاصرون من المدينة في سلام [٤]. ودخل أورخان مدينة بروسة في السادس من أبريـــل عـــام ١٣٢٦م [٥]

---

(٣) البيزنط Bezant (Besant, Bisant)، أحد العملات الذهبية التي كانت مستخدمة في العصور الوسطى، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة(القسطنطينية). وكان البيزنط يعرف قديما باسم الهيبربرون Hyperperon، وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية التي تعادل حوالي ثلاثة ونصف جرام من الذهب. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك اختلافات في نسبة الذهب، وكان يمكن أن يحدد سعر العملة من خلال تحقيق دقيق لتاريخها. وكانت العملة الذهبية البيزنطية التي كانت تستخدم في التجارة الدولية، وفي عهد أسرة باليولوجس بوجه خاص لم تعد لها إلا سدس قيمتها السابقة. انظر: بورشارد، وصف الأراضي المقدسة، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي، مراجعة مصطفى الحيارى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٥، ص ٥٢؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، عمان، ١٩٩٨، ص ١١٠ هامش قم ٢. راجع أيضا، سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، الإسكندرية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١١٨، هامش رقم ٤٤؛ هسي(ج.م)، العالم البيزنطي، تقديم وتعليق رأفت عبد الحميد، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٨٣؛ ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢١١؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص، ٥٨.

(٤) Asik- Pasa-Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg*, pp. 53-54.

(٥) Asik- Pasa-Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 55; Doukas , *Decline and Fall of Byzantium*, p. 266.

انظر أيضا: نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني١٤٥٣، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٨؛ جونز، الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٤. راجع أيضا: ميجيل آنخل دي بونيس إيبارا، قدوم الأتراك والمغول، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم، ضمن كتاب ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر: قيام وسقوط إمبراطوريات، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص ١٧٧؛ ميشل برنارديني، الإمبراطوريات الآسيوية في القرن الرابع عشر، ترجمة قاسم عبده قاسم، ضمن كتاب ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن عشر: قيام وسقوط إمبراطوريات، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص ١١٦-١١٧. راجع ايضا:

Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.169; Ostrogorsky, " *The Palaeologi* ", *CMH*, vol. IV, part 1, (1966), p.353; *ODB*, vol. 3, p. 1533; Brehier, *Vie et Mort de Byzance*, p. 427; Creasy, *History of The Ottoman Turks*, p. 10; Imber, *The Ottoman Empire,1300-1650: The Structure of Power*, Britain, 2002, p. 9; Shaw, *History of the Ottoman*

ولعل أهم الأسباب التي أدت إلي سقوط مدينة بروسة في أيدي أورخان وأتباعه، هي إحكام السيطرة العثمانية علي المدينة من خلال الحصار الشديد لها. ضعف الإمبراطورية البيزنطية في الدفاع عن مدنها وحمايتها وإمدادها بالمؤن والقوات العسكرية اللازمة لاستمرار المقاومة. انهيار الروح المعنوية والقتالية لسكان القلاع والمدن البيزنطية في أسيا الصغرى نتيجة للهزائم المتلاحقة علي أيدي القوات العثمانية. والسبب الفعلي والمباشر لسقوط هذه المدينة هو رغبة سكان مدينة بروسة الأكيدة للهروب من الظلم والفوضى البيزنطية إلي حياة هادئة تحت الحكم العثماني التي يحياها سكان القلاع والمدن البيزنطية الذين خضعوا للحكم العثماني [١].

وتنفيذاً لوصية والده عثمان قبل وفاته قام أورخان بنقل عاصمته من يني شهر إلى مدينة بروسة لما تتمتع به من موقع استراتيجي هام [٢].

واصل أورخان فتوحاته في الأراضي البيزنطية الآسيوية و قرر الاستيلاء على مدينتي نيقية Nicaea [٣] و نيقوميديا Nikomedia اللتين

Empire, Vol.1, p.14; Taeschner, *"The Ottoman Turks to 1453"*, CMH,Vol. IV, part 1, (1966), p. 759; Inalcik, *The Ottoman Empire: The Classical Age 1300-1600*, London, 1973, p. 274.

(١) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٠.

(٢) صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٥.

(٣) نيقية Nicae، تقع في إقليم بيثينيا على مقربة من بحيرة أسكانيوس Ascaninus في أسفل جبل باغوس، فهي مدينة يونانية قديمة بنيت في عهد الإمبراطور أنتيجونوس Antigonus في عام ٣١٦ق.م، وكانت تسمى أنتيجون Antigonia، وتبعد عن القسطنطينية بحوالي ٤٣٠ كيلو متراً من الجنوب الغربي، وتقع شرق مدينة بروسة بحوالي ثمانين كيلومتر، وبلغ عدد سكانها حينئذ مائه وستون ألف نسمة، وتقع مكان مدينة أنكور Ancoreالقديمة، وأطلق عليها ليسيماكو Lysimaque اسم نيقية، ولقد احتلها القوط عام ٢٥٩م، واستولى عليها السلاجقة عام ١٠٨٤م، وحاصرها الصليبيون عام ١٠٩٧م. وكانت عاصمة لأسيا الصغرى، واشتهرت بعمل الخزف والسجاجيد. لمزيد من التفاصيل انظر: ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة وتعليق حسين محمد عطية، الإسكندرية،١٩٩٠، ص ٨١ ؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة وتعليق حسين محمد عطية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١١٠. انظر أيضا: سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٦٩؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٤٠؛ روبرت لي وولف، الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ـ١٢٦١م، ترجمة ليلى عبد الجواد إسماعيل، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، إشراف كينيث سيتون "فصول مختارة "، تحرير سعيد عبد

كـانتا مـعزولتين منذ أمـد بعيد [1]، بأن احتل الحصون الممتدة على سـاحل خليج نيقوميديا والتي كان من أهمها قلعة يالوفا Yalova (سوجلا Sugla) و عدة قلاع أخرى [2].

وبعد أن قطعت وسائل الاتصال البرية بين مدن القسطنطينية، نيقوميديا، نيقية [3] وتم عزل المدينتين الأخيرتين [4] عزم أورخان على اقتحام مدينة نيقية لما تتمتع به من أهمية تاريخية و استراتيجية بوصفها عاصمة سابقة للبيزنطيين والتي لابد من أخذها [5] .

الله البيشاوي، محمد مؤنس عوض، رام الله، ٢٠٠٤م، ص ٤٢٩، هامش رقم ٤١. انظر أيضا :

Janin, R.., Nicee Etude Historique et Topographique, *EO*, vol. VIII, 1925, pp. 482-483.

(1) صلاح محمد ضبيع ، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٥.

- أما نيقوميديا Nikomedia، مدينة يونانية بنيت في عهد نيكوميدوس الأول Nikomedos I عام ٢٦٤ ق.م. تقع جنوب شرق رأس خليج نيقوميديا، على الشاطئ الشمالي الشرقي من بحر مرمره، وتبعد ثمانيين كيلو مترا عن نيقية، وكانت بمثابة قاعدة حربية للقسطنطينية وتتمتع بموقع متميز، وعدد سكانها أربعين ألف نسمة، وبعد أن فتحها العثمانيون اتخذوها دار لصناعة السفن، وهي أزميت التركية الحالية. انظر : سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ ١، ص ٤٦٣. انظر أيضا :

ODB , vol. 3, pp. 1483- 1484.

راجع أيضا: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤١؛ حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية، ص ١٤٣؛ روبرت لي وولف، الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص ٤٣٤ .

(2) محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤١. راجع أيضا :

Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 113.

(3) Taeschner, " The Ottoman Turks ", p. 453.

(4) Levtchnko, *Byzance*, p. 27.

(5) Lodge, R., *The Close of the Middle Ages, 1272-1494, London -1924* , p. 499.

وعلى أية حال عندما وصلت الأخبار السابقة لمسامع الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث قرر على الفور الخروج على رأس الجيش البيزنطي من أجل إنقاذ نيقية من أيدي العثمانيين [٦]، و ذلك بعد أن استشار كونتوفريز Kontophres [٧] لمعرفته بأساليب القتال العثمانية و لكونه كان مشاركاً في معركة بافيوم Baphoeum [٨]. والجدير بالذكر أن الجيش البيزنطي كان غير مؤهل بدرجة كافية لمواجهة العثمانيين ولا يمتلك سوى التفاخر بمجد أباطرة الرومان القديم [١].

وفي واقع الأمر لم يتحرك الإمبراطور أندرونيكوس من أجل صد الخطر العثماني ووقف انتشاره في خليج نيقوميديا ورفع الحصار عن مدينتي نيقية ونيقوميديا ووقف إغارات أورخان المتتالية على شواطئ البوسفور فقط،

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص، ٧٨.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 1, p. 340. cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169; Browning, R. , *The Byzantine Empire*, New York, 1980, p. 170 ; Jorga, N., *The Byzantine Empire*, London, 1907, p.120; Souttar, R. , *A Short History of Mediaeval* Peoples, London , N. D, p. 606; Ostrogorsky, *The Palaeologi*, p. 354.

(٧) كونتوفريز Kontophres، قائد إقليم ميزوثينيا Mesthynia. انظر: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٤، هامش(٥). راجع ايضا:
Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 130.

(٨) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 1, p. 340-341. cf. also, Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 130.

- بافيوم Baphoeum، معركة بافيوم بين القوات العثمانية والقوات البيزنطية بالقرب من مدينة كويون حصار Koynhissar والتي يطلق عليها البيزنطيون اسم بافيوم والتي تقع وسط الطريق بين كل من نيقية ونيقوميديا . ولمزيد من التفاصيل انظر :
Pachymeres, *De Michaele et Andronico*, vol.2, p.229. cf. also. Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 90; Grousset, *L' Empire du Levant*, p. 606; Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453", p. 759.

(١) Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1,p. 113.

بل جاء قرار الخروج بحملة عسكرية بيزنطيـة نتيجـة لشـعور الإمبراطـور أندرونيكوس بالخطر العثماني الذي أخذ يقترب من القسطنطينية ويهددها، حيث إنه من المعروف أن الوجود العثماني وحصار المدينتين السابقتين لم يكن وليـد تلك الآونة القريبة بل كان ذلك منذ فترة طويلـة [2]، ولـذلك عبـر الأسـطول البيزنطي الذي كان في حالة يرثى لها [3] مضيق البوسفور إلى مدينة سكوتاري Scoutari يحمل على متنه القوات البيزنطية والتي بلغت حوالي خمسـة آلاف جندي[4].

ولقد أمر أورخان قواته التي بلغت ما يقرب من ثمانية آلاف [5]، وفـي رواية أخرى عشرين ألف جندي [6] بالتحرك صوب ميزوثينيا Mesothynia التي تتسم بوعرة تضاريسها[7]، والاختباء بين ثنايا تلالها و ذلـك بنـاءا علـى

(2) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٤.

(3) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٦.

(4) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.I, pp. 342; La Chronique Brieve de 1352, Tom, II, p. 45. cf. also , Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1,p.130.

- سكوتارى Scoutari، هي منطقة سكودار Uskudar التركية الحالية، وهي ميناء يقع على الضفة الشرقية لمضيق البوسفور في الجهة المقابلة لمدينة القسطنطينية راجع أيضا: حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص ١٢٢.

(5) Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 131; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169.

(6) عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ٣٤.

(7) Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 130.

- ميزوثينيا Mesothynia، هو الاسم الذي تطلقه مصادر القرن الثالث عشر الميلادي على الجزء الغربي من شبه جزيرة بثينيا Bithynia ، يحدها من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب خليج نيقوميديا ومن الغرب مضيق البوسفور. انظر:

Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*,Tom.1, p. 130;

ODB, vol. 1, p. 292, vol. 2, p. 1349.

راجع أيضا: دائرة المعارف الإسلامية، جـ٣، ص ١٢٧.

مشورة رجاله البارزين في جيشه[٨]، وعلى الجانب الأخر وصل الجيش البيزنطي إلى سكوتاري بعد سبعة أيام من المسير، وظل بها ستة أيام تقريبا من أجل تنظيم الصفوف وأخذ قسطاً من الراحة [٩]، ومن ثم واصلت القوات البيزنطية تحركاتها نحو القوات العثمانية سالكة الطريق الممتد من خلقدونيا Chalcedonia والمتجه نحو خليج نيقوميديا [١]، وبعد سير الجيش البيزنطي حوالي ثلاثة فراسخ [٢] في يومين وصل إلى منطقة تسمى بلكانون Pelekanon [٣]، فوجد القوات العثمانية متمركزة على التلال المرتفعة على

---

(٨) La Chronique Brieve de 1352, Tom, II, p. 45.

(٩) La Chronique Brieve de 1352, Tom, II, p. 46.

(١) La Chronique Brieve de 1352 , Tom , II ,p. 46.

– خلقدونيا Chalcedonia، فهي إحدى مدن بيثينيا، تقع على الجانب الأخر لمضيق البوسفور قبالة مدينة القسطنطينية مباشرة، أقيم فيها المجمع الكنسي لعام ٤٥١م، ولقد احتلها الفرس في عام ٦١٥م ، فنهبوا وألحقوا بها كثيرا من الأضرار، وكانت المركز الرئيسي الذي عسكرت فيه الحملات الصليبية الأولى والثانية، سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين في عام ١٣٥٠م. وتعرف حديثا باسم حيدر باشا الجديدة Haider Pasha . انظر:

Gibbons, *The foundation of The Ottoman Empire*, p. 60; *ODB,* Vol.1, pp. 403- 404.

(٢) La Chronique Brieve de 1352, Tom, II , p. 46.

– الفرسخ، كلمة فارسية الأصل مأخوذة من كلمة فرسنك، وهناك رأى آخر يشير إلى أنه لفظ عربي الأصل. ومهما كان الأمر يبلغ الفرسخ ثلاثة أميال– الميل ٤٠٠٠ ذراع – أي حوالي ٥٥٤٤ مترا. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص ٣٥– ٣٦ ؛ بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص ٣٤. راجع أيضا، جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٠٨؛ جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، الإسكندرية، ١٩٨٩م. ، ص ٩٥.

(٣) La Chronique Brieve de 1352, Tom, II, p. 46. cf. also . Hammer, *Histoire*

ساحل مضيق البوسفور فأدرك الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ومـن معـه أن الأمور لن تسير لصالحهم ولكنهم اضطروا لمواصلة الزحف حفاظا علـى مـا تبقى من هيبة الإمبراطورية [٤].

وعلى أية حال وقعت مناوشات بين الجانبين البيزنطي والعثمـاني فـي اليوم التالي من وصول الجيش البيزنطي إلى بلكانون بـين ثلاثمائـة فـارس بيزنطي وألف عثماني انتهت لصالح بيزنطة [٥]، ثم خرجت قوة بيزنطية أخرى تحت قيادة مانويل تاجريس Manuel Tagaris والإستراتوبيدارخيوس الكبيـر

---

de L' Empire Ottoman, Tom.1, p. 131; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169.

بلكانون، هي منطقة بلكانونوز Pelekanos التي تقع في إقليم بيثينيا على ساحل خليج نيقوميديا شمالا وعلى الطريق إلى مدينة نيقوميديا، وهي عبارة عن منطقة سهلة تقع خلف داكي بيزا Daki Byza، وقد لعبت بلكانون أثناء الحملة الصليبية الأولى دور فعال، حيث عسكر فيها جـود فـرى البولوني Bouillon God frey، وكذلك استخدمها الإمبراطور ألكسيوس الأول (١٠٨١-١١١٨م) قاعدة له أثناء حصاره لمدينة نيقية، وتعرف بلكانون حديثا باسم مالتيبه Maltepe انظر: نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية، ص ١٨. راجع أيضا: الباز العريني، الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٣ ص ١٨٨. راجع أيضا:
Hammer , *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 131; *ODB*, vol. 3, p. 1620.

(٤) La Chronique Brieve de 1352, Tom, II, p. 46. cf. also. Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 131.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن تلك المناوشات والخطبة التي ألقاها أندرونيكوس الثالث في فرسانه قبل مواجهة الجانب العثماني انظر :
Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.I, pp. 344-346. cf. also. Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, pp. 131-132.
راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٢-٨٣.

Stratopedarches [1] ودخلت في معركة أسفرت عن مقتل خمسين من الجانب العثماني وواحد من الجانب البيزنطي [2].

ونتيجة للهزائم السابقة خرجت إحدى الفرق العثمانية والتي تسمى الإنكشارية [3] تحت قيادة بازارلو Pazarlo وشقيقه علاء الدين، والتقت بالجيش البيزنطي في معركة طويلة وطاحنة انتهت بهزيمة العثمانيين [4].

وفي إحدى الاشتباكات الأخرى بين الجانبين كاد الإمبراطور البيزنطي أن يفقد حياته وأن يقع أسيراً في أيدي العثمانيين لولا بسالة رجاله الذين حملوه نتيجة لإصابته إلى المعسكر البيزنطي[5] ولكن بعد أن استجمع الإمبراطور قوته واسترد صحته دخل معركة جديدة في الحادي عشر من يونيو ١٣٢٩م عند فيلوكرين Philocrene على ساحل خليج نيقوميديا انتهت بهزيمته وعودته إلى القسطنطينية تاركا جيشه تحت قيادة حنا كانتاكوزينوس والذي لم يكن أسعد حالا

---

(١) الإستراتوبيدارخيوسStratopedarches، أي القائد العسكري لإحدى الفرق الحربية البيزنطية. انظر:

ODB,vol.3, pp. 1966-1967.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.I, p. 347. cf. also. Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1,p. 132.

(٣) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٩.

- الإنكشارية، كلمة تركية أصلها "يلي جرى" وتعنى العسكر الجديد ويرجع تسميتها إلى الدرويش "حاجي بكتاش" الذي اشتهر بورعه، ويقال أن أورخان قد اصطحب هؤلاء الجنود إلى مسكن هذا الوالي ورجاه أن يباركهم ويخلع عليهم اسما، وأن بكتاش وضع كمه فوق رأس أحد الواقفين في الصف الأول ثم قال للسلطان" إن القوات التي انشأتها ستحمل اسم يني جرى وستكون أذرعهم اليمنى قوية وسيوفهم بتارة وسهامهم حادة " وتخليدا لبركة بكتاش كانت الإنكشارية يضعون على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأبيض، شبيه بقلنسوة الدرويش، يتدلى منها من الخلف قطعة من الصوف باعتبارها رمزا لكم الوالي الذي بارك رقبة زميله. انظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٦؛ خليل أفندي مطران، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، ص٣٥٣؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ص ٤٣.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 349-350. cf. also. Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 132-133.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.I, pp. 353-354. cf. also , Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 134.

منه، حيث لقي هزيمة أخرى ساحقة على أيدي العثمانيين أدت إلـــى انســـحاب الجيش البيزنطي إلى سكوتاري ومنها إلى العاصمة البيزنطية (٦).

وقعت معركة بلكانون في العاشر من يونيو ١٣٢٩م (١) وكان لها أهمية كبرى وهي تخلي الأباطرة البيزنطيون عن آسيا الصغرى نهائيا (٢)، فضلا عن كونها أول معركة بيزنطية عثمانية تجمع فـــي ســـاحة المعركـــة الإمبراطـــور

---

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر:
Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 355-360; La Chronique Brieve de 1352, Tom, II, p. 46. cf. also, Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p.134-135; Gibbons, *The foundation of The Ottoman Empire*, p. 60; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 1, p. 363; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1, pp. 434; La Chronique Brieve de1352, Tom, II , p.45; Charanis, "An Important Short Chronicle of The Fourteenth Century", p. 313.cf. also. Ostrogorsky, *History of The Byzantine State*, p. 451; Holt, P., *The Cambridge History of Islam*, vol.1, Cambridge, 1970, p. 274; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169; Taeschner, *The Ottoman Turks*, p. 759; Lodge, *The Close of Middle Ages*, p. 499. راجع أيضا:
أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٤٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، القاهرة، ١٩٨٦ ص ٦٥١؛ محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ص ٦٣؛ محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤م)، القاهرة، ١٩٨١، ص٢١؛ بيلديسنيو، "عثمان وأورخان"، ص ٢٥.
رأى ثاني يشير إلى أنها كانت في عام ١٣٢٨م . انظر:
Shaw, *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey*, vol. 1, p.15.
رأى أخر يشير إلى أنها كانت في عام ١٣٣٠م انظر :
Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 17, Grousset, *L' Empire du Levant*, p. 607.

(٢) Gibbons, *The foundation of The Ottoman Empire*, p. 60.

البيزنطي والسلطان العثماني، بالإضافة إلى أنها أثبتت عدم جدوى استخدام القوة العسكرية ضد العثمانيين، وأدت إلى انهيار المقاومة البيزنطية في بيثينيا (٣).

وبعد هذا الانتصار، لم يعد هناك ما يخيف أورخان من الجيش البيزنطي (٤)، حيث قامت القوات العثمانية بالاستيلاء على كويون حصار Koynhissar (٥) في عام ٧٣١هـ / ١٣٣٠م (٦)، ثم تقدم السلطان أورخان بنفسه علـى رأس جيشه نحو مدينة نيقية المفروض عليها الحصار منذ أمد بعيد (٧) والتي استسلمت له (٨) في الثاني من مارس ١٣٣١م (٩)، ثم اتخذها العثمانيون عاصمة جديدة لهم

---

(٣) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170.

(٤) بيلديسنيو، عثمان وأورخان، ص ٢٥.

(٥) خليل أفندي مطران، مرآه الأيام في ملخص التاريخ العام، ص ٣٥٢.

(٦) سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٩.

(٧) سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٩. راجع أيضا :
Cresay, *History of The Ottoman Turks*, p.23; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*,Tom.1, p.136 ; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 17.

(٨) يشير ابن بطوطة إلى أن أسوار المدينة التي زارها بعد خمس أو ست سنوات من سقوطها في أيدي العثمانيين، بأنها سليمة وإلى أن عثمان حاصر مدينة نيقية نحو عشرين سنة، ومات قبل فتحها، فحاصرها ولده (أورخان) نحو اثنتي عشرة سنة وافتتحها. انظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٠٥-١٠٦. راجع أيضا: بيلديسنيو، "عثمان و أورخان" ، ص ٢٥.

(٩) La Chronique Brieve De 1352 , Tom. II , p. 49; Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg* , p. 68 p. 238; Charanis, An Important Short Chronicle, p. 312.
انظر أيضا: القرماني، أخبار الدول، ص ٢٩٨ . انظر أيضا :
Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170; Taeschner, "The Ottoman Turks To 1453", p. 759; Grousset, *L' Empire du Levant*, p. 607; Imber, *The Ottoman Empire,1300–1650*, p. 9; Inalcik, " The Emergence of The Ottoman Empire and Modern Turkey", vol. 1, p. 15; Ostrogorsky, *History of The Byzantine State*, p. 451; Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 158; Breheir, *Vie et Mort de Byzance*, p. 430.
راجع أيضا: محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسـكندرية، ١٩٩٨، ص ٣٥٣، صلاح محمد ضبيع، العلاقـات السياسـية بـين العثمـانيين والإمبراطوريـة البيزنطية، ص ٨٩.

وعاملوا أهلها بكل سماحة ولين وحرية في ممارسة شعائرهم[1] ويصف المؤرخ عاشق باشا زاد ما حدث قائلا " عندما دخل أورخان مدينة نيقية من بوابة ينـي شهر اجتمع بالناس في حديقة بها تسمى أبجولوس Abgulos ووجد أورخـان هناك نساء كثيرات في هذا المكان فسأل أين يا ترى أزواج هـؤلاء النسـاء ؟ فأجابه الحاضرون بقولهم لقد ماتوا جميعا، فريق منهم مات في القتال، وفريـق آخر مات من وطأة الجوع، فأمر أورخان قومه بأن يتخذوا من هؤلاء الأرامـل زوجات لهم على سنة الله ورسوله وأن يحسنوا معاملتهن وعمل أورخان علـى نشر روح التسامح في المدينة [2]، مما جعل الكثير منهم يتخلـى عـن إيمانـه الأرثوذكسي ويتحول إلى الإسلام [3].

ومهما يكن من أمر فقد أدرك أندرونيكوس الثالث حقيقـة فشـل الحـل العسكري في حماية الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى ولذلك قرر الـدخول في مفاوضات مع الجانب العثماني تمخض عنها عقد اتفاقية سلام في أغسـطس ١٣٣٣م، والتي تعد أول اتفاقية مباشرة يوقعها إمبراطور بيزنطي مـع سـلطان

وهناك رأى يشير إلى إنها سقطت في عام ١٣٢٩م. انظر: سيد أحمد على الناصري، الروم والمشرق العربي، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٢٨؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٦٠؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، القاهرة، ١٩٩٤، جـ٣ ، ص٥١٤ . راجع أيضا :
Michel, M., *Andronic III Paleologue*, *DEH*, Paris, 1986, vol .A-B, p. 272; Diehl,C., *Etude Byzantines*, Paris, 1906, p. 163; Bertele. T, " Die Apologie Der Verurteilten Hochsten Richter Der Romer ", *BZ*,vol.56, (1963), p.72.

ورأي أخر يشير إلى سقوطها عام ١٣٣٠م انظر :
Cresay, *History of The Ottoman Turks*,p.23; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 17.

راجع أيضا: بارتولد، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ ٢، ٤٢٢؛ سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٩.

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٣؛ سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٨٩.

(٢) Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 68.

(٣) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 171.

عثماني، والتي جاء فيها اعتراف رسمي بأحقية العثمانيين في الأراضي التي فتحوها في آسيا الصغرى، وكذلك أقر الإمبراطور بدفع مبلغ مالي سنوي يقدر بحوالي مائة وعشرين ألف هيبربيرون Hyperperon للسلطان العثماني وفي المقابل يتم وقف العمليات العسكرية العثمانية ضد المدن البيزنطية الأخرى [٤].

ولكن سرعان ما دب الخلاف بين بيزنطة والعثمانيين مرة أخرى عندما خرج السلطان أورخان على رأس ست وثلاثين سفينة [١] وشن هجوماً عنيفاً على القلاع القريبة من القسطنطينية والتي كان من أهمها إيبباتوس Epibatos ، إيناكوسيا Ennacosia، أثيروس Athyros [٢]، ثم واصل العثمانيون حصارهم على نيقوميديا التي استسلمت لهم [٣] ودخل السلطان أورخان نيقوميديا ونشر

---

[٤] لمزيد من التفاصيل انظر:

La Chronique Brieve de 1352, Tom , II ,p. 53. cf. also . Hammer , *Histoire de L'Empire Ottoman,* Tom.1,p. 172; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 170.

راجع أيضا: سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ١، ص ٤٨٩؛ خليل أفندي مطران ، مرآه الأيام في ملخص التاريخ العام ؛ ص ٣٥٢.

- الهيبربيرون Hyperperon، نقد ذهبي قديم في البندقية، والهيبربيرون الواحدة تساوى ٢٤ قيراط ، منها ١١ قيراط من الذهب الخاص، و٦ قيراط من الفضة و٧ قيراط من النحاس. لمزيد من التفاصيل انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ٣، ص ١١٨؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٤٢ كانت فليت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تعريب أيمن الأرمنازي، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ٣٣٨. راجع أيضا:

ODB, vol. 2, pp. 964 – 965.

[١] Asik- Pasa- Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 63. cf. also , Hammer , *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom.1, p. 176.

[٢] La Chronique Brieve de 1352, Tom , II ,p. 53. cf. also. Hammer, *Histoire de L'* Empire *Ottoman*, Tom.1, p. 176; Sevecenko. I, "The Decline of Byzantium in Through The Eyes of Its Intellectuals ", *DOP*, vol. XXXI ,(1977), p. 174.

[٣] لمزيد من التفاصيل انظر :

Asik- Pasa- Sohn , *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 63-64

الأمن والسلام فيها، ثم توافدت عليه الوفود العثمانية المرابطة في القلاع البيزنطية المفتوحة قريبا، وعلي رأسهم قاطنو قلعة أبيدوس ليستقروا في نيقوميديا وكان ذلك في عام ١٣٣٧م [٤]، وفي السنة التالية استولى العثمانيون على سكوتاري، الأمر الذي جعل الدولة العثمانية من أقوى الإمارات التركية في المنطقة، وازداد مركزها قوة باعتبارها زعيمة الجهاد ضد العدو المسيحي [٥] – الدولة البيزنطية –.

لعل أهم العوامل التي أدت إلي سهولة مواصلة القوات العثمانية فتوحاتها في الأراضي البيزنطية، هي انهيار الدفاعات البيزنطية علي الحدود الآسيوية نتيجة للفيضانات الجارفة لنهر ساكاريا الذي كان بمثابة خط دفاعي دائري طبيعي للعديد من القلاع والمدن البيزنطية، الأمر الذي ترتب عليه هروب الحاميات البيزنطية المدافعة عنها، وبعد شهر عاد النهر إلي مجراه الطبيعي، ولكن بعد أن جلبت الفيضانات معها كميات ضخمة من الطمي ترسبت في القاع فجعلت عمقه قليلاً ومن ثم أصبح عبوره علي الأقدام أمراً سهلاً، فكان ذلك فرصة مناسبة للقوات العثمانية لتواصل فتوحاتها داخل الأراضي البيزنطية في سهولة و يسر[١].

وفي النهاية كون الأتراك العثمانيون دولتهم في أسيا الصغرى على حساب ممتلكات القسطنطينية بفضل جهود زعمائهم الأقوياء، أرطغرول، عثمان، وأورخان، وتلك الدولة التي تألفت في النصف الأول من القرن الرابع عشر من المقاطعات والإمارات الواقعة علي سواحل بحر مرمره الجنوبية بما فيها بروسة و نيقية و نيقوميديا [٢].

---

[٤] Schreiner, *Chronica Byzantinae Breviora*, vol.2, p. 238; La Chronique Brieve de 1352,Tom.II, p. 50; Asik- Pasa-Sohn, *Fruhzeit und Aufstieg*, p. 64.

[٥] محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤١.

[١] إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٨٠.

[٢] إدوارد بروي، القرون الوسطى، ترجمة يوسف أسعد داغر وآخرون، بيروت ، باريس ، د. ت ، ص ٥٧٨ ؛ سيد أحمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص ٤٦٨.

– من الجدير بالذكر أنه خلال الفترة الممتدة من ١٣٣٨م إلى وفاة أندرونيكوس الثالث في مايو ١٣٤١م انشغل أورخان بالتوسع في ساحل بحر مرمرة، وذلك على حساب إمارتي

أما عن البابوية فقد أدى ظهور الأتراك العثمانيين وتوسعهم علي حساب الإمبراطورية البيزنطية، إلي جعلها في حاجة ماسة للمساعدة الأوربية الغربية للتخلص من هذا الخطر الجاثم علي حدودها، ولذلك سعى أباطرتها لجذب البابوية والغرب لمساعدتهم عن طريق طرح مشروع توحيد الكنيستين البيزنطية واللاتينية، ففي عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس عمل على كسب ود البابوية لتدعيم وتوطيد نفوذه ومساعدته علي التصدي للخطر التركي، ويظهر ذلك من خلال رسالته إلى البابا جريجوري العاشر Gregory X (١٢٧١-١٢٧٦م) في مجمع ليون ٧ مايو ١٢٧٤م [٣]. كما أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثاني في عام ١٣٢٤م إلى البابا حنا الثاني والعشرين John XXII (١٣١٧-١٣٣٤م) يعرض عليه اتحاد كنيسة القسطنطينية مع كنيسة روما وكذلك أرسل إلى تشارلس الرابع ملك فرنسا لإتمام الاتحاد الكنسي. ولكنه لم يتم بسبب انشغال أندرونيكوس الثاني بمحاربة حفيده أندرونيكوس[٤].

عمرخان وقره سي، حيث استفاد أورخان من المنازعات الداخلية في هاتين الإمارتين، وذلك بتحالفه مع أحد أمراء، ثم التحول عنه إلى غيره، وفي نظير ذلك يأخذ أيضا من كل إمارة مكافأة له على الخدمات التي قدمها. انظر: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٢.

[٣] لمزيد من التفاصيل. انظر:

Acta Urbani IV, Clementis IV, Gregori IX (1261- 1276), vol. v, ed. by. Tautu Aloysius Vaticanis,1953, pp.116-123 .cf. also, Schroeder ,H., *Disciplinary Decrees of General Councils Text, Translation and Commentary,* London, 1937, pp. 324-364.

[٤] *Acta Ioannis XXII (1317-1334),* ed . by Tautu Aloysius, Vaticanis, 1952, p. 135;

John XXII,(7.Aug.1316-4 Dec.1334.), ed. by. Gieseler, J., *A Compendium of Ecclesiastical History,* vol. IV, London, MDCCCLIII, S.99, pp. 18-43; Omont, H., Lettre d' Andronic II Paleologue au Pape Jean XXII, *BEC,* vol. LXVIII, Paris,1906, p. 587; Idem, Project de Reunion de Eglises et Latine Sous Charles Le Bel en 1327, *BEC,* vol. LIII, (1892), p. 254 . cf . also .Viller, M. , La Question de L' Union des Eglises Entre Grecs et Latins Depuis Le Concile de Lyon Jusqu'a Celui de Florence (1274-1438), *RHE,* vol. XVIII , Louvain, 1922, p. 20.

ولكن علي الرغم من عقد معاهدة تحالف في رودس بين البندقية و أندرونيكوس الثالث والإسبتارية Hospitaller في السادس من سبتمبر عام ١٣٣٢م لتشكيل أسطول من عشرين سفينة للتصدي للأتراك العثمانيين، إلا أن البابوية لم تسهم في تلك المعاهدة بأي شكل[١].

علي أية حال في تلك الفترة دعا العالم الغربي لتشكيل حلف مسيحي ضد الأتراك عامة ولكن بيزنطة رفضت الاشتراك حفاظا على اتفاقياتها مع التركمان[٢] ولكي تتفرغ

لمزيد من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية البابوية في عهد الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢–١٣٢٨م).انظر: ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيقوس الثاني باليولوجوس (١٢٨٢–١٣٢٨م)، ص ١٣٥–١٤٦؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤١.

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, Vol.1, p.523. cf. also, Gill. J, *Byzantium and papacy*, (1198-1400), New Jersey, 1979, p.192; Housley, J., " Angevin Naples and the Defence of The Latin East Robert the Wise and Naval League of 1334", *B.*, vol. LI , (1981), p. 552.

(٢) التركمان اصلهم قبيلة من الأتراك الغز Oghuz عاشوا في المنطقة بين بحر الخزر ونهر جيحون، ثم انتقلت جموع منهم غربا ليستقروا شرقي آسيا في قونية وقيصرية وساڤوستا Savosta بالإضافة إلى شمالي بلاد الشام، وهم عشائر من الرعاة الرحل الوافدين من أواسط آسيا والذين ساقوا قطعان ماشيتهم أمامهم وأتوا لينصبوا خيامهم أحيانا على هضاب الأناضول السلجوقية وأحيانا على أراضى حلب وأحيانا في مراعي أنطاكية. هؤلاء التركمان هم أناس ليس لديهم مدن أو قلاع وهم دائما يعسكرون في خيام مصنوعة من اللباد ولديهم حيوانات بأعداد كبيرة مثل الأغنام والثيران والماعز والأبقار ويعملون بالرعي، ولا يقومون بالزراعة وهم من العناصر البعيدة عن السامية التي كونت أقلية ضئيلة وسط أغلبية من العرب في شمال الشام. وقد تعددت الآراء الخاصة حول تفسير معنى لفظ " تركمان " غير أنه بانتشار الإسلام بين كافة العناصر التركية وخاصة منذ القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) تغير مفهوم لفظ " تركمان " فقد أطلق على اولئك الذين أسلموا كلمة " ترك ".أما لفظة تركمان" فقد أطلقت على أولئك المشتغلين بالرعي من ناحية، والذين عاشوا عيشة بدوية من ناحية أخرى. ولكن ليس معنى ذلك أن التركمان انعزلوا انعزالا تاما عن حياة المدن والمشاركة في أحداثها. إذ استطاعوا تكوين دويلات صغيرة في أنحاء الشرق الأدنى وقد ظهر التركمان لأول مرة في الشام في القرن الحادي عشر الميلادي وفي القرن الذي تلاه أضحوا قوة، وازداد نفوذهم ولهذا رأى عماد الدين زنكي الاستفادة منهم ، فقد نقل طائفة منهم تسمى التركمان الإيوانية إلي بلاد الشام، وأسكنهم حلب وكلفهم بمحاربة الفرنجة على أن يكون لهم الحق في الاستيلاء على كل أرض، يستطيعون انتزاعها من الفرنجة، وقد سار نور الدين محمود

لصراعها ضد العثمانيين [1].

وفي أوائل عام ١٣٣٣م أرسل البابا حنا الثاني والعشرون سفارة برئاسة جيوفاني بيسانو Giovanni pisano إلى الإمبراطور أندرونيكوس الثالث في القسطنطينية بهدف وحدة كنيسة بيزنطة مع كنيسة روما، إلا أن تلك السفارة عادت إلى أفينون Avignon الفرنسية دون أن تحقق أهدافها المرجوة منها بسبب انشغال الإمبراطور أندرونيكوس بالعبور إلى أسيا الصغرى لمحاولة إنقاذ مدينة نيقوميديا المحاصرة من قبل القوات العثمانية. وبعد عودته بقليل إلى القسطنطينية أرسل إلى البابا حنا الثاني والعشرين يطلب منه العون والمساعدة

على سياسة أبيه فحرص على إنزالهم منطقة الحدود بين أملاكه وأملاك الصليبيين مما أدى إلى اتساع الجهات التي نزلوا بها وكونوا أكثرية فيها. وفرارا من وجه التتار، فرت أعداد كبيرة من التركمان من وسط اسيا إلى الأناضول وهبط جانب كبير منهم في ديار بكر كما استقدم البعض منهم إلي الشام. أما في القرن الثالث عشر عهد سلطنة المماليك انخرط التركمان في جيوش الشام ووصل عددهم عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م إلى عشرين ألف جندي وثلاثين ألف فارس كانوا على أهبة الاستعداد للالتحاق بجيش السلطان الظاهر بيبرس ولم ينس التركمان أنهم بدو رحل فعاشوا عيشة البداوة متمسكين ببعض عادتهم، فكبيرهم كان حكمه نافذاً على قاض التركمان ودانيهم وكلمته لا تخالف. كما أدى تحمسهم البالغ للمذهب السني إلي كرههم الشديد للمذهب الشيعي وبغضهم للشيعة، وعزفوا عن الفلسفة أو الجدل في أمور الدين ولمزيد من التفاصيل. انظر: الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤٠١هـ /١٩٨١، ص ٣٣- ٣٤. راجع أيضا: محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة،١٩٧٩م، ص٢٨،٢٦؛ حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون(١١٧١- ١٢٦٨م / ٥٦٧- ٦٦٦هـ)، الاسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٣٧٣، هامش رقم(١١٩)؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣٨-٤٢. راجع أيضا :

ODB, vol.3,pp. 2128-2129.

(1) Enveri, *Le Destan,* p. 87; Marino Sanudo, Lettres Inedites et Memoire, p. 21. cf. also. Atiya, S., *The Crusade in Later Middle Age*, London , 1938 ,p.103; Setton, *Papacy and Levant (1204-1571)*, Philadelphia, 1976, p. 177;Laiou, Marino Sanudo Torssello, Byzantium and the Turks The: Background to The Anti-Turkish League of 1332-1334, *Speculum*, vol. XLV, (1970), p. 385; Viard, J., Les Projects de Croisade de Philippe VI Valois, *BEC*, vol. XCVII , (1936), p. 20.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤١-١٤٢.

ضد العثمانيين ويطلعه على سوء الأوضاع في الشرق[٢] ولقد أعلن البابا موافقته على مساعدة أندرونيكوس شريطة أن تتم عمليـة اتحـاد الكنيسـتين اليونانيـة واللاتينية؛ إلا أن رجال الدين بالكنيسة رفضوا الإذعان والانصياع لرغبة البابـا حنا الثاني والعشرين، مما أدى إلى فشل المفاوضات بشأن المساعدة والاتحـاد، ولكن هذا لم يمنع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث من إرسال سفارة بيزنطية إلي بلاط البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII (١٣٣٤-١٣٤٢م) في مـارس ١٣٣٧م تعرض عليه تشكيل حلف مسيحي من قوى الغرب الأوروبيـة للقيـام بحملة صليبية لصد الخطر العثماني الداهم، ولكن لم يهتم العالم الغربـي بتلـك الدعوة، ولم يحدث تعاون للقيام بتلك الحملة بسبب سوء الأوضاع السياسية فـي أوربا الغربية آنذاك [٣] .

على أية حال، أرسل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث بعثة دبلوماسية بيزنطية أخرى يترأسها كل من الراهب بارلام Barlaam وستيفن داندولو Stephen

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 446-448; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 243.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم و صلاتهم بالعرب، بيروت، ١٩٥٦، جـ٢، ص ٢٣١؛ المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، بيروت، ص ١٤٤ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤٢.

(٣) *Acta Ioannis XXII (1317-1334)*, p. 140; *Acta Benedicti XII (1334 – 1342)* vol. VIII, p. 40; Benedict XII.(20. Dec.1334-25. Apr.1342.), ed. by. Gieseler, J.,A *Compendium of Ecclesiastical History*, vol. IV,London, MDCCCLIII, a S.100, pp. 44-52; Gordillo, M., *Theologia Orientalium Cum Latinorum Comparata (431-1453), OCA*, (1960), vol. 158, p. 300; *Text-Book of Ecclesiastical History*, ed. by. Gieseler, J.,A , Philadelphia,1836,p.33.cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p.125; Housley, "Angevin Naples and the Defence of The Latin", p. 555.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤٢.

حيث إن الصراع بين البندقية وجنوه كان على أشده في ذلك الوقت، وكذلك اشتعال الحرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا. انظر: أسد رستم ،الروم، جـ٢، ص ٢٣١؛ سـعيد عبـد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، القاهرة، ٢٠٠٢م ، ص ١٣٦.

Dandolo البندقي الأصل إلى البابا بندكت الثاني عشر في أفينون الفرنسية لعقد مجمع مسكوني هدفه إتمام الاتحاد و إنقاذ أراضي الإمبراطورية البيزنطية من الأجتياح العثماني في يونيو ١٣٣٩م [١] وتقابل البابا بندكت الثاني عشر مع السفارة البيزنطية التي عرضت عليه رغبة الإمبراطور البيزنطي في اتحاد كنيسته مع كنيسة روما مقابل مساعدتهم، شريطة أن تكون المساعدة للتخلص من العثمانيين قبل الاتحاد [٢].

ولكن تم معاملة الوفد الدبلوماسي البيزنطي ورئيسه بارلام بشيء من التحقير والإهانة، وقوبلت عروض ومطالب الإمبراطور أندرونيكوس بالرفض

---

(١) *Acta Benedicti XII*, p. 67; Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, p. 551; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1,557; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. 2, p. 249; Gordillo, *Theologia Orientalium*, p. 302; Glannelli, Un Progetto di Barlaam Calabro Per l' Unione Delle Chiese , *Mi* , vol. III Vaticano, 1946 p.1; cf. also, Meyendorff,J ., *Introduction a Etude de Gregoire Palamas* ,Paris,1954, p.72; Idem, Un Mauvis Theologian de l'Unite Au XIV Siecle Barlaam La Calabrais, *ELE*, vol. 2, Chevetogne, 1955, p. 490; Buchberger, M., Andronicus III Palaeologus, *LFTK.*, vol. A, America, 1967, p. 498.

أما بارلام Barlaam ، فهو رئيس دير المخلص في القسطنطينية وهو راهب بيزنطي إيطالي الأصل وأمه تسالونيكية الأصل. انظر: أسد رستم: الروم، جـ٢، ص ٢٣٣؛ المرسلين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٤؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤٣ هامش (١).

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر:

Acta Benedicti XII, pp. 67-68; Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, p. 575; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1, p. 559; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. 2, p. 249; Gordillo , *Theologia Orientalium*, pp. 302-304. cf. also, Gill, *Byzantium and papacy*, pp. 196-198.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ٢، ص ٢٣١؛ المرسلين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٤؛ إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، القاهرة، ١٩٩٧، جـ٣، ص ١٩٣-١٩٤؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٤٣-١٤٤.

من قبل كل من البابا وملك فرنسا وملك نابولي بحجـة الخـوف مـن ويـلات الحرب. وعاد بارلام إلى القسطنطينية ودخل في صدام مع أتبـاع بالامـاس Palamasفي أول شهر يونيه ١٣٤١م ، فانشغل الإمبراطـور أنـدرونيكوس بالصدام بين بارلام و بالاماس وتوفى في الخامس عشر من يونيه ١٣٤١م دون أن يحقق الاتحاد أو الحصول على مساندة الغرب ضد العثمانيين(١).

ويبدو مما سبق أن البابوية لم تفطن في تلك الفتـرة لمـدي خطـورة التوسع العثماني علي حساب الأراضي البيزنطية، بل كان أمر توحيد الكنيستين عندها يتمتع بالأولوية عن نجدة بيزنطة. وكانت مسألة الاتحاد تتطلـب وقـت طويل إلى حد ما للتمهيد لها في بيزنطة. هذا إذا كانت نية البيزنطيين حسنة. فلا طرح بيزنطة لمشروع توحيد الكنيستين كان إيمانا منها بفحوى هذا المشـروع وضرورته بقدر ما كان طمعا لأوربا والبابوية فقط لتقديم المساعدة. ولا كانـت العقلية البابوية وعقلية السلطات العلمانية التي تتبعها فـي أوربـا ذات بصـيرة سياسية لتتغاضى عن تنفيذ المشروع و تأجيله إلى ما بعد التخلص من الخطـر

---

(١) *Acta Benedicti XII*, pp.73-74; Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.1, p.557; Gregoras, Byzantinae *Historiae*, vol.1,p.559; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, Vol. 2, p. 249 - 250 ; Gordillo, *Theologia Orientalium*, pp. 304-305. cf. also. Gill, *Byzantium and papacy*, p. 198.

راجع أيضا: إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٣، ص١٩٣؛ أسد رستم: الروم ، جـ٢، ص ٢٣٢؛ البولسيين: الاجتهاد في سبيل الاتحاد ، ص ٤٤.

حيث إنه أثناء عودة بارلام عبر تسالونيكا اطلع على رسالة النور الإلهي التي أعدها بالاماس أثناء غيابه، فأعاب عليها بارلام ثم ذهب مع السفراء يشكو بالاماس إلى البطريرك يوحنا كاليكاس Calecas فاستدعى الأخير بالاماس للمثول أمام المجمع الكنسي تحت رئاسة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث في العاشر من يونيو عام ١٣٤١م ، فافتتحه الإمبراطور بإعلان أن بارلام قد أخطأ وعليه الاعتذار لأن الأساقفة وحدهم منوطين بالبت في العقيدة. لمزيد من التفاصيل انظر:

Arnakis, G., " Gregory Palmas Among the Turks and Documents of his Captivity as Historical Sources ", *Sp*, vol. XXVI (1901), pp. 104-118.

راجع أيضا: أسد رستم: الروم، جـ٢، ص ٢٣٥؛ البولسيين: الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص٤٤؛إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤٤.

العثماني. وأصرت على إتمام توحيد الكنيستين أولا. فلا تم التوحيد، ولا تم التخلص من خطر العثمانيين وترك الغرب وتركت البابوية بيزنطة لقمة سائغة للمد العثماني.

أما عن المدن التجارية الإيطالية فقد تمتعت بالكثير من الامتيازات داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية علي مدي العهود المختلفة، وإن كانت الظروف والأحداث السياسية في بعض الفترات جعلت إحدى هذه المدن تتميز عن الأخرى في تلك الامتيازات، فعندما دخل ميخائيل الثامن العاصمة القسطنطينية رسميا في ١٥ أغسطس ١٢٦١م، حرم البندقية من الكثير من الامتيازات التي كانت تتمتع بها في ظل المملكة اللاتينية في القسطنطينية [٢]، وعامل جنوا كأفضل أمة بين الإيطاليين، مكافأة لهم على مساعدتهم له في استرداد عرشه، ومن ثم لم يمتنع عن تسليمهم قلعة البنادقة [١]، كما منحهم غلاطية Galata [٢] عام ١٢٦٧م، وتنازل للجنوي مانويل زاكاريا Manuel Zaccaria [٣] مدينة فوكايا Phokaia [٤]، و لقد تبادل الجانبان البيزنطي

---

(٢) Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 285-286.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٤٧.

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 286.

(٢) غلاطية Galatia، مدينة حصينة متينة الاستحكامات تتميز بكنائسها وأديرتها الرائعة وكانت مركزاً عالمياً للتجارة، تقع شمال القرن الذهبي في مواجهة القسطنطينية منحها الإمبراطور ميخائيل الثامن عام ١٢٦٧م للتجارة الجنوية وجدد منحها الإمبراطور أندرونيكوس الثاني عام ١٣٠٤م، وظلت المركز الأساسي للتجارة الجنوية حتى سيطر عليها العثمانيين عام ١٤٥٣م. لمزيد من التفاصيل انظر:

Pachymeres, *De Michaele et Andronico*, vol.1, pp. 420- 425.

انظر أيضا: نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية، ص ١٠٧، هامش رقم(٢). راجع أيضا : ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٤٨؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٣٧. انظر أيضا :

Dalleggio, E., Galata La Souveraínete de Byzance, *REB*, vol. XIX, (1961), pp. 315-320.

(٣) أسرة آل زاكاريا Zaccaria، عائلة جنوية استمر نشاطها من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر. ويرجع تأسيسها إلى بينيديتو الأول Benedetto I الذي توفى عام ١٣٠٧م وكان في خدمة الملك الإفرنجي فيليب الرابع (١٢٨٥-١٣١٤م) ومنحه ميخائيل الثامن باليولوجوس مقاطعة فوكايا، ثم منحهم الإمبراطور أندرونيكوس الثاني

والجنوي في عهد ميخائيل الثامن العديد من السفارات المتبادلة لتعزيز العلاقات الطيبة – منها على سبيل المثال لا الحصر سفارتي أعوام ١٢٧٥م ، ١٢٨٠م – بين الطرفين[٥].

وعلي الرغم من حرص الامبراطور ميخائيل علي الحد من امتيـــازات البندقية داخل أراضيه ومعاقبته لها بسبب اشتراكها في الحملة الصليبية الرابعة، فإن هذا لم يمنعه من توقيع معاهدة معهم في الثامن مــن يونيــو عـــام ١٢٦٥م منحهم بمقتضاها مدينتي كورون Coron[١]، ومـــودون Modon [٢] وجزيـــرة كريت[٣] والقسم الذي كانت تحتله من جزيرة نيجروبونت[٤].

جزيرة خيوس لمدة عشر سنوات، ولقد منح فيليب من تارنتو مارتينو زاكاريا لقب " ملك آسيا الصغرى وطاغيتها " لانتصاره على الأتراك، كذلك منحه البابا حنا الثاني والعشرون بالمخالفة للحظر العام المفروض على الاتجار مع مصر، تصريحا بتصدير المستكة إلى الإسكندرية اعترافا بالخدمات التي أداها للمسيحيين، مما جعل الإمبراطور أندرونيكوس الثالث يخشى من ازدياد نفوذ وقوة مارتينو زاكاريا Martino Zaccaria فضلا عن تحالفه مع العدو التقليدي للإمبراطورية البيزنطية فيليب مارتينو انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٢٢. راجع أيضا:

ODB, vol. 3, p. 2217.

(٤) تقع على نهر هيرموس Hermos وعلى مقربة من إمارة ماغنيسيا التركمانية وتعرف باسم فوجليا فيتشياFaglia Vecchia انظر:

Doukas, *Decline and Fall*, p. 267.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص٩١–٩٨.

(١) كورون Coron أو Korone، هي مدينة حصينة صغيرة تقع على الحافة الجنوبية الشرقية لميسيديا Messenia في البيلوبونيز انظر:

ODB,vol.2, p. 1149.

(٢) مودون Modon أو Methone، هي مدينة تقع على الطرف الجنوبي الغربي البيلوبونيز، وكانت تستخدم كمأوى للقراصنة، وتتمثل أهميتها في أنها تقع على الطريق بين البحر الإيجي وإيطاليا .انظر:

ODB,vol.2, p. 1356.

(٣) كريت Crete، هي جزيرة في البحر المتوسط قام بونيفاس الثالث Boniface III كونت مونتفرات Moncferrat أحد قادة الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م ببيعها للبندقية، الأمر الذي أدى إلى ازدهارها تجاريا وزراعيا. انظر: نيقولو بارباور، الفتح العثماني للقسطنطينية، ص ٨٦–٨٧، هامش(٢). راجع أيضا:

ODB,vol.1, p. 545-547.

(٤) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص٨٨–٨٩.

أما عن بيزا في تلك الفترة فقد حصلت علي موافقة بالإقامة في القسطنطينية من الإمبراطور ميخائيل الثامن الذي منح القنصل البيزي أيضا حق حضور الأعياد الرسمية مع الإمبراطور ولكن لم يعد للبيزيين أي دور مؤثر في القسطنطينية بعد عام ١٢٠٠م خاصة بعد الحرب البحرية بينها وبين جنوا والتي انتهت بهزيمتها في معركة ميلوريا Meloria في عام ١٢٨٤م [٥].

وفي عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢ – ١٣٢٨م) حدث تنافس بين المدن الإيطالية– خاصة البندقية وجنوا– انعكس بشكل واضح علي الدولة البيزنطية لأن الجنويين احتفظوا لأنفسهم بمقتضي المعاهدات السابقة مع الدولة البيزنطية بحق الدفاع عن كل موقع لهم تهاجمه البندقية علي الأراضي التابعة لهم دون أن يعتبر هذا انتهاكا لمعاهدات السلام بينهم، وفي نفس الوقت لم تمنع المعاهدات التي عقدت بين البندقية والإمبراطور أندرونيكوس الثاني الأولي من القيام بتدبير المؤامرات ضد الدولة البيزنطية والتي كان من أبرزها تأييد البندقية لحملة شارل فالوا عام ١٣٠٦م [١]. أما عن ابرز المعاهدات التي

– أما نيجربونت Negropont، هي الاسم الايطالي لجزيرة أيوبيه Euboea وهي جزيرة كبيرة في البحر الإيجي قبالة الساحل الشرقي لليونان . انظر:

ODB,vol.2, p.736-7,vol.3, p. 1449.

[٥] لقد كان البيزيون يملكون في القسطنطينية كنيستين، كنيسة القديس نيكولاس، وكنيسة القديس بطرس، وكانت كنيسة نيكولاس ضمن المنحة الأولى التي أجراها ألكسيوس الأول Alexios I (١٠٨١–١١١٨م)، أما الثانية فقد أقاموها هم أنفسهم في حيهم ويتبع هاتين الكنيستين مستشفى وجبانة وتملكان ثروة كبيرة تشمل منازل وإيرادات من الموازين والمكاييل وكان للكنيستين رئيس واحد ولكنهما تابعتان لكاتدرائية بيزا، وكانت المعاهدات تكفل للبيزيين مكانة في كنيسة سانت صوفيا البيزنطية وكان الغرض من ذلك ضمان مكان للفيكونت البيزي في الاحتفالات الدينية الكبرى و كان محجوزا لهم أماكن في الأعياد المدنية لمزيد من التفاصيل انظر:

Pachymeres, *De Andronic*, vol. 2, pp. 162,168,536-539

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ١، ٢٦٨–٢٧٠، جـ٢، ص ١٣٣–١٣٥.

[١] لمزيد من التفاصيل انظر :

Pachymeres, De Andronic, vol. 2 , pp. 238-239,322-326; Gregoras, *Historiae*, vol. 1, p. 208 -210; Jacoby, " Les Venitins Naturalises dans L' empire Byzantine: un Aspect de L' Expansion de Venise en Romanie du xiii au Milieu xve siecle ", *TM*, 1981, pp . 222-225; Laiou

تمت في عهد الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني بينـه وبـين البندقيـة معاهدة ١٣٢٤م وأهم ما جاء فيها هي حماية الإمبراطور البيزنطـي لرعايـا البندقية داخل القسطنطينية واحتكار البندقية لتوريد القمح للإمبراطورية البيزنطية [٢]، وازداد النشاط البندقي في تسالونيكا Thessalonika [٣] عقب تلك المعاهدة [٤].

, The provisioning of Constantinople during The Winter of 1306 – 1307, *B*, vol. 37, (1967), pp. 91 – 113; Irene – Katele, Piracy and Venetian State : The Dilemma of Maritime Defense in The Fourteenth Century, *Sp*, vol. 63, 1988, p. 872; Bratianu," La Question de L' Appovisionnement de Constantinople a L 'Epoque Byzantine et Ottoman", *B* ,Tome, v, (1929), p .100; Gill, J ., Venice Genoa and Byzantium, *BF*, Band X, (1985), pp. 57 – 73 ; Thiriet, Les Venitiens A Thessalonique , *B*, tome ,22, 1952, p . 324; Lopez, *Medieval Trade in the Mediterranean World*, New York, 1955, pp . 314 – 317 .

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٥٣–١٥٥.

(٢) عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق، ١٩٨٠م، ص١٠١؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٥٨. راجع أيضا :

Bratianu ," La Question de L' Appovisionnement de Constantinople ", p. 101.

(٣) تسالونيكا Thessalonika، تقع مدينة تسالونيكا علي خليج ثيرميك Thermaic بالقرب من وادي الفاردار Vardar، وقد ظهرت أهميتها مع نهاية القرن الثالث الميلادي مع بداية الغزوات الجرمانية التي عبرت الدانوب ، وكانت مقرا لإقامة الإمبراطور جاليروس، كما كانت مقرا لقيادة الإمبراطور قسطنطين العظيم (٣٠٦–٣٣٧م) أثناء صراعه مع ليسينوس Licnius، وأصبحت منفي للأخير، وتعرضت لمذبحة مريعة عام ٣٩٠م علي يد الإمبراطور ثيودسيوس الأول (٣٧٩– ٣٩٥م)، وفي عام ٩٠٤م قام البحار المسلم ليو الطرابلسي Leo of Tripoli البيزنطي الأصل بالإغارة عليها، ثم وقعت في أيدي العثمانيين في ٢٩ من مارس ١٤٣٠م انظر :

ODB, vol.3, pp. 2071-2072.

راجع أيضا: محمد عثمان، إبيروس وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة طنطا، عام١٩٩٧، ص ٢٥–٢٦؛ الأمين أبو سعدة، بيزنطة في الملاحم العربية قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد التاسع والعاشر، ٢٠٠١، ص ٢٩٩، هامش رقم ٦٣؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص، ٨٦.

(٤) ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ، ص١٥٨–١٥٩. راجع أيضا :

كما تمتعت جنوا في عهد الإمبراطور البيزنطي أنــدرونيكوس الثــاني بكثير من الامتيازات والمنح التي حصلوا بمقتضاها علي العديد من الأراضــي الجديدة والتــي كــان مــن أهمهــا غلاطيــة و جــزء مــن مدينــة أزميــر (سميرناSamyrna) [1] وجزيرة خيوس [2]، والسماح للجنوية بتصــدير القمــح لبيزنطة دون رسوم جمركية عليه[3].

ولكن بشكل عام اتبع الإمبراطور أندرونيكوس الثاني مع البندقية سياسة أكثر تشددا من تلك التي اتبعها مع غريمتها جنوا، حيث نجده يمــنح الأخيــرة امتيازات جديدة جعلت لهم مركزاً خاصاً داخل الإمبراطورية البيزنطية، كما أكد لهم المعاهدات التجارية التي أبرمها معهم الإمبراطور ميخائيل الثامن ووعــدهم بالسير على نهجه والمحافظة على مكانتهم في القسطنطينية، ومن الوجهة الدبلية

Thiriet ," Les Venitiens A Thessalonique ", p. 328.

(1) أزمير(سميرنا Samyrna(Samyrna، وهى مدينة في أسيا الصغرى، تقع على ساحل بحر إيجة على بعد ٤٥ ميلا من إفسوس. انظر: سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـــ ١، ص ٤٦٦؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١١٨، هامش رقم (٦).

(2) خيوسChios، جزيرة تقع في الركن الشمالي من ساحل بحر إيجة بالقرب من ساحل أسيا الصغرى، تتمتع بموقع جغرافي عظيم الأهمية، وتنتج كميات كبيرة للتصدير من لنبذة ممتازة، وزيت وتين وفواكه أخرى، وكان حرير خيوس يحظى بتقدير كبير، وكانت حاصلات التربة ومنتجات الصناعة متوفرة بها، أما عن مبانيها فترجع إلى القرن السادس الميلادي، ولقد أغار عليها تزاخاس Tzachas عام ١٠٨٣م، وتم منحها لبلدوين أوف فلاندرز Baldwin of Flanders عام ١٢٠٤م، ثم أصبحت خاضعة للجنوية بموجب اتفاقية ١٢٦١م، ثم منحت لأسرة زاكاريا Zaccaria الجنوية خلال الفترة الممتدة من ١٣٠٤م إلى ١٣٢٩م، وتحت السيطرة البيزنطية من عام ١٣٢٩م إلى عام ١٣٤٦م، ثم رجعت للحظيرة الجنوية في أول يونيه ١٣٤٦م إلي ١٥٥٦م حيث احتلها الأتراك. انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـــ ٢، ص ١٥٩؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع العشر، ترجمة بشير السباعي، القاهرة ٢٠٠٣ م، ص ٣٤١ . انظر أيضا :
ODB, vol. 1,pp . 423-424.
راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٢١ هامش رقم (٤).

(3) Pachymeres, De Andronic, vol. 2 , p. 539; Cantacuzenus, *Historiarum*, vol,1, p. 61.

كان الجنوية يتمتعون بحرية مطلقة في بناء كنائس خاصة بهم لممارسة شعائرهم الدينية[٤].

ولقد اتبع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث نهجا مخالفا لأسلافه مع الجنوية حيث إنه بمجرد توليه مقاليد الحكم قام بتجهيز حملة عسكرية بيزنطية سيطرت على جزيرة خيوس التي كانت ممنوحة للجنوية بامتياز عام ١٢٨٢م مستغلا في ذلك ثورة اليونانيين عام ١٣٢٨م وجعل عليها صديق وزيره وقائده الأعلى حنا كانتاكوزينوس وهو ليو كالوتيتوسLeo Kalothetos ولقد أهان أندرونيكوس الثالث آل كاتانيوDomenico Cattanea الجنوية عندما هاجم فوكايا الممنوحة للجنوي مانويل زاكاريا منذ عام ١٢٧٥م وعين عليها الحاكم البيزنطي ميجادوكا Megaduca وكذلك قضى على ثورة الجنوية في غلاطية. وأخيرا يرجع الفضل في تحقيق تلك الانتصارات السابقة على الجنوية في غلاطية إلى تحالفه مع تركمان أيدينAydin [١] وصاروخان Sarukhan [٢]،

---

(٤) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٣٣-١٣٤.

(١) إمارة أيدين Aydin، ظهرت في الأناضول بعد انهيار سلطنة سلاجقة الروم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، حيث أسسها محمد بن أيدين حول بركي القريبة من ماغنيسيا، وامتدت حدودها حتى الساحل الغربي لأسيا الصغرى، وكانت تابعه في البداية لإمارة جيرميان ثم استقلت عنها، كما كانت أكثر الإمارات الأسيوية اجتياحا للشاطئ الأوربي، وقد ازدادت قوة هذه الإمارة في عهد الأمير عمر الذي فرض الجزية على أمراء المورة وجزر البحر الإيجي، وتعرضت أيدين لحملتين صليبيتين في سنة ١٣٣٤م وسنة١٣٤٤م، وقد وجد في أيدين قناصل لكل من جنوه والبندقية وقبرص ورودس وكريت، واستولى العثمانيون على هذه الإمارة في سنة ١٤٢٨م. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٣٦٧ . انظر أيضا:

Doukas, *Decline and Fall of Byzantium*, pp. 265-266.cf. also. Taeschner, Fr., Aydin, in. *EI* .

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص١٤٦، هامش رقم (٤)؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١١٨، هامش رقم (٢).

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر :

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, p. 370-385; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1,p. 433-436; Enveri, *Le Destan*, pp. 40, 55-57,80-83 .cf. also. Bosch, Kaiser *Andronikos III*, p. 111-115. Miller. W, The Zaccaria of Phocaea and Chios, *JHS.*, vol. 31, (1911), p. 42; Nicol, *The*

لأن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث كان علي يقين بأن التحالف مع التركمان والثقة بهم أفضل من التحالف والاعتماد علي الإيطاليين ولذلك عقد معاهدة مع الأمير التركماني عمر أمير إمارة أيدين في كارا بورون Kara Burun التي كانت موجهة ضد الإيطاليين والعثمانيين علي حد سواء (٣).

أما عن النشاط التجاري البندقي في بيزنطة في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث (١٣٢٨-١٣٤١م) قد استعاد بعض حياته بعد أن كان يعانى من ضعف شديد، إذ أن الطرفين كانا مهمتين بالحد من نفوذ الجنوية وتفوقهم في بيزنطة والبحر المتوسط من جهة، وفى وضع حد لغارات الأتراك العثمانيين في أسيا الصغرى من جهة أخري ، إلا أن الزحف والتوغل العثماني قد افقد البندقية كثيرا من الامتيازات (٤).

وفي عام ١٣٣٨م أرسلت البندقية القنصل (البايلي Bailli) (١) الخاص بها في القسطنطينية إلي الإمبراطور أندرونيكوس الثالث من أجل تجديد المعاهدة

Last Centuries of Byzantium, p. 171-172; Lemerle, *L'Emirat d'Aydin*, pp. 56,108-111.

- أما صاروخان Sarukhan، فتقع في إقليم نيمفايون Nymphaion، وتعد إحدى الإمارات التركمانية في أسيا الصغرى وعاصمتها ماغنيسيا Magnesia، وتقع في الركن الغربي من أسيا الصغرى، ولقد احتلها العثمانيون حوالي عام ١٤١٠ م. لمزيد من التفاصيل: انظر :

Richard, P ., *Andronic* II, *NHGE*, Paris,1914 ,p.1786; Simpson, M ., *Magnesia*, *CLD*, America,1982 , p. 357; *ODB*,vol. 2, p. 1268 , vol. 3, pp.1844-1845.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 476-495; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1,pp. 525-529.cf. also ; Lemerle, *L'Emirat d' Aydin*, pp. 102-115; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 256-257.

(٤) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٣٣.

(١) للبايلي Bailli (النائب)، هو لقب القنصل البندقي في المستعمرات للبندقية في موانئ البحر المتوسط في العصور الوسطى، وخاصة في موانئ الشام تحت الاحتلال الصليبي ١٠٩٨-١٢٩١م، وهو ممثل الجمهورية البندقية في مدينة القسطنطينية، وكان القنصل البندقي Bailiff المسئول الأول عن الجالية البندقية بالقسطنطينية طول عهد أسرة باليولوجوس، وكان راتبه يبلغ مائة ليرا Librae شهريا، وأحيانا استخدمت كلمة البايلي تعبيرا عن الوصي أو النائب عن الملك او الحاكم في حالة غيابة أو عجزه. انظر: نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية، ص ٩٠ انظر أيضا: هانس إبرهارد ماير، تاريخ

المبرمة بينهم والتي أوشكت علي الانتهاء ولتذكيره بالدين البندقي الذي بلغ حوالي تسعة عشر ألفا هيربيرون Hyperpron (هيربيرا Hyperpyra) ولكي يعلن رفض البندقية عن الإساءات والأضرار التي لحقت بمواطنيها في تسالونيكا ولم يجب الإمبراطور البيزنطي عن تلك الطلبات السابقة بسبب انشغاله بعملية استرداد شمال بلاد اليونان إلي حوزة الإمبراطورية البيزنطية(٢).

وفي بداية يوليو ١٣٤٠م وصل سفير من البندقية يدعي جيوفاني جرادلنيجو Giovanni Gradenigo إلى البلاط البيزنطي من أجل تجديد المعاهدة المبرمة بين الطرفين والتي وقع عليها الإمبراطور البيزنطي بعد مرور تسعة أشهر من وصول السفير البندقي جيوفاني - أي في ابريل ١٣٤١م - ثم توفى الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث بعدها بوقت قصير(٣).

وفي النهاية تمتعت جنوا بكثير من الامتيازات داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية وحصلت على استقلال ذاتي لمستعمراتها خلال عهدي الإمبراطورين ميخائيل الثامن وأندرونيكوس الثاني؛ بينما اتبع الإمبراطور أندرونيكوس الثالث سياسة عدائية تجاهها، أما عن البندقية فقد حرمت من تلك الامتيازات التي حصلت عليها غريمتها حتى في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث الذي اتبع سياسة متشددة تجاه جنوا.

الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ٢٣٧؛ حاتم الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ص ١٠٦-١١٠؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص٥٣. راجع أيضا:
Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 253.

(٢) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 257.

(٣) راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٣٣.
Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 257.

الفصل الثاني

سياسة بيزنطة الخارجية بعد (١٣٢٨-١٣٤١م)

فشلت جميع محاولات الاتحاد بين الكنسيتين اليونانية واللاتينية في عهد الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث، رغم الحاجة الماسة لهذا الاتحاد لمواجهة خطر الأتراك العثمانيين. ويرجع ذلك لأن العقلية البابوية وتتبعها عقلية

أوربا الغربية هدفهم الاتحاد وليس هدفهم إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية التي ينهش في جسدها أعداؤها من كل جانب خاصة العثمانيون، وليس لديهم بعد سياسي لإدراك حقيقة أن العثمانيين ليسوا خطرا على الإمبراطورية البيزنطية فقط بل خطر أيضا عليهم أنفسهم ولكنهم لم يدركوا تلك الحقيقة إلا بعد فوات الأوان. أما الإمبراطورية البيزنطية فكان هدفها جذب البابوية والغرب بطعم الاتحاد لمساعدتها لصد الخطر العثماني وليس الاتحاد في حد ذاته. ولذلك لم يتم الاتحاد ولا المساعدة ووقعت بيزنطة فريسة سهلة في أيدي القوات العثمانية [١].

وعلى أية حال عقب وفاة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث أصبح ابنه حنا الذي كان لا يزال طفلاً صغيراً إمبراطوراً للبلاد تحت وصاية كل من حنا كانتاكوزينوس- بناءً على رغبة الإمبراطور السابق أندرونيكوس وتوصية منه وهو على فراش المرض- وأمه آنا من سافواي Anna of Savoy[٢]؛ ولكن سرعان ما دب الخلاف بين الأوصياء على العرش البيزنطي لتشهد بيزنطة حرباً أهلية جديدة استمرت ما يقرب من ست سنوات (١٣٤١-١٣٤٧م) مزقتها إلى أحزاب متناحرة وأشلاء متناثرة[٣].

---

(١) إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٤٤.

(٢) آنا من سافواي Anna of Savoy، إيطالية الأصل، فهي إحدى بنات أميديه الخامس كونت سافواي Amedee V de Savoie ولقد أصبحت زوجة للإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث باليولوجوس بعد وفاة زوجته الأولى إيرين من برونسويك Irene de Brunswisk، وعلى الرغم من اعتناق آنا الظاهري للمذهب الأرثوذكسي عقب زواجها من أندرونيكوس، إلا أنها ظلت على اعتناقها للمذهب الكاثوليكي ولكنها لم تعلن ذلك. انظر:

Diehl, C., *Figures Byzantines Deuxieme Serie*, Paris,1908, p. 248.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس(١٣٥٤-١٣٧٦م)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥م، ص٣٣٢ هامش (٤).

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الحرب الأهلية (١٣٤١-١٣٤٨م) .انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.II, pp. 11-615; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. II, pp. 576-779; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 63-69; Charanis," An Important Short Chronicle of the Fourteenth Century", p. 344. cf. also. Charanis, " Internal Strife in Byzantium during the Fourteenth Century ", *B* .XV, (1941), p. 209; Brehier, *Vie et Morte*, pp. 434-435; Eva de Vries -Van

ومهما يكن من أمر ففي خريف عام ١٣٤٣م أرسلت الإمبراطورة آنـا الوصية على حنا الخامس باليولوجوس مبعوثين وهمـا فيليـب مـن سـانت-جيرميان Philip of Saint-Germain وأحد أقربائها السـافوايين Savoyard إلى أفينون Avignon -حيث المقر البابوي الجديد- من أجل الحصـول علـى مساعدة ضد الأتراك تتمثل في إمدادهم بجيش بري وأسطول بحري؛ وجـاء رد البابا كليمنت السادس Clementis VI (١٣٤٢-١٣٤٣م) في هذا الصدد مـن خلال رسالة أرسلت مع مبعوثـه بـارثولوم Bartholom قسـيس كاتدرائيـة نيجروبونت Negropont الذي ذهب إلى القسطنطينية في الحادي والعشـرين من شهر أكتوبر عام ١٣٤٣م بصحبة المبعوثين الرسميين للإمبراطورة آنا؛ بأنه على استعداد تام بتشكيل أسطول حربي ليس فقط لصد الأتـراك فحسـب، بـل مساعدتهم في التصدي لجميع أعدائهم، ولكن بشرط أن يتخلى البيزنطيون عـن عقيدتهم وإيمانهم الأرثوذكسي ويتحولوا للعقيدة الكاثوليكية[1].

---

der Velden, *L'elite Byzantine Devant L'avance Turque a L'epoque de La Guerre Civile de 1341 a 1354*, Amsterdam,1989, p. 61; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 191-205; Idem , *Byzantium and Venice A Study in Diplomatic and Cultural Relation*,Cambridge, 1988, p. 258; Ostrogorsky, "The Palaeologi ", p. 357; Idem, *History of the Byzantine State*, pp. 358-360; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*,Tom. 1, pp. 175-176,179-181; Lavallee, *Histoire de L' Empire Ottoman*, p. 137; Levtchnko, *Byzance*, Paris, 1949, p. 278-280; Wittek, P., *The Rise of Ottoman Empire*, London,1938, p. 43.

راجع أيضا: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٣؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص٩٦-٩٨؛ أسد رستم، الروم، جـ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ ناهد عمر صالح،الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس،٣١٢.

(1) *Acta Clementis VI (1342-1352)*, vol. IX. ,ed by .Tautu .A,Vaticano,1960,no. 25;

Clement VI.(7. May1342- 6.Dec.1352.), ed. by. Gieseler, *A Compendium of Ecclesiastical History*, S.100, pp. 53-63; *Text-Book of Ecclesiastical History*, pp. 34-38. cf. also. Gill, J., *Byzantium and Papacy 1198-1400*, New Brunswick, new jersey,1979, p. 205.

راجع أيضا: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٥.

وبعد أن دخل حنا السادس كانتاكوزينوس القسطنطينية يوم الجمعة الثالث من فبراير عام ١٣٤٧م وعفا عن خصومه،وجد المبعوث البابوي بارثولوم في القصر الإمبراطوري، فأراد ألا يضيع تلك الفرصة من أجل تحسين صورته التي أصبحت ملوثة في العيون الغربية خاصة لدى البابوية بوصفه خارجاً عن الشرعية ومغتصباً للعرش البيزنطي وصديقاً وحليفاً للعثمانيين، خاصة بعد أن زوج ابنته ثيودورا من السلطان العثماني أورخان في الحادي عشر من مايو ١٣٤٦م، فطلب من المبعوث البابوي بارثولوم أن يحسن تلك الصورة المغلوطة عنه لدى البابا، وأن يعمل من أجل إتمام الاتحاد بين كنيستي بيزنطة وروما [٢].

وعلى أية حال أرسل حنا كانتاكوزينوس المبعوث البابوي بارثولوم وبرفقته جورج سبانوبولوس George Spanopoulus، نيكولاس سيجيروس Nicholas Sigerus والفرنسي فرنسيس من بيرتوكسو "Francis of Pertuxo" على رأس بعثة إلى البابا كليمنت السادس و قبل شروعهم في الرحيل اجتمع حنا كانتاكوزينوس بهم – السفراء الأربعة – في اجتماع مغلق حدد لهم فيه مهمتهم وهدفهم ألا وهو إخضاع إمبراطوريته لسلطة البابا الرسمية وأن يسعوا لعقد مجمع كنسي في القسطنطينية، أو نيجروبونت أو رودس لتسوية عملية الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية تحت رئاسة البابا، وأن يشرحوا ويوضحوا للبابا الظروف والحاجة الملحة التي أجبرته على أن يقبل التحالف مع البرابرة الكفار – العثمانيين– وأن تحصل بيزنطة على معونة مالية وعسكرية، وأن يتم تشكيل حلف مسيحي للقيام بحملة صليبية بمباركة البابوية وتشارك فيها الإمبراطورية البيزنطية بجنودها والتي قد تصل إلى ما بين خمسة

(٢) Cantacuzenus, *Historiaru*, vol. III , pp. 53-54.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 205.

راجع أيضا: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٥.

انظر رسائل من بياستور بارثولوميو Baistor Bartholomew إلى البابا Pope (كليمنت السادس) وداوفين همبرت Dauphin Humbert (ولي العهد) في فيينا. انظر:

Cantacuzenus , *Historiarum*, vol. III , pp.12-20; Eng. Trans., pp. 46-54,152-158.

عشر وعشرين ألف مقاتل وذلك في حالة كونها حملة صليبية كبيرة، أما في حالة كونها حملة صليبيةٍ صغيرة فسوف تشارك بيزنطة بأربعة آلاف جندي فقط، وأن يبعث البابا مندوب له للعاصمة القسطنطينية على وجه السرعة لاستكمال عملية الاتحاد، وأن تتحمل البابوية تكاليف استدعاء البطاركة الشرقيين ومندوبيهم، وأن تحصل بيزنطة أيضا على مساعدة لحماية حدودها من أي اعتداء خارجي، وأن يتدخل البابا للضغط على الملك الصربي من أجل إعادة المقاطعات التي احتلها من الأراضي البيزنطية، ثم غادرت السفارة البلاط البيزنطي ومعهم مترجم لاتيني في الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٣٤٧م متجهة صوب أفينون (١).

عبر حنا كانتاكوزينوس عن ذلك قائلا " يجب قيام حملة موجهة تحت قيادة البابا بنفسه وقادة إيطاليا وقطاعات أخرى من الغرب ضد أولئك البرابرة – العثمانيين – أعداء الصليب ولابد من الشروع فيها الآن، لأنه من دواعي سروري تدمير البرابرة في حكمي وإنني سوف أتعاون لأقصى درجة ليس فقط بتوفير المرور الآمن للجيش عبر أراضي الإمبراطورية إلى آسيا، وإنما سوف أكون مشاركا ضمن صفوف هذا الجيش " (١).

والجدير بالذكر أنه في شهر سبتمبر ١٣٤٧م أرسل الإمبراطور البيزنطي حنا كانتاكوزينوس خطابا إلى كبير أمراء موسكو Moscow – عاصمة روسيا Russia – والذي يدعى سيمون Symeon يذكره بتبعية كنيسته لكنيسة البطريركية بالقسطنطينية، وأنه عزل البطريرك حنا كاليكاس John Kalekas وعين مكانه البطريرك إيذيدور Isidore، وأنه – سيمون–

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III , pp. 53-57.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 205-206; Loenertz, R.," Ambassadeurs Grecs aupres du Pape Clement VI (1348)", *OCP*,19, (1953), pp. 178-196.
راجع أيضا: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ١٤٥ إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الثالث، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة محمد على أبو درة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٩٤.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3. pp. 54-55; Eng. Trans., pp. 189-190.

يجب أن يبقى على ولائه له وتبعيته لكنيسة العاصمة القسطنطينية الأرثوذكسية بوصفها الكنيسة الأم ذات العقيدة السليمة ويطلب مساعدته ضد الأتراك العثمانيين[٢].

ومما سبق يتضح أن حنا كانتاكوزينوس لم يكن لديه الرغبة الأكيدة في تغيير عقيدته الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية وأنه كان يهدف من وراء سفارته

---

(٢) *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus Constantinopolitani,(MM)*, I, pp. 261-271; D?lger, *Regesten(DR)*,Teil.5., nos. 2925-2929, pp. 16-17. cf. also. Obolensky, D., *The Byzantine Commonwealth*, London, 1974, p. 265;Nicol, *The Reluctant Emperor*, p. 104-105; Vasiliev, A., " Was Old Russia a Vassal State of Byzantium?", *SP*, vol.7, (1932), pp. 357-359.

- روسيا Russia، فهي مأخوذة من الاسم البيزنطي " Rosia, Rhôs " ولم تكن روسيا العصور الوسطى تسمى روس "Rus" كما يفهم اسمها الآن المعروف لنا، بينما يقصد به الشعب الروسي نفسه من اليونانية(Ῥῶς)، ومنها اشتق اسم روسيا اليوناني(ῥωσίας) كان يطلق اسم روس على الإسكندنافيين بوجه خاص وظهر هذا الاسم منذ عهد الإمبراطور ثيوفيل Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م)، وعرف الروس أيضا باسم Wen?a(Vénédes)، ولقد ذكرتهم المصادر العربية الرحالة والجغرافيين العرب المعاصرين أمثال ابن روسته المتوفى عام ٢٩٩هـ/ ٩١١م، ابن خرداذبه المتوفى عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، ابن فضلان الرحالة المشهور الذي وصف ضمن رحلته إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة فيما بين سنتي ٣٠٩-٣١٠هـ / ٩٢١-٩٢٢م، وياقوت الحموي باسم الروسية والروس. لمزيد من التفاصيل. انظر: ابن روسته(ت ٢٩٩هـ/ ٩١١م) أبو علي احمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م، المجلد السابع، ص ١٣٥؛ ابن خرداذبه(ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص١٥٤؛ ابن فضلان أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة بن فضلان، في وصف الرحلة إلى بلاد الترك و الخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، تحقيق وتعليق سامي الدهان، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص ١٤٥-١٦٦؛ ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، بيروت دار صادر، د.ت، المجلد الثالث، ص ٧٩. راجع أيضا: علية عبد السميع الجنزوري، العلاقات البيزنطية الروسية، في عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧- ١٠٥٦م، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٩ وما بعدها؛ طارق منصور محمد، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢ وما بعدها.راجع أيضا:

Kadlec,C.,"The Empire and its Northern Neighbours", *CMH*, vol. IV,(1923), p. 201.

مجرد تحسين صورته أمام البابوية والمجتمع الغربي بشكل عام، لكـي يعطـي شرعية لحكمه.

ومهما يكن من أمرٍ ففي مارس عـام ١٣٤٨م وطئـت أقـدام الوفـد الدبلوماسي البيزنطي أراضي شاطئ الرون لمقابلة البابا فـي أفينـون، حيـث أكرمهم البابا وأحسن استقبالهم وتفهم الوضع الذي جعل حنا كانتاكوزينوس يضع يده في يد العثمانيين، واعترف ببراءته، والتمس له العذر في المصـائب التـي حلت به، وأشاد بشجاعته ومروءته، ثم أعلن أنه على دراية كافية بمـا يحـدث بالإمبراطورية البيزنطية من خلال مصادره الخاصة – كان قد حصل على تلك المعلومات من سيدة من سافواي كانت من بين وصيفات الإمبراطورة آنا والتي تدعى إيزابيلا Isabella – وعاد المبعوثون البيزنطيون إلى وطنهم فـي عـام ١٣٤٩م ، وبـرفقتهم اثنـان مـن الأسـاقفة اللاتينيـين وهمـا ويليـام إيميرجافي William Emergavi أسقف كيساموس Kisamos فـي كريـت Crete وهيـو دي سـبيرت Hugo de Spert (جاسـبيرتو دي أورجوجليـو Gasberto de Orgoglio) أسقف كينيتا Ceneta في شمال إيطاليـا؛ حيـث أبلغا حنا كانتاكوزينوس عظيم شكر وامتنان البابا و بتعهده بأنه سـوف يرسـل مبعوثيه على وجه السرعة من أجل إتمام عملية الاتحاد، ودارت بيـنهم – بـين حنا كانتاكوزينوس والرسولين – مناقشات ملئت بالمديح والوعود المتبادلة التـي ابتهج لها الطرفان وقد عبر حنا كانتاكوزينوس قائلا " إني مسـرور بمشـروع حربنا المقدسة التي ستمنحني مجداً شخصياً، كما ستأتي بالنفع الكثير على العالم المسيحي وستقدم مملكتي ممراً حراً لجيوش فرنسا، وسأوقف جنـودي وسـفني وكنوزي على خدمة الهدف المشترك – الحملة الصليبية – وكم أكـون سـعيدا محظوظا لو أصبحت جديراً بتاج الشهداء وحظيت به، وأن الألفـاظ لا تكفينـي للتعبير عن الحماس الذي يتملكني لجمع أشلاء المسيح المبعثرة. وإن كان موتي يحقق ذلك، فإني أقدم بكل سرور سيفي وعنقي، وإن كان الطائر الروحاني يمكن أن يخرج من رماد جثتي، فإني أجمع الكتل الخشبية وأوقد النيران بيـدي " ثـم أضاف قائلا " إن الأوضاع الراهنة لن تسمح لي بالاجتماع بالبابا سواء في روما أو في القسطنطينية، ولكن من الممكن اختيار إحدى المدن الساحلية على حـدود

الإمبراطورتين، لجمع الأساقفة وتوجيه المؤمنين في الشرق والغرب "، ولقد أظهر الرسولان موافقتهما على هذا الاقتراح [1].

وفي نفس العام أرسل حنا كانتاكوزينوس إلى البابا عدة رسائل من أجل الإسراع بإرسال بعثه إليه لاستكمال عملية الاتحاد، وطلب منه الإسراع أيضا تشكيل حلف صليبي ضد الأتراك العثمانيين ولكن كان هناك عدة عقبات منعت تشكيل هذا الحلف الصليبي؛ منها الانقسامات الواقعة بين الملوك المسيحيين والتي كان من أبرزها الحرب الدائرة بين انجلترا وفرنسا، والتنافس التجاري بين جمهوريتي جنوا والبندقية والذي أدى بدوره إلى نشوب حرب بينهما، وكذلك اقتراح حنا كانتاكوزينوس الخاص بعقد مجمع كنسي في مدينة ساحلية متوسطة بين الشرق والغرب وهذا أمر منافٍ لقرارات مجمع ليون المنعقد سنة ١٢٧٤م، فضلا عن تحالفه مع العثمانيين[1].

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III , pp.55-62;D?lger, *Regesten* ,Teil.5., nos. 2937,2942,2943; *The History of John* Cantacuzenus*(Book IV)*, pp. 188-192. cf. also.Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 206-207; Loenertz, "Ambassadeurs Grecs aupres du Pape Clement VI (1348)", pp. 178-196.

راجع أيضا: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٤٥ إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٣، ص ١٩٤-١٩٥.

- ومما تجدر الإشارة إليه أنه هناك رواية تشير إلى أن وصول المبعوثين اللاتين إلى العاصمة القسطنطينية كان في الثالث عشر من فبراير عام ١٣٥٠م وكان معهم عدة خطابات رسمية من البابا إلى كل من كالوجياني أسين Kalogianni Asen صهر حنا كانتاكوزينوس والقائد العام للعاصمة القسطنطينية، وبطريرك اليونانيين وحنا كانتاكوزينوس نفسه وأهم ما ورد في بنودها العامة هو حمل وتشجيع عامة الشعب على التعاون والعمل الدؤوب من أجل الاتحاد. انظر:

Acta Clementis VI (1342-1352), vol. IX,nos.161-164.cf .also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 207,300.note.(18).

(١) D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos. 2937,2942,2943. cf. also.Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 206-207.

وعن تفاصيل مجمع ليون ١٢٧٤م انظر: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٣٥-٤٢.

وعلى أية حال قد مر عامان ولم ينفذ البابا كليمنت السادس وعده بشأن إرسال ممثلا عنه إلى العاصمة القسطنطينية لاستكمال عملية الاتحاد، ثم توفي في السادس من ديسمبر عام ١٣٥٢م دون أن يحقق عملية الاتحاد[٢].

لقد خلف البابا إينوسنت السادس Innocent VI (١٣٥٢-١٣٦٢م) البابا كليمنت السادس على الكرسي البابوي الذي استقبل السفارة الثانية لحنا كانتاكوزينوس في الخامس عشر من مارس عام ١٣٥٣م[٣] والتي استمرت بالمقر البابوي إلى أول أبريل عام ١٣٥٣م فأحسن البابا وفادتهم واقتنع بشكل كبير وحماسي بمطلب حنا كانتاكوزينوس الخاص بتشكيل حلف صليبي للقيام بحملة ضد الأتراك العثمانيين لوقف توغلهم في الأراضي البيزنطية الأوروبية، وأعلن تعاطفه مع حنا كانتاكوزينوس، ولذلك قام البابا بعمل اتصالات موسعة مع ملك قبرص وحاكم جنوا وقائد الإسبتارية Hospitallers [٤] لتشكيل حلف مسيحي لمساعدة حنا كانتاكوزينوس ضد العثمانيين، ولكن نتيجة لمعارضة وإحجام جنوا عن الدخول في هذا الحلف الصليبي ضد الأتراك العثمانيين في ذلك الوقت، أجهضت محاولات البابا في تشكيل هذا الحلف الصليبي، وبالتالي فشل مشروع القيام بحملة صليبية ضد العثمانيين في ذلك الوقت[١].

---

(٢) *Acta Clementis VI (1342-1352)*, vol. IX,nos.161-164.cf .also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*,pp.207,300.note.(18).

(٣) *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X,nos.8-9; *Innocent VI. (18.Dec.1352 -12. Sept. 1362.)*, ed. by. Gieseler, J ., *A Compendium of Ecclesiastical History*, vol. IV, London, MDCCCLIII, S.101, pp. 64-65; *Text-Book of Ecclesiastical History*, p. 39.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 207,300. note. 21.

(٤) الإسبتارية، ظهروا في القرن الحادي عشر الميلادي وهم جماعة من الفرسان عملوا بالتجارة وخدمة الحجاج المسيحيين وحمايتهم. لمزيد من التفاصيل انظر: حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، القاهرة، ١٣٤٧م، ص ٩٥-٩٧؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣٣٥، هامش (٢٦).

(١) *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X,no.10.cf .also. Gill, *Byzantium and Papacy*

وفي السابع والعشرين من أكتوبر عام ١٣٥٣م أرسل الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس خطابا مع الأسقف اللاتيني حنا John إلى البابا إينوسنت السادس؛ يطلب فيه الإسراع من أجل إتمام عملية الاتحاد، إلا أن بيزنطة انغمست في أوحال حرب أهلية جديدة بين حنا كانتاكوزينوس وحنا باليولوجوس انتهت بتولي الأخير العرش البيزنطي منفردا بمساعدة المغامر الجنوي فرانسيسكو جاتيلوسيو Francesco Gattilusio، ودخول حنا كانتاكوزينوس الدير في العاشر من ديسمبر عام ١٣٥٤م[٢].

ولقد حدث نوع من الغضب و الاستهجان الغربي بوجه عام ومن البابوية خاصة تجاه عبور العثمانيين للدردانيل واحتلالهم مدينة غاليبولي

1198-1400,pp.207,300,note.21; Mollat, G.," The Popes of Avignon and Great Schism",*CMH*,vol. VII, pp. 270-301.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص٣٢-٣٣؛ كات فليت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، ترجمة أيمن الأرمنازي، الرياض، ٢٠٠٤م، ص ٢٩.

(٢) ولمزيد من التفاصيل عن كيفية دخول حنا الخامس و توليه العرش عام ١٣٥٤م. انظر: *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X,no.21; Cantacuzenus, *Historiarum* , vol. 3, p.284; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp.241-242; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,pp.77-78; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora* , vol.2, p.284-285; The *Short Chronicle of Lesbos 1355-1428*,ed. by. Dennis, G., Mytiahnh, 1965, pp. 8-9.cf . also. Nicol,*Byzantium and Venice*, p.279-280; Idem, "The Byzantine Family of Kantakouzenos: Some Addenda and Corrigenda", *DOP*, vol. 27. (1973), pp. 309-315; Failler, A.,"Nouvelle Note sur la Chronologie du Régne de Jean VI Cantacuzene", *REB*, vol. XXIX,(1971), pp. 293-302 pp.119-124; Jorga, N. ,"Latins et Grecs de Orient et l'etablissement des Turcs en Europe,1342-1362", *BZ*, vol. XV, (1906), pp.179-222; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 207, 300, note.22.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٧٤؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص٣١٢.

Gallipoli [٣] عام ١٣٥٤م [٤]، والتي حدثت في حقيقة الأمر بناءً على دعـوة سابقة من الإمبراطور البيزنطي حنا السادس كانتاكوزينوس لهم لمساعدته لتولي العرش البيزنطي [١].

---

[٣] غاليبوليGallipoli، تقع على الساحل الأوربي لبحر مرمره شمالا وتنحصر بين بحر الأرخبيل ومضيق الدردانيل وبحر مرمره، وكانت تعرف قديما باسم كاليبولي Kallipolis. انظر:

ODB,vol.2, pp. 1094-1095; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom.1, p. 197.

راجع أيضا: سرهنك :حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٦٤؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٢٠.

[٤] Cantacuzenus , *Historiarum* , vol. III , pp. 276-279; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 220-223; Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p.78; Chalcocondles, *Historiarum*, p.29; Eng.Trans., p. 121; Clavijo, *Embassy to Tamerlane,1403-1406*, London, 1928, p. 58. cf. also. Brehier, L., *The Life and Death of Byzantium*, Translated by Margaret Vaughan, New York, Oxford,1977, p. 313; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*,pp.202,205; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", in Setton , *A History of Crusades*, vol. VI, Wisconsin,1989, p. 234; Janin, "La Thrace Byzantine", *EO*, vol. XX, (1921), pp. 57-58; Jorga, " Latins et Grecs d' Orient et l' etablissement des Turcs en Europe ", p.213; Kianka, F., "Byzantine-Papal Diplomacy: The Role of Demetrius Cydones", *IHR*, vol. 7, May, (1985), p. 175; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 241-242

راجع أيضا: إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٠؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان وأورخان "، ص٣٠؛ أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٤٢؛ إميليو سولا، البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر، ترجمة إسحاق عبيد، ضمن كتاب: ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام و سقوط إمبراطوريات ، أشبيلية، سبتمبر،م، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص ٥٣.

[١] Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 584-589; Chalcocondles, *Historiarum*, p.24; Eng.Trans,p. 113; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, pp. 762-763.cf. also; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 204-205; Idem, *The End of Byzantium Empire*,p. 39; Idem, *The Reluctant Emperor*, p. 77; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p.

وعلى أية حال يعد الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس أكثر الأباطرة البيزنطيين تحمسا لعملية الاتحاد والإيمان به، بل وامتثال لأوامره؛ لأنه تربى في أحضان أمه الإمبراطورة آنا السافوايية اللاتينية الأصل التي شكلت وجدانه وعقله للإيمان بالعقيدة الكاثوليكية خاصة بعد وفاة زوجها الإمبراطور أندرونيكوس الثالث الذي قد أجبرها على تغيير اسمها ولباسها وشعائر وطقوس عبادتها ولكنه لم يستطع أن ينزع من قلبها حبها وولائها لعقيدتها ووطنها التي شكلت بهما طفولة وكيان ابنها[٢].

وفي السنة الأولى من تولي حنا الخامس سدة الحكم وجد الخطر محدقاً بالإمبراطورية البيزنطية من كل مكان؛ خاصة من ناحية متى كانتاكوزينوس الذي يحمل السلاح في أدرنة (أدريانوبل Adrianople) [٣]، والعثمانيين الذين عبروا الدردانيل ليستقروا في مدينة غاليبولي، ولم يكن لديه القدرة المادية ولا العسكرية للتصدي لهم، لذلك رأى أنه من الحكمة اللجوء للبابوية لمؤازرته في تلك المحن وذلك بناءا على مشورة أمه، وبالفعل أصدر مرسوما إمبراطورياً بتاريخ الخامس عشر من ديسمبر عام ١٣٥٥م عرف بوثيقة كريسوبول Chrysobull ووقع عليها بالحبر الأرجواني وختمت بالخاتم الذهبي، ووافق عليها توماس باليولوجوس Thomas Palaeologus عم الإمبراطور حنا

93; Grousset, *L'empire du Levant*, p. 607; Janin, "La Thrace Byzantine", p. 56; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, Cambridge, 2009, p. 27.

انظر أيضا: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٣؛ خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، بنغازي- ليبيا، ٢٠٠٢م، ص ١٩؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٢.

(٢) إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٣، ص ١٩٦.

(٣) ادرنة (ادريانوبل Adrianople) إحدى مدن تراقيا، تقع على منتصف نهر هيبروس Hebrosفي وسط الطريق الحربي الممتد من بلجراد وصوفيا والقسطنطينية. وتعد البوابة الرئيسية للقسطنطينية فيما يتراوح بين ٧٠ ميلا و ١٣٧ ميلا. انظر، القرماني، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، ص ٢٩٩.راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٥ ، هامش رقم (٦). انظر أيضا:

ODB,vol.1, p. 23; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 20; Lavallee, *Histoire L' Empire Ottoman*, p. 142.

الخامس وحاكم العاصمة، وأبناء ثيودور ميتوخيتس Theodore Metochites [1] وهم ألكسيوس Alexios حاكم تسالونيكا في ذلك الوقت ونقفوروس Nikephoros المستشار الأعظم Grand Logothete [2] لحنا الخامس وديميتريوس كيدونيس، لتكوين اتحاد كنسي وتنازل فيها عن حقوق الكنيسة والدولة للبابا إينوسنت السادس، وأهم ما تحتويه الوثيقة هو اعتراف حنا الخامس بتبعيته وولائه للبابا، تخصيص قصر وكنيسة لممثلي البابا في العاصمة، جعل ابنه مانويل Manuel [3] رهينة لدى البابا، تغيير عقيدة شعبه خلال ستة أشهر،

---

(1) ثيودور ميتوخيتس، هو الأديب ورجل الدولة الذي عاش من سنة ١٢٧٠م حتى عام ١٣٣٢م، وهو ابن جورج ميتوخيتس، وقد تعلم في القسطنطينية، ودرس الفلك على يد مانويل برينيوس، وتولى أرقى المناصب حيث أصبح وزيراً للمالية من عام ١٢٩٥ إلى ١٢٩٦م، ثم المستشار والوزير الأول للإمبراطور أندرونيكوس الثاني(١٢٨٢-١٣٢٨م)، وكان قد خرج قبل ذلك بفترة طويلة في سفارة من قبل الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني إلى قبرص، ثم إلى الصرب، وكذلك كلف فيما بين عامي ١٣١٦م و ١٣٢١م بترميم دير" المخلص" " خورا" بالقسطنطينية، ولما اعتلى أندرونيكوس الثالث (١٣٢٨-١٣٤١م) العرش عام ١٣٢٨م نفى ثيودور ميتوخيتس وصادر أملاكه، ولكن سرعان ما أذن له بالعودة حيث تدهورت صحته بشكل سريع ومات راهبا في دير " خورا" عام ١٣٣٢م. انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٢١٧-٢١٨؛ إبراهيم مصباح، السياسية الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣١؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣٣٤. انظر أيضا :
Verpeaux, J., "Le Cursus Honorumed Theodor Metochites", *REB*, vol. XVII, 1959 p. 196; *ODB*, vol. 2, pp. 1357-1358.

(2) كان هناك في الإمبراطورية البيزنطية أكثر من لوجوثيت Logothete وكل منهما له وظيفته الخاصة، مثل لوجوثيت إدارة الشئون المالية لولاية القسطنطينية Logothetes tou Praitoriou، لوجوثيت إدارة الخزانة العسكرية Logothetes tou Stratiotiko، اللوجوثيت المشرف على مراعي الخيول المملوكة للتاج Logothetes tou agelon، اللوجوثيت العظيم يتولى الإشراف على الحكومة المركزية والتنسيق بين إدارتها المختلفة (Logothetes Sekreton)Megas Logothetes)، لوجوثيت إدارة البريد الحكومي Logothetes tou dromou. لمزيد من التفاصيل. انظر: وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب الثالث السنوي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٩٤-٣٣٩.

(3) مانويل Manuel باليولوجوس، ولد في القسطنطينية في السابع والعشرون من يوليو ١٣٥٠م، وهو الابن الثالث للإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس، وأصبح حاكما على تسالونيكا منذ صيف عام ١٣٦٩م،وتوج كإمبراطور مشارك في عام ١٣٧٣م، وخلف والده على العرش في فبراير ١٣٩١م، وقد تزوج من هيلينا ابنة قسطنطين دراجاس Dragasفي سنة ١٣٩٢م، ولقد حاصر السلطان العثماني بايزيد(١٣٨٩- ١٤٠٢م)

تعليم ابنه ووريثه أندرونيكوس تعليما لاتينيا، إقامة ثلاث مدارس لاتينية لتعليم أبناء الأرستقراطية البيزنطية، طلب منه ثلاث سفن تحت قيادته الشخصية وخمس عشرة سفينة كبيرة وخمس سفن أخرى أصغر حجما وألف وخمسمائة من المشاة والفرسان، وأن يختار له البابا خمسة أشخاص لتحويل الكنيسة والشعب البيزنطي للعقيدة الكاثوليكية، وفي حالة عدم التزام حنا الخامس بذلك ولم يرسل ابنه يدفع غرامة قدرها أربعة آلاف فلورين عن كل سفينة واحدة، وتصبح ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية في غلاطية (بيرا)، ورودس، وقبرص، وخيوس ملكا للبابا كتعويض له[1].

ويعلق جيل Gill على هذه الوثيقة قائلا " أن هذا المرسوم كريسوبول عبارة عن وثيقة خيالية وواقعية في نفس الوقت؛ فخيالية لأنها تقضي بأن يتحول البيزنطيون إلى العقيدة الكاثوليكية في غضون ستة أشهر وأن يقبلوا بسهولة

القسطنطينية في عام ١٣٩٤م، فدافع مانويل عنها دفاعا مجيدا، ثم سافر للغرب سنة ١٣٩٩م في طلب المعونة، ولقد توفي مانويل في القسطنطينية في واحد وعشرين من عام ١٤٢٥م. لمزيد من التفاصيل. انظر :

ODB,vol.2, pp. 1291-1292; Barker, J ., *Manuel II Palaeologus (1391-1425): A Study in Late Byzantine Statesmanship*, New Jersey , 1969 , pp. 1- 83; Dennis, G., "The Reign of Manuel II Palaeologus in Thessalonica,1383-1387", *OCA*, 159, (1960), pp. 11-25; Loenertz, R.J.," Une Erreur Singuliere de Laonic Chalcocandyle: Le Pretendu Second Mariage de Jean V Paleologue ", *REB*, 15, (1957), pp. 182-183.

راجع أيضا: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٤٧-١٤٨ .

(١) *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X, no.84; D?lger , *Regesten*,Teil.5., no.3052, pp. 42-43; Raynoldus, 1356, 33.cf. also.Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*,pp.208-209; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 258-259; Meyendorff, J., " Projets de Concile Oecuménique en 1367: Un dialogue inédit entre Jean Cantacuzène et le légat Paul " *DOP*, vol. 14. ,(1960), pp. 152-153; Setton, *Papacy and Levant (1204-1571)*, pp. 225-228.

راجع أيضا: إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٣، ص ١٩٦؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣١٣-٣١٤، ٣١٦؛ دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص٤٣.

ويسر توزيع المناصب الكنسية عليهم من قبل المندوب البابوي، وواقعية لأنها لم تبدأ بالمطالبة بحملة صليبية عالمية بل اكتفت بطلب بثلاث سفن فقط وهي قـوة صغيرة ليست كافية لردع العدو، بل كافية لتظهر للبيزنطيين أن الكنيسة اللاتينية على استعداد لتلبية احتياجاتهم ومساعدتهم" (٢).

ومن الواضح أن حنا الخامس لم يكن مدركا لحقيقة تغيير شعب بأسـره من المذهب الأرثوذكسي المتغلغل في نفوسهم إلى عقيدة جديدة في خلال سـتة أشهر؛ وخاصة وأن هناك الكثير من المعارضـين البيـزنطيين علـى رأسـهم بطريرك العاصمة كاليستوس Kallistus والذي يعبر عن غالبية سـاحقة فـي المجتمع البيزنطي الذين أعلنوا تمردهم وعصيانهم ضد الإمبراطور حنا الخامس وقراره الخاص بتغيير العقيدة الذي اتخذه بنوع من الحمـاس دون أن يحسـب عواقب الأمور ودون أن يمهد له بطريقة محسوبة ومتأنية (١).

---

(٢) Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 209.

(١) Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome. Vingt ans de travail pour l'union des églises et pour la defense de l'empire d'orient ,1355-1375*, Warsaw,1930, p. 50-52; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 260.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص٣١٤.

– كاليستوس Kallistos الأول، تولى بطريركية العاصمة القسطنطينية مرتين، الأولى من عام ١٣٥٠-١٣٥٣م، والثانية من عام ١٣٥٥-١٣٦٣م، عاش على جبل أثوس، وتتلمذ على يد جريجوري السينائي، وكان أحد أصدقاء جريجوري بالاماس وعينه حنا السادس كانتاكوزينوس عام ١٣٥٠م، ولكن نتيجة لرفضه تتويج متى كانتاكوزينوس عام ١٣٥٣م عزله كانتاكوزينوس من منصبه وعين مكانه فيليثيوس Philotheos على بطريركية القسطنطينية، ولكن عندما رجع حنا الخامس لعرشه المغتصب أعاد كاليستوس إلى منصبه في عام ١٣٥٥م وذلك على الرغم من أنه كان من أشد المعارضين لعملية الاتحاد، وظل في منصبه إلى أن وافته المنية عام ١٣٦٤م أثناء رحلته إلى الصرب. انظر:
Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III , pp. 360-363; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp.291-292. cf. also. Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 191-205; Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, pp. 473.

ربما يكون الإمبراطور حنا الخامس قد تسرع في اتخاذ قرار الاتحــاد، وتحويل شعبه من المذهب الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي عن طريق إنشاء المدارس اللاتينية الثلاث لنشر المذهب الكاثوليكي؛ لكنه كان يعلم كل العلم وعلي يقين من أن البابوية لن تحرك ساكنا ما لم يعلن خضوعه لها، ويحول مذهبه هو وشعبه إلى الكاثوليكية، لأن البابوية وضعت هذا الشرط لتقديم أي مساعدة، فــي الوقت الذي كانت فيه خزانة الإمبراطورية خاوية بل رُهنــت جــواهر التــاج البيزنطي للبندقية والتي أغــرقتهم فــي ديونهــا، فضــلا عــن أن أســطول الإمبراطورية البيزنطية واهن وجيشها ضعيف غير قادر على الدفاع عن نفسه، ولا يستطيع رد أي اعتداء على القسطنطينية نفسها، وكان الخطر العثماني محدقاً بالإمبراطورية و لذلك كان عليه إعلان ولائه للبابوية من أجل أن تقــوم بــدفع الغرب لتقديم المساعدة له ضد الأتراك العثمانيين(٢).

ولقد تلقى البابا إينوسنت السادس هذا المرسوم بفرحة عارمة في صــيف عام ١٣٥٦م عندما وصل إليه في الفترة ما بين الثاني عشر والتاسع عشر مــن يونيو ١٣٥٦م مبعوثي حنا الخامس تحت رئاسة الإيطالي بولس Paulus رئيس الأساقفة اللاتيني لمدينة سميرنا Smyrna (أزمير)؛ لما كان يتمتع به من دراية كاملة بأمور الشرق؛ لأنه عاش في سميرنا أكثر من عشرة سنوات وكان علــى علاقة صداقة بكلا الإمبراطورين حنا الخامس وحنا السادس، فضلا عن أنه كان يتحدث اللاتينية واليونانية بطلاقة وبرفقته المبعوث الرسمي للإمبراطورية الذي يدعى نيكولاس سيجيروس Nicholas Sigerus والذي قد عمل مبعوثا أيضــا لدى حنا كانتاكوزينوس وذهب إلى أفينون عدة مرات للبابا كليمنــت الســادس، حيث قرأ البابا الوثيقة وأثنى عليها ولكنه سجل اعتراضه على أحد بنودها وهــو

ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣٣٤؛ دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص٤٣.

(٢) Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 210.

ذهاب مانويل إليه كرهينة، ثم أعلن للحضور وممثلي السفارة البيزنطية تعاطفه مع الإمبراطور البيزنطي، وأنه سوف يقوم بتقديم المساعدة له ضد الأتراك العثمانيين الغاشمين بشحن الغرب ضدهم، وبالفعل دعا البابا إينوسنت إلى تكوين حلف مسيحي ضد العثمانيين، فأرسل إلى ملك قبرص هيو الرابع لوسينيان(لوزيجنان) Hugues de Lusiynan (١٣٢٤-١٣٥٩م)، ورودس،و دوق البندقية حنا جرادونيكو Jean Grdonico، والإسبتارية، وجنوا، ولويس ملك المجر -الداعم والشريك الرئيسي للبابوية في مخططتها- عدة رسائل والتي تشابهت في مضمونها جميعا فيما عدا الاسم المرسل إليه فقط، فنشير إلى مقتطفات من إحداهم والذي عبر فيها البابا قائلا " إلى عزيزنا وابننا في المسيح هيو الرابع ملك قبرص المعظم سلاما...، نظن أيها الابن الحبيب أنه بلغك الخبر الذي مفاده أن جلالة الملك حنا باليولوجوس إمبراطور الروم المعظم، قد استنار بضياء النور الساطع على كل إنسان يأتي إلي هذا العالم، فتخلى عن ظلمة ضلالته السالفة برمتها، واعترف على يد مبعوثيه بالإيمان الكاثوليكي.........، مما سبب لنا فرحا و ابتهاجا عظيمين.......، رأينا أن الملوك الكاثوليك وغيرهم من المؤمنين أن يساعدوه ويحموه هو وإمبراطوريته من هجمات الكفرة الأتراك - العثمانيين- واعتداءاتهم. لذلك نطلب من جلالتكم ونرجو من الرب ونسألكم ضارعين أن تبذلوا وتقدموا للإمبراطور المذكور كل ما تستطيعونه من مساعدة وتأييد إجلالا للرب وإكراما للاسم المسيحي.........، على غطرسة الكفرة المذكورين، فيستريح الإمبراطور والشعب التابع له نهائيا من ضغوطهم وتصدياتهم"[١].

---

[١] *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X,no.84a; *The life of saint Peter Thomas by Philippe de Mézières*, pp. 294-296; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3052, pp. 42-43; Lettres du Saint-Siege sur la defense de la ville de Smyrne, confiee aux galeres de l' Ordre de l'Hopilal, du roi de Chypre et de la republique de Venise,1353-1356 D' Avignon, in *Venise. Arch. Gener. Commemoriali.* IV ,fol.180, et V, fols.12 v, 58.ed. partly. by. In. Mas.Latrie, *L'lle de Chypre: Sa Situation Presente ses Souvenirs du*

ومما سبق يتضح أن البابا إينوسنت السادس أقدم على مساعدة الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس شريطة اعتناقه للكاثوليكية من خلال الحلف المسيحي للتصدي للتوغل العثماني في الأراضي البيزنطية الأوروبية، وفي الواقع أن الدافع الرئيسي وراء طلب تقديم تلك المساعدة من ملوك الغرب الكاثوليك يرجع لشعورهم بخطورة التقدم العثماني في أوروبا وليس كما يدعو إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية، فلماذا لم يتحركوا للقيام بحملات صليبية؟ إلا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ضد العثمانيين، كرد فعل لعبور العثمانيين للدردانيل واحتلال غاليبولي عام ١٣٥٤م واتخاذها قاعدة عسكرية لهم في أوروبا.

وعلى أية حال اختار البابا إينوسنت اثنين من ممثليه للذهاب إلى العاصمة القسطنطينية في يوليو عام ١٣٥٦م وهما بطرس توماس Peter Thomas أسقف باتي Pati ووليام William أسقف سوزوبوليس

Moyen Ages, Paris,1870,vol.2,pp221-222; *Raynoldus,* 1356,33; *Registres du Vatican, Letter Secretes (235-241) et Diverses 244 d' Innocent VI,* 50; *Registres du Vatican, Letter Secretes V, d' Innocent VI* ,238 Fol.142-142 V. cf. also. Brehier, "Attempts at Reunion of the Greek and Latin Churches", p. 617; Halecki, *Un Empereur de Byzance a* Rome, p. 53-59; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400,* p. 210; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium,* pp. 259-260; Setton, *Papacy and Levant(1204-1571),* pp. 225-227.

راجع أيضا: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٦؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس،ص٣١٦، و ملحق رقم (١) فيلنيف ١٧يوليو ١٣٥٦م، ص ٣٢٦- ٣٢٧.

تشير رواية أخرى إلى وصول السفارة البيزنطية إلى بلاط أفينون في الحادي والعشرين من يوليو عام ١٣٥٦م انظر:

Acta Innocentii VI (1352-1362), vol .X,no.84a.cf .also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400,* p. 300.note.31.

مما تجدر الإشارة إليه أن البابا إينوسنت بادر إلى مفاوضة الأمراء المسيحيين في قبرص ورودس والبندقية، ولم يستطع أن يفاوض في ذلك فرنسا وانجلترا إذ كانتا حينئذ مشغولتين بحرب المائة عام بينهما. انظر: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٦.

Sozopolis (١) بتراقيا ولكنهما تأخرا حتى وصلا إلى القسطنطينية في شهر أبريل عام ١٣٥٧م بسبب انشغال بطرس توماس بتصفية الأجواء وعقد الصلح بين المجر والبندقية قبل وقوع الحرب الوشيكة بينهما بناءً على تعليمات من البابا، ثم سلم المندوبين الخطاب المرسل معهما من قبل البابا إلى حنا الخامس الذي كان مليئاً بالتفاؤل والتأييد للأخير(٢).

وفي السابع من شهر نوفمبر عام ١٣٥٧م أرسل الإمبراطور حنا الخامس خطابا إلى البابا إينوسنت يعلن له فيه اعتناقه للمذهب الكاثوليكي وتمسكه بمبادئ الكنيسة الرومانية واحترامه وإخلاصه لها مدى حياته وأنه أقسم على ذلك أمام المبعوث البابوي توماس، وأعلن للبابا أنه لن يستطع الحصول على تأييد شعبه إلا بوصول الأسطول البابوي أمام القسطنطينية لحمايتهم من الأتراك العثمانيين(١).

ومهما يكن من أمر فقد قامت البابوية بنشاط عظيم لدى ملوك الغرب الكاثوليك من أجل مساندة الإمبراطور البيزنطي، فخرجت أول حملة صليبية ضد العثمانيين بمباركة البابوية تحت قيادة بطرس توماس Peter Thomas

---

(١) سوزوبولس Sozopolis مدينة تقع على ساحل البحر الأسود، وكانت تعرف قديما باسم أبولونيا Appolonia وحديثا باسم سوزوبول Sozopol في بلغاريا وكانت مركزا تجاريا كبيرا بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية غزاها القائد البيزنطي ميخائيل جلاباس طارخانيوتس في عام ١٢٦٣م وكانت تابعه لمدينة بسيديا Pisidia القديمة. انظر: محمد فتحي الشاعر،السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان"، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤١، هامش رقم ٧١. راجع أيضا : إبراهيم مصباح، السياسية الخارجية للدولة البيزنطية، ص٣٥. راجع أيضا:
ODB, vol.3, p. 1912.

(٢) *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X,nos.84a,.91(18 August 1356),92,92a; *Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum*, S.II,p. 16.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 210; Meyendorff, " Projets de Concile Oecuménique en 1367 ", p. 153; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 260.

(١) *The life of saint Peter Thomas by Philippe de* Mézières, pp. 76-79; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 211.

واشترك فيها كل من الإسبتارية والبنادقة والجنويين وبعض الجنود الإنجليز على سفن بندقية؛ وكان الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس مشغولاً بقتال العثمانيين في ذلك الوقت؛ فانضموا إليه واحتلوا لامبسيكوس Lampsacus ميناء العبور العثماني على الجانب الآسيوي للدردانيل، ثم أحرقوه ولكن أثناء عودة الحملة لسفنها نصب لهم العثمانيون كميناً وهاجموهم، مما أحدث فوضى واضطراب عظيم في صفوف الحملة [٢] أدى بدوره إلى هزيمتهم أمام العثمانيين هزيمة ساحقة؛ وبالتالي تفكك الحلف الصليبي [٣].

وفي الحادي و الثلاثين من مارس عام ١٣٦٣م أعلن البابا أوربان الخامس Urban V (١٣٦٢-١٣٧٠م) عن قيام حملة صليبية تضم ملك فرنسا وملك قبرص والبندقية ولكن لم تتم تلك الحملة بسبب وصول ملك قبرص متأخراً إلى البندقة في أبريل عام ١٣٦٤م، وبعدها توفي ملك فرنسا حنا الثاني John II (١٣٥١-١٣٦٤م)، ولكن هذا لم يثن البابا أوربان عن هدفه؛ حيث أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس في الثامن عشر من أبريل عام

---

[٢] لمزيد من التفاصيل انظر:
Housley, N., *Documents on the Later Crusades*, London, 1996, pp. 83-85; Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum, S.II,pp. 17-18.cf. also. Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", pp. 237-238.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية،ص٣٣.

[٣] *Acta Innocentii VI (1352-1362)*, vol .X,nos.122-124; Housley, *Documents on the Later Crusades*,pp.83-85; *Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum*,S.II, pp. 17-18.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 211-212; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 198; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", pp. 237-238.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية،ص٣٣؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣١٧.

- كانت تلك المعركة في الحادي عشر من مايو عام ١٣٥٩م. انظر:
Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, note.(36), p. 301.

١٣٦٥م خطابا جاء فيه بأنه معجب بإخلاصه للكنيسة الرومانية، وأنـه سـوف يرسل إليه حملة صليبية أخرى لإجـلاء الأتـراك العثمـانيين عـن أراضـي الإمبراطورية البيزنطية، ولكن جاءت المفاجأة عندما جنح ملك قبرص بالحملـة الصليبية صوب الإسكندرية عام ١٣٦٥م بدلا من محاربة العثمانيين(١).

ونتيجة لما سبق قرر الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس القيام بزيـارة إلى المجر لطلب المساعدة من ملكها لويس الأول ضد العثمانيين ويرافقه ولديـه مانويل وميخائيل وترك ابنه أندرونيكوس يدير شئون البلاد أثناء غيابه؛ فـأبحر في منتصف شتاء عام ١٣٦٥-١٣٦٦م من البحر الأسود إلـى الـدانوب عبـر الحدود الشمالية البلغارية لأن الطريق الحربي القـديم أصـبح تحـت السـيادة

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

Acta Urbani V (1362-1370),vol. XI, ed by .Tautu .A, Vaticano,1964, no.74; Housley, Documents on the Later Crusades, ,pp.85-89; Mas. Latrie, L'Ile de Chypre: Sa Situation Presente ses Souvenirs du Moyen Ages, vol.2, pp. 273-337; *Scripta ab Oculatoteste Philippo Mazzerio,Concellaria Cypre*, in. *Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum* pp.12-19. Urban V.(28.Oct.1362-19.Dec.1370.), ed. by. Gieseler, J.,*A Compendium of Ecclesiastical History*, vol. IV, London, MDCCCLIII, S.101, pp. 66-68;*Text-Book of Ecclesiastical History*, p. 40;cf. also. Atiya ,*The Crusade In Later Middle Age*, pp. 319-378; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 211-212; Lebeau, Histoire *du Bas-Empire*, Tome, XX, p.414.

راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٣م، جـ ٢، ص ٩٨٨-٩٨٩؛ نفسه، قبرس والحروب الصليبية، ص ١٥٠-١٥٢؛ سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة حملة بطرس الأول لوسينان على الإسكندرية ٧٤٧هـ/ ١٣٦٥م؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥١؛ المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠-١٤٥٣م، ص ١٤٧-١٤٨؛ ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، القاهرة، ١٩٩٤م، جـ٣، ص٥٠٦-٥٠٩؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣١٧-٣١٨.

الجدير بالذكر أنه لما عاد توماس إلى أفينون سنة ١٣٦٣م لمقابلة البابا أوربان الخامس (١٣٦٢ -١٣٧٠م) وجد عنده ملك فرنسا وملك الدانمارك، فأثار فيهما النخوة والحماسة، وحرك الإفرنج كلهم، فقرروا تنظيم حرب صليبية جديدة لإنقاذ الإمبراطورية البيزنطية من أيدي العثمانيين. انظر: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٦.

العثمانية في ذلك الوقت باحتلالهم أدرنة وفيليببوليس، فوصل إلى المجر والتقى مع ملكها في عاصمته بودا Buda، ودارت مناقشات بينهما أسفرت عن موافقة لويس الأول ملك المجر الذي تميز وقومه بالطبيعة القاسية – وذلك على حد تعبير ديميتريوس كيدونيس الذي قد حضر اللقاء–على القيام بحملة صليبية لطرد العثمانيين من أوروبا ولكن بشرط أن تتحول كنيسة بيزنطة للكاثوليكية وذلك الشرط كان بإيعاز من البابوية، ولقد طلب منه لويس الأول أيضا أن يترك ابنه مانويل كرهينة لديه ليثبت حسن نواياه بتنفيذ هذا الشرط، ثم تنازل ملك المجر للإمبراطور البيزنطي عن فيدن Vidin التي قد احتلها من البلغار العام الماضي؛ ثم أخذ الإمبراطور طريق العودة إلى القسطنطينية ولكن أثناء عودته رفض الملك البلغاري حنا ألكساندر John Alexandar (١٣٣١–١٣٧١م) مروره عبر أراضيه و أسره[١].

وللمرة الأولى يدخل إمبراطور بيزنطي بلد أجنبي، ليس كقائد على رأس جيشه، بل متوسل يبحث عن المساعدة، ولكن طلبه قوبل بالرفض، إذ طلب منه ملك المجر أن يغير عقيدته إلى الكاثوليكية، وأن يعيد تعميد نفسه طبقاً للطقوس الكاثوليكية، ولم يحدث أيضا من قبل أن إمبراطور بيزنطي قد أهين كبرياؤه وعظمته من أجل التودد لملك أجنبي، إذ كان من المعتاد أن يأتي الملوك والأمراء إلى إمبراطور القسطنطينية؛ ومن هنا لم يحافظ حنا الخامس على هيبته

---

(١) Demetrios Kydones, in.MPG,vol.CLIV,Cols,1000,1004.cf.also.Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 263-265.

راجع أيضا: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٦؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٢–٥٣؛ المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠–١٤٥٣م، ص ١٤٧–١٤٨؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢–١٤٥١ " في تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الأول، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٥١.

– الجدير بالذكر أن عملية أسر الإمبراطور البيزنطي في بلغاريا جاءت نتيجة لتخطيط ومساعدة عثمانية بناءً على المعاهدة التي أبرمت بين الجانبين العثماني والبلغاري والتي تمخض عنها قيام السلطان مراد بتزويد الملك البلغاري حنا ألكساندر بالجنود الأتراك المرتزقة لمواجهة المجر على نهر الدانوب وبيزنطة على سواحل البحر الأسود خلال الفترة ١٣٦٥–١٣٦٧م. انظر:

Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", pp. 240-241.

وكرامته، ووضعت رحلته إلى المجر نهج سار عليه من جاء بعده من الأباطرة البيزنطيين. وعلى أية حال، لم يجن الإمبراطور البيزنطي من رحلته إلى المجر إلا التعب والمشقة، ولم تسفر عن شيء [٢].

وعلي الرغم من عدم وجود تسجيل تاريخي بشكل مفصل عن ما حدث في بودا المجرية؛ فإنه يمكن القول بأن الإمبراطور البيزنطي لهث وراء سراب تمثل في مساعدة الملك المجري لويس الأول الذي خيب أمله؛ بل وأخذ ابنه مانويل كرهينة، وكان هذا موقف ملك المجر من القضية العثمانية، أما الأمر الذي زاد الوضع تعقيدا وسوءاً فهو قيام الملك البلغاري وهو مسيحي بأسر حنا الخامس، فلذلك يجب علينا ألا نتعجب من سهولة استيلاء العثمانيين على أوربا الشرقية[٣].

ومهما يكن من أمر فهناك ثلاثة خطابات من البابوية للإمبراطور البيزنطي حنا الخامس مؤرخة بتاريخ أول يوليو عام ١٣٦٦م وكلها تتعلق بموضوع إتمام الاتحاد، وإشارة لقسم الإمبراطور البيزنطي للملك المجري و نشير لأهم العبارات التي جاءت بها " أنك وابنيك العظيمين مانويل وميخائيل سوف تقبلون وتعملون ......، لصالح الكنيسة اللاتينية ..... وتحققون كل شيء سوف نتفق عليه عليك وعلى ولديك "، وكذلك أوضح البابا لحنا الخامس انه ينبغي عليه وعلى رهبانه وشعبه أن يعترفوا بإيمانهم بالعقيدة الكاثوليكية والولاء لكنيستها الرومانية، وقد ختم البابا كلامه قائلا " لقد نظرنا بأعيننا الأبوية إلى تلك الطلبات الموقعة باسمك والمبعوثة من خلال جورج George (مانيخايتيس Manicaites)... وقد عزمنا مكافأتك ومكافأتهم".

وعلى أية حال استقبل البابا السفارة البيزنطية برئاسة جورج مانيخايتيس وإيتين دي نيترا Etienne de Nyitra البيزنطية بحفاوة بالغة وأعلن عن ضرورة قيام حملة صليبية ضد العثمانيين، ولذلك أرسل البابا

---

(٢) محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٣.

(٣) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 264; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 111-137.

مندوبيه إلى ملك المجر لويس الكبير للقيام بتلك الحملة الصليبية ضد الأتراك العثمانيين واستكمال عملية اتحاد الكنيستين[١].

وعلى أية حال في شهر أغسطس عام ١٣٦٦م وصلت حملة أماديو السادس السافواي، والتي قد باركها البابا أوربان الخامس Urban V (١٣٦٢-١٣٧٠م) لتطهير البلقان من العثمانيين، إلى مضيق الدردانيل واتجهت صوب مدينة غاليبولي، وفرضت عليها الحصاربفضل مساعدة زوج ابنة حنا الخامس فرانسيسكو جاتيلوسيو حاكم جزيرة ليسبوس الجنوي الذي جاء إليه على رأس قوة بيزنطية من سكان الجزيرة وأجبر العثمانيين بعد قتال دام يومين على الانسحاب من غاليبولي في الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٣٦٦م لتعود مرة ثانية لحوزة الإمبراطورية البيزنطية، وبدل أن يهبط أماديو إلى إقليم تراقيا ليستكمل تطهيرها من العثمانيين أبحر إلى القسطنطينية التي قد دخلها بصعوبة بالغة لولا تدخل رئيس وزرائها ديميتريوس كيدونيس الذي أقنع المعارضين في القسطنطينية بدخول جيش لاتيني إليها في الثاني من سبتمبر عام ١٣٦٦م؛ ثم تحرك منها لكي ينقذ حنا الخامس من أيدي البلغاريين ؛ ولذلك أغار أماديو على ميناء فارنا Varna البلغاري واحتل العديد من المدن البلغارية على البحر الأسود والتي كان من أهمها مدن ميسمبريا Mesembria وسوزوبوليس Sozopolis، التي قضى فيها فصل الشتاء، ثم عاد إلى القسطنطينية في أبريل عام ١٣٦٧م[١].

---

[١] *Acta Urbani V (1362-1370)*, vol. XI, nos.105,107-111. cf. also. Gill, *Byzantium* and *Papacy 1198-1400*, pp. 213-215.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣١٩-٣٢٠.

- ومما تجدر الإشارة إليه أن أوربان الخامس قد أرسل خطاب إلى الملك المجري لويس الكبير بتاريخ الثالث والعشرون من شهر يونيو عام ١٣٦٦م. انظر:

Acta Urbani V (1362-1370), vol. XI,no.112. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 302.note (45).

وخطاب آخر بنفس التاريخ إلى الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس انظر:

Acta Urbani V (1362-1370), vol. XI,no.113. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 302.note (45).

[١] لمزيد من التفاصيل انظر:

ومن ثم كان من أهم نتائج حملة أماديو السادس السافواي في عام ١٣٦٦م والتي باركتها البابوية هو استعادة مدينة غاليبولي من أيدي العثمانيين وفك أسر الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس باليولوجوس.

وفي أوائل عام ١٣٦٧م استؤنفت المحادثات البيزنطية البابوية بشأن الاتحاد من خلال المبعوث البابوي بولس والإمبراطور السابق حنا كانتاكوزينوس والذي أصبح اسمه جوزيف Joasaph بعد ترهبنه – لصداقته الحميمة مع الأول– وبطريرك القسطنطينية فيلوثيوس Philothius في مؤتمر في قصر البلاخرناي والذي خرج بضرورة عقد مجمع كنسي عالمي؛ يضم بطاركة الإسكندرية وبيت المقدس وأسقفية أوخريدا وبلغاريا، ولكن حنا الخامس لم يهتم بتلك التوصية واكتفى باعترافه برأي البابوية في الأمور الكنسية مقابل حصوله على دعم عسكري ضد الأتراك العثمانيين، واتفق مع أماديو السادس في الخامس والعشرين من مايو عام ١٣٦٧م بأنه سوف يحضر بنفسه أو يرسل ابنه أندرونيكوس بين يدي البابا، ثم رحل أماديو إلى ايطاليا في يونيو عام ١٣٦٧م ولذلك أرسل البابا أوربان عدة خطابات مؤرخة بالسادس من نوفمبر عام ١٣٦٧م إلى أبناء الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس – أندرونيكوس

Demetrios Kydones, *De Admittendo Latinorum Subsidio*, in. MPG, vol. CLIV, Col. 961; Loenertz, R., "Demetrius Cydones, I: De la Naissance a l'annee", *OCP*, vol. XXXVI, (1970), p. 64; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II. ,pp.295-297.cf. also. Atiya, *The Crusade In Later Middle Age*, pp. 379-397; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 265-266; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 79-88; Setton, K., *papacy and Levant(1204-1571)*, Philadelphia, 1976, pp. 284-326; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 28; Imber, *The Ottoman Empire,1300–1650*, p. 11.

الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٣٧؛ ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص ٥١٦؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٧؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٣–١٣٤؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٣–٥٤؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢–١٤٥١ "، ص ٥١؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٤.

ومانويل وميخائيل- من أجل تشجيعهم على إتمام عملية الاتحاد وفيهـا " إلـى السيد المبجل أندرونيكوس الابن البكر لحنا باليولوجوس المعظم إمبراطور الروم الجليل.......لتحقيق المصالحة والوحدة بين الكنيسـتين الروميـة والرومانيـة المقدسة بعون الرب،........ نوصيكم ونناشدكم أن تتابعوا مساعيكم المشكورة وجهودكم في هذا الشأن ....." وخطابا آخر إلى كبير الـوزراء ديميتريـوس كيدونيس ورجال الأمن بالقسطنطينية سترونجليوس وإيخانوس من أجل وحـدة الكنيسة وفيـه " إلـى المحتـرمين ديميتريـوس كيـدونيس وسـترونجليوس وإيخانوس....، كنتم على رأس جميع الروم، ناشدتم وسعيتم بأمانة في سـبيل وحدتكم مع الكنيسة الرومانية المقدسة......، نرجوا ورعكم ونناشدكم وننصحكم ببالغ التوسل ألا تكفوا عن السعي من أجل الرب ......" [١].

وعندما علم البابا أوربان الخامس بزيارة حنا الخامس المرتقبة لبلاطـه في أفينون من خلال سفارته البيزنطية المكونة من ثمانية أعضاء والتـي كـان على رأسها السفيران ديميتريـوس كيـدونيس وبـولس البطريـرك اللاتينـي للقسطنطينية والتي وصلت إليه في السادس والعشرين من أكتوبر عـام ١٣٦٨م واستقبلهم في فيتربو Viterbo وأرسل معهم خطاب لحنا الخامس في الثـاني

---

[١] لمزيد من التفاصيل انظر:

Acta Urbani V (1362-1370),vol. XI, nos.124-132, pp. 201-215; *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus Constantinopolitani,(MM)*, vol. I,n.234; Greek Text ,ed in. Meyendorff, " Projets de Concile Oecuménique en 1367 ", pp. 170-177; *Registres du Vatican ,Les Registres d' Urbain V*, 284, Fol. 124/ 124,249 Fols.2-2V, 176V; Urbain V demande aux autorites de Pera de Rendre a Jean V Paleologue Les Joyaux de Posee en gage de sa Conrersion, ed. Partly. in. Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 380-381. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp.216-218; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 266-268; Meyendorff, " Projets de Concile Oecuménique en 1367 ", pp. 156-157,159,161.

راجع أيضا: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣١٩-٣٢٠، والمحلق رقم (٢) ص ٣٢٨، والملحق رقم (٣) ص ٣٢٩

من سبتمبر عام ١٣٦٩م ليعلمه بأنه قد رتب مع رسله تفاصيل اللقاء المرتقب وأنه عين أحد كرادلته لهذه الزيارة و الذي سوف يظل معه حتى يلتقي به البابا، وكذلك كان هذا الخطاب بمثابة " الابن الأعز في المسيح" *Carissimo in Christo Filio* أي تحية لاعتناقه بمذهب الكنيسة الرومانية، والتي لم يحصل عليها إمبراطور قبله وفي هذا الخطاب " إلى الأخ الحبيب في المسيح إمبراطور الروم الجليل،...، لقد استقبلنا بالفرح والبهجة سفيري جلالتكم، أخانا الأكرم بولس بطريرك القسطنطينية والابن العزيز المحترم ديميتريوس كيدونيس.....الذين نقلا إلينا خبر قدومكم الوشيك الميمون، هذا القدوم الذي تشوقنا إليه......"[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن عملية اتحاد كنيستي الشرق والغرب أصبحت هدفاً رئيسياً من أجل الحصول على مساعدة عسكرية لإجلاء الأتراك العثمانيين من تراقيا – وإن كان هذا الاتحاد وهمياً – خاصة بعد نجاح حملة أماديو في استرجاع مدينة غاليبولي من أيدي العثمانيين لتظل أكثر من عشر سنوات أخرى تحت الحكم البيزنطي.

والجدير بالذكر أيضا أن الإمبراطور حنا الخامس واجه معارضة شديدة ضد هذا الاتحاد من أبرز المعارضين لهذا الاتحاد بطريرك القسطنطينية فيلوثيوس الذي لم يكتف بذلك بل تعد الأمر إلى الاعتراض على قرارات حنا الخامس– خاصة القرار الصادر لتوطين جزء كبير من الجيش البيزنطي وأسرهم في الأراضي الواقعة بين القسطنطينية وسيليمبريا كحائط صد للهجمات العثمانية، بحجة أنها ملك للكنيسة البيزنطية المقدسة– [١].

---

(٢) *Acta Urbani V (1362-1370)*,vol. XI, no.138; *Registres du Vatican ,Les Registres d' Urbain V*,244 L ,Fol.2 nr 4; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.II., p. 300; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, App. nos.11-12.cf . also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 218-219; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 268-269.
راجع أيضا: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣٢٢، والملحق رقم (٥)، ص ٣٣١.

(١) *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus*

وعلى أية حال أبحر حنا الخامس من القسطنطينية إلى نابولي Naples وبعد إقامة قصيرة هنالك بوصفه ضيفا على جوانا ملكة صقلية Joana of Sicily قام بالإبحار إلى روما ويرفقته كبير وزرائه ديميتريوس كيدونيس، وصهره الجنوي فرانسيسكو جاتيلوسيو حاكم جزيـرة ليسـبوس، ومانويـل أنجيلـوس Manuel Angelus، و كازيانوس Cassianus – ممثلا عـن الإمبراطـور المخلوع حنا كانتاكوزينوس –، والفارسان فيليبوس تزيكانـديليس Philippos Tzycandyles وميخائيل سترونجيلو Michael Strongilo اللـذان يجيـدان اللغة اللاتينية واليونانية، وأربع سفن، ووصلوا إلى روما في الخامس عشر مـن سبتمبر عام ١٣٦٩م ، واستقبله في الثالث عشر من أكتوبر عام ١٣٦٩م أربعة من كرادلة البابا الذي قد عينهم من قبل لهذه المهمة، وهم الكاردينال وليم مـن سودري Guillaume de la Sudrie، بيرنارد من بوسـكويتو Bernard de Bosqueto، فرانكويس ثيوبلادسـخيس Francois de Theobaldeschis، و رينالدو أورسيني Rinaldo Orsini ، وبعدها بأربعة أيام أي في اليوم السـابع عشر من أكتوبر من نفس العام اعترف الإمبراطور البيزنطي بالعقيدة الجديـدة في مستشفى الروح المقدسة [1] ووقع على وثيقة رسمية بذلك و ختمها بخاتمـه الذهبي[2].

Constantinopolitani,(*MM*), vol. I, pp. 506-507. Eng. Trans in. Charanis, P.," The Monastic Properties and the State in the Byzantine Empire ", *DOP*, vol.IV, (1948), p.115.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 269.

(١) مستشفى الروح المقدسة، أسسها البابا إينوسنت الثالث على نهر التيبر بالقرب من الفاتيكان، ولم تستخدم للعناية فقط بالمرضى، وإنما كانت محل إقامة للشخصيات الكنسية البارزة. انظر: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص٣٣٩، هامش (٦١).

(٢) *Acta Urbani V (1362-1370)*,vol. XI, nos.167-168; D?lger , *Regesten* ,Teil.5., no. 3122, p. 58,no.3126, p. 59. *Raynoldus*, a.1370,no.1.cf. also. Brehier, Attempts at Reunion of the Greek and Latin Churches, p. 618; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp.193-195; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 219-222; Kianka, "Byzantine-

وبعد توقيع الوثيقة السابقة بأربعة أيام أي في اليوم الحادي والعشرين من أكتوبر عام ١٣٦٩م الموافق الأحد أقيم احتفال في كنيسة القدس بطرس حضره البابا الذي جلس على عرشه محاطا بكرادلته وأساقفته؛ ثم بدأت مراسم الاحتفال بدخول الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس وانحنائه للبابا ثلاث مرات ثم قبل قدم البابا ويديه وجبينه ثم فمه، ثم عانقه البابا وبدأ القداس البابوي بالترانيم التي اشترك فيها البابا والإمبراطور سويا، بعد ذلك سمح له البابا بأن يمسك بلجام بغلته، ثم أولم له وليمة فاخرة في العشاء في الفاتيكان بحضور البابا وكرادلته، وبعد بضعة أيام استدعى البابا أماديو السافواي صاحب الفضل في ذلك من أجل أن يعيد المبلغ – حوالي عشرين ألف فلورين – الذي قد أخذه منه كضمان لحضوره بين يدي البابا وأعطاه المذبح المتنقل لأداء الطقوس الرومانية به في الرابع من نوفمبر عام ١٣٦٩م[٣]، ثم أعلن البابا رسميا في خطبة قصيرة له داخل الكنيسة اعتناق الإمبراطور البيزنطي للعقيدة الرومانية الصحيحة في الثالث عشر من نوفمبر عام ١٣٦٩م [٤].

وفي يناير عام ١٣٧٠م طالب البابا الإمبراطور البيزنطي بالتوقيع ثانية على وثيقة أخرى تقضي بالتزامه بأوامر البابا وتعاليم الكنيسة الرومانية وعدم

Papal Diplomacy: The Role of Demetrius Cydones", pp. 194-197; Lebeau, *Histoire du Bas-Empire*, Tome, XX, p. 430; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 270-271; Miller, *Essays of The Latin Orient*, p. 317; Setton, *papacy and Levant(1204-1571)*, pp. 312-314.
راجع أيضا: المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ٤٦؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣) *Acta Urbani V (1362-1370)*,vol. XI, nos.169,183; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3126, p. 59. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 219-220; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 271.
راجع أيضا: إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الثالث، ص ١٩٧؛ المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ١٤٦؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٤) *Acta Urbani V (1362-1370)*,vol. XI, no.170. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p.219.

الخروج عنها، ثم مكث الإمبراطور البيزنطي خمسة أشهر أخرى في روما، طالب البابا خلالها فرنسا ودول أوروبا الأخرى، والبندقية وجنوا بضرورة مساعدة الإمبراطور البيزنطي لكونه أصبح كاثوليكيا وعبر البابا عن ذلك قائلا " لسوف يبارك الرب في هذا الاتحاد .... ، لمساعدة الشعب اليوناني – البيزنطي – المظلوم نتيجة الخداع والاكتساح الذي حل به عن طريق أمة الأتراك الكافرة ....، والانضمام لإخوانهم الغربيين ....، أما الأتراك فيتم إجلائهم من رومانيا أو ما هو أفضل وهو التحول إلى المسيحية ...."، لكن البابا وجد أنهم قد انصرفوا عن الهدف المشترك، ونشطوا في منازعاتهم الداخلية، فذهبت مساعي البابا لتنظيم حملة صليبية عبثا بسبب انشغال الدول بأمورها، ولاسيما بسبب انهماك جمهورية البندقية بالتجارة والأرباح المالية، فضلا عن تنحي ملك المجر عن قيادة حملة صليبية ضد العثمانيين، وكذلك وفاة ملك قبرص في عام١٣٦٩م، وعجز البابا أيضا عن اكتساب فرسان رودس والجنوية لصالح بيزنطة، ولكنه سمح للإمبراطور بالتفاوض مع أحد المرتزقة الإنجليز الطريد حنا هووك وود John Hawk Wood أو أكوتو Acuto ولكن قوات هووك و شجاعته لم تكن تكفي للقيام بهذا المشروع – حملة صليبية ضد العثمانيين –، فعاد حنا من ايطاليا إلى عاصمته بعد احتجازه في البندقية بسبب الدين بخفي حنين، ولم يستفد من هذه الرحلة إلا بالخزي والعار وخيبة الأمل، فاضطر إلى الاعتراف بسيادة السلطان العثماني ودفع له جزية وعاهد على أن يخدم بنفسه في جيوش السلطان[١].

---

(١) *Acta Urbani V (1362-1370)*,vol. XI, nos.172,181,182;Chalcocondles, *Historiarum*, p. 38; Nicoloudis, *Laonikos Chalkokondles, Books* I-III, p. 131; D?lger, *Regesten,* Teil.5., nos.3136,3138, p. 61; Raynoldus, 1372, no. 29, 1373, no.2.cf. also. Brehier, The Life and Death of Byzantium, pp. 322-323; Charanis, " Internal Strife in Byzantium during the Fourteenth Century ", p. 293; Dennis, The Reign of Manuel II in Thessalonica, 1382-1387, p. 34; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 219-220;Inalcik, "The Emergence Of The Ottoman", p. 275; Halecki, Un Empereur de Byzance a Rome, pp.254-260; Gibbons, The Foundation of The Ottoman Empire, pp. 135-136; Kianka," Byzantine-

أما عن رد فعل بطريرك كنيسة العاصمة القسطنطينية فيلوثيوس تجـاه هذا الاتحاد فقد أعلن رفضه بشدة وأرسل عدة رسائل إلـى روسـيا وليتوانيـا Lithuania – كما فعل حنا كانتاكوزيتوس مسبقا–، ذكر فيهـا بـأن الكنيسـة البيزنطية هي الكنيسة الأم وأنها أوسع و أكبر من الإمبراطورية البيزنطية نفسها التي أخذت في التضاؤل والانكماش في المساحة والدور بسبب احتلال العثمانيين لأقاليمها في آسيا الصغرى في القرن الرابع عشر، أما الكنيسة فكانت لا تـزال لها دورها البارز والفعال[1].

Papal Diplomacy: The Role of Demetrius Cydones", p. 199; Necipoglu, Byzantium Between Ottoman and the Latins, p.28; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 270-273,276-277; Ostrogorsky , " The Palaeologi ", p. 372; Richard, J., " La Revolution de 1369 dans le Royaume de Chypre " *Bibliothèque de l'école des Chartes*, vol.cx,1952, pp. 108-123; Schevill, F., *The History of the Balkan Peninsula: From the Earliest Times to the Present Day*, New York,1922, p. 184; Setton, K., Catalan Domination of Athens 1311-1388, London,1975, pp.77-78; Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453 ", p.763; Waugh, W., " The Councils of Constance and Basle ", CMH,vol.8, (1966), p. 429.

راجع أيضا: إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الثالث، ص ١٩٧؛ المرسلين البولسيين، الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ١٤٦؛ أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٣؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص ١٥٣؛ زبيدة عطا ، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٩؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣٧-١٣٨؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص٣٢٤.

– حنا هوك وود John Hawk Wood كان زعيم فرقة من المغامرين عرفت باسم " الأخوة البيضاء "، والتي هددت ايطاليا وقصر البابوية نفسها، ولذلك أصدر البابوية قرار حرمان كنسي له. انظر: إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، الجزء الثالث، ص١٩٧.

– ولمزيد من التفاصيل عن المعاهدة الموقعة بين الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس والسلطان العثماني عام١٣٧٢م انظر الفصل الخامس.

[1] *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus*

ومهما يكن من أمرٍ فإنه بعد احتجاز حنا الخامس في البندقية لمدة عام بسبب ديونه، عاد إلى القسطنطينية في خريف عام ١٣٧١م بسفنه وتسع وعشرين ألف دوقيةDucat[٢]، ووعد بعودة مجوهرات التاج البيزنطي مقابل تسليمه جزيرة تينيدوسTenedos [٣]. وعلم حنا الخامس بمعركة ماريكا التي حدثت في نفس العام[١]؛ فأدرك أن الأمر لم يعد في صالحه على الرغم من تحركات البابوية في ذلك الوقت[٢].

Constantinopolitani,(*MM*),I,nos.260,277,300,306. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 222-224; Vryonnis, S., The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth Century, (London, 1971), esp. Chap. VI and VII.

[٢] الدوقية Ducat، قطعة نقد ذهبية كانت متداولة في البندقية؛ ضربت للمرة الأولى في عام ١٢٨٤م، ويبلغ وزنها حوالي ثلاثة جرامات ونصف من الذهب تقريبا. انظر: كات قليت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، ص ٣٣٧؛ الأمين عبد الحميد أبو سعده، نيرى أكيايولى الحياة السياسية لمغامر إيطالي في بلاد اليونان في القرن الرابع عشر الميلادي دوق كورنثة (١٣٧١-١٣٩٤)، دوق أثينا (١٣٨٨-١٣٩٤)، مجلة الآداب، جامعة المنوفية، العدد الخامس والخمسون،أكتوبر ٢٠٠٣م،ص٢٥-٧١، ص ٣٥، هامش(٣٦).

[٣] تينيدوسTenedos، اسمها الحالي بوزجادا Bozcada وهي جزيرة تركية تقع شمال شرقي بحر ايجه وتبعد أربعة وعشرين كيلو متر إلى الجنوب الغربي من مضيق الدردانيل وتبعد ثلاثين فرسخا عن جزيرة كريت مر بها السفير الاسباني كلابيخو عام ١٤٠٣م ووجدها خالية من السكان طبقا لاتفاقية تورين عام ١٣٨١م، انظر: دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب، ص ٤٣؛ نيقولو باربارو، الفتح الاسلامي، ص ١٠٥، هامش (٢).راجع ايضا:

Clavijo, *Embassy to Tamerlane*,pp.54-55

انظر أيضا: سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٦٦.

- ولمزيد من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية البندقية انظر الفصل الثالث.

[١] عن معركة ماريكا عام ١٣٧١م انظر الفصل الرابع.

[٢] لقد استنكر البابا جريجوري الحادي عشر Gregory XI (١٣٧٠-١٣٧٨م) تلك الكارثة – معركة مارتيزا– ودعا الغرب اللاتيني وعلى رأسهم الملك المجري لويس لتولي الدفاع والتصدي للعثمانيين، ومن ثم دعا إلى عقد مؤتمر في طيبة Thebes في بلاد اليونان قيام في مستهل عام ١٣٧٢م من أجل هذا الغرض لمزيد من التفاصيل انظر:

Acta Gregorii XI (1370-1378),vol. XII, ed By .Tautu .A, Vaticano, 1966, no. 30, (13.Nov.1372),48a,48b,48; Gregory XI.(30. Dec.1370-27. March 1378.), ed. by. Gieseler, J.,*A Compendium of Ecclesiastical*

وفي نهاية ربيع عام ١٣٧٣م أرسل البابا جريجوري الحادي عشر حنا لاسكاريس كالوفيروس John Lascaris Calopherus إلى الدول المحيطة ببلاطه لدعوتهم للمشاركة في حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين (٣).

وفي نفس العام كتب البابا خطاب إلى حنا الخامس يتعهد فيه بمساعدته ضد العثمانيين، ويدعوه للمشاركة في اللقاء المرتقب في طيبة، ولكن هذا المؤتمر فشل بسبب عدم تلبية أحد لنداء البابا، ولكن هذا لم يثن جريجوري عن مواصلة جهوده في تكتيل القوة الغربية ضد العثمانيين؛ حيث قام بتعيين ممثلين عنه وأعطاهم كل الصلاحيات وهمها توماس من بوزولاسكو Thomas de Bozolasco، وبارثولوميو تشيراكيوBartholomew Cheraccio والذين رافقهما اثنان من فرسان الإسبتارية لتكتيل العالم الغربي الكاثوليكي، ووجه أيضا البابا دعوة أخرى من خلال خطاباته إلى الغرب الكاثوليكي لمساعدة حنا الخامس ضد العثمانيين قائلا " بعناية البابوية الفائقة قد فكر في منح السعادة الدينية والدنيوية لابننا العزيز في المسيحية الإمبراطور اليوناني- البيزنطي- البارز حنا الخامس وأنتم أيضا- الغربيين- والشعوب الخاضعة لسلطان الإمبراطور نفسه وليتم إيقاف زحف الأتراك الفاسقين المتوحشين أعداء المسيح المقدس"، و كان ذلك خلال شهر يوليو عام ١٣٧٤م (٤).

ثم وجه البابا نداءً آخر إلى كل من لويس ملك المجر، وإلى مملكة صقلية، وجنوا، والبندقية، وفرسان الإسبتارية، للقيام بحملة صليبية في أكتوبر

History, vol. IV, London, MDCCCLIII , S.101, pp. 88-72;*Text-Book of Ecclesiastical History*, pp. 41-42.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp.223-224; Kianka," Byzantine-Papal Diplomacy: The Role of Demetrius Cydones", p. 199; Luttrell, A., "Gregory XI and the Turks:1370-1378 ",*OCP*, vol.XLVI, (1980), pp. 391-417; Voordeckers, E.,"Un Empereur Palamite a Mistra en 1370", *RHSE*,vol.IX,(1971), pp. 607-615.

(٣) *Acta Gregorii XI (1370-1378)*,vol. XII, (29.June.1373) no.78. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 224.

(٤) *Acta Gregorii XI (1370-1378)*,vol. XII, ,(25.July.1374) no.116. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 224-225.

عام ١٣٧٤م، ثم أرسل البابا أيضا في نفس الشهر بعثة وخطاب لحنا الخامس ليعلمه بتلك الحملة؛ ولكن فشل مشروع تلك الحملة بسبب رفض ملك المجر القيام بحملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين، لأنه كان مشغولاً بأموره الداخلية؛ فضلا عن انشغال جنوا والبندقية بالاقتتال في تلك الفترة. أما عن الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس نفسه فقد وقع معاهدة خضوع للسلطان العثماني مراد، ولذلك أرسل خطاباً للبابا جريجوري مع فيليبوس تزيكانديليس ليوضح له فيه الأسباب التي جعلته يوقع هذا الصلح المذل وهي؛ الأول أنه رجع من رحلته إلى الغرب خاوي اليدين دون أن يحصل على أي مساعدة غربية حقيقية، الثاني النصر المؤزر الذي حققه العثمانوين في تراقيا في معركة ماريكا، والثالث أنه كان يعاني من مشاكل داخلية في إمبراطوريته تمثلت في تمرد ابنه أندرونيكوس ضده – تم سمل عينيه بناءً على طلب السلطان العثماني–، و لذلك لم يعد أمامه سوى أن يصبح تابعا للأخير ليحافظ على ما تبقى من أراضي الإمبراطورية البيزنطية(١).

ولقد رد جريجوري على الخطاب السابق المرسل مع فيليبوس بأنه تفهم طبيعة الوضع الذي جعل حنا الخامس يقدم على مثل هذا الفعل – الصلح مع العثمانيين – وكذلك أعرب عن أسفه وتعاطفه وتعازيه للأخير في أمر تمرد ابنه أندرونيكوس ومعركة ماريكا، وذلك على حد تعبيره " لن نرد ردا بشريا أكثر من كوننا نعرب عن تعاطفنا و تعازينا لكلا الحدثين "، ثم أشار لضرورة عدم ثقة حنا الخامس في العثمانيين، وأنه يجب أن يعلق أماله فقط بقوة وقدسية الاتحاد اللاتيني البيزنطي والذي من أجله تم إرسال المبعوثين البابويين وهم في طريقهم للقسطنطينية لمعالجة هذا الأمر(٢).

---

(١) Raynoldus, 1374,no.7.cf. also. Dennis, The Reign of Manuel II in Thessalonica, 1382-1387, p. 35; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 224-225,304. note.(83); Iliescu, O.," Le Montant du Tribut Paye par Byzance a l' Empire Ottoman en 1379 et 1424 ", *RHSE*,vol.9,(1971), pp. 427-432; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 277-278.

(٢) *Acta Gregorii XI (1370-1378)*,vol. XII, ,(12.Dec.1374) no.128. cf. also. Gill,

والجدير بالذكر أن فيليبوس تزيكانديليس الذي أرسله حنا الخامس للبابا في الثالث من نوفمبر عام ١٣٧٤م قد اصطحب معه كازيانوس Cassianus ممثلا عن الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس السابق، وقد أعربا له عن رغبة الإمبراطورين المخلوع والفعلي ومانويل كانتاكوزينوس حاكم المورة في مواصلة الاتحاد(٣).

وفي يوم الثامن والعشرين من يناير عام ١٣٧٥م كتب البابا جريجوري أربعة خطابات في نفس اليوم إلى حنا الخامس، وابنه مانويل، وكانتاكوزينوس، والملك المجري لويس، أما عن خطابي حنا الخامس وكانتاكوزينوس فقد تم التركيز على المضايقات التي تحدث للبيزنطيين المتحولين للعقيدة اللاتينية من قبل أقرانهم البيزنطيين الأرثوذكس في القسطنطينية، ولقد عبر عن ذلك لحنا الخامس قائلا " الذين حرموا من بضائعهم وأعمالهم ومناصبهم، وقد أصيبوا بشتى أنواع البؤس والشقاء من جراء أفعال اليونانيين – البيزنطيين – الآخرين الذين لازالوا يحافظون على وجود الشقاق، ومثل هذا الصنيع لا يشجع على

---

(٣) Acta *Gregorii XI (1370-1378)*,vol. XII, ,(3.Nov.1374) no.128 ; Raynoldus, 1374,no. 5.cf. also. Gill, Byzantium *and Papacy 1198-1400*, p. 225.

- أما المورة Morea، فهي شبه جزيرة البيلوبونيز Peloponnes، وعندما أسس الصليبيون الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية عام ١٢٠٤م ظهرت في غرب بلاد اليونان إمارة المورة والتي أسسها جيوفري فيلهاردوين Geoffrey Villehardouin ووليم شامبليت William Champlitte، وبعد أن استرد ميخائيل الثامن باليولوجوس القسطنطينية عقد العزم على ضم بلاد المورة إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية لتكتمل وحدتها فدخل في معركة بيلاجونيا Pelagonia عام ١٢٥٩م ضد حاكمها وليم فيلهاردوين Guillaume Villehardouin وانتصر عليه، فتنازل عن الأجزاء الشرقية منها مونيمفازيا Monemvasia وماليا Malina ومسترا، وظلت تحت السيطرة البيزنطية إلى أن سقطت في أيدي العثمانيين عام ١٤٦٠م. لمزيد من التفاصيل انظر:

Chronique de Moree, Publice. Morel Al Fred – Fatio,Geneve, 1885, pp. 100-106.cf. also. *ODB*,vol.2, pp. 1409-1410.

راجع أيضا: اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس، ص ٧٥-٨٢؛ ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية(١٢٠٤-١٢٦١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة،١٩٨٠م، ص٤٣-٤٤؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية ص١٧٣.

قدوم مساعدة من الغرب، كما أنه بعد إبرام الكفار – العثمانيين– معاهدة مع الإمبراطور أصبح وجودهم بكثرة داخل القسطنطينية، وهناك أشاعوا الفسق بشكل مفرط "، وأهم ما جاء في خطاب حنا كانتاكوزينوس أنه قد علم بنوايا الأخير الحسنة تجاه الكنيسة اللاتينية من خلال الحديث الذي تم بينه وبين واثنين من الدومينيكان Dominicans أثناء مرورهم بالقسطنطينية في أكتوبر عام ١٣٧٤م، حيث أعلن لهم حنا كانتاكوزينوس ومعه بعض البيزنطيين إخلاصه للكنيسة الرومانية ونقل سفيري الدومينيكان كلامه للبابا " يعتقد ويؤكد أن الكنيسة الرومانية المقدسة لها السيادة العليا فوق جميع الكنائس في العالم وأنه يود أن يموت في سبيل الدفاع عن هذه الحقيقة إذا ما تطلب الأمر ذلك "، ومن ثم عمل البابا على حثه على استخدام معرفته الواسعة ونفوذه لاستكمال عملية الاتحاد وحماية الكاثوليك البيزنطيين من الاضطهاد والمضايقات(١).

وفي نفس العام رد الإمبراطور حنا الخامس على البابا بخطاب ناشده فيه بأن يضغط على الملك المجري لويس لكي ينفذ ما تم الاتفاق عليه منذ عشر سنوات تقريبا في بودا، خاصة وأنه قد حقق الشرط الذي قد اتفق عليه مع لويس من أجل مساعدته والدفاع عن القسطنطينية ألا وهو الولاء للكنيسة الرومانية، وأنه على الرغم من الهدنة الموقعة بينه وبين السلطان العثماني إلا أن القسطنطينية لا تزال مهددة بخطر رهيب يزداد يوماً بعد يوم شراسة وقوة؛ وبناءا على ذلك من الممكن أن يهدد هذا الخطر العثماني المجر نفسها وصقلية، فاستجاب له البابا وأرسل لملك المجر يحثه على مساعدة الإمبراطور البيزنطي ضد العثمانيين، حيث عبر البابا قائلا " ينبغي عليك أن تطمع في منح وعطايا الرب الذي سوف يمنحك إياها، في حالة دفاعك عن المسيحية مع اليونانيين ضد العثمانيين(١).

---

(١) *Acta Gregorii XI (1370-1378)*,vol. XII, (12.Dec.1374) nos.134,135,136. cf. also.
Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 225-226.

(١) أرسل البابا خطاب آخر إلى الدومينيكانDominicans في القسطنطينية من أجل تهنئتهم في الثالث عشر من فبراير من عام ١٣٧٥م و السماح لهم ببناء دير في القسطنطينية. ولمزيد من التفاصيل عن خطابات البابا جريجوري الحادي عشر عام ١٣٧٥م انظر:

ثم أرسل البابا خطاباً آخر إلى الملك المجري لويس في الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٣٧٥ بدأه بتهكم لاذع للملك المجري،لأنه لم يهتم بخطاباته السابقة، وذكره البابا أيضا أنه لم يعد كسابق عهده في تمجيد الصليب، وأنه لم يعد يهتم أيضا بمواصلة الاشتراك في الحملة الصليبية ضد الأتراك العثمانيين الذين حققوا انتصارات كثيرة لم يكن يتخيلها المسيحيون والمنشقون، بل تدهور الوضع أكثر حيث أصبح الإمبراطور البيزنطي نفسه تابعاً ودافعاً للجزية لهم، وقد أمره البابا بضرورة تعبئة الرجال والسفن لتكوين قوة يتم إرسالها على وجه السرعة بقدر المستطاع للدفاع عن البيزنطيين ضد العثمانيين، وعبر قائلا أيضا " لقد أعلن اليونانيون الطاعة، ولذلك يجب مساعدتهم ضد الكفرة لكي نحصل على نتيجة تقر بها أعيننا، لذا عليك إرسال جيش جرار على وجه السرعة للهجوم على الأتراك الموجودين في رومانيا - أراضي الإمبراطورية البيزنطية- أو أي مناطق أخرى قريبة من مملكتك، حتى يتم انحصار العدو بين قوتك والحملة العسكرية القادمة من ناحية البحر، ومن ثم يتحقق النصر المرغوب" (٢). وهنا نلاحظ اهتمام البابا وقلقه من الوجود العثماني على الجانب الأوروبي من البوسفور وإمكانية وصولهم إلى الممالك المسيحية الأخرى.

على أية حال تم الاتفاق على أن الجيش يتكون من مشاة المجر وفرسان الإسبتارية والقوة العسكرية البحرية تتكون من أساطيل البندقية وجنوا وصقلية للقيام بحملة صليبية موجهة ضد العثمانيين، وعلاوة على ذلك قدمت البابوية منحة مالية قدرها خمسة وعشرون ألف فلورين لجنوا لإعداد أسطول حربي؛ ولكن الرياح جاءت بما لا يشتهي السفن، حيث إن المجر وصقلية لم يكلفوا خاطرهم من الأساس و يردوا على خطابات البابا، أما البندقية فقد أرسلت أسطولا بالفعل إلى العاصمة القسطنطينية و بدلا من مساعدتها فرضت عليها

Acta Gregorii XI (1370-1378), vol. XII, nos.137,138,139. cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 225-226.

(٢) *Acta Gregorii XI (1370-1378)*, vol. XII, (27.Oct.1375) no.173, cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 226-227.

الحصار لإجبار إمبراطورها حنا الخامس على دفع ديونه لها الذي اضطر إلى تسليمها جزيرة تينيدوس مقابل الإعفاء عنه، بينما قامت جنوا بمساعدة أندرونيكوس في تمرده وانقلابه ضد والده حنا حتى اغتصب الحكم، ثم سجن والده وأخيه مانويل، بل تعدى الأمر أكثر من ذلك حيث استخدمت جنوا الأموال الممنوحة من قبل البابا للقيام بحملة صليبية ضد العثمانيين في حربها ضد البندقية، أما عن أندرونيكوس فقد قام باعتلاء العرش في الثامن عشر من أكتوبر عام ١٣٧٨م وبداخله نوايا طيبة تجاه العثمانيين الذين ساعدوه أيضا للوصول للعرش بالتالي رد لهم الجميل بتسليم مدينة غاليبولي الاستراتيجية مرة أخرى لهم، ومن ثم لم يبق من القوى السياسية سوى الإسبتارية الذين عبأوا فرسانهم لتنفيذ أمر البابا الخاص بمشاركتهم في الحملة الصليبية المرتقبة [١].

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في تلك الأثناء توفي البابا جريجوري الحادي عشر في السابع عشر من مارس عام ١٣٧٨م، ثم حدث اجتماع سري بين الكرادلة في أبريل عام ١٣٧٨م وتم اختيار البابا أوربان السادس Urban VI (١٣٧٨-١٣٨٩م)، ولكن بسبب ثورة مواطني روما ضده أعلن الكرادلة إقالته وانتخاب البابا كليمنت السابع Clement VII (١٣٧٨-١٣٩٤م) في سبتمبر نفس العام، وبذلك حدث الشقاق الأعظم في الغرب[٢].

ومما سبق يتضح أن جميع الظروف كانت ضد قيام حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين وذلك لانشغال القوى السياسة الغربية بمشاكلها الداخلية مثل مملكة المجر وصقلية، والصراع والجشع الاقتصادي متمثلا في جنوا والبندقية اللتان يبحثان عن مصالحهم التجارية فقط، ورفعتا شعار فلنكن إيطاليين أولا ثم

---

(١) Raynoldus, 1375,no.9,1376,no.23.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy* 1198-1400, p. 227.

(٢) لمزيد عن التفاصيل حول هذا الصراع البابوي انظر:
Acta Urbani VI (1378-1389), Bonifatii IX (1389-1404), Innocentii VII (1404-1406), Gregorii XII (1406-1415),vol. XIII, tom. I ed by .Tautu .A, Rome, 1970, no.6; *Acta Pseudopontificum Clementis VII (1378-1394), Benedicti XIII(1394-1417), Alexandri V(1409-1410) et Johannis XXIII (1410-1415)*, vol. XIII, tom. II, no.25 (19.Jan.1380).cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 227-228.

مسيحيين ثانيا أي أنهما يهدفان إلى الربح المالي في المقام الأول والأخير، ويمكنهما المشاركة لرفع الصليب في حالة واحدة وهي أن يحقق لهم ذلك مكاسب مالية لأنهما دول تجارية فقط، أما عن الإمبراطورية البيزنطية فقد أصبحت غارقة في الخلافات الأسرية و الصراع على العرش حتى لو كان ذلك على حساب انهيار دولتهم، وكذلك البابوية دخلت في مرحلة من الشقاق العظيم الذي لا يسمح لها بتحريك القوة الغربية لمساعدة حنا الخامس ضد العثمانيين، حيث انشغلت بأمورها الداخلية.

ويعلق جيل Gill على ما سبق من تطور للأحداث قائلا " لقد كانت بيزنطة رهنا للعبة السياسية فقط من جانب القوى العظمى التي كان لها مصالح في الشرق وهي الجمهوريتان الإيطاليتان والإمبراطورية العثمانية " (١).

وفي عام ١٣٨٤م أرسل البابا أوربان السادس المبعوث البابوي الفرنسيسكاني Franciscan وليام William أسقف داوليس Daulis إلى العاصمة القسطنطينية، و ذلك لإيصال بعض الرسائل عن الاتحاد بين الكنيستين اللاتينية و البيزنطية، وإعلان تعاطف البابا مع الوضع الراهن في القسطنطينية. وعلى الرغم من حسن استقبال بطريرك القسطنطينية نيلوس Nilus له؛ إلا أنه تردد في البداية أن يعطيه رداً رسمياً، لأن الخطابات التي يحملها وليام لم تكن مصدقة بشكل رسمي، ولكن الأخير استطاع أن يقنع البطريرك بطبيعة الوضع الراهن للبابوية وحسن نوايا البابا تجاه القسطنطينية وضرورة الرد رسميا على البابا أوربان السادس في شكل خطاب" رسالة بطريركية إلى البابا أوربان السادس بخصوص الاتحاد" *Epistola patriarchae ad papam Urbanum VI. de unione eclesiarum* وأهم ما جاء فيه أن الوقت ليس مناسبا للحديث عن الاتحاد بسبب انقسام البابوية على نفسها إلى حزبين متناحرين ومتنازعين على الكرسي البابوي، وأنه لن يسمح للعثمانيين بالتدخل في أمور الكنيسة وشئونها، مهما كلفه هذا الأمر وذلك على حد تعبيره الذي ذكر فيه " من أجل استعدادنا التام لقبول السلام والاتحاد الكنسي، على شرط أن تأتي

(١) Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 227.

بإرادة الرب، وحيث إنها كانت قبل الانقسام، وتم التشهير بأننا أردنـــا المكـــان الأول لأنفسنا – يقصد جعل الكنيسة البيزنطية الكنيسة الأم للعـــالم بنـــاءً علـــى أغراض شخصية–، ولذلك نحن لن نقبل الاتحاد. وليس هناك حقيقة قائمة تقول بأننا اعترفنا بأنك صاحب المكان الأول – أي أنه لـــم يصـــدر عـــن الكنيســـة البيزنطية اعتراف رسمي بالكنيسة اللاتينية – وذلك في ضوء القوانين المقدســـة للآباء المعظمين.........، أما الأتراك الذين سببوا كثيراً مـــن الإزعـــاج، فلـــن يتدخلوا في شئون الإدارة الكنسية....." [٢].

وفي مستهل عام ١٣٨٥م قام مانويل باليولوجوس بمناشدة البندقية مـــن أجل إمداده بالقوات اللازمة لمواجهة العثمانيين الذين يفرضون الحصار عليه في مدينة تسالونيكا منذ عام ١٣٨٣م، وكذلك التمس المساعدة من الإدارة البابويـــة عن طريق إرسال بعثة تحت قيادة إيوثيميوس Euthymis إلى البابـــا أوربـــان السادس الذي وجده في جنوا، فطلب منه السفير ضرورة مساعدة مانويـــل فـــي تسالونيكا؛ ولذلك أرسل البابا مبعوث بابوي ذهب إلى القسطنطينية أولا ولكنـــه استقبل فيها استقبالا غير حار وغير لائق بمندوب بابوي، ولذلك رحل منها إلى مدينة تسالونيكا التي وصلها في عام ١٣٨٦م لمقابلة مانويل الذي قدم العديد من التنازلات مقابل مساعدة البابوية له ضد العثمانيين[١].

وفي الواقع لا توجد تفاصيل بشأن المفاوضات التي تمت بـــين مانويـــل والممثل البابوي إيوثيميوس، ولكن المرجح أن ما تم الاتفاق عليه ليس له تـــأثير ولا أثر؛ لأن البابا أوربان السادس لم يكن لدية القدرة ولا القوة الكافيـــة لحشـــد

---

(٢) *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus Constantinopolitani*,(*MM*),II, no. CCCLXXIX (379)(6893-1384).Sep. 1384., pp. 86-87.cf. also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 228.

(١) *Monumenta Peloponnesiaca: Documents for the History of Peloponnese in 14Th and 15Th Centuries*, no.28, pp. 60-61.cf.also. Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 288; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p . 287.

حملة عسكرية من الغرب ضد العثمانيين بسبب غرق البابوية نفسها في الانقسام و التنازع [٢].

وفي عام ١٣٨٨م عندما شعرت البندقية بشدة وطأة التهديد العثماني لمصالحها سعت بشكل جاد من أجل تشكيل تحالف دفاعي لمواجهة الخطر العثماني؛ ولذلك أرسلت إلى البابا أوربان للسعي في هذا الاتجاه والذي قام بدوره بتعيين الأسقف كاستلانو Castellano لتلك المهمة وأعطاه صلاحيات واسعة؛ منها أن يمنح كاستلانو صكوك الغفران لكل من يساهم في تلك المهمة، وكذلك أمر البابا أوربان السادس بتسليح سفينتين للمشاركة في تلك الحملة على نفقة الكنيسة، ولكن البابا فشل في استكمال تلك الحملة بسبب انشغاله بالصراع على الكرسي الرسولي، لتكون محاولته هذه آخر محاولة بابوية في تلك الفترة لإنقاذ الإمبراطورية البيزنطية[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أن جميع محاولات الاتحاد فشلت بكل المقاييس، وأن الإمبراطورية البيزنطية لم تحصل على ما تريده من الاتحاد وهو المساعدة ضد السيل العثماني الجارف الذي أغرق أراضيها الأسيوية والأوروبية على حد سواء؛ ولم تجد من يغيثها، وذلك لأن البابوية لم يكن هدفها الرئيسي حماية الأراضي البيزنطية، بل كان كل سعيها هو الهيمنة على الكنيسة البيزنطية فقط، ولذلك وضعت الاتحاد أولا ثم المساعدة ثانيا. وفى النهاية لقد فشلت جميع محاولات الاتحاد بين الكنيستين اللاتينية واليونانية رغم السفارات العديدة المتبادلة بين الطرفين بل وذهاب حنا الخامس بنفسه.

---

(٢) Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 228-229.

(٣) *Monumenta Peloponnesiaca: Documents for the History of Peloponnese*, no.44, p.96; *Raynoldus*, no.4,1388, 18 April 1388. cf. also. Dennis, The Reign of Manuel II Palaeologus, pp. 144-147; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 228.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبوسعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٥٠، هامش (٨٨).

على أية حال هناك ملاحظة هامة في العلاقات البيزنطية البابوية وهـــي أن البابوية على الرغم من أنها لم تحقق هدفها المنشود وهو الاتحــاد، إلا أنهــا تحركت بشكل ملحوظ خلال عهد حنا الخامس باليولوجوس أكثــر مـــن عهـــود سابقيه، ربما يكون ذلك بسبب شعورها بازدياد الخطر العثماني الذي عبر إلـــى الجانب الأوروبي.

الفصل الثالث

سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه المدن التجارية الإيطالية

عقب وفاة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث ليلة ١٤-١٥ يوليو ١٣٤١م طلب مجلس الشيوخ من القنصل البندقي بيترو من كانـــال Pietro de Canale

بالقسطنطينية الذهاب للقصر الامبراطوري من أجل مواساة الوريث الشـــرعي وتذكيره بديون والده، وأن يجدد معه معاهدة الخمس سنوات[1]، لكـــن القنصـــل وجد أن الظروف غير مناسبة للتحدث في مثل هذه الأمور وأنه مـــن الصـــعب التفاوض مع طفل لا يتعدى سنه تسع سنوات، لذلك أبلغ بدوره الدوق ومجلـــس الشيوخ بتلك التطورات، إلا أن مجلس الشيوخ أعطى أوامره له بالتحـــدث فـــي الأمور السابقة وتجديد المعاهدة لمدة سبع سنوات مقبلة مهما كانت الظروف [2].

وفي أثناء الحرب الأهلية البيزنطية التي استمرت حوالي ست ســـنوات (١٣٤١-١٣٤٧م) كانت البندقية تساند وتؤيد أصحاب الحق الشرعي في العرش البيزنطي الأوصياء على حنا وهم آنا من سافواي، والبطريرك كاليكاس، ولم تقم بأي مفاوضات مع حنا كانتاكوزينوس، حيث إن البندقية رأت في الإمبراطـــورة آنا خير حليف لها لكونها إيطالية الأصل، وكذلك رأت الأخيرة في البندقية خير معين لها، فاستدانت منها كثير من الأمـــــوال في تلك الحرب [3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجنويين لم يهملوا الفرصة التي أتاحتها لهم الاضطرابات الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية وعقدوا اتفاقا مع الوصية على

---

(١) Thiriet, *Sénat*, I, no.132 (July 1341).

تلك الصفحات ناقصة من المصدر السابق الموجود لدي و تم نقلها عن طريق نيكول ,انظر :

Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 257-258.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـــ ٢،ص ١٥٢.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 557; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1, pp. 525,560-566; Chalkokondylas , *Historiarum libre Decem* , p. 21. cf. also. Bosch, Kaiser *Andronikos III*, pp. 179-193; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 258.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـــ ٢،ص ١٥٢.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p14; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.1, p.566.cf. also. Bosch, *Kaiser Andronikos III*, p. 192-193;Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 258.

العرش البيزنطي في الخامس من سبتمبر ١٣٤١م حصلوا بموجبها علــى حــق استعادة نفوذهم مرة ثانية في غلاطية بعد أن حرمهم منها الامبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث وأخذها منهم (٤).

وفي الخامس والعشرين من مارس ١٣٤٢م وقعت البندقية معاهدة جديدة مع الإمبراطورة آنا عن طريق القنصل البندقي بيترو من كانال بالقســطنطينية والتي لم يأت نصها بجديد سوى الحديث عن الأضرار والخسائر التــي لحقــت بمواطنيها في القسطنطينية ومناقشة الدين البندقي الذي بلغ في ذلك الوقت تسعة عشر ألف من الهيبربيرون دفعت الإمبراطورة آنا منه أربعة عشــر ألفــا مــن الهيبربيرون والباقي يسدد علي خمس سنوات في شكل أقساط متســاوية، وتــم توقيع الوثيقة بيد الإمبراطور حنا الذي بلغ من العمر عشر ســنوات فــي ذلــك الوقت في قلعة بلاخرناي Blachernai ، وكانت مدتها خمس سنوات(١).

ومما لا شك فيه أن الاتفاقية السابقة لم تكن واقعية، وأن الدوق البنــدقي ومجلس الشيوخ كانا يدركان تماما أن الإمبراطورة الوصية الغارقة في تكــاليف الحرب الشديدة الوطأة مع حنا كانتاكوزينوس من المؤكد أنها لن تستطيع الوفاء بما وعدت به بشأن سداد الدين (٢).

وفي ربيع عام ١٣٤٣م توسلت الإمبراطورة إلى القنصل البندقي بيترو من كانال في القسطنطينية للتوسط لها لدى البندقية من أجــل الحصــول علــى قرض من ثلاثين ألف دوقية Ducat؛ فاجتمع مجلس الشيوخ في الخامس مــن أبريل من نفس العام لدراسة الطلب المقدم من الإمبراطورة آنا بشــأن القــرض ووافق على إقراضها، ولكنه وضع شروط صارمة للإمبراطورة آنــا، وهــي

---

(٤) D?lger, F., *Regesten*,Teil.5.,no.2864, pp. 1-2; Cantacuzenus, *History*, p.202. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 258.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٥٣.

(١) Dolger, *Regesten der Kaiserurkunden des Ostromichen Reiches Von.1341-1453 Teil.5.*, no.2864, pp. 1-2.cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 258.

(٢) Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 257-258.

إلزامها بتقديم الضمانات الكافية لهذا القرض منها رهن جواهر التاج البيزنطي أو كمية كبيرة منه كضمان للقرض وأن تتعهد بدفع عشرة آلاف دوقية للقنصل البندقي في القسطنطينية في كل عام، وأن يزيد القرض بفائدة قدرها ٥% سنويا، وأن يتم إيجاد المال اللازم لسداد هذا القرض من الدخل الإمبراطوري من الرسوم الجمركية، ويتم سداد هذا القرض خلال الثلاث سنوات المقبلة، وإلا ستكون الضمانات التي قد حددتها الإمبراطورة آنا من حق البندقية (٣).

وعلي الرغم من وصول خطاب من القنصل البندقي جيوفاني جرادنيجو Giovanni Gradenigo إلى الدوق البندقي أندريا داندولو Andrea Dandolo يحاول فيه طمأنته ويوضح له الأمر بأن الإمبراطورة آنا حاولت زيادة دخلها القومي من خلال فرض الضرائب علي الذرة المستوردة من الأراضي البيزنطية المحتلة من قبل الأتراك إلا أن الدوق أندريا داندولو كان متردداً في إقراضها هذا المبلغ الضخم(١)، ولكن في النهاية وافق علي إقراضها هذا المبلغ في أغسطس عام ١٣٤٣م، حيث أمر القنصل البندقي جيوفاني جرادنيجو بأن يجمع لها هذا القرض من اتحاد التجار البنادقة في القسطنطينية والذين سوف يتم تعويضهم ورد أموالهم عن طريق الاتحاد التجاري المماثل لهم في البندقية، ثم أعطي جيوفاني للإمبراطورة آنا الثلاثين ألف دوقية كقرض واجب الرد على ثلاث سنوات بضمان جواهر التاج البيزنطي، ثم وقع حنا الخامس الذي كان لا يزال طفلاً صغيراً علي السند المالي الذي يحفظ للبنادقة

---

(٣) Thiriet, *Sénat*, I, no.152.

تلك الصفحات ناقصة من المصدر السابق الموجود لدي وتم نقلها عن طريق نيكول .انظر :

Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 259.

ولمزيد من التفاصيل عن الدوق البندقي أندريا داندولو Andrea Dandolo انظر :
Thiriet, F.," Byzance et les Byzantins vus par le Venitien Andrea Dandolo ", *RESE*, vol. X, (1972), pp. 5-15.

(١) D?lger, *Regesten der Kaiserurkunden des Ostromichen Reiches Von.1341-1453 Teil.5.*, no.2891, pp. 9-10; Thiriet, *Senat*, I, no.157,164. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 259.

حقوقهم بناءً علي طلب أمه [٢]، ولقد كان هذا القرض البندقي بمثابة العون للإمبراطورة آنا في حربها ضد حنا كانتاكوزينوس وحلفه المكون من الملك الصربي ستيفن دوشان والأمير التركماني عمر أمير أيدين.

وفي صيف عام ١٣٤٣م أرسلت الإمبراطورة سفارة بيزنطية إلى البندقية من أجل مساندتها، والضغط على الملك الصربي ستيفن دوشان لوقف مساعدته لحنا كانتاكوزينوس وتسليمه لها، وكذلك التعامل مع الأمير عمر [٣].

وهنا رأى الدوق البندقي أن هذه فرصة يجب اغتنامها وخاصة أن الأمير عمر حليف حنا كانتاكوزينوس- الذي قد أمده بما يتراوح بين مائتين وخمسين وثلاثة مائة سفينة – كان يشكل خطرا على الممتلكات البندقية في نيجروبونت Negroponte، ولذلك خرجت حملة صليبية بمباركة البابوية في أغسطس عام ١٣٤٣م ضد الأتراك ساهمت البندقية فيها بعشر سفن من العشرين سفينة المطلوبة للحملة؛ وشارك البابا وملك قبرص Cyprus وفرسان رودس Rhodes بباقي السفن، وقاد الحملة القائد الجنوي مارتينو زاكاريا Martino Zaccaria – الحاكم السابق لجزيرة خيوس – وتجمعت الأساطيل المشتركة في نيجروبونت، ثم تحركت منها إلى مدينة سميرنا (أزمير) التي احتلت ميناءها وإحدى ضواحيها وحققت انتصاراً على الأمير عمر في أكتوبر ١٣٤٤م و دمرت أسطوله، مما أبهج العالم المسيحي الغربي، وبعدها فكر القائد الجنوي مارتينو زاكاريا في استغلال هذا النصر الذي أحرزه لاستعادة جزيرة خيوس – بعد أن طُرد منها عام ١٣٢٩م وتم تعيين حاكم بيزنطي مكانه وتم

---

(٢) D?lger, *Regesten*, Teil.5 ., no. 2891, pp. 9-10; Thiriet, *Sénat* , I, no.168,174.cf. also.
Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 259-260.

(٣) D?lger, *Regesten,Teil.5.*, no.2888,2890, pp. 8-9; Thiriet, *Sénat* , I, no.155. cf. also.
Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 260; Lemerle, *L' Emirat d'Aydin Byzance*, pp. 158-160.

أسره في القسطنطينية – إلا أن البابا حذره من السير صوب خيوس لأن ذلك ينأى عن الهدف الرئيسي للحملة [١].

ومما سبق يتضح أن المحرك الرئيسي للدوق البندقي للاشتراك في الحملة السابقة بسفن من أسطوله ليس فقط من أجل الإمبراطورة البيزنطية آنا بل كان أيضا من أجل مصالح البندقية في نيجروبونت التي كان يهددها الخطر التركماني في ذلك الوقت.

وفي عام ١٣٤٤م قامت الإدارة البيزنطية بعدة إجراءات أثارت حفيظة التجار البنادقة عليها؛ نتيجة لقيامها بفرض الضرائب على القمح الذي يجلبه التجار البنادقة من آسيا الصغرى عن طريق فوكايا للقسطنطينية، وكذلك نتيجة لحرمان البنادقة من الاتجار في النبيذ داخل حاناتهم- بينما كان مصرح للبيزنطيين وحدهم الاتجار في النبيذ –، مما اعتبرته جمهورية البندقية انتهاكا وخرقا للمعاهدات المبرمة بينها و بين بيزنطة، ولذلك أرسل الدوق البندقي إلى القنصل الخاص به في القسطنطينية للسعي في إلغاء هذه الإجراءات السابقة، وكذلك أرسل الدوق البندقي أيضا خطابا إلى الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس شخصيا يطلب منه اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية التجار البنادقة من تلك الرسوم المفروضة علي تجارتهم في القمح، وأن يحمي الرعايا البنادقة داخل العاصمة القسطنطينية وكان ذلك في عام ١٣٤٥م [٢].

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 583-584; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 2, p. 765-767. cf. also Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 260-261; Lemerle, *L' Emirat d'Aydin Byzance*, pp. 180-203; Atiya, A., *The Crusade in the later Middle Ages* New York, 1965, pp. 290-318;Setton,K.,*The papacy and the Levant (1204- 1571)*,vol. I:*The Thirteenth and Fourteenth Centuries*, pp. 182-223; Geanakoplos, D., *Byzantium and Crusades 1261-1354*, in. Setton, K., (ed.), *A History of Crusades*, London, 1975, vol. III, pp. 58-61.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص ١٥٣.

(٢) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص ١٥٣.

وعلى اية حال ففي نهاية عام ١٣٤٧م عانى شعب القسطنطينية من مجاعة بسبب قيام خان التتار Tatars بطرد التجار الإيطاليين من أراضيه، فجاءت سفن الطعام البندقية والجنوية فارغة من القرم، ولقد امتدت المجاعة إلى المستعمرات البندقية الأخرى وإلى ايطاليا نفسها مما اضطر البندقية إلى عقد معاهدة مع التتار، والتي استطاعت بمقتضاها سفن الحبوب البندقية الإبحار إلى القرم مرة أخرى من أجل الحصول على الحبوب لتوريدها للقسطنطينية وغيرها، مما أغضب الجنويين وقاموا بكل ما في وسعهم لوقف التوسع البندقي في البحر الأسود، ليتحكموا في تجارة الحبوب الواردة لبيزنطة مما أشعل الحرب بين البندقية وجنوا[٣].

ولقد استغل الملك الصربي ستيفن دوشان الحرب الأهلية البيزنطية وقام بالتوسع على حسابها ومد سلطانه حتى الأرخبيل، واتخذ لنفسه لقب إمبراطور القسطنطينية، وعندما أخذ يعد من أجل غزو تراقيا والعاصمة البيزنطية رأى أنه ينقصه قوة بحرية ومن أجل ذلك اتصل بالبندقية في ١٣٥٠م ليحصل على معاونتها مقابل حصولها على السيادة الكاملة على بيرا Pera– غلاطية – أو إبيروس[١] ولكنه تلقى الرفض، لأن البندقية رأت أنها لا تستطيع انتهاك المعاهدات المبرمة بينها وبين بيزنطة وأنها تفضل أن تكون محايدة[٢].

---

(٣) Thiriet, *Sénat*, I, no.162,164,175, 180,196,201,203. cf. also Nicol, *Byzantium and Venice*, pp.261-262.

(١) أما إبيروس Epirus تقع في الركن الشمالي الغربي من بلاد اليونان إلي الجنوب من ألبانيا فتقع ما بين جبال بيندوس Pindus والبحر الأيوني Ionion، و لقد أكسبت مرتفعات بيندوس إمارة إبيروس حماية طبيعية من هجمات الأعداء، ومناخها يمثل نقطة انتقالية بين مناخ البحر المتوسط المعتدل ووسط أوروبا البارد، وترجع تسمية إبيروس إلي أهم حكامها ويدعى بيروس Pyrrhus الذي نجح في اجتياز الحاجز الجبلي من خلال الممرات الجبلية لتلك الجبال وتأمينها لتمر خلالها القوافل البشرية لتعلن عن إحياء المنطقة لأول مرة واتصالها بعد ذلك ببقية بلاد اليونان، ولقد تحققت لها الوحدة مع جميع بلاد اليونان علي يد الإسكندر الأكبر المقدوني، و قد آلت إلي روما بعد صراع مرير مع مقدونيا عام ١٦٧ ق.م، ولقد تعرضت لكثير من عمليات السلب والنهب أثناء الهجمات التي شنها الوندال عليها خلال القرن الخامس الميلادي وأعاد تحصينها مرة أخري الإمبراطور جستنيان الأول، ولقد احتلها الصرب عام ١٢٦١م وسقطت في أيدي العثمانيين في عام ١٤٣٠م ولمزيد من التفاصيل انظر: ليلي عبد الجواد، السياسة الخارجية

وبعد أن تولى حنا السادس سدة الحكم وتم تتويجه مرة أخرى على يد البطريرك إيزيدور Isidore كإمبراطور بيزنطي رسمي في الثالث عشر من يوليو عام ١٣٤٧م –، وصل إليه سفراء من البندقية يهنئوه بتوليه الحكم و يثنوا عليه ويطالبوه بتجديد المعاهدات المبرمة معهم، وأن يقدم تعويضات للرعايا البنادقة لما لحق بهم من أضرار نتيجة للضرائب المفروضة عليهم، (٣).

للملكة اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥٦-٥٧؛ محمد عثمان عبد الجليل، إبيروس وسياستها الخارجية، ص ١٩-٢٠؛ ناهد صالح، السياسة الخارجية، ص ١٨٠؛ إسحق عبيد، الدولة البيزنطية، ص ٢٠-٢١؛ روبرت لي وولف، الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ص ٤٣٢، هامش رقم ٤٦١ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٨٨.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum,* vol.3,p.152. cf. also. Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 32; Miller, *The Balkans, Rouman, Bulgaria, Servia, Montenegro*, p. 276; Dinic, "The Balkans (1018-1499)", pp. 539-540; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 131; Cirkovic, "Between Kingdom and Empire: Dušan State 1346- 1355", pp. 111.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٥٧- ١٥٨؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٥٢.

– لمزيد من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية الصربية انظر الفصل الرابع .

(٣) Cantacuzenus, *History*, p.165.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص ١٥٢-١٥٣.

– يتضح ذلك من خلال ما كتبه القنصل البندقي في القسطنطينية للدوق في فبراير عام ١٣٤٧" فبالنسبة لسكان البندقية ممن قطنوا المدينة – القسطنطينية – فقد ترقبوا الأحداث بدافع القلق، حيث أن التقارير الواردة من القنصل البندقي في تسالونيكا كانت إلى حد ما غير مطمئنة وذلك بسبب الثورات السياسية والاجتماعية التي اندلعت بدون سابق إنذار على مر تاريخ بيزنطة نتيجة لاستياء الناس هناك من حنا كانتاكوزينوس. فمن الأحزاب السياسية التي استولت على السلطة كانت جماعة معروفة باسم الثوار المدافعون وامتد حكمها لعام ١٣٥٠. ومن الواضح أن البنادقة قد شاهدوا تطورات الأحداث عن كثب وفي هذا الوقت كان كانتاكوزينوس قد توج للمرة الثانية كإمبراطور بعد سنة من تتويجه أول مرة في أدرنه". انظر:

Thiriet, *Sénat*, I, no.203 (14 July 1347). cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 263.

و يعلق نيكول قائلا " لو أن القنصل البندقي بالقسطنطينية كان حاضرا لمراسم التتويج لكان سيلاحظ ما لاحظه الحضور في مراسم التتويج وهو أن مجوهرات التاج الملكي كانت مصنوعة من الزجاج وأن أطباق الطعام في المأدبة كانت الأواني الفخارية. حيث باعت الإمبراطورة آنا معظم أطباقها الذهبية والفضية ومجوهرات التاج أثناء الحرب الأهلية للبندقية، ويبدوا أن القنصل البندقي في القسطنطينية قد علم أن مجوهرات التاج الحقيقة كانت ترقد آمنة في خزانة القديس ماركس" [١].

وعلى أية حال فبعد وفاة مارتينو زاكاريا بعامين – أي في عام ١٣٤٧م – تحقق حلمه ورجعت جزيرة خيوس تحت الحكم الجنوي مرة ثانية واستقلت ذاتيا عن الحكم البيزنطي بفضل القائد الجنوي سيمون فيجنوسي Simone Vignosi [٢]. ويشير حنا كانتاكوزينوس إلى ذلك قائلا "إن هؤلاء اللاتين من البشر المعاديين دائما للرومان والمتآمرين عليهم والذين كان لديهم استعداد دائم لنقض المواثيق والحنث بالأيمان، فعندما كان الإمبراطور أندرونيكوس على قيد الحياة انتهكوا الاتفاقات وسيطروا على فوكايا وميتيلين Mitylenen[٣] فألحق بهم الإمبراطور أندرونيكوس عار وخزي الهزيمة، وبعد وفاة أندرونيكوس

---

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 263.

(٢) Cantacuzenus, *History*, p. 333; Stellae Georgii, *Annales Genuenses*, *Rerum Italicarum Scriptores*, vol. 17, ed. L .Muratori (Milan,1730), p. 1088-1089. cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 226.
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٥٣.

(٣) ميتيلين Mitylenen، فهي عاصمة جزيرة ليسبوس Lesbos وميناء على الساحل الجنوبي الشرقي لبحر ايجة ، خضعت للحكم الأثيني ، ثم أعلنت الثورة عليه عام ٤٢٨ ق.م ومدة حروب البيلوبونيز، ثم استعاد الأثينيون سيطرتهم عليها بالقوة عام ٣٥٦ ق.م ، ولقد أغار عليها الرومان وخربوها عام ٨٦ ق.م ثم جددها بومبيوس بعدها. انظر: سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٦٩-٤٧٠؛ أحمد كامل عبد المقصود، الجماعات القطالونية، ص ٦٩؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٢٢، هامش رقم (٣).

عندما كان الرومان مشاركين في الحرب الأهلية قاموا بمهاجمة واحتلال خيوس دون التفكير في قسمهم أو اتفاقهم مع الإمبراطورة آنا " (٤).

وترجع أحداث عودة جزيرة خيوس للجنويين إلى اندلاع ثورة بين سكان سواحل ليجوريا Ligurie في عام ١٣٤٥م ولإخماد هذه الثورة كان لابد من استخدام أسطول، إلا أن خزانة مدينة جنوا كانت خاوية. واستجابة لنداء الدولة تكفل عدد من المواطنين الأثرياء بتجهيز أسطول بشرط أن تضمن لهم الدولة سداد ما أدوا من نفقات، وأقاموا علي رأس الأسطول رجلا باسلا من رجال الشعب يدعي سيمون فيجنوسي. وبعد أن تم القضاء علي المتمردين دون أي مقاومة، أراد سيمون فيجنوسي الاستفادة من الأسطول المجهز تحت قيادته، وأبحر به- عبر البحر الأسود- لإنقاذ الجالية الجنوية التي كانت في حاجة ماسة إلي الحماية في جزيرة خيوس، لغادر الأسطول جنوا في ربيع عام ١٣٤٦م ووصل في الثامن من يونيه١٣٤٦م إلي نيجروبونت – المحطة الوسطي – ولكنه وجد بها أسطولا آخر يتأهب للإقلاع في حملة يقودها همبرت الثاني Humbert II ولي عهد فيينا لإنقاذ سميرنا التي أطبق عليها الأتراك، وكان ولي العهد عند وصوله إلي نيجروبونت قد عقد علي الأرجح مفاوضات مع الوصية علي العرش البيزنطي بقصد الحصول منها علي التنازل له عن جزيرة خيوس لمدة ثلاث سنوات، وهي المدة المحددة للحملة التي يتولى قيادتها، وكان لابد أن تكون هذه الجزيرة قاعدة لعملياته اللاحقة في آسيا الصغرى، ويبدو أن الإمبراطورة آنا، بعد أن رحبت أولا بهذا الطلب غيرت رأيها، لأن سيطرت همبرت الثاني تعني سيطرة البندقية علي الجزيرة، ولقد رأت الإمبراطورة آنا في استيلاء البندقية على جزيرة خيوس تهديدا للعلاقات الجنوية البيزنطية وعلى أية حال تأهب ولي العهد لاحتلال الجزيرة بالقوة وذلك في الوقت الذي دخل فيه سيمون فيجنوسي ميناء نيجروبونت بأسطوله الذي يضم تسعا وعشرين سفينة وعرض عليه همبرت الثاني مبالغ ضخمة للحصول علي معاونته، أو علي الأقل حياده، إلا أنه رفض ذلك، وسار سيمون فيجنوسي من ميناء نيجروبونت إلى

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 68; Eng.Trans., p. 202.

الجزيرة التي عرض على أهلها بمجرد وصوله المساعدة أمام حملة همبرت الثاني والبنادقة الوشيكة مقابل رفع العلم الجنوي والسماح له ولفرقته بدخول الجزيرة إلا أنهم رفضوا ذلك مما اضطر سيمون فيجنوسي إلى اللجوء لاستخدام القوة، فسيطر على الجزيرة في أربعة أيام في السادس عشر من يونيو ١٣٤٦م فيما عدا قلعتها التي استسلمت بعد حصار استغرق ثلاثة شهور في الثاني عشر من سبتمبر عام ١٣٤٦م[١].

ولكي يكسب سيمون فيجنوسي السكان البيزنطيين القاطنين لجزيرة خيوس ومدينتي فوكايا القديمة والجديدة ويحولهم من رعايا بيزنطيين إلى رعايا جنويين أجزل عليهم العطايا والمنح وأعطى لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية والمدنية ووفر لهم الحامية العسكرية الكافية لحمايتهم. ومن ثم كان نجاح حملة سيمون فيجنوسي في استرداد خيوس دافعا قويا له للتفكير في استعادة مدينتي فوكايا القديمة و الجديدة - اللتين اجتمعتا لزمن طويل مع جزيرة خيوس تحت سيادة أسرة واحدة من أمراء جنويين وهم آل زاكاريا - من أيدي البيزنطيين، وكان سيمون فيجنوسي وفرقته يريدون أيضا الثأر من سكان هاتين المدينتين الذين لم يكفوا عن قتالهم أثناء حصار قلعة خيوس. وقد سقطت المدينتان كلتاهما في أيديهم في شهر واحد - فوكايا القديمة في الثامن عشر من سبتمبر عام ١٣٤٦م، وفوكايا الجديدة في العشرين من سبتمبر١٣٤٦م -، ثم أراد سيمون فيجنوسي مواصلة طريقه لاستعادة ليسبوس Lesbos[١] وتينيدوس

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 68 ; Eng. Trans., pp. 202,331,333;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 2, p. 765-767. cf. also. Antologia Giornale di Scienze, Lettere E Arti vol. XLIII, 1830, p. 40; Bertolotti, Davide,Viaggio in Savoia, Tomo Primo, 1828, p. 55; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 260-261; Lemerle, *L' Emirat d'Aydin Byzance*, pp. 180-203;Atiya, A., *The Crusade in the later Middle Ages* New York, 1965, pp. 290-318; Setton,K.,*The papacy and the Levant*, pp. 182-223; Geanakoplos, *Byzantium and Crusades*, pp. 60-61; Soulis, *The Serbs*, p. 40.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٥٣-١٥٤، جـ٣، ص٤٦-٤٧.

(١) ليسبوس Lesbos، من أعظم جزر بحر إيجة تقع بالقرب من سواحل آسيا الصغرى، تشتهر بالرخام والنبيذ واستولى عليها الفرس أول حكم كيروش وخربها الأثينيون عام ٤٠٥

Tenedos، إلا أنه لم يكمل ذلك بسبب رفض فرقته مواصلة القتال مما جعله يقرر العودة إلى خيوس [٢].

من الواضح أن ما أحرزه الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث من نجاحات سابقة في خيوس وفوكايا قد ضاع بسبب انشغال الإدارة البيزنطية بالحرب الأهلية التي قسمت المجتمع البيزنطي إلى حلفين متناحرين متنازعين، وبسبب وصول الإمبراطورية البيزنطية إلى حالة من الضعف الشديد جعلتها غير قادرة على الدفاع عن ممتلكاتها فقد انتزع منها الغربيون بكل سهولة جزيرة خيوس دون أن تحرك الإدارة البيزنطية ساكنا بسبب الحرب الأهلية التي مزقتها، فكانت الإمبراطورة آنا مجردة من كل شيء؛من المال اللازم لتجهيز أسطول يدافع عنها و يحميها، والرجال غير القادرين على رعاية مصالح الإمبراطورية وقيادتها، فلم تكن في حالة تسمح لها بالتصدي لحملة سيمون فيجنوسي، ذلك على الرغم من طلب الإمبراطورة آنا من البندقية التصدي لهذه الحملة؛ إلا أن الأخيرة أرسلت أسطولا تحت قيادة فاتشيولاتي Facciolati لإنقاذ الجزيرة ولكنه وصل متأخرا و للحفاظ على ماء وجهه قام بالتعدي على بعض السفن الجنوية التجارية قتل خلالها بعض ربابنتها، مما أثار حفيظة السكان الجنويين في غلاطية و أرادوا الانتقام منه، إلا أنه رجع مسرعا خوفا من بطشهم، مما جعلهم ينتقمون من الإمبراطورة البيزنطية -السبب المباشر لتلك الأضرار التي لحقت بهم- بأن منعوا تصدير القمح من غلاطية للقسطنطينية مما أحدث مجاعة في العاصمة البيزنطية[١].

وفي آخر عام من الحرب الأهلية البيزنطية-١٣٤٧م-، أوقف الجنويين إمداد القسطنطينية بالقمح وذلك انتقاما من إغراق اثنين من سفنهم، وتباهوا بأنهم

ق م ولخضعها الإسكندر الأكبر والرومان واستولى عليها السلطان محمد الفاتح عام ٨٦٧هـ /١٤٦٢م ، وتبلغ مساحتها مائة ميل وعرضها ٢٥ ميلا وطولها ٢٦ ميلا. انظر: سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٧٠؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص١٣٧، هامش رقم (٤).

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 599-600.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٥٥.

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 766.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٦٠.

هم الوحيدون القادرون على تحديد ما إذا كان سكان المدينة يعيشون أو يموتون جوعا حيث إنهم لا يستطيعون الحصول على القمح من أي مصدر آخر[٢]، مما جعل الإمبراطورة آنا تجري اتصالات مع الجنوية في غلاطية من أجل تسوية الموقف بأن تكفلت بدفع ما لحق بهم من أضرار وفي المقابل تعهد الجنويين بإمداد القسطنطينية بالقمح اللازم لها[٣].

ولقد تأرجحت سياسة الجنويين أثناء الحرب الأهلية بين الحلفين المتنازعين البيزنطيين؛ فنجدهم يتعاونوا مع حلف الأوصياء بالقسطنطينية تارة، ويساندوا حلف الأرستقراطية البيزنطية تارة أخرى، لكن نتيجة للأضرار الآنفة الذكر ومع نهاية الحرب الأهلية قلب الجنويون ظهر المجن في وجه الإمبراطورة آنا وابنها حنا الخامس مولين وجههم شطر المنتصر في الحرب الأهلية حنا كانتاكوزينوس؛ كنتيجة طبيعية لما قام به الأخير من قرارات فور توليه سدة الحكم رسميا من العاصمة القسطنطينية وهي تشجيع المدن التجارية – الإيطالية – على زيادة نشاطها التجاري داخل القسطنطينية، من خلال تخفيض الضرائب المفروضة على البضائع المستوردة إلى العاصمة، مما أدى إلى زيادة النشاط التجاري الجنوي في غلاطية على حساب الإمبراطورية البيزنطية[٤].

---

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 766-767. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 264.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 582-583; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 2, p. 766-767.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص ١٦٠.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 502-522,607;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 2, pp. 734,775,842.cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 40.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٦٠-١٦١.

وفي أواخر الحرب الأهلية عام ١٣٤٧م انتشر مرض الطاعون في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية، والذي انتقل عن طريق– الفئران – السفن الإيطالية القادمة من القرم إلى القسطنطينية و الذي راح فيه كثير من الضحايا من البيزنطيين– كان من بينهم أحد أبناء حنا السادس – والبنادقة بالعاصمة والجنويين بغلاطية. لمزيد من التفاصيل انظر:

ورغم الإجراءات السابقة إلا أن حنا كانتاكوزينوس كان يكن كراهية دفينة للجنويين بشكل عام بسبب تحالفهم وتعاطفهم مع خصومه الإمبراطورة آنا السافواية وابنها حنا الخامس أثناء الحرب الأهلية ضده وكذلك نتيجة لإعادتهم احتلال جزيرة خيوس والموانئ الرئيسية لفوكايا التي استرجعها الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث عام ١٣٢٩م [١] وظهر ذلك واضحا في الكلمة التي ألقاها حنا كانتاكوزينوس على البيزنطيين بعد تولية الحكم فقد أشار قائلا " في الوقت الذي كنا ننوي فيه وضع قوة بحرية للسيطرة على البحر قام اللاتين الذين شنوا الحرب علينا مسبقا بتشكيل تآمر مع آخرين للتخطيط للفرار بحنا الشاب الذي كان لا يزال صغيرا ولم ينضج بعد إلى قلعتهم بغلاطية دون علم والدته الإمبراطورة آنا، وعندما اكتشفنا تلك المؤامرة قمنا بالقبض عليهم وعاقبناهم بالسجن، وبعد فترة قصيرة عفونا عنهم وأطلقنا سراحهم من السجن مرة أخرى" [٢].

ولكن نتيجة لنمو تجارة الجنويين في غلاطية بشكل كبير على حساب تجارة الإمبراطورية البيزنطية، ويتضح ذلك من خلال إيراد ضرائبها المفروضة على السلع المستوردة والتي بلغت حوالي مائتي ألف هيبربيرون أي سبعة أضعاف دخل القسطنطينية تقريبا حيث كان إيراد الرسوم الجمركية للقسطنطينية حوالي ثلاثين ألف هيبربيرون، ولذلك قرر الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس أن تلعب القسطنطينية دور غلاطية التجاري بأن خفض الرسوم

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 49-53; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, pp.781-797,841-42; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 271-272; cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 265-266;Vasiliev, A., *Histoire de L' Empire Byzantin* ,Tome, II.,(1081-1453), Paris,1932, pp. 311-312.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 42; Cantacuzenus, *History*, pp. 178, 292; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 2, p. 854. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 264.

(٢) Cantacuzenus, *History*, p. 178.

الجمركية في القسطنطينية ليزيد من مرور البضائع والسفن التجارية [٣]، وكذلك قام ببعض الإجراءات الخاصة بالنهوض بقطع البحرية البيزنطية وزيادة عددها و إدخال بعض الأساليب الحديثة لها مثل البوصلة و غيرها، ورصد مبلغ و قدره خمسين ألف هيبربيرون من أجل بناء أسطول جديد، مما أدى إلى انزعاج واستياء الجنويين في غلاطية من التدابير والإجراءات السابقة، والذي زاد من توتر العلاقات بين جنوي غلاطية وحنا كانتاكوزينوس أيضا هو رفضه لطلبهم الخاص بتوسيع حيهم الذي ازدحم بهم؛ مما جعلهم يغيرون على المناطق البيزنطية المحيطة بهم منتهزين فرصة غياب حنا كانتاكوزينوس خارج العاصمة لمدة عام في مدينة ديديموتيخوس Didymotichus [١] في صيف عام ١٣٤٨م [٢].

---

[٣] Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 842. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 40;
Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 264.
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص ١٦٠-١٦١.

[١] ديديموتيخوس Didymotichus، هي إحدى مدن تراقياThrace، تقع على أحد التلال المطلة على نهر إريثروث Erythros، أصبحت مدينة حصينة وهامة مع نهاية القرن الثاني عشر، كانت المركز الرئيسي للإمبراطور حنا الرابع كانتاكوزينوس John VI Cantacuzenus أثناء الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٤١-١٣٤٧م) وتبعد عن القسطنطينية بحوالي خمس وتسعين ميلا، يعني اسمها " الجدار المزدوج " ولقد احتلها الأتراك العثمانيون في نوفمبر ١٣٦١. انظر:
Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 169; *ODB*, vol. 1, p. 620;
Brehier, *Vie et Mort de Byzance*, p. 130.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٦٥.

[٢] Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3.pp.68-69. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 40-41;
Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 264.
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦١.
- يشير سوليسSoulis إلى تدمير الأسطول البيزنطي الذي كان يجدده حنا كانتاكوزينوس على يد جنوي غلاطية في ربيع عام ١٣٤٩م.انظر:
Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 41.

ويشير المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس إلى الأسباب الحقيقية والمباشرة التي أدت إلى الصدام بين البيزنطيين وجنوي غلاطية قائلا " لقد كانت سياسة حنا كانتاكوزينوس الرامية لبناء أسطول بيزنطي جديد، وكذلك خفضه للرسوم المفروضة على البضائع في ميناء القسطنطينية، هما السببان الأساسيان لاشتعال تلك الحرب" (٣).

وكان الإمبراطور حنا السادس يعرف نواياهم السيئة التي أدركها عندما طلبوا منه أن يتنازل لهم عن المنطقة الموجودة فوق حصنهم بحجة توسيع حيهم، بينما كانوا يخططون من أجل تطويق أنفسهم بجدار عالي يتمثل في المرتفعات التي يرغبون في السيطرة عليها والذى يحميهم من أي حصار قد يفرض عليهم جانب البيزنطيين، وكذلك كانوا يخططوا من إحكام السيطرة على البحر لمنع البيزنطيين من الإبحار والاتجار، ولذلك رفض حنا السادس إقطاعهم تلك التلال و المرتفعات، ورأى أنه يجب التخلص منهم لأنهم ليس لهم عهد ولا ميثاق، ولذلك أخذ يجهز السفن التي قد يحتاجها في الحرب معهم(٤).

ومن ناحية أخرى لقد سبب حصول الجنوية على مستعمرة غلاطية المستقلة غضبا شديداً للبندقية وأشعل الغيرة في قلوبها وزادها حنقا على الجنوية؛ حيث إنها لم تمنح مثل ذلك الاستقلال ولذلك بدأوا يستغلوا سياسة حنا السادس المعادية للجنوية لتحقيق مصالحهم الخاصة(١).

وعلى أية حال لقد انقسم الجنويون في غلاطية على أنفسهم إلى قسمين: الأول منهم رأى أنه ليس من الحكمة الدخول في حرب ضد الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس، أما القسم الثاني فرأى في الحرب تحقيقا لأهدافه، ولقد انتصر الرأي القائل بإعلان الحرب على بيزنطة؛ حيث قام الجنويون في اليوم الأول ليلا بالهجوم على منازل البيزنطيين على الشاطئ المقابل لهم خاصة البوابة

---

(٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 842.

(٤) Cantacuzenus, *History*, p. 203.

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 264.

الإمبراطورية توبكابي Topkapi عند مدخل القــرن الــذهبيGolden Horn وأطلقوا عليهم للنار وعلى جميع منازلهم، وفي اليوم التــالي قــاموا بتحصــين أنفسهم جيدا وتجهيز سفنهم وعدد من القوارب الشــراعية الســريعة، و قــاموا بحرق منازل البيزنطيين التي تقع خارج أسوار بيزنطة على طول البحر، وقاموا بأسر بعض وسائل النقل البيزنطية وعرقلة الكثير منها، وتعــدى الأمــر إلــى أصعب من ذلك حيث قاموا بحرق السفن البيزنطية التجارية التي كــان راســية أمامهم في القرن الذهبي فيما عدا السفن الصغيرة منها و ثلاثة أخرى كبيرة[٢].

ولقد شهد مانويل الابن الثاني لحنا كانتاكوزينوس الدمار الشامل الذي حل بالبيزنطيين بنفسه وقد قاد السفن البيزنطية وأمرهم بالتجمع في مكان بعيــد إلى حد ما يسمى كوسميديو Cosmidio ثم اتجه بهم شمالا عبر النهــر فــي مكان آخر يسمى بيسام Pissam – يقع عند فم النهر عند رأس القرن الذهبي – [٣].

ويشير حنا كانتاكوزينوس للإجراءات التي قام بها الجنويون قائلا " هكذا كان من الواضح أن اللاتين هم السبب في الحرب ضد الرومــان، وأنهــم قــد سيطروا على البحر، وقد مخرت سفنهم عباب البحر صعودا ونزولا على طول السواحل فأحدثوا تدميراً لكل شيء، وقد قاموا بتحصين أنفسهم ببناء برج أعلــى قمة التل الذي يشرفون عليه، وبنوا أيضا جدار مرتفع لتأمين سلامتهم، وادخروا كثير من المؤن والموارد و المعدات، وطوقوا أنفسهم أيضا بكثير من الحــواجز

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 69-70; Eng. Trans., pp. 204,335; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, pp. 844-847; Schreiner," La Chronique Breve de 1352", p. 38, no.50. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 40-41; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 267.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢ ص١٦١.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 70-71; Eng. Trans., pp. 204-205; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 847.

والسياج والأوتاد الخشبية، وقد أنجزوا كل ذلك في وقت قصير بسبب اشـــتراك الرجال والنساء معا على مدار اليوم بكل شجاعة و همة عالية[1].

ويشير المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس إلى البرج الذي شـــيده جنوي غلاطية قائلا " لقد تم بناء هذا البرج على قمة التل في عهد الإمبراطـــور أندرونيكوس الثالث عام ١٣٣٥م ولكن قام الإمبراطور بتدميره في نفس الســـنة أثناء حملته عليهم "[2].

وعلى الرغم من أن البيزنطيين لم يكن لديهم القدرة الكافية ولعدد اللازم لوقف الإجراءات والتحركات الجنوية السابقة في غلاطية، إلا أنه عنـــدما قـــام الجنويين بعدة هجمات أخرى متتالية على القسطنطينية وسفنها، تشـــجع الجنـــود البيزنطيين على الرغم من قلتهم وقاموا بإشعال النيران في المنازل الجنوية التي تقع خارج أسوار غلاطية، مما جعل الأسطول الجنويين يقوم بتطويق وحصـــار الميناء البيزنطي بالقسطنطينية لمنع أي سفينة تصل إلى المدينة بهدف عزلها عن العالم الخارجي وتضيق الخناق عليها، ولكن جاءت المفاجأة عندما صمد مواطنو العاصمة وجمعوا كل ما لديهم من موارد بشرية و مادية، واستعانوا بجنود مـــن جزيرة خيوس للدفاع عن مدينتهم بكل بسالة وشجاعة، مما اضـــطر الجنـــويين للانسحاب والعودة إلى غلاطية بعد فشلهم في تلك الحملة التي كانت في الخامس عشر والسادس عشر من شهر أغسطس عام ١٣٤٨م [3]، ولذلك قـــرروا عقـــد صلح مع بيزنطة فأرسلوا وفد دبلوماســـي للعاصـــمة القســـطنطينية اســـتقبلته

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 70-71; Eng.Trans., pp. 204-205.

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.1, p. 527.

(٣) Cantacuzenus, *History*, p. 334; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 842-843; Schreiner," La Chronique Breve de 1352", p. 38, no.50;
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢.

الإمبراطورة إيرين Irene زوجة حنا السادس و لكنه فشل في التوصل معها لتسوية لإنهاء الأزمة وعاد إلى غلاطية مرة أخرى [٤].

وفي الحقيقة يرجع الفضل في الانتصار السابق إلى الديسبوت Despot [٥] مانويل الذي أسس وحدة دفاع ناجحة اعتمد فيها في البداية على عامة الناس من الحرفيين – صناع الأحذية والنحاس والخزف والحفارين –، ثم انضم إليهم كثير من المواطنين البيزنطيين البارزين[١].

وعلى أية حال عندما وصلت تلك الأنباء إلى أسماع الإمبراطور حنا السادس أثناء وجوده في مدينة ديديموتيخوس من اعتداء وهجوم جنوي وحشي على البيزنطيين حزن حزنا شديدا، وقام على الفور بركوب فرسه على الرغم من إصابته بمرض الحمى للعودة للقسطنطينية لمواجهة الجنويين في غلاطية وأحضر معه مالا وتعزيزات وسفنا لتحل محل السفن التي دمرت [٢].

وعقب وصول حنا السادس إلى القسطنطينية في أول أكتوبر عام ١٣٤٨م وبرفقته حنا باليولوجوس؛ التقى بعدد كبير من الشعب البيزنطي داخل القصر الإمبراطوري في الثاني من أكتوبر عام ١٣٤٨م [٣]، فطلبوا منه ألا

---

(٤) Cantacuzenus, *History*, p. 336; Gregoras, *Byzantinae Historiae* , vol.2, pp. 845-846.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢.

(٥) الديسبوت Despot، ظهر هذا اللقب منذ منتصف القرن الرابع عشر وهو عضو صغير من الأسرة الإمبراطورية وكان يدين بالولاء والطاعة للإمبراطور البيزنطي، وأول من حمل هذا اللقب هو ديسبوت Despot تسالونيكا انظر: رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٠٦-١٠٧؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص٩١، هامش رقم (٣).

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 849-851.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 67,71;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 2, pp. 842-843; Miller, *The History of John Cantacuzenus(Book IV)*, p. 205.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 71; Eng.Trans., pp. 205,338; Gregoras,

يتخلى عنهم، فهم عانوا كثيرا من المعاملة السيئة من اللاتين و التي لم يعدو يتحملوها خاصة الحملة الهجومية الشرسة التي شنها جنوي غلاطية مؤخرا عليهم ويشير حنا السادس للحوار الذي تم بينه وبين مواطنيه الذين قالو له ". إننا لم نعد نتحمل اللاتين وهجماتهم الوحشية ضدنا، وإننا على استعداد تام بأن ندعمك بأموالنا لخوض تلك الحرب المرتقبة ضد اللاتين الذين تسببوا في قتل العديد من الأبرياء، وتدمير وتخريب العديد من السفن والممتلكات والمنازل القريبة منهم والتي تعرضت جميعها للحرق، ثم يرد عليهم حنا كانتاكوزينوس قائلا " إننا نلومكم في البداية بسبب حماسكم الذي أتى متأخراء فكان عليكم أن تساهموا بالمال عندما طلبت منكم ذلك من قبل عندما تجرأ اللاتين بالاعتداء على مثل هذه الأشياء وانتهكوها، وأننا قد توقعنا حدوث ذلك بسبب خبراتنا في مثل تلك الأمور، واقترح من وجهة نظري أن ما سوف يحقق الفائدة بشكل كبير في وقت لاحق هو إعلان الحرب على اللاتين، وقد وقع اختيارنا على القائد البيزنطي قسطنطين طارخانيوت Constantinum Tarchaniotum لقيادة تلك الحرب والذي قد أوكلت إليه من قبل مسئولية جمع وإعداد السفن، فقد جلب الخشب اللازم لذلك بصعوبة بالغة وعمل شاق من جبال سيرجينتي Sergentii المقابلة للقسطنطينية بواسطة البغال والثيران على الرغم من إحكام وسيطرة جنوي غلاطية على البحر، فتم بناء وتشييد هذه السفن في الأماكن المخصصة لها.(1)

كان جنوي غلاطية يأملون في أن يتخلى الإمبراطور حنا السادس عن الحرب ضدهم بمجرد عودته من ديديموتيخوس إلى القسطنطينية ويتنازل لهم عن الأراضي البيزنطية التي طلبوها منه سابقا، ويصلوا معه إلي اتفاق يسمح لهم السيطرة علي البحر ولكن حدث عكس ما توقعوه، حيث شاهدوا الإمبراطور يجهز السفن ويستعد لحربهم، وهو الأمر الذي جعلهم يغيرون سياستهم ويسعون لفتح باب المفاوضات مع الإمبراطور البيزنطي من أجل عقد معاهدة سلام، ولذلك أرسلوا له خطابا يحمل هذا المعنى في بادئ الأمر، وجاء رد حنا السادس عليهم أيضا في شكل خطاب جاء في صدره رفض وتوبيخ لهم بسبب هجماتهم على القسطنطينية أثناء مرضه وخيانتهم للمواثيق المبرمة بينهم، لأنه لم يلحق

Byzantinae Historiae, vol. 2, pp. 854-855.
(1) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 71-72; Eng. Trans., pp. 205-206; Schreiner,
" La Chronique Breve de 1352", p. 38, no.51.

بهم أي سوء، مما جعلهم يبحثون عن وسيط و شفيع لهم لدى حنا السادس تمثل في فرسان رودس الذين حاولوا التوفيق بين الطرفين ولكنهم فشلوا بسبب شروط حنا السادس التي تمثلت في إصراره على مغادرة الجنويين المكان الذي قاموا بتحصينه بالجدران العالية وأن يقوموا بتعويض بيزنطة عن الأشياء التي قاموا بتدميرها أثناء الحرب والتي رفضها الجنويون بالطبع، وبذلك انقطعت المفاوضات بين الطرفين في ذلك الوقت [٢].

قام الجنويون بعرقلة البحرية البيزنطية بأن جعلوا البحر أمام ميناء القسطنطينية غير صالح للملاحة البيزنطية عن طريق إلقاء الحجارة الكبيرة فيه، وألقوا أيضا الكثير من الحجارة في كل مكان داخل المدينة و لكنها لم تسبب أية أضرار للمواطنين[٣].

ونتيجة لضعف الأسطول البيزنطي أدرك حنا السادس حقيقة عدم قدرته على مواجهة الجنويين بحراً، فأرسل في بادئ الأمر جيشه براً لشن هجمات متكررة عليهم وفي نفس الوقت صمم البيزنطيون آلات كبيرة الحجم لقذف الحجارة على أعدائهم في غلاطية والتي أدت إلى تدمير الكثير من المنازل- خاصة الواقعة على البحر والمواجهة لهم على الشاطئ الأخر- وكذلك وسائل النقل وإغراق العديد من السفن الجنوية مما أدى إلى فرار البحارة الجنويين التي كانوا عليها، وإرسال جنوي غلاطية ثلاثة خطابات للقسطنطينية من أجل التفاوض و الوصول لتسوية ترضي الطرفين لإقرار السلام بينهم ، إلا أن الإمبراطور رد عليهم بالرفض نتيجة لإصرارهم على عدم قبول شروطه وهي مغادرة الأرض التي احتلوها مؤخرا والقلعة التي شيدوها في غلاطية[١].

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 72-73; Eng. Trans, pp. 206-207; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p.856.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 73;Eng. Trans, p. 207.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 73-74; Eng. Trans, p. 208.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢.

ولقد قضى حنا السادس الثلاثة أشهر المقبلة – أي فصل الشتاء لعام ١٣٤٨م– في تجهيز وتشييد سفنه التي اختار بحارتها بعناية فائقة، قام بتعيين البروتوستراتو Protostrator[٢] فازولاتي Fazzolati كقائد عام The General على ثلاث سفن على طول بيسام والميجادوكس Megadux – لقب أمير البحر وقائد الأسطول – زامبلاكونيوم Zamplaconem (تزامبلاكون Tzamplacon) على باقي السفن ذات الحجم الكبير، ونتيجة لرغبة زامبلاكونيوم وروحه التنافسية في أن تصبح سفنه الأكثر فاعلية في المعركة المرتقبة قام بزيادتها وإنشاء أبراج عالية على سطحها وزودها بالقوات والفرق العسكرية المسلحة تسليحا خفيفا[٣].

وفي الربيع أصبح الأسطول البيزنطي تحت قيادة زامبلاكونيوم مستعداً للتحرك خاصة وأن الظروف المناخية أيضا كانت مواتية للإبحار من المنطقة التي كانت السفن راسية فيها والتي تسمى جزيرة الأمراء إلى عرض البحر ليلا، فهاجموا وسائل النقل الجنوية الموجودة في المنطقة والتي دافع عنها أصحابها ببسالة، إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام النار التي أشعلها البيزنطيين وولوا مدبرين، ولكن عندما وصلت شائعة مفادها أن السفن الجنوية تحركت من غلاطية لمواجهتهم ترك البيزنطيون مواقعهم ولم يبق منهم سوى خمسين رجلا على ظهر السفن و لكن عندما تأكدوا بأنها شائعة رجعوا إلى سفنهم مرة ثانية[٤].

وفي نفس الوقت قامت الفرق العسكرية البيزنطية البرية تحت قيادة مانويل حنا كانتاكوزينوس بمحاصرة قلعة الجنويين بغلاطية وأصبح الجنويون في موقف لا يحسدون عليه؛ حيث أصبحوا محاصرين برا وبحرا، إلا أن قائد

---

(٢) البروتوستراتور Protostrator أركان الحرب والسكرتير الشخصي للإمبراطور البيزنطي انظر: ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٠٣ .

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3,p. 74; Eng. Trans., pp. 207, 343. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 267.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 74-75; Eng. Trans., pp. 208-209.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢.

البحرية الجنوي رأى أنه من الحكمة أن يبدأ أولا بالمواجهة البحرية لأن الأسطول البيزنطي كان ضعيفا لدرجة كبيرة لعدم تدريب رجاله تدريباً كافيا ولذلك بدأت المواجهة البحرية وذلك على الرغم من اعتراض الكثيرين من جنوي غلاطية على هذا القرار[1].

وعلى أية حال اتحدت السفن التي كانت تحت قيادة الميجادوكس زامبلاكوتيوم مع الثلاث سفن التي كانت تحت قيادة البروتوستراتور فازولاتي والتي قام بتسليحها تسليحا كافيا وقضوا الليل معا، ثم تحركوا مع بزوغ شمس اليوم التالي من عند بوابة تعرف باسم إيوجنيوس Eugenius ولكن لسوء حظ البيزنطيين قامت عاصفة قلبت الثلاث سفن التي كانت في المقدمة والتي كانت تحت قيادة فازولاتي فوقع جميع ما عليها في البحر من جنود وبحارة، مات منهم مائتا شخص كان من بينهم الميجادوكس زامبلاكوليوم والبروتوستراتور فازولاتي وأحد أصدقاء الإمبراطور حنا السادس شخصيا الذي يدعى مانويل فيلانثروبينوس Manuel Philanthropinos، والتقى ما تبقى من الأسطول البيزنطي بالبحرية الجنوية لغلاطية التي لقنتهم درسا قاسيا في فنون القتال البحري و ألحقت بهم هزيمة ساحقة، ثم قاموا بالاستيلاء على السفن البيزنطية وسحبوها إلى الشاطئ دون أن يعترضهم أحد [2].

أما عن الفرق العسكرية البيزنطية البرية المحاصرة لقلعة غلاطية والتي كانت تحت قيادة مانويل كانتاكوزينوس، فكانت تنتظر هجوم القوات البيزنطية البحرية أولا حتى يصبح جنوي غلاطية بين شقي الرحى، و لكن جاءت المفاجأة لهم عندما وجدوا القوات الجنوية تسحب السفن البيزنطية نحو الشاطئ مما أصابهم بالخوف والرعب وقرروا الانسحاب، ولكن الإمبراطور حنا السادس هدأ من روعهم وحثهم على مواصلة القتال مهما كانت الظروف، مما أعطاهم روح

---

[1] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢،ص١٦٢-١٦٣.

[2] Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp.75-76; Eng. Trans., pp. 209-210. cf. also.

Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 267-268.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٦٣.

معنوية عالية كانت سبباً رئيسياً في النصر الذي حققوه في اليوم التالي على القوات الجنوية بغلاطية [٣].

ولذلك قرر جنوي غلاطية فتح باب المفاوضات مع حنا كانتاكوزينوس عن طريق إرسال خطاب له في بادئ الأمر، ثم أرسلوا وفد من غلاطية للتفاوض معه وتسوية الأمر الذين استقبلهم بحفاوة بالغة وأحسن ضيافتهم، وتحدث معهم بهدوء ولطف، وبالفعل تم عقد معاهدة صلح وسلام بين الطرفين وفقا للشروط التالية والتي جاء في مقدمتها تنازلهم عن المناطق التي قاموا بتحصينها قبل وأثناء الحرب وفي المقابل منحهم الإمبراطور البيزنطي المنطقة التي كانوا يرغبون فيها وأعطى أوامره لابنه بالانسحاب من حدودهم، مما أحدث فرح شديد في غلاطية لانتهاء الحرب وإقرار السلام، وأقاموا احتفالا بتلك المناسبة وعبروا للإمبراطور البيزنطي عن عظيم امتنانهم ورصعوا راية الإمبراطورية البيزنطية بالذهب [١].

من الواضح أنه هناك مبالغة في رواية حنا السادس السابقة، فكيف يتسلى له وهو في حالة من الضعف الشديد وليس لديه القوة لا البرية ولا البحرية ولا القدرة في أن يفرض ويملي شروط على أعدائه الجنويين، الذين رفضوا الانصياع لأوامر المجلس الجنوي نفسه في وطنهم الأم جنوا من خلال سفارته التي تطلب منهم التخلي عن جميع الأراضي البيزنطية التي احتلوها مؤخرا، وأن يقدموا التعويض الكافي للأضرار والخسائر التي ألحقوها بالإمبراطورية البيزنطية – قدر هذا التعويض بمائة ألف هيبربيرون – ولكنهم رفضوا ذلك وأصروا على اغتصاب الأراضي البيزنطية التي اعترف بها الإمبراطور حنا السادس لعدم قدرته على حمايتها [٢].

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 76-77; Eng. Trans., p. 211. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 267-268.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 3, pp. 77-78; Eng. Trans., pp. 211-212.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 79; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.2,

ولقد تم توقيع اتفاقية بين الإمبراطور حنا السادس والسفراء الجنويين في عام ١٣٤٨م كان من أهم بنودها: السماح للجنويين المقيمين في الجزيرة منذ عشر سنوات بالبقاء فيها، تعهد الجنويون بدفع ضريبة سنوية مقدرها ١٢٠٠٠ قطعة ذهبية (١٢٠٠٠ هيربيرون) للإمبراطور البيزنطي، أن ترد الشركة الجنوية الخاصة بقيادة سيمون فيجنوسي في الحال جزيرة خيوس للإمبراطور حنا السادس، اعتراف الجنويين المقيمين بالجزيرة بالسيادة البيزنطية عليهم، أن يرفع الجنويون راية الإمبراطورية البيزنطية على أسوار حيهم، أن يبقى للجنويين حيازة عاصمة الجزيرة حتى عام ١٣٧٥م، يتم تشييد أسقفية تتبع الكنيسة البيزنطية ويصلى فيها كل يوم سبت من أجل الأباطرة البيزنطيين وفقا للعرف البيزنطي، وكذلك يتم ذكر الإمبراطور البيزنطي في صلواتهم، أما عن باقي الجزيرة من قرى وحصون فيما عدا العاصمة فهي تكون تحت التصرف المباشر للإمبراطور البيزنطي الذي يعين عليها أحد رجاله، في حالة حدوث نزاع بين فردين أحدهما جنوي والأخر بيزنطي في الجزيرة يكون المختص بالنظر في قضيتهم والفصل فيها للحاكم البيزنطي المعين من قبل الإمبراطور، في حالة فشل الحاكم البيزنطي في البت في أحد النزاعات في الجزيرة بين الجنويين والبيزنطيين يكون الأمر مخولا في هذه الحالة لحكم الإمبراطور البيزنطي مباشرة[1].

---

p. 857; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2944., p.20; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 273-275. Schreiner, " La Chronique Breve de 1352", pp. 40-42.cf .also. Nicol, D.," The Byzantine family of Kantakouzenos (Cantacuzenus) ca.1100-1460", *DOS*, vol. XI,(1968), pp. 69; Idem, *Byzantium and Venice*, p. 268.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٣.

(1) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3.pp. 82-83; Eng. Trans., pp. 215-216; D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.2944,2946-2949, p. 20-21; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora* , vol.2, pp. 273-275. Idem, " La Chronique Breve de 1352", pp. 40-42.cf. also. Nicol," The Byzantine family of Kantakouzenos (Cantacuzenus) ca.1100-1460", p. 69 ; Idem, *Byzantium and Venice*, p. 268.

وتلك هي الشروط التي حملها السفراء إلى وطنهم الأم جنوا – التي لم تختلف كثيرا عن الاتفاقية التي تم توقيعها في عام ١٣٠٤م بين الإمبراطور أندرونيكوس الثاني والجنويين في غلاطية – والتي لم تنفذ بسبب إصرار القائد الجنوي سيمون فيجنوسي بعدم التخلي عن جزيرة خيوس لما يحصل منها على خيرات عديدة، بل وقام بالضغط على أهالي جزيرة خيوس بأن قلل حصة الحبوب الخاصة بهم حتى لا يوقعوا اتفاقا مع حنا السادس ويسلموا له الجزيرة متحديا بذلك قرارات الدوق ومجلس الشيوخ الجنوي الذي أصدر قرار الحرمان والطرد من جنوا [٢].

ويعلق هايد على هذه الاتفاقية قائلا " من الواضح أن هذه المعاهدة لم تكن بشكل جدي من جانب جنوا، لأنه من المؤكد أن الجنوي سيمون فيجنوسي أو رفاقه لم يكونوا على استعداد من أجل تنفيذ تلك الاتفاقية " [٣].

ربما تأثر الجنويون بثقة الإمبراطور ولكنهم في واقع الأمر كانوا يعرفون قدرات هذا الأسطول البحري البيزنطي الجديد الهزيل، أما عن دور البندقية فلا يوجد أي دليل على أنهم لعبوا أي دور في القسطنطينية بخلاف مشاهدة المناوشات البيزنطية الجنوية لعام١٣٤٨-١٣٤٩م، وربما قد طلب منهم الانضمام لمساعدة حنا السادس، وربما كان من الممكن أن يؤدي تدخلهم إلى تحول موقف لإمبراطور من الإذلال إلى النصر[٤].

وفي الوقت الذي كان يعمل فيه حنا كانتاكوزينوس دون هوادة على تعويض خسائره وبناء الأسطول البيزنطي، لم يغب عن باله مشروع ضم خيوس وفوكايا، ولذلك أرسل إلى الدوق الجنوي يطالبه في عام ١٣٤٨م بإعادة خيوس التي استولى عليها سيمون فيجنوسي حفاظا على المعاهدات المبرمة بينهم و جاء

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٤.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 83; Eng. Trans., p. 216; D?lger, *Regesten* vol.4, no.2259.

(٣) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٤.

(٤) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 268.

رد الدوق الجنوي ومجلسه والقوميون Commune [1]، مــن خــلال الســفارة الجنوية التي أرسلوها تحت رئاسة أنتارو بينيلــي Antaro Pinelli ويعقــوب إرمينيو Jacobo Erminio، بأنهم بعيدون كل البعد عن عملية احتلال خيــوس الأخيرة ولا علاقة لهم بهذا الأمر، وأن عملية الاحتلال لم تكن نتيجة لقــرارات من المجلس الجنوي ولا تخطيطا من حاكمها؛ بل حدثت عــن طريــق إحــدى الشركات الجنوية الخاصة، ولم يكن الدوق الجنوي في استطاعته إجبارهم علــى التخلي عنها آنذاك، ولكن هذا الرد لم يعجب حنا كانتاكوزينوس[2].

والجدير بالذكر أنه في عام ١٣٤٨م وصلت رسالة إلــى الإمبراطــور البيزنطي حنا كانتاكوزينوس من زيبوس Zybus (تزيبوس Tzybos) أقــوى رجال خيوس الذي تم تعينه من قبل القائد سيمون فيجنوسي في وظيفة الأرخنت Archante (الوالي) على فوكايا القديمة عبر فيها عن رغبتــه فــي انتــزاع خيوس لصالح الإمبراطور البيزنطي على أن يقدم الأخير المساعدات اللازمــة لتحقيق ذلك لتعود الجزيرة مرة أخرى لحوزة الإمبراطورية البيزنطية [3].

---

(١) القوميونCommune، هو البلاتزو أو القصر الكبير الذي يسكنه القنصل أو الفيكونت Viconte – رئيس إدارة القوميون –، وهو حاكم مرسل من المدينة الإيطالية الأم، وكان لرئيس القوميون جهازه المساعد من الكتبة و المأمورين وكان القنصل هو وسيلة الاتصال بين القوميون والملك أو حاكم المدينة، كما أنه تمتع بمسئولية كاملة عن إدارة ممتلكات القوميون والحفاظ على امتيازاته التجارية في المدينة، والقوميون الإيطالي بوضع خاص يمكن اعتباره بمثابة مستعمرة داخل المدينة. لمزيد من التفاصيل انظر: يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة و تقديم و تعقيب قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٥٩-١٦١؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ١، ص ١٧١؛ حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٠٢-١٠٥.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 80-82; Eng. Trans., pp. 214-215.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٣-١٦٤.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 83; Eng. Trans., p. 216.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٤.

عبر حنا السادس عن سروره وسعادته لزيبوس لما لديه من حماسه وولاء للإمبراطورية البيزنطية ووعده بكثير من الهبات والمنح العظيمة و لكنه طلب منه التروي قليلا حتى يعود السفراء من جنواء ولكن زيبوس لم ينتظر الرد بسبب حماسته وشجاعته، بل ولم ينتظر أيضا مساعدة الإمبراطور البيزنطي نفسه حيث قام باستدعاء عدد من البيزنطيين من فوكايا القديمة ليهاجم ويفرض الحصار على خيوس ودخل في المعركة الأولى مع الجنويين بقيادة سيمون فيجنوسي الذي أصيب بجروح بالغة الأثر، ولكن لسوء حظ زيبوس أنه في نفس اليوم التي دارت فيه المعركة ترك الجنوي أندريا بيتريلا Andream Petrilam ميناء مدينة سميرنا – الذي كان تحت السيطرة اللاتينية طبقا لمعاهدة الثامن والعشرين من أكتوبر ١٣٤٤م – وتحرك على رأس سفينتين صوب العاصمة القسطنطينية ومنها إلى خيوس وقدم المساعدات اللازمة للمحاصرين الجنويين ودخل في معركة ثانية ضد زيبوس وجيشه البيزنطي وكان النصر حليف زيبوس في بداية المعركة ولكن أثناء قتال زيبوس بكل شجاعة وبسالة سقط من فوق فرسه على الأرض، ثم أصيب بسهم لقي به حتفه على الفور مما أدى إلى انهيار الروح المعنوية لدى المقاتلين البيزنطيين الذين هزموا وانسحبوا من أمام خيوس لتظل تحت السيادة الجنوية [١].

وبذلك عمل زيبوس على انتزاع خيوس لصالح حنا السادس ولكن محاولته باءت بالفشل الذريع وهكذا أيضا لم تنجح الدبلوماسية البيزنطية ولا القوة العسكرية في استرجاع خيوس التي بقيت ملك للشركة الجنوية [٢].

وفي نفس العام –١٣٤٨م– أعلن أهالي فوكايا خضوعهم وولائهم للإمبراطور حنا السادس بدلا من الجنويين، فانتهز حنا السادس الفرصة وأرسل ليو كالوسيتوس Leo Kalothetos لهم بوصفه الحاكم البيزنطي على الجزيرة

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 83-84; Eng. Trans, pp. 216-217,365

(٢) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٤.

ليخلف بذلك زيبوس[٣]، ومن ثم نجح البيزنطيون فقط في طرد الجنـويين مـن فوكايا مؤقتا لتظل تحكم بحاكم بيزنطي لعام ١٣٥٨م[٤].

وفي مارس ١٣٤٩م طلب الإمبراطور البيزنطي حنا السادس من مجلس الشيوخ البندقي دراسة إمكانية إرسال أسلحة وعتاد إلى الأسطول البيزنطي فـي القسطنطينية لمواجهة الجنويين في غلاطية؛ فـدرس مجلـس الشـيوخ مسـألة التحالف مع الإمبراطور ضد الجنويين خلال شهر أبريل١٣٤٩م، ولكنه رأى أن الأوضاع غير ملائمة والوضع خطير للغاية للتدخل في ذلك الوقت ولذلك أمـر كل السفن التجاريـة البندقيـة بـالرجوع إلـى الميـاه الآمنـة فـي البحـر الأدرياتيكي Adriatic [٥].

ومهما يكن من أمر فإنه في ذلك الوقت – عام ١٣٤٩م– كانت المعاهدة التي وقعت بين البندقية والإمبراطورة آنا وابنها حنا الخامس عام ١٣٤٢م والتي استمرت سبع سنوات قد أوشكت على الانتهاء، وقد حان الوقت لتجديدها وخلـق مجال للحوار الودي بين الطرفين والذي قد بدأ منذ عامين من خـلال السـفراء البنادقة أثناء تتويج الإمبراطور الجديد في يوليو ١٣٤٧م. وكان من المشـين أن تجعل البندقية الإمبراطور الجديد مسئولا عن إعادة دفع القرض المكـون مـن ثلاثين ألف دوقية الذي قد أخذته الإمبراطورة آنا في عام ١٣٤٣م؛ حيث إنه في فبراير عام ١٣٤٨م طلبت البندقية مـن قنصـلها نيكولـو كـويريني Nicolo Querini بالقسطنطينية أن يطلب من حنا السادس أن يرد الدين كاملا الذي قد اقترضته الإمبراطورة وإلا سيتم بيع جواهر التاج– ضمان القرض– في الحال.

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 84-85; Eng. Trans., pp. 217-218, 366; Gregoras, *Historiae* , vol .,3, p. 503; D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3055., p. 43.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٤.

(٤) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٤.

(٥) *Acta et Diplomata Res Graecas Italalsque Illustrantia*, ed by. Miklosich. F. et Müller. I, pp. 114-119; Thiriet, *Sénat*, I, nos.222,224.cf.also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 268.

وفي يوليو من نفس العام كتب أعضاء مجلس الشيوخ إلى حنا السادس خطابا وأهم ماجاء فيه إعطاء الأخير مهلة زمنية أربعة أشهر لإعادة دفع المبلغ الدين الأساسي بفائدته أو إرسال ممثل عنه إلى البندقية لحضور عملية بيع جواهر التاج البيزنطي، ولكن لم يرد حنا السادس عليهم و لم يعط للأمر اهتمام [1].

وفي يناير عام ١٣٤٩م قرر مجلس الشيوخ البندقي ضرورة إرسال سفير من البندقية إلى القسطنطينية من أجل تجديد معاهدتهم، والتحدث مع الإمبراطور البيزنطي والضغط عليه من أجل إعادة دفع القرض كاملا أو على الأقل دفع الفائدة المتراكمة عليه، وأن يقدم الإمبراطور ضمانات أخري يختارها بنفسه، وليعلمه للمرة الأخيرة بأمر بيع مجوهرات التاج وأن يتعهد الإمبراطور البيزنطي بتقديم التعويض المناسب للخسائر التي لحقت بالرعايا البنادقة طبقا للتقدير العادل الذي يقره القنصل البندقي الموجود في القسطنطينية وأعضاء مجلسه، ويضمن بل ويشرف بنفسه على تطبيق تلك الإجراءات، وأن تجدد المعاهدة بين الجانبين البيزنطي والبندقي لمدة خمس سنوات، وإذا نجح السفير في هذه المهمة، يظل في القسطنطينية كقنصل، ولكن في حالة فشله فعليه المغادرة في الحال، معطيا الإمبراطور الخيار بإرسال ممثلا عنه إلى البندقية، و لقد اختار الدوق أندريا داندولو Andrea Dandolo السفير زاكاريا كونتاريني Zaccaria Contarini الذي عمل كقنصل في القسطنطينية خلال الفترة الممتدة من ١٣٤٩م إلى عام ١٣٥٠م وأعطاه حرية التصرف وصلاحية مطلقة في التفاوض مع حنا السادس ولكن التعليمات الأخيرة الصادرة له بشأن تسوية الخسائر وإعادة دفع القرض المكون من ثلاثين ألف دوقية كانت حازمة و صارمة ليس فيها نقاش، فترك زاكاريا كونتاريني البندقية في أبريل ١٣٤٩م متجها إلى العاصمة القسطنطينية[2].

(١) *Acta et Diplomata Res Graecas Italalsque Illustrantia*, pp. 114-119; D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.2952., p. 21-22; Thiriet, *Senat*, I, nos.210, 213. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 268- 269.

(٢) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.2952., p. 21-22; Thiriet, *Sénat* , I, nos.218,221,224. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 269.

وبذلك تم إرسال السفير زاكاريا كونتاريني للتفاوض مع كل من الإمبراطورين حنا كانتاكوزينوس السادس وصهره حنا الخامس باليولوجوس بوصفهم الحكام الرسميين للإمبراطورية البيزنطية، ودارت مناقشات بين الجانبين البيزنطي والبندقي قبل توقيع للمعاهدة من قبل كل من الإمبراطورين في قصر بلاخرناي في التاسع من سبتمبر عام١٣٤٩م والتي شهدها كثير من كبار الدولتين و كان من أبرزهم توماس باليولوجوس Thomas Palaiologos، ليو كالوثيتوس Leon Kalothetos، نيكولاوس سيجيروس Nikolaos Sigeros، نيكولو سيجنيلو Nicolo Signello، جيوفاني مانوليسو Giovanni Manolesso، بارتولوميو دي أردوينو Bartolomeo de Arduino، بيترو كورنارو Pietro Cornaro، أندريا Andere وغيرهم(١).

وتعد معاهدة ١٣٤٩م البيزنطية البندقية تكرارا وتأكيدا لتلك التي وقعت في ٢٥ مارس عام ١٣٤٢م، لتستمر فترة جديدة محددة بخمس سنوات، ومعظم نصها كان بخصوص تسوية التعويض، حيث قدرت البندقية الخسائر التي وقعت بمواطنيها ورعاياها منذ عام ١٣٤٢م بحوالي اثنين وعشرين ألف هيبربيرون، والدين الذي استدانته الإمبراطورة آنا ، فأصبح مطلوب من حنا كانتاكوزينوس والإمبراطور المشارك مبلغاً وقدره أربعة و ثلاثون ألف هيبربيرون واجبة الدفع ولن تتنازل عنه البندقية، ولذلك قدم الإمبراطور حنا السادس وعد للمبعوث البندقي زاكاريا كونتاريني بدفع سدس المبلغ الإجمالي من الدين خمسة آلاف وستمائة وسبعة وستين هيبربيرون أما المبلغ المتبقي ثمانية وعشرون ألف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون هيبربيرون سيدفع خلال الخمس سنوات القادمة بأقساط سنوية متساوية(٢).

ولقد تم توقيع المعاهدة بشكل نهائي في البندقية في نوفمبر عام ١٣٤٩م، على الرغم من التحفظات المطروحة من قبل بعض أعضاء مجلس

---

(١) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2952., p. 21-22.cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 269.

(٢) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2952., p. 21-22.cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 269-270.

الشيوخ بشأن طريقة دفع الديون وكذلك حول المطالب التي قدمها السفير البيزنطي والخاصة بالإمبراطورين حنا السادس والخامس وهو عودة جواهر التاج إلى القسطنطينية في الركب البندقي المتجه صوب العاصمة البيزنطية في ذلك الوقت وكذلك المساعدة ضد الأتراك ولقد استمع أعضاء مجلس الشيوخ بعطف إلى تلك المطالب، وأجابوا بشأن المساعدة ضد الأتراك؛ بأنهم يفضلون الانتظار حتى يتم اتحاد القوى المسيحية تحت زعامة البابوية وملك قبرص والسيد الكبير لفرسان القديس حنا St John، أما بشأن المطلب الخاص بعودة جواهر التاج إلى القسطنطينية فلا يمكن أن يحدث ذلك إلا في حالة دفع الدين كاملا[١].

لم تكن معاهدة عام ١٣٤٩م سوى أنها محاولة لربط الصلات المنصرمة بين الإمبراطورية البيزنطية والجمهورية البندقية، فكانت تحالفاً بلا مغزى أو هدف، فلم تتطرق هذه الاتفاقية للمسألة الجنوية على الرغم من أنها أحد أهم الأمور المشتركة بين الطرفين في ذلك الوقت [٢].

وعلى الرغم مما سبق فقد كان حنا كانتاكوزينوس قلقا- يرجع السبب المباشر لقلق كانتاكوزينوس إلى نمو أعداد الحانات في القسطنطينية المدارة بواسطة البنادقة والمعفاة من الضرائب- بشأن زيادة عدد السكان البنادقة واتساع ممتلكاتهم وامتيازاتهم في القسطنطينية، ولذلك قرر في عام ١٣٥٠م حرمان القنصل البندقي من الحصول على أي شيء آخر، لأن القنصل البندقي نفسه كان يقوم بمنح المواطنة البندقية للكثير من المواطنين البيزنطيين مما أعفاهم بالتبعية من الضرائب التي كانت مفروضة عليهم لأنهم أصبحوا مواطنين بنادقة وكان ذلك يعد خسارة كبيرة لدخل الإمبراطورية البيزنطية في الوقت الذي كان حنا كانتاكوزينوس يعمل من أجل إيجاد المال لبناء أسطوله وليكسر اعتماد

---

(١) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.2955., p. 22; Thiriet, *Sénat*, I, no.231(17 November 1349). cf . also Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 270.

(٢) Nicol, Byzantium *and Venice*, p. 270.

القسطنطينية على المدن الإيطالية، ولكن أمام رفض مجلس الشيوخ لقرار الحرمان عدل حنا كانتاكوزينوس عنه حفاظا على مصالحه معهم [٣].

وعلى أية حال ففي نفس العام– ١٣٥٠م –أرسل الإمبراطور البيزنطي حنا السادس سفارة بيزنطية إلى البندقية من أجل توريد ونقل القمح على متن السفن البندقية إلى تسالونيكا؛ فاستجابت البندقية لذلك وأرسلت شحنة من القمح لها ولكن القوات الصربية المحاصرة للمدينة منعت دخول تلك الشحنة [٤].

لقد كان توسع ستيفن دوشان على ساحل البحر الأدرياتيكي يمثل خطراً على البندقية، وكان يرى أن طموحه في أن يجعل القسطنطينية عاصمته لن يتحقق إلا بدعم إحدى القوى البحرية، و كان يأمل أن تتفهم البندقية احتياجاته، وتعتبره مواطن بندقي، وتساعده في أن يصبح إمبراطورا للقسطنطينية، مقابل إعطائهم ملكية مستعمرة غلاطية الجنوية وإبيروس بالكامل، وكان ذلك بمثابة طعم لاستدراج البندقية، ولكن البندقية كانت تفطن و تعقل تلك الأمور، فعندما دعا ستيفن دوشان الدوق لمقابلته في راجوزاRragusa أو أي مدينة أخرى على ساحل دالماشياDalmatian، قرر أعضاء مجلس الشيوخ رفض طلبه معللين ذلك بأن قوانينهم تمنع الدوق من مغادرة البندقية، ولكنهم سعداء بأن يصبح مواطن بندقي، ولكنهم لن يستطيعوا تقديم أي مساعدة لتحقيق أحلامه وطموحاته، حيث إنهم مرتبطين بمعاهدة مع الإمبراطورية البيزنطية[١].

---

(٣) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2959., p. 23; Thiriet, *Sénat*, I, no.237;Full Text in Chrysostomides,J., "Venetian Commercial Privileges under the Palaeoologi " *SV*, vol.XII,(1970), pp. 267-356, Docment .no. 4, pp. 333-334. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 291-292.

(٤) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2959.,p.23;Thiriet, *Sénat*, I, no.237; cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 270.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 152-153; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2959., p. 23; Thiriet, *Sénat* , I, no.222 (March 1349), 237 (March1350), no.241.(April 1350). cf. Also. Jorga, N., " Latins et Grecs d' Orient et l ' etablissement des Turcs en Europe,1342-62", *BZ*, vol. XV, (1906), pp. 179-222; Soulis, *The Serbs*, pp. 41-42; Nicol, *The Despotate of*

بعد أن نجح حنا السادس في إعادة السيطرة على تسالونيكا في خريف ١٣٥٠م -بسبب الانقسام الذي حدث بين الثوار المدافعين Zealots [(٢)] المسيطرين على المدينة – مكث هناك من أكتوبر إلى ديسمبر في نفس العام لإعادة النظام في المنطقة وتطهيرها من القوات الصربية، وفي أثناء إقامته وصلت أربع سفن من البندقية ميناء تسالونيكا، وكان معهم القنصل البندقي الجديد يعقوب براجادينو Jacopo Bragadino الذي كان يحمل معه خطاب من حكومته تطلب فيه من الإمبراطور البيزنطي الدخول معهم في تحالف ضد الجنويين الذين أعلنت البندقية الحرب عليهم و لكن جاء رد الإمبراطور محرجا لهم؛ فقد أخبر القنصل بأنه يفضل الحياد وعدم التدخل لانشغاله بالصرب في تلك الفترة، فعرض عليه براجادينو أن يتوسط له شخصيا عند ستيفن دوشان فهو في النهاية مواطن بندقي، ولكن رفض الإمبراطور هذا العرض، وقد طلب الإمبراطور من يعقوب براجادينو بأن يعرض رجوع جواهر التاج، إلا أن القنصل رد عليه أنه لن يحدث ذلك إلا برد القرض ذو الفائدة المركبة ومن الواضح أنه لم يكن لدى الإمبراطور نية في دفع تلك الفائدة التي وصلت عشرة

Epiros, vol.2, p. 131; Idem , *Byzantium and Venice*, p. 270-271; Cirkovic, "Between Kingdom and Empire: Dušan State 1346- 1355", pp. 118-119.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب ، ص ١٥٧– ١٥٨.

ولمزيد من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية الصربية انظر الفصل الرابع.

(٢) الثوار أو المدافعين Zealots، اشتهروا بأنهم المدافعون عن حرية واستقلال الكنيسة ومقاومة نفوذ وتدخل الدولة في الشئون الكنسية، وكان ثيودور الإستوديوني Theodore of Studion أول من تزعم تلك الحركة، وكانوا معارضين لإتحاد الكنيستين وكان ذلك في عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجوس (١٢٦١–١٢٨٢م) وابنه أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢– ١٣٢٨م)، وقد سيطر هؤلاء المتعصبون على كثير من المناصب الكنسية وقد اشتد نفوذهم في النصف الأول من القرن الرابع عشر، فسيطروا على الإكليروس العلماني وهيمنوا على البطريركية المسكونية. لمزيد من التفاصيل. انظر: أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت،١٩٥٦م، جـ ٢، ص٢٣٢–٢٣٣؛ عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٤٦. راجع أيضا :

Ševcenko, I., "Nicolas Cabasilas' "Anti-Zealot" Discourse: A Reinterpretation", *DOP*, vol.11, (1957), pp.79-171.

آلاف وخمسمائة دوقية ولا الدين الثلاثين ألف دوقية، فرجع القنصل يعقوب براجادينو إلى القسطنطينية خاوي اليدين[1].

ويعلق هايد على موقف حنا السادس قائلا " في الوقت نفسه كانت البندقية على علم بما عند حنا كانتاكوزينوس من شكاوى عديدة ضد الجنويين، ومن ثم قاموا بمحاولات لدى هذا العاهل لجذبه إلى حلفهم، غير أنه لما كان في ذلك الحين منهمكا في حرب ضد الصرب، فإن مساعيهم الأولى لم تكلل بالنجاح المرغوب " [2].

وعلى أية حال أعلنت البندقية الحرب على جنوا في السادس من أغسطس عام ١٣٥٠م، والتي ترجع إلى أسباب غير مباشرة و التي كان من أهمها قيام الجنويين بمنع السفن البندقية في كافا Caffa، من الذهاب إلى تانا Tana– خلق هذا القرار احتجاجات غاضبة عند البندقية بشأن حرية الإبحار–، أما السبب المباشر للحرب هو قيام الجنويين باحتلال جزيرة خيوس مما عرض المصالح البندقية للخطر في بحر إيجة، ولم تستطع بيزنطة التصدي لها، مما جعل الدوق البندقي يعلن أسفه للبابا بأنه لم يعد قادرا على تقديم المشاركة في اتحاد القوى المسيحية ضد الأتراك نتيجة لتلك الظروف الطارئة والملحة[3].

ومع ذلك فقد كانت البندقية لا تزال تحتاج للكثير من السفن والكثير من الرجال، وكذلك إلى دعم الدولة البيزنطية التي تشكل أراضيها ومياهها جزءاً

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3.p.118; Thiriet, *Sénat*, I, no.243. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 271.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٦.

(٢) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر :

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 185-200; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 46-51; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 277,279-281; Idem, " La Chronique Breve de 1352", pp. 49-51.cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 271-272.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور للوسطى، جـ ٢، ص١٦٦-١٦٨.

كبيراً من مسرح التنافس الاقتصادي والصراع العسكري مع جنوا، كما كان من الممكن الاستفادة من الجيش البيزنطي والبحرية البيزنطية حتى لو كانت إمكانيات تلك الأخيرة محدودة، ففي الأوقات الماضية قدمت البندقية المساعدة للإمبراطورية البيزنطية كحلفاء لهم في إيطاليا ضد النورمانيين Normans، والآن جاء دور البيزنطيين لتقديم المساعدة للبندقية ضد الجنويين. ويمكن أن يتحقق ذلك في حالة واحدة وهي إدراك حنا كانتاكوزينوس خطورة حياده، وأن تدفع البندقية مقابل الجنود والمعدات وصيانة السفن البيزنطية في حالة اشتراكها معها [١].

وفي نفس الوقت أرسل الجنويون لحنا كانتاكوزينوس عدة سفارات متتالية تعرض عليه مبالغ مالية ووعود بصداقة أبدية كرشوة له في حالة التحالف معهم ضد البندقية وبذلك أصبح حنا كانتاكوزينوس تحت ضغط متزايد من الجانبين – البندقي والجنوي – [٢].

وعلى الرغم من أن الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس امتنع في بادئ الأمر عن تقديم المساعدة للبندقية واتبع سياسة الحياد، إلا أنه مع مرور الوقت قرر التدخل والتخلي عن تلك السياسة لعدة أسباب: أولا: أن موضوع نزاعهم كان طريق التجارة عبر الأراضي البيزنطية خلال البوسفور إلى البحر الأسود، ثانيا: لأن الجنويين كانوا متحصنين في غلاطية التابعة للقسطنطينية، ثالثا: أن بطرس ملك أراجون Peter of Aragon كان متحمسا للغاية لإذلال الجنويين وتحالف مع البندقية وأرسل رسولا للإمبراطور في القسطنطينية لإقناعه بأن يكون ضمن حلفهم، رابعا: عندما أرسلت البندقية السفير جيوفاني دولفين Giovanni Dolfin لإجراء محادثات جديدة مع حنا كانتاكوزينوس وأعلن رفضه للمرة الثانية أعلنت البندقية سحب قنصلها من القسطنطينية الذي كان بمثابة تهديد واضح لحنا كانتاكوزينوس لتغيير سياسته الحيادية، خامسا:

---

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 272-273.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 186; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p.281 .cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 273.

إعلان البندقية عن رجوع جواهر التاج البيزنطي في حالة اشتراك بيزنطة في حربهم ضد الجنويين وأن تتحمل البندقية دفع ثلثي نفقات الأسطول والجيش البيزنطي المشارك لها(٢).

ولكن السبب المباشر لتغيير سياسة حنا كانتاكوزينوس وتخليه عن موقفه الحيادي يرجع إلى أنه عندما شن الأسطول البندقي في مارس عام ١٣٥١م المكون من أربعين سفينة بقيادة نيكولو بيساني Nicolo Pisani هجوم فاشل على أسوار غلاطية وبمساعدة البيزنطيين الموجودين في المنطقة، وبمجرد أن غادروا حتى قذف الجنويون من غلاطية صخرة على أسوار القسطنطينية في وضح النهار، فقدم الإمبراطور حنا السادس احتجاجا رسميا، ولكن في اليوم التالي تم قذف صخرة أخرى على منتصف المدينة، مما جعل الإمبراطور يغير رأيه أخيرا، حيث لم يعد الحياد مجديا، فاستدعى السفير البندقي ووقع معه معاهدة فورا في مايو عام ١٣٥١م، ثم تم إلغاء جميع الامتيازات التجارية الممنوحة للجنويين منذ عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن، وتم إعطاء تجارهم ثمانية أيام لإخلاء مستوطناتهم في غلاطية وبذلك أعلنت بيزنطة الحرب على جنوا (١).

وتنص الاتفاقية المبرمة في مايو عام ١٣٥١م بين الجانبين البيزنطي والبندقي بشكل تفصيلي على البنود الآتية: تستمر هذه المعاهدة لمدة أربع سنوات، وتتعهد الجانبان بعدم إبرام أي اتفاق مع جنوه خلال تلك الفترة إلا

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp.185-191; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol, 2, pp. 880,vol.3, 46-51; Schreiner , " La Chronique Breve de 1352", pp. 49-51.cf.also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 272-273.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ٢، ص ١٦٧.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp.191; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2975, pp. 26-27; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.3, p.106; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 279. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 273.

- يشير هايد إلى أن الأسطول البندقي كان قوامه خمس وعشرون سفينة حربية .انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ٢، ص ١٦٧.

بموافقة الطرف الأخر، وتعهد الإمبراطور البيزنطي بتقديم اثنتي عشرة سفينة صيفا وشتاءً على حد سواء للمحافظة على هجوم متواصل ضد العدو الجنوي ولمحاصرة غلاطية وَمنع الجنويين من دخول أو مغادرة البحر الأسود، ويتم تسليح تلك السفن من قبل الإمبراطور، أما عن رواتب أطقمها وتكلفة صيانتها سيتم تقسيمها، وستدفع البندقية لثمانية سفن منهم حوالي عشرة آلاف وسبعمائة وستة وسبعين هيبربيرون شهريا بمعدل ألف وثلاثمائة وسبعة وأربعين لكل سفينة، كما وضحت وثيقة المعاهدة بمنتهى الدقة تفاصيل عن المعدات والأسلحة وتزويد كل سفينة حربية بالرجال وتعيين قباطنتها، وتم وضع قواعد للتقسيم العادل لأي غنيمة أو أي أرض يستولون عليها، ففي حالة السيطرة على غلاطية يتم تدميرها – ربما يكون ذلك بهدف التخلص من سكانها الجنويين–، وإذا حصلوا على جزيرة خيوس وفوكايا فإنهما سيعودان للإمبراطورية البيزنطية[٢].

ولقد أرسل الدوق البندقي إلى قائده نيكولو بيساني ليعلمه بأن هناك ستين أو سبعين سفينة حربية جنوية في طريقها نحوه لنجدة غلاطية، وأمره بالانسحاب من القسطنطينية خشية أن يحاصروه ويطوقوه لأنهم يفوقونه عددا، فأبحر نيكولو بيساني من القسطنطينية متجها صوب نيجروبونت Negroponte [٣].

وبالفعل انطلق الأسطول الجنوي في يوليو ١٣٥١م تحت قيادة باجانينو دوريا Paganino Doria وكانت وجهته الأولى نيجروبونت التي فرض عليها الحصار في الخامس عشر من أغسطس حتى العشرين من سبتمبر لعام ١٣٥١م حتى اضطره اقتراب أسطول بندقي جديد تحت قيادة بانكرازيو جيوستينياني Pancrazio Giustiniani وأسطول أراجوني تحت قيادة بونسي دي سانتا باو

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 193-200; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 279-281.cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 274.
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٧-١٦٨.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 193-200. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 275.
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٨.

Ponce de santa Pau إلى فك الحصار، ولكن نتيجة لمغادرة بيساني إلى ايطاليا ومعه ستة وعشرون سفينة أراجونية في شهر نوفمبر عام ١٣٥١م وبسبب انزعاج الإمبراطور من التأخير الطويل ونفاد صبره في انتظار وصول حلفائه، قام الإمبراطور البيزنطي بمجهود أخير ليخلص نفسه من ورطة الحرب، ولمتابعة سياسته الخاصة بإقناع الجنويين في غلاطية بفك تحصيناتهم والوصول لاتفاق، ولكنه فشل في ذلك، مما جعله يرسل إلى بيساني عدة رسائل ليسرع من عودته من جزر بحر إيجة إلى القسطنطينية[١].

أعطت فترة الهدوء الطويلة التي سبقت الموقعة الكبرى الجنويين وقتا لتدعيم موقفهم، بأن طلبوا المساعدة من السلطان العثماني أورخان – الصديق الشخصي والحليف لحنا كانتاكوزينوس والذي زوجه ابنته والذي كان لديه بعض الشكاوى ضد البنادقة –، و صدم حنا كانتاكوزينوس عندما علم بذلك غير أن أورخان لم يقم بأي فعل سوى تزويد الجنويين بالمعلومات عن تحركات أعدائهم فقط [٢].

وفي أول أيام شهر فبراير عام ١٣٥٢م أصبح الأسطول البندقي الأراجوني المنتظر طويلا على مرأى من القسطنطينية، أما الجنويون فكانوا ينتظرونهم تحت أسوار غلاطية، وفي صباح اليوم الثالث عشر من فبرايرعام ١٣٥٢م تم الاشتباك في معركة بالقرب من مصب البوسفور اشترك فيها ما يقرب من مائة وخمسين قطعة بحرية بيزنطية وبندقية وأراجونية وجنوية، وبذلك قاتلت السفن البيزنطية جنبا إلى جنب مع حلفائهم وأعطوهم تفوقاً عددياً طفيفاً، ولكن نتيجة لعدم معرفة قائد الأسطول البندقي نيكولو بيساني ولا القائد

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 219; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.3, p. 76; D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos.2984,2986, p. 30. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 275-276.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٦٨.

(٢) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2987, p. 30. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 276.

الأراجوني بونسي دي سانتا شيئا عن الشعاب المرجانية ولا التيارات البحرية في تلك البحار، حدث هناك قتال عنيف حتى جنوح الظلام، وفي الصباح كان البحر مغطى بالحطام والجثث، ولم يستطع أي من الجانبين الوصول إلى نصر محقق، وعانى الأراجونيون من كثرة الخسائر، وتم تحديد النتيجة النهائية للمعركة بناءً على موقف نيكولو بيساني، الذي اعتبراه كل من حنا كانتاكوزينوس والأراجونيين جبانا نتيجة لانسحابه من ميدان المعركة وبقائه في مرفأ ثيرابيا Therapeia في البوسفور انتظاراً لأوامر أخرى من البندقية، ثم مات القائد الأراجوني في التاسع من مارس عام ١٣٥٢م، وبعدها انسحب بيساني بما تبقى له من سفن في أوائل أبريل عام ١٣٥٢م، وترك الإمبراطور ليقاتل بمفرده، وبذلك انحل التحالف وازداد الضغط علي حنا كانتاكوزينوس، خاصة بعد أن التحق بالجنويين فرقة من القوات العثمانيين وحاصروا القسطنطينية، فلم يكن للإمبراطور أي خيار غير عمل معاهدة لنفسه مع الجنويين في السادس من مايو عام ١٣٥٢م(١).

وعلى أية حال تم توقيع الاتفاقية البيزنطية الجنوية والتي نصت على: أولا: تعهد الجانبين بعدم فرض ضرائب جمركية على رعاياهم، ثانيا: اعترف الإمبراطور البيزنطي حنا السادس بجميع الامتيازات التي سبق وأن قدمها

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3. pp. 228-234; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 84-92;D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos.2991, p. 31-32 .cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 276.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٦٨-١٧١.

- أما عن تفاصيل المعاهدات التي وقعت بين العثمانيين والجنويين، فقد أوفد باجانيتو دوريا كل من فيليبو ديلوميدي Philippo Delomede وبونيفازيو ساولي Bonifazio Sauli من غلاطية إلى السلطان العثماني أورخان لتوقيع اتفاقية معه كان من أهم بنودها إقرارهم بدفع جزية لأورخان وأن تسود المودة بينهم مقابل مساعدة الأخير لهم في حربهم ضد الحلف الثلاثي البندقي البيزنطي الأراجوني. لمزيد من التفاصيل انظر:

...cuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 228,234; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 84,99,145; D?lger , *Regesten* Teil.5., nos.2987,2991, p. 30-32

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٦٨.

أسلافه لجنوا، ثالثا: التنازل عن غلاطية للجنويين دون مقابل – وحدودها رأس غلاطية وبرج ترافيريوس Traverius وقلعة الصليب المقدس–، رابعا: تعهد الإمبراطور البيزنطي بمنع أية سفينة بندقية أو أراجونية بالرسو في الموانئ البيزنطية؛ إلا لإنزال سفير أو قنصل وكذلك عدم ذهاب السفن البيزنطية للموانئ البندقية والأراجونية، خامسا: عدم السماح للبيزنطيين بالعمل على أية سفن معادية لجنوا، سادسا: عدم تدخل بيزنطة في أي صراع جديد ينشب بين جنوا من جهة والبندقية وأراجون من جهة أخرى، سابعا: عدم مطالبة الإمبراطور البيزنطي الجنويين بإعادة خيوس وفوكايا(٢).

وبعدما فشلت البندقية في تحقيق مآربها بالحرب لجأت إلى الحصول عليها من خلال استغلال فرصة نشوب الصراع على العرش البيزنطي بين متى Mattew حنا كانتاكوزينوس الذي شعر بأنه يجب أن يكون وريثا لعرش والده و حنا باليولوجوس؛ فعرضوا عليه في العاشر من أكتوبر عام ١٣٥٢م قرضاً مكوناً من عشرين ألف دوقية مقابل منحهم جزيرة تينيدوس Tenedos ذات الموقع الاستراتيجي عند مدخل الهيلسبونت Hellespont – الدردانيل – ليعلن الحرب ضد حماه الإمبراطور، حتى يتسنى للبندقية السيطرة الكاملة على الدردانيل و البوسفور وأسواق القسطنطينية والبحر الأسود، و دفعوا له مبلغ و قدره خمسة آلاف دوقية كمقدم و إغراء له(١).

ولم يكن البنادقة وحدهم من يصطاد في الماء العكر واستغلال الصراع والمنافسة بين الأسر الحاكمة لبيزنطة، فكان حنا الخامس لديه العديد من المؤيدين الآخرين– الصرب وجنوا–، فعندما اندلع القتال في تراقيا في صيف

---

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3., pp.171-172.cf. also .Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 277.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٧١-١٧٢.

(١) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3005., p. 33.cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 277.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٧٣.

عام ١٣٥٢م بين متى وحنا الخامس، أرسل ستيفن دوشان بالإضافة إلى القيصر البلغاري حنا ألكسندر قوات لتقاتل إلى جانب حنا الخامس في معركة على نهر ماريكا ولكن نتيجة لمساعدة أورخان العثماني لمتى كانتاكوزينوس بقوة كبيرة من الفرسان الأتراك كان النصر حليفه، فتم أسر حنا الخامس ونفيه إلى جزيرة تينيدوس في نهاية عام ١٣٥٢م، ثم أعلن حنا كانتاكوزينوس في أبريل عام ١٣٥٣م ابنه متى كإمبراطور مشارك له في الحكم بدلا من صهره حنا باليولوجوس ولقد كان البنادقة على دراية كاملة بتلك الأزمة البيزنطية؛ من خلال قنصلهم بالقسطنطينية مافيو فينيرو Maffeo Venier والذي قد أبلغهم أيضا في أغسطس ١٣٥٤م بأن الإمبراطور حنا الخامس تحالف مع الجنويين، بينما تحالف الإمبراطور حنا السادس مع الأتراك، مما أدى إلى ذعر رعاياهم وإعلانهم أنهم سوف يضعوا أنفسهم بطيب خاطر تحت الحماية الأجنبية- أي الصرب أو المجر –[٢].

اشتدت الأزمة في بيزنطة في نوفمبر ١٣٥٤، فقد ذهب الإمبراطور حنا السادس في صيف عام ١٣٥٤ إلى تينيدوس لمحاولة تسوية الخلاف مع صهره حنا الخامس، ولكنه فشل في تحقيق ذلك، لأن الإمبراطور الصغير قد عرف حينها أن الظروف أصبحت لصالحه، وفي الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٣٥٤م ترك حنا الخامس تينيدوس في ليلة مظلمة وعاصفة على رأس بعض السفن القليلة، ووصل المرفأ بدون أن يراه أحد، وعقد اتفاق بينه وبين القرصان الجنوي فرانسيسكو جاتيلوسيو Francesco Gattilusio الذي عرض عليه خدماته، واتفق معه على خطة مفادها أنه يدعي أنه صاحب سفينة شحن عادية تعرضت لبعض مخاطر البحر، حتى يسمح له بالدخول من البوابات الرئيسية البيزنطية وبمجرد دخوله المدينة صرخ بأعلى صوته بأن الإمبراطور الصغير قد عاد، فانتشر الخبر سريعا، وبمجيء الفجر امتلأت الشوارع بمناصري ومؤيدي حنا الخامس الذين عبروا عن فرحتهم بعودته، مما جعل حنا

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3.pp.253-270; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 281-283; Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.3, pp. 182,187-188. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 277-279.

كانتاكوزينوس يقبل التفاوض؛ وبعد بضعة أيام تمت الموافقة على التسوية ودخل حنا كانتاكوزينوس دير في القسطنطينية وظل طوال التسعة وعشرين عاما الأخيرة من حياته الطويلة راهبا معتزلا السياسة(1).

ولقد كافأ الإمبراطور حنا الخامس الجنوي فرانسيسكو جاتيلوسيو بمنحه جزيرة ليسبوس Lesbos بصفة دائمة له و لورثته من بعده – من عام ١٣٥٥م إلى عام ١٤٦٢م – الذين ظلوا على وفاق دائم طوال عهد حنا الخامس وخلفاؤه وزوج أخته ماريا؛ وكذلك منح الماهون Mahona الجنوي (2) جزيرة خيوس في نفس العام (3).

يعد عام ١٣٥٤م بداية النهاية بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية ونقطة تحول بشكل عام في تاريخها، فهو العام الذي وطأت فيه أقدام الأتراك العثمانيين

---

(1) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 77-78;

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 3, p. 284; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 241-242; The *Short Chronicle of Lesbos 1355-1428*,ed. by. Dennis, G.,Mytiahnh, 1965, pp. 8-9; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 284-285. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 279-280; Idem, The Byzantine Family of Kantakouzenos: Some Addenda and Corrigenda, *DOP*., vol. 27. (1973), pp. 309-315; Failler, A.," Note sur la Chronologie du Regne de Jean VI Cantacuzene, *REB*, xxix,(1971), pp. 293-302; Idem, "Nouvelle Note sur la Chronologie du Regne de Jean VI Cantacuzene", *REB*, XXXIV, (1976), pp. 119-124; Jorga, N. ,"Latins et Grecs de Orient et l'etablissement des Turcs en Europe,1342-1362", pp. 179-222.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٧٤.

(2) الماهون Mahona، لقب أطلق على المساهمين في الشركة الجنوية في خيوس. لمزيد من التفاصيل انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٥٥-١٥٦.

(3) Doukas, *Decline and Fall*, p.78; *The Short Chronicle of Lesbos 1355-1428*, p. 9.

cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 296-297; Dennis,G., "The Reign of Manuel II Palaeologus in Thessalonica, 1382-1387", p. 31.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٥٥-١٧٤،١٥٦-١٧٥.

للأراضي البيزنطية الأوربية، وكذلك تم إجبار حنا كانتاكوزينوس على التنازل عن العرش رغم محاولته الرامية لكسب الأتراك العثمانيين، وأن يتخلص من ضغط المدن الإيطالية؛ إلا أنه فشل في تحقيق ذلك، نتيجة لمعارضة البنادقة والجنويين على حدا سواء لجهوده في بناء أسطول بيزنطي؛ لأن ذلك سوف يفقدهم الكثير من الامتيازات [(١)].

ومن خلال الخطاب الذي أرسله القنصل البندقي في القسطنطينية إلى زميله في نيجروبونت في يوم ١٦من مارس عام ١٣٥٥م الذي يصف فيه الحالة البائسة للإمبراطورية البيزنطية التي أوشكت على نهايتها، وأشار فيه إلى أن هذا هو الوقت المناسب للبندقية للسيطرة على القسطنطينية قبل أن يغزوها العثمانيون؛ يتضح منه أن البندقية كانت تخطط للسيطرة على العاصمة البيزنطية و لكنها كانت تنتظر الوقت والظروف الملائمة لذلك[(٢)].

ولقد كان لدى الدوق البندقي ومستشاريه و مجلس الشيوخ مخاوف خطيرة بشأن الإمبراطور الجديد حنا الخامس، حيث إنه لم يتجاوز سن الثالثة والعشرين وبالتالي خبرته قليلة جدا في إدارة شئون الدولة، فضلا عن كونه متحيزاً جداً للجنويين الذين ساندوه في الانفراد بالحكم ولذلك جدد لهم امتياز امتلاك جزيرة خيوس في يونيو عام ١٣٥٥م مقابل إيجار بسيط – خمسمائة هيبربيرون كل عام –[(٣)].

وفي الثالث عشر من أغسطس ١٣٥٥م قرر مجلس الشيوخ إرسال سفير إلى القسطنطينية لتهنئة الإمبراطور الجديد ومناقشة الدين البندقي الذي بلغ ثلاثين ألف دوقية، مع التحذير بأن الجواهر ستباع إن لم يدفع الإمبراطور خمسة آلاف

---

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 283.

(٢) Jorga,"Latins et Grecs de Orient et l'etablissement des Turcs en Europe, p. 217; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 296.

(٣) D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos.3042,3043, pp. 40-41; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 285.cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 296.
راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٧٤.

دوقية كحد أدنى وكذلك مناقشة مخالفة الإمبراطور لبنود المعاهدة المبرمة بينهم لعام ١٣٤٩م بشأن إقامة معاهدة منفصلة مع جنوا[٤].

وبالفعل وصل السفير البندقي إلى القسطنطينية في سبتمبر عام ١٣٥٥م ، ووجد التجار البنادقة يتعرضون للعديد من المصاعب والابتزازات وذلك بسبب توقف تنفيذ معاهدة ١٣٤٩م ولكنه لم يستطع فعل شيء، فرجع إلى البندقية في يناير عام ١٣٥٦م دون أن يحرز تقدما بشأن القضايا التي جاء من أجلها؛ والتي كان من أهمها الدين البندقي، حيث لم يدفع الإمبراطور حتى الحد الأدنى - خمسة آلاف دوقية - ؛ ولكن على أية حال مع حلول شهر يوليو ١٣٥٦م قام حنا الخامس بدفع مبلغ ثلاثة آلاف دوقية للبندقية [١].

من الصعب فهم تأجيل البندقية تنفيذ تهديدها المكرر بشأن بيع جواهر التاج البيزنطي على الرغم من أنهم كانوا على مقربة من فقد صبرهم مع الإمبراطور الصغير، ورغم ذلك تركوا الباب مفتوحا لمفاوضات أخرى للحصول على العديد من الامتيازات[٢]. ولعل السبب في ذلك أنهم كانوا يدركون أن مثل هذا العمل، أي بيع جواهر التاج البيزنطي المرهون لديهم، سوف يسبب بالتأكيد إذلالا ومهانة لمكانة ومركز الإمبراطور و سمعته، والأهم بالنسبة لهم أنه ربما يؤدي إلى شرخ عميق في العلاقات البيزنطية البندقية قد يتعذر إصلاحه، خاصة في ضوء علاقات حنا الخامس الطيبة مع الجنويين.

وعندما تولى الدوق البندقي الجديد جيوفاني دولفين Giovanni Dolfin (١٣٥٦-١٣٦١م) سدة الحكم تشاور مع مجلس الشيوخ بشأن إرسال سفير لحنا الخامس فوقع الاختيار على السفير جيوفاني جرادينجو Giovanni Gradenigo الذي وصل إلى القسطنطينية ووقع اتفاقية مع العاهل البيزنطي في أكتوبر ١٣٥٧م والتي كانت مدتها خمس سنوات، وأهم بنودها دفع الدين المتبقي

---

(٤) Thiriet, *Sénat* , I, no.275, cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 297.

(١) Thiriet, *Sénat* , I, nos.285,291. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 297.

(٢) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 297.

وهو خمسة وعشرون ألف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون هيبربيرون علـــى خمســـة أقساط – الدين القديم –، بالإضافة إلى الخمسة آلاف التي اقترضها حنا الخامس مع نهاية عام ١٣٥٢م[٣].

وفي عام ١٣٥٩م تذمر الإمبراطور حنا الخامس من كثـــرة أصـــحاب الحانات البنادقة في القسطنطينية التي كانت في حقيقتها ملكاً للبيـــزنطيين الـــذين اكتسبوا حق المواطنة البندقية بطريقة غير شرعية ليتجنبـــوا دفـــع الضـــرائب، وعلى الرغم من أنه في عام١٣٦١م وافقت البندقية على حل وسط وهو فـــرض ضرائب على النبيذ المباع في الحانات المدارة من قبل مواطنيهـــا؛ إلا أن تلـــك المشكلة ظلت قائمة [٤].

ولقد أرسل الدوق البندقي كـــل مـــن فرانسيســـكو بيمبـــو Francesco Bembo ودومينيكو ميخائيل Domenico Michiel إلى القســـطنطينية فـــي مارس عام ١٣٦٢م من أجل تجديد المعاهدة المنتهية مع بيزنطة لمـــدة خمـــس سنوات أخرى، وكذلك للتفاوض حول حصول البندقية على حق الانتفاع والتحكم في جزيرة تينيدوس وفي المقابل يتم تشكيل حلف ضد العثمانيين، فضـــلا عـــن تأسيس أسطول في تينيدوس مكون من أربعة سفن تسهم فيه البندقية بســـفينتين– كان على السفيرين دعوة كل من ملك قبرص وسيد فرسان الإسبتارية وقيصـــر بلغاريا للانضمام للحلف – وأمام إصرار الإمبراطور حنا الخامس علـــى عـــدم منح البندقية جزيرة تينيدوس تم تعطيل فكرة الحلف ولكن في النهاية أرســـلت بيزنطة مبعوثيها – همـــا ثيوفيلاكتـــوس ديرموكـــايتيوس Theophylaktos Dermokaites، قنســـــــطنطين كابـــــــالاروبولوس Konstantine Kaballaropoulos– إلى البندقية في أكتوبر عام ١٣٦٣م لاســـتكمال الشـــكل النهائي للمعاهدة ومناقشة مشكلة الحانات والعقارات البندقية فـــي القســـطنطينية

---

(٣) *Acta et Diplomata Res Graecas Italalsque*, pp. 121-125; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3070., p. 47-48. cf. also. Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, p. 66; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 297-298.

(٤) Chrysostomides, "Venetian Commercial Privileges under the Palaeoologi", pp. 298-311.cf.also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 293.

وفي النهاية وقع الدوق البندقي لورينزو سيلي Lorenzo Celsi على المعاهدة في ١٣من مارس عام ١٣٦٣م لتستمر خمس سنوات أخرى، إلا أن مشكلة الحانات البندقية ظلت موجودة، وكذلك فكرة السيطرة على جزيرة تينيدوس لم تبتعد عن أذهان الدوق البندقي ولذلك أراد أن يضغط على حنا الخامس بمسألة جواهر التاج البيزنطي؛ فشحنها على متن سفينة إلى القنصل البندقي في تيجروبونت ليتم شحنها مرة ثانية إلى القنصل البندقي في القسطنطينية لإعطائها للإمبراطور البيزنطي مقابل تينيدوس ولكن كان الإمبراطور عنيداً للغاية بخصوص امتلاك البندقية لجزيرة تينيدوس، فرفض فعل ذلك، مما جعل القنصل يضع الجواهر على سفينة للرجوع بها إلى البندقية، فأرسلت الأخيرة أوامر صارمة لقنصلها في القسطنطينية في صيف عام ١٣٦٣م لمطاردته بدفع ديونه وتهديده بأن كل تجارهم سوف يغادرون إمبراطوريته إذا استمر في تجاهل أو انتهاك حقوق معاهدتهم (١).

ولكن نتيجة لانشغال البندقية بالثورة التي اندلعت ضدها في كريت في عام ١٣٦٣م وافقت البندقية على تقليل عدد حانات بيع النبيذ في القسطنطينية إلى خمس عشرة حانة– ولكن لم تحل تلك المشكلة بصفة نهائية إلا بحلول القرن الخامس عشر عندما فرضت الضرائب على بائعي النبيذ البنادقة والبيزنطيين على حد سواء –، وكذلك أوصت مواطنيها بالكف عن شراء منازل أو عقارات

---

(١) *Acta et Diplomata Res Graecas Italalsque*, pp. 126-128; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3089, p. 52;cf. also. Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 75-77; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 300-301.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٧٨-١٧٩.

- بالنسبة لمشكلة العقارات فترجع إلى أن تلك العقارات كانت إلى تلك الأونة تدفع الضريبة العقارية ولكنها عندما انتقلت إلى أيدي بنادقة عن طريق شرائها أو الزواج من بيزنطيات أو ميراثا من أقارب بيزنطيين توقفت عن الدفع وكان الإمبراطور البيزنطي ينكر حق البنادقة في شراء أملاك عقارية في الأقاليم البيزنطية ويطالبهم بسداد الضريبة على هذه العقارات أو التخلي عن ملكيتهم و لكن جاء رد البندقية على ذلك أنه من حق مواطنيها شراء المنازل أو الأراضي أو الحدائق بمقتضى المعاهدات. انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٧٩.

جديدة مراعاة للحالة الراهنة للإمبراطورية وشددت على قنصلها بالقسطنطينية بالتدقيق والتضييق في عملية منح المواطنة البندقية لأي شخص(١).

وقبل أن يغادر الإمبراطور حنا الخامس العاصمة القسطنطينية لرحلته لايطاليا في أبريل عام ١٣٦٨م وصل إليه سفير بندقي لمناقشة تجديد معاهدة ١٣٦٣م وتذكيره بديونه المتزايدة التي وصلت بفائدتها حوالي سبعة وثلاثين ألف وخمسمائة هيبربيرون، فضلا عن الخمسة آلاف دوقية ولكن لم تجدد بسبب علم حنا الخامس بشأن تفاوض البندقية مع السلطان العثماني مراد، الذي قد عرض عليهم تأجير مخزن في سكوتاري في البوسفور المواجهة للقسطنطينية لتصبح مثل المستعمرة الجنوية في غلاطية(٢).

وبعد وصول الإمبراطور حنا الخامس إلى نابولي Naples بفترة قصيرة ، كتب إلى الدوق البندقي أندريا كونتاريني Andrea Contarini (١٣٦٨-١٣٨٢م)، في أغسطس عام ١٣٦٩م ، لاستكمال المحادثات بشأن تجديد معاهدته معهم، فتم استقبال كتابات حنا الخامس بترحيب بالغ من قبل الدوق ومجلس الشيوخ، ولذلك أرسلوا له سفيرين في روما وهما توما سانودو Toma Sanudo وماركو جيوستنياني Marco Giustiniani لصياغة وتجديد المعاهدة ، واستمر النقاش عدة أسابيع طويلة في روما قبل التوصل إلى الصيغة النهائية للمعاهدة التي لعب فيها البابا ورجاله دورا بارزا في الوفاق بين الطرفين – بيزنطة والبندقية – والتي تم تحديدها بخمس سنوات أخرى ووقع الإمبراطور عليها في الأول من فبراير عام ١٣٧٠م وأهم ما تناولته الاتفاقية هو

---

(١) Chrysostomides, "Venetian Commercial Privileges under the Palaeoologi", pp. pp. 298-311.cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 293,301.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٧٩-١٨٠.

– لقد كان عدد الحانات الليلة التي يديرها البنادقة كبيرة وتبيع كميات كبيرة من الخمور التي أعفيت من الرسوم والضرائب مما أصاب المالية البيزنطية وزراعة الكروم في الإمبراطورية بضرر بالغ. انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٧٩.

(٢) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3121., p. 58; cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 304.

حقوق البنادقة في القسطنطينية، واستحقاقهم لامتلاك أو إيجار عقارات أو حانات في المدينة، وكذلك تناولت المشاكل الخاصة بالقمح المستورد للقسطنطينية والأمور المتعلقة بشأن المواطنة البندقية، وتطرقت لمسألة الدين الذي قسم على خمسة أقساط سنوية تبدأ في الأول من يناير عام ١٣٧١م[٣].

ومما سبق يتضح أن معاهدة ١٣٧٠م لم تشر لبعض النقاط و التي كان من أهمها مسألة جزيرة تينيدوس، والقرض الشخصي الذي أخذه حنا الخامس في عام ١٣٥٢م من البندقية، ولا مسألة التهديد العثماني المستمر لبيزنطة، وكذلك ظهر من خلال المعاهدة أيضا أن البندقية قدمت بعض التنازلات في ضوء الحالة البائسة للإمبراطورية البيزنطية؛ مما أسعد الإمبراطور وشجعه على الذهاب إلى البندقية[١].

وقد ترك حنا الخامس روما في مارس عام ١٣٧٠م، ثم أقام في نابولي التي أبحر منها حتى البحر الأدرياتيكي Adriatic عن طريق أنكونا Ancona، متجها صوب البندقية لتكون أول زيارة لإمبراطور بيزنطي لها، وعندما علم البنادقة بذلك أرادوا إقامة احتفال عظيم وعرض فائق الجمال من أجل تلك الزيارة؛ كما هو معتاد لديهم عند استقبال الأمراء والملوك لكن الدوق لم يشعر بالميل إلى تبذير المال على الاحتفال بزائر مثقل بدينه وربما يكون متطلع إلى الحصول على مزيد من المال من أجل إرجاعه إلى القسطنطينية؛ إلا أنه قد استقبل بكل أدب وكرم ولطف يتناسب مع مكانته ومنزلته وإن لم ينظم له عرض عظيم من الترحيب كما هو متبع لديهم، ويعد الاستقبال تحدث حنا الخامس- الذي كان يبحث دائما عن مزيد من المال بكل تأكيد- عن عرض لجذب مضيفه بشكل كبير لمساعدته؛ فعين له الدوق لجنة خماسية لسماع كلامه ومناقشته، فعرض الإمبراطور على اللجنة جزيرة تينيدوس التي سعت البندقية إلى اكتسابها ما يقرب من عشرين عاما، فكان العرض بالتأكيد جذاب، خاصة وأنهم كانوا يتفاوضون في ذلك الوقت مع العثمانيين من أجل الحصول على

(٣) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3127., p. 59-60. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 304-305.

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 305.

سوق في سكوتاري، مما يجعل امتلاك تينيدوس أمر مهما للغاية، فتم الاتفاق في٢١ يوليو ١٣٧٠م على منح الإمبراطور مكافأة عادلة بلغت حوالي خمسة وعشرين ألف دوقية – منحة لا ترد –، وإعادة جواهر التاج البيزنطي؛ وست سفن فارغة يقوم هو بتسليحها على نفقته الخاصة؛ ووافق مجلس الشيوخ على إقراضه مبلغ و قدره أربعة آلاف دوقية؛ على أن تنفذ تلك المنح البندقية في حالة التسليم الفعلي لجزيرة تينيدوس رسميا وكان هذا الجزء من الصفقة سيتم بواسطة ابنه أندرونيكوس الرابع الذي كان يعمل كوصي في القسطنطينية أثناء غياب والده، وفي هذه النقطة – تسليم تينيدوس– بدأت الصفقة في الانهيار؛ حيث رفض أندرونيكوس طاعة الأمر الذي أرسله إليه والده، وكان رفضه هذا من المحتمل جدا مدفوع من قبل الجنويين الذين لم يكن لديهم الرغبة في رؤية منافسيهم يحتلون تينيدوس عند مصب الهيلسبونت (الدردانيل)، مما وضع حنا الخامس في موقف محرج ومهين، لأنه مديون متعسر وليس لديه مال ولا لديه مقرض، حيث قام البنادقة بأسره، ولذلك طلب مرة ثانية من ابنه أندرونيكوس أن يجمع له المال من أجل خلاصه وذلك عن طريق بيع بعض كنوز الكنيسة في القسطنطينية، ولكن رفض ابنه هذا الاقتراح أيضا، وفي النهاية تم إنقاذ حنا الخامس بواسطة ابنه مانويل الثاني الذي أسرع إلى البندقية من تسالونيكا ومعه الضمانات الكافية لإخراج والده[١].

وعاد الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس إلى وطنه على متن سفينة بندقية في أكتوبر عام ١٣٧١م بعد غياب ما يقرب من عامين بعد رحله طويلة وشاقة لم تجلب أي نفع ملموس لإمبراطوريته[٢].

---

(١) Chalkokondylas, *Historiarum libre Decem*, p. 46-47.cf. also . Frances, K., *Demetrius Cydones (c.1324-c.1397): Intellectual and Diplomatic Relations Between Byzantium and the West in the Fourteenth Century*, PH.D., Fordhham University,1981, p. 174-175,192-196; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 305-306.

(٢) Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle*. Partially ed. by. Chrysostomides , J., "Studies on Chronicle of Caroldo, with Special Reference to the History of Byzantium from 1370 to 1377", *OCP*, vol. XXV, (1969),

ولكن نتيجة لازدياد الخطر العثماني وافق مجلس الشيوخ البندقي في مارس عام ١٣٧٢م على إمداد الإمبراطور حنا الخامس ببعض الأسلحة والدروع – أربعمائة درع للصدر وثلاثمائة رمح – لحماية تجارهم في إمبراطوريته [٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن البندقية لم يكن يهمها إلى حد كبير الخطر العثماني الذي يهدد الإمبراطورية البيزنطية ولا المحنة التي يمر بها الإمبراطور البيزنطي أكثر من مصلحة مواطنيها في الإمبراطورية البيزنطية[٤].

ولقد أرسل حنا الخامس في أبريل عام ١٣٧٣م رسالة إلى البندقية ليرسلوا إليه ممثل لهم يستطيع التحدث معه دون الاضطرار إلى الاعتماد على مترجم؛ بشأن التنازل عن جزيرة تينيدوس وبدأ مجلس الشيوخ البندقي يتخذ الإجراءات اللازمة لذلك [٥].

وفي فبراير عام ١٣٧٥ عندما أوشك أندريا جرادينجو Andrea Gradenigoعلى الذهاب إلى القسطنطينية كسفير، استلم تعليماته من مجلس الشيوخ بشأن تذكير الإمبراطور بأنه مازال يدين بواحد وعشرين ألف ومائة وثلاثة وستين هيبربيرون، ومراعاة للظروف السيئة التي تمر بها الإمبراطورية

---

pp. 123-182. cf. also. Loenertz, R. J.,"Jean V Paleologue a Venise (1370-1371)", *REB.*, vol. XVI, (1958), pp. 217-232; Chrysostomides,J., "John V Paleologus in Venise (1370-1371) and Chronicle of Caroldo: a Reinterpretation ", *OCP.* ,vol. XXXI , (1965), pp. 76-84; Thiriet, F.," Les Chroniques Venitiennes de la Marcienne et leur Importance pour l'histoire de la Romanse Greco- Venitienne", *MEFR*, vol. LXVI, (1954), pp. 241-291. cf. also . Halecki , *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 227-234; Nicol , *Byzantium and Venice*, pp. 307-308; Setton, *Papacy and the Levant*, vol.1,pp.315-320; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 307-308.

(٣) Thiriet, *Sénat*, I, nos.507,510. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 308.

(٤) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 308.

(٥) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3137., p. 61. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 309-310; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, p. 271.

فإنه يجب عليه دفع جزء منه، وكذلك كان على السفير مناقشة بعض الأمور الأخرى وهي: أولا: موضوع استيراد الخمور الخارجية إلى القسطنطينية -التي كان الإمبراطور يحاول تحريم استيرادها في ذلك الوقت -، ثانيا: مناقشة عملية استيراد القمح للقسطنطينية، ثالثا: مسألة الحانات والعقارات البندقية في القسطنطينية، رابعا: سوء معاملة المواطنين البنادقة في القسطنطينية وتسالونيكا ومسمبريا Mesembria، ولكن في شهر يوليو عام ١٣٧٥م أبلغ جرادينجو مجلس الشيوخ بأن الإمبراطور لم يكن متعاونا على الإطلاق وبدا وكأنه ليس لديه رغبة في تجديد المعاهدة في ذلك الوقت [١].

وبذلك رحل جرادينجو في نوفمبر عام ١٣٧٥م إلى البندقية دون أن يحقق شيئاً، ولذلك عين مجلس الشيوخ لجنة مكونة من خمسة أعضاء كان من بينهم جرادينجو لمراجعة الموقف بأكمله والمحافظة على المصالح البندقية في القسطنطينية ودراسة أساليب جديدة للضغط على الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس[٢]، خاصة بعد إصداره في نفس العام- ١٣٧٥م- قراراً بفرض الضرائب على القمح الأجنبي المستورد من البحر الأسود أو الأراضي البيزنطية المحتلة من قبل الأتراك وكذلك على القمح المخزن في مخازن الحبوب البندقية في القسطنطينية؛ ولكن لم ينفذ هذا القرار بسبب اعتراض البندقية عليه مما جعل حنا الخامس يعدل عنه [٣].

وفي مارس ١٣٧٦م وقع الدوق البندقي أندريا كونتريني Andrea Contarini على قائمة مفصلة من التعليمات الصادرة من مجلس الشيوخ للوفد المرسل إلى القسطنطينية، برئاسة الأدميرال Admiral – قائد عام في البحر –

---

(١) Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle* .Partially ed. by. Chrysostomides, "Studies on Chronicle of Caroldo", pp. 162-164. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 309-310.

(٢) Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle*. Partially ed. by. Chrysostomides, pp.164-166. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 310.

(٣) Chrysostomides, "Venetian Commercial Privileges under the Palaeoologi", pp. 311-327.cf.also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 293-294.

ماركو جيوستيناني Marco Giustiniani ، وأن يمضي ماركو جيوستيناني عن طريق مودون ونيجروبونت، ليأخذ أسطولاً مكون من عشر سفن من كريت والذي يبحر به إلى القسطنطينية وينتظر بعيدا عن الشاطئ وفي نفس الوقت يتم إرسال وفد عالي المستوى من قادة المجتمع البندقي على متن سفينة أخرى لتنسيق مقابلة فورية مع حنا الخامس أو مع ابنه مانويل لاكتشاف سبب رفضه لنقاش المعاهدة مع جرادينجو، وفي حالة موافقة الإمبراطور على التفاوض، سيرسل جيوستيناني بعض رفاقه - بيترو كورنير Pietro Corner ومارينو ميمو Marino Memo- إلى حنا الخامس لتأكيد معاهدته مع البندقية لمدة خمس سنوات أخرى على البنود المقدمة من جرادينجو سالفا و التي كان من أهمها الدفع الفوري للدين أو على الأقل جزءاً منه، بقاء جواهر تاجه في البندقية؛ ولكن في حالة الفشل في التفاوض مع حنا الخامس بناءً على تعليمات مجلس الشيوخ كان على وفد جيوستيناني الاتصال بالإمبراطور السابق حنا كانتاكوزينوس الذي كان يعيش كراهب في القسطنطينية، لما لديه من خبرة وحكمة للتوسط لتجديد المعاهدة، وفي حالة الفشل معه أيضا كان على جيوستيناني أن يزور بنفسه السلطان العثماني مراد ليقدم إليه عطية من أربعمائة هيربيرون وليذكره بعرضه الخاص بمنح البندقية مستعمرة سكوتاري التجارية (١).

من الواضح من خلال التعليمات السابقة لمجلس الشيوخ أن الغرض الرئيسي من اختيار مجلس الشيوخ البندقي لقائد وأمير البحر ماركو جيوستيناني على رأس أسطول هو عملية ترهيب وتخويف للإمبراطور البيزنطي حنا الخامس لإجباره على تجديد المعاهدة، وكذلك يتضح مدى أهمية وقوة الدولة العثمانية فنجد التعليمات الصادرة لجيوستيناني في حالة التفاوض مع الأباطرة البيزنطيين أن يرسل رفاقه؛ أما في حالة التفاوض مع السلطان العثماني مراد كان عليه الذهاب بنفسه وتقديم هدية له.

---

(١) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3150., p. 63; Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle*, pp.164-166. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 311.

ومهما يكن من أمر فإن صبر البندقية تجاه الإمبراطور حنا الخامس كاد أن يوشك على النفاد لولا انصياع الأخير وتوقيعه علـــى الاتفاقيـــة – كنتيجـــة طبيعية لرؤيته العشر سفن البندقية في القرن الذهبي–؛ التي جددها معهم لمـــدة خمس سنوات أخرى بالشروط التي حددها جرادينجو من قبل؛ ولكـــن الجـــدير بالذكر أنه أثناء النقاش حول تجديد المعاهدة تحدث حنا الخـــامس مـــع مـــاركو جيوستينياني بشأن جزيرة تينيدوس وجواهر التاج الإمبراطوري الذي رفع الأمر بدوره إلى مجلس الشيوخ البندقي للبت في ذلك لعدم تخويل هذا الأمر له وجـــاء الرد في هذا الصدد عن طريق مفوض أخر مبعوث من البندقية إلى القسطنطينية الذي حدد شروط المعاهدة الجديدة و هي تنازل الإمبراطور عن تينيدوس مقابل ثلاثين ألف دوقية وعودة جواهر التاج له ، بقاء شعب ورجال الدين في تينيدوس تحت سلطة بطريرك القسطنطينية، رفع العلم البيزنطي بجانب رايـــة القـــديس مارك St. Mark – علم البندقية– على الجزيرة، مما يعنـــي ضـــمنا الســـيادة المشتركة لهما على تينيدوس، ويعد ذلك تقدما ونجاحا كبيرا للبندقية لحلها مشكلة تينيدوس التي ظلت أكثر من عشرين عاما و لتنتهي بتوقيع تلك الاتفاقيـــة فـــي أواخر مايو وأوائل يونيو عام ١٣٧٦م [١].

وعلى الجانب الأخر كان الجنوية على دراية كاملة بتلك التطورات ومن المؤكد أنهم لن يتركوا لمنافسيهم البنادقة أن يحصلوا على جزيرة تينيدوس ذات الأهمية التجارية الكبيرة بهذه السهولة؛ لذلك عمدوا إلى وقف تنفيذ هذه الاتفاقية عن طريق إشعال ثورة داخلية في بيزنطة ضد حنا الخامس عن طريـــق ابنـــه أندرونيكوس الرابع الذي قد زج به والده في السجن كعقاب له علـــى مخالفتـــه لأوامره أثناء وجوده في البندقية؛ حيث قاموا بتهريبه من سجنه إلى غلاطية في يوليو عام ١٣٧٦م ومن هناك اتصل أندرونيكوس الرابع بالسلطان العثماني مراد

---

(١) D?ger, *Regesten*,Teil.5., no.3150., p. 63; Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle*, pp. 167-168,150-153. cf. also. Halecki,*Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 321-322; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 312 .

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـــ ٢، ص ١٨٢.

الذي كان مسرورا لإقراضه والجنوية بقوات عثمانية لمساعدتهم في حصار القسطنطينية الذي استمر لمدة اثنين وثلاثين يوما[٢].

وفي أكتوبر عام ١٣٧٦م قبض أندرونيكوس على أبيه وأخويه -مانويل و ثيودور- والقنصل البندقي بيترو جريماني Pietro Grimani والتجار البنادقة الموجودين في القسطنطينية حينئذ وألقى بهم جميعا في السجن وصادر أموالهم، وكافأ الجنوية بمنحهم جزيرة تينيدوس في٢٣ أغسطس ١٣٧٦م وأرضا قبالة حيهم في غلاطية، أما السلطان العثماني مراد فقد سلم له غاليبولي Gallipoli في الثالث من سبتمبر عام ١٣٧٦م، وعلى الفور أخذ الجنويون في عمل الترتيبات اللازمة لاحتلال جزيرة تينيدوس التي ظل سكانها على ولاء لحنا الخامس فقد بعثوا حملة عسكرية لتسلمها ولكن حاكم الجزيرة الموالي لحنا الخامس رفض تسليمها لهم؛ وفي نفس الوقت علمت البندقية بتلك التطورات السيئة للأحداث واضطهاد مواطنيها فأرسلت أسطول تحت قيادة ماركو جيوستيناني الذي أبحر من البندقية في أكتوبر ١٣٧٦م لينقذ تينيدوس من الوقوع في أيدي الجنويين، والتي رحب سكانها بالبندقية على إنهم منقذيهم وحماتهم، فخرجوا لمقابلتهم يحملون الصلبان في أيديهم بوصفهم أصدقاء الإمبراطور حنا الخامس، فتسلم ماركو جيوستيناني الجزيرة ووضعها تحت الحماية البندقية وعين عليها الحاكم البندقي الأول للجزيرة دوناتو ترون Donato Tron الذي اشترك في المفاوضات مع الإمبراطور حنا الخامس، وعاد إلى البندقية وقد أخذ معه وثائق المعاهدة التي قد وقعها حنا الخامس[١].

---

(٢) Caroldo,Gian Giacomo , *Chronicle* . p. 172.cf.also. Nicol , *Byzantium and Venice*, p. 312.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٨٣.

(١) Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle*, p.170-171; D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos. 3152, 3155,3156, p. 64; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 311-317. cf. also. Barker, *Manuel II Palaeologus (1391-1425)*, pp. 23-30; Dennis, The Reign of Manuel II Palaeologus in Thessalonica, pp. 27-29,37-40; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 312-

ولقد أشار الوزير الأعلى لحنا الخامس ديميتريوس كيدونيس لتلك الأحداث السابقة بأن الإمبراطور أندرونيكوس الرابع قد تعهد للجنويين مسبقا بأن يعطيهم جزيرة تينيدوس أثناء هروبه من وجه أبيه الإمبراطور حنا الخامس الذي قد اعتقله بسبب تصرفاته المخذية له والمشينة، ولكن قام البنادقة باحتلال الجزيرة ليحرموا الجنويين منها وقاموا بعمل التحصينات اللازمة للدفاع عنها وحمايتها من أي عدوان مرتقب من جانب الجنويين؛ وبذلك قد حرموا الجنويين من التجارة في تلك المنطقة وذلك على حد تعبير ديميتريوس كيدونيسDemetrios Kydones الذي أشار لذلك في خطابا له قائلا " لقد وعد الإمبراطور الجنويين بجزيرة تينيدوس عندما كان معهم بعد هروبه من السجن، ولكن البنادقة سبقوهم في الاستيلاء عليها، وحصنوها هي وقلعتها بالأسوار و أمدوها بالمؤن والرجال والسلاح وكل شيء ليجعلونها حصناً منيعاً، وتركوا فيها حامية ثم رحلوا إلى أوطانهم، على أن يعودوا إليها في الربيع مع عدد كبير من سفنهم، ولكن كل ذلك لم يعجب الجنويون..............."[٢].

وعلى أية حال انقسمت الإمبراطورية بين أندرونيكوس الرابع المغتصب للحكم وحلفائه الجنويين من جهة وحنا الخامس الحبيس وحلفاؤه البنادقة من جهة أخرى حول جزيرة تينيدوس التي لم يضع البنادقة الفرصة في الاستيلاء عليها؛ مما جعل الجنويون يحرضون صديقهم أندرونيكوس للهجوم على حي البنادقة في القسطنطينية ومصادرة ممتلكاتهم والقبض على القنصل البندقي وأعضاء مجلسه، ومهاجمة سفينتين بندقيتين قادمتين من تانا وتمران أمام مدينة القسطنطينية والسيطرة عليهما، وكذلك قام جنوي جزيرة خيوس بالهجوم على عدد من السفن

313; Thiriet, F., "Venise et l' Occupation de Tenedos au XIV siecle', *MEFR*, vol. LXV, (1953), pp. 219-245.

(٢) Kydones,D., *Letters .Demetrius Cydones,* Correspondance, I ,ed .by R.J. Loenertz, Studi e Testi,186,Vatican City,1956, no.167, pp. 38-39. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice,* p. 313; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 279-280.

البندقية في أعالي البحار و جاء رد مجلس الشيوخ البندقي على تلك الإجراءات السابقة: أولا: تعيين القنصل البندقي أنطونيو فينير Antonio Venier كقائد و ممثل عن جمهورية البندقية في جزيرة تينيدوس في يناير عام ١٣٧٧م، وعلى الرغم من تأخره في الوصول للجزيرة، إلا أنها ظلت متماسكة و محصنة بقوة، ثانيا رفض مجلس الشيوخ طلب السفارة الجنوية تحت رئاسة السفير الجنوي داميانو كاتانيو Damiano Cattaneo في ربيع عام ١٣٧٧م الخاص بتسليمهم جزيرة تينيدوس باسم الإمبراطور أندرونيكوس الرابع لكونه مغتصباً للعرش البيزنطي وتحت حماية الجنوية، فضلا عن أن البندقية حصلت عليها من خلال الإمبراطور الشرعي للإمبراطورية حنا الخامس، ثالثا : قرر مجلس الشيوخ في مايو عام ١٣٧٧م تعيين قائد عام جديد وهو بيترو موسينجو Pietro Mocenigo، على رأس عشر سفن للإبحار بهم صوب القسطنطينية لتهديد الإمبراطور أندرونيكوس المغتصب، وكان لديه تعليمات بأنه في حالة رفض أندرونيكوس في أن يطلق سراح القنصل البندقي وإصلاح الأضرار التي تسبب فيها والتي لحقت بالمواطنين البنادقة، بأن يتصل بالبيزنطيين المناهضين لأندرونيكوس لإسقاطه ويضعوا على العرش مكانه والده حنا الخامس أو أخيه مانويل أو حتى متى ابن الإمبراطور السابق حنا كانتاكوزينوس؛ وإن لم ينجح في ذلك فعليه أن يتقدم إلى السلطان العثماني مراد للمساعدة في استعادة النظام في القسطنطينية، ثم يوقع معاهدة تأكيد لحكم البندقية في تينيدوس مع أي إمبراطور ينتج عن هذه الفوضى، أما عن الخطة البديلة والتي رفضها مجلس الشيوخ وصوت ضدها وهي إنزال قوة عسكرية مكونة من ٤٠٠ رجل في القسطنطينية للإطاحة بأندرونيكوس، رابعا: أرسلت البندقية سفيراً إلى جنوا ليقدم شكاوى رسمية بشأن السلوك الجنوي الهمجي ضد مواطنيها في القسطنطينية ويحذرهم بأنه في حالة عدم وقف تلك التجاوزات فإن البندقية ستعلن الحرب عليهم (١).

---

(١) Kydones, Demetrios, *Letters*, no.167, pp. 38-39; Caroldo,Gian Giacomo, *Chronicle*, p. 172-180. cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 313-314.

وبذلك فإن كلاً من الطرفين البندقي والجنوي أعلن صراحة تحالفه مع أحد الإمبراطورين البيزنطيين، ولكن لا أحد من الاثنين يستطيع أن يتصرف بحرية؛ فكان حنا الخامس في السجن، وأندرونيكوس الرابع أسير للسياسة الجنوية(٢).

ولكن عندما علمت البندقية في مايو ١٣٧٧م بأن جنوا تعد أسطولاً من اثنتي عشرة سفينة للذهاب إلى القسطنطينية كتعزيزات لأندرونيكوس الرابع غيرت خططها؛ بإلغاء مهمة بيترو موسينجو وإرسال أكثر من سفينة حربية من البندقية إلى كريت و منها إلى القسطنطينية التي وصلتها في السادس عشر من يوليو عام ١٣٧٧م، قبل أن يصل الأسطول الجنوي؛ فهاجموا السفن والمنشآت في المرفأ وحرقوا حقول القمح والقرى المحيطة بالمدينة. وفي السادس العشرين من يوليو عام ١٣٧٧م أبحروا إلى تينيدوس وتركوا حامية عسكرية مكونة من ثلاثمائة رجل وسفينتين حول القسطنطينية تحت قيادة كارلو زينو Carlo Zeno –الذي قد انضم لهم هو و ميخائيل ستين Michiel Sten و دوناتو ترون Donato Tron في كريت –، إلا أنه بمجرد تحرك البنادقة صوب تينيدوس وصلت التعزيزات الجنوية إلى القسطنطينية بعد رحيلهم بقليل؛ فانضموا بقواتهم وسفنهم إلى حليفهم أندرونيكوس – بلغت سفن أندرونيكوس وحلفائه الجنويين حوالي عشرين سفينة حربية – الذي تحرك بهم صوب جزيرة ليمنوس Lemnos (١) وسيطروا عليها لكونها أقرب جزيرة مأهولة بالسكان لتينيدوس؛ وفي نوفمبر عام ١٣٧٧م اتجهوا إلى تينيدوس، ولكن البنادقة تحت قيادة كارلو

---

(٢) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 314.

(١) جزيرة ليمنوس Lemnos، هي الممر الموصل بين القسطنطينية وتسالونيكا، وتقع شمال بحر إيجة غربي الساحل التركي الأسيوي، واحتلها العثمانيون في عام ١٤٧٩م . انظر: حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية، ص ٩٧؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص٥٥ هامش رقم (٩). راجع أيضا: *ODB*, vol. 2, p. 1205.

زينو قاوموا ببسالة وأجبروا أندرونيكوس و حلفاءه على التقهقر بعد قتال عنيف استمر ثلاثة أو أربعة أيام [٢].

والجدير بالذكر أن كارلو زينو كان صديقاً قديماً للإمبراطور حنا الخامس فعندما علم بوصوله أرسل له خطابا عن طريق زوجة سجانه- ربما لكونها واحدة من صديقات زوجته أو أنها كانت من عشيقاته - لينقذه، فلبى المغامر زينو النداء؛ وأبحر أسفل أسوار السجن وصعد إلى نافذته، ليحرر حنا الخامس ولكن الأخير رفض أن يغادر بدون ولديه اللذين كانا في موقع أخر من السجن، فرحل زينو بدونه، وبعد ذلك بفترة أرسل الإمبراطور إليه برسالة أخرى عن طريق زوجة السجان، وفي هذه المرة وعد بأنه لو حصل على حريته سيمنح تينيدوس رسميا للبندقية، ولكن بعد أن سلمت زوجة السجان الخطاب الثاني لزينو تم القبض عليها من قبل زوجة أندرونيكوس الرابع وتحت التعذيب أخبرتهم بكل شيء، فهرب كارلو زينو إلى تينيدوس ومعه وعد الإمبراطور المكتوب بيده[١].

ومهما يكن من أمر فبعد النصر الذي حققه البنادقة في نوفمبر ١٣٧٧م تم إعلان الحرب رسميا بين جنوا و البندقية ، ظل البنادقة متحصنين جيدا داخل أسوار جزيرة تينيدوس وكان لديهم الدعم الكامل من سكانها البيزنطيين، ثم قاموا بعمليات سلب و نهب للمستعمرة الجنوية في خيوس في عام ١٣٧٨م، ولكن بعد ذلك انتقل مسرح الحرب غربا إلى المياه الإيطالية؛ لتستمر الحرب بينهم حتى عام ١٣٨١م وكل ما ربحه البيزنطيون من هذه الحرب هو شعور عميق بعدم

---

(٢) Caroldo, *Chronicle*, p. 172-180.cf .also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 314-315.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٨٤-١٨٥.

(١) Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp. 458-459; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 319-320.

القدرة على تحديد مصيرهم، وأن أباطرتهم عبارة عن دمى تلاعب بخيوطها الأجانب– الإيطاليون أو الأتراك العثمانيون– فكان أندرونيكوس الرابع صنيعة الجنويين والعثمانيين؛ الذي سلم لهم بكل ضعف جائزة لهم دون عناء وهي غاليبولي، أما حنا الخامس فقد تودد للغرب لمساعدته ولكن في الواقع كان البنادقة فقط هم أكثر الذين عرفوا كيف يستغلون ضعفه ومحنته من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة؛ فأنهكوه بطلبهم الدائم بشأن الديون التي لا يستطيع دفعها؛ فربحوا منه مؤقتا جزيرة تينيدوس التي يعتبرونها مكسبا حيويا لهم[٢].

وأثناء حرب كيوجيا Chioggia – الحرب البندقية الجنوية –، في يونيو ١٣٧٩م وفي ظروف غامضة هرب حنا الخامس وولديه من سجنهم بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من السجن؛ حيث هربوا بقارب عبر سكوتاري وأخذوا طريقهم مباشرة إلى السلطان مراد؛ حيث تعهد حنا الخامس أنه عند استعادة عرشه بأن يدفع له جزية سنوية فأمده مراد بجيش؛ وأمدته البندقية بالسفن اللازمة للهجوم على القسطنطينية، الذي تم في الأول من يوليو ١٣٧٩م فدخل حنا الخامس وابنه مانويل العاصمة مرة ثانية بمساعدة عثمانية بندقية، مما أدى إلى هروب أندرونيكوس الرابع إلى غلاطية آخذا معه أمه وأبيها حنا كانتاكوزينوس وأخواتها[٣]، وغادر أندرونيكوس الرابع العاصمة تاركا فيها حامية من ثلاثمائة جنوي قضى عليهم البنادقة بقيادة كارلو زينو وسط صيحات البيزنطيين " يعيش القديس ماركو." ، فأجبروا الجنويين على إلقاء أسلحتهم في الرابع من أغسطس عام ١٣٧٩م.

وبعد أن أصبح حنا الخامس مسيطراً بالكامل على القسطنطينية، دخل في حرب أهلية من جديد عبر القرن الذهبي بين القسطنطينية وجنوي غلاطية التي كانت ملاذا ومركزا لابنه أندرونيكوس الرابع الذي تحصن بها مع أصدقاءه

---

(٢) Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp. 443-445; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 315-316.

(٣) Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp. 31-35; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 320; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p.281-282; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 543.

الجنويين؛ فحاصرها حنا الخامس برا وبحرا وأمدته البندقية بالسفن والعثمانيون بالجنود، وبعد حصار وقتال استمر لمدة عام حدثت مجاعة نتيجة لنقص الغذاء؛ وانتشرت الأمراض بين المدافعين عن غلاطية، وبعد رحيل كارلو زينو إلى البندقية في نهاية عام ١٣٧٩م وصلت سفن بندقية أخرى كثيرة لمساعدة حنا الخامس على مواصلة الحصار، ولكن في النهاية تم الاتفاق بين الأباطرة المتنافسين الأب والابن في مايو ١٣٨١م على أن يرتقي حنا الخامس العرش ويحتفظ به حتى وفاته، ثم ينتقل إلى ابنه أندرونيكوس الرابع كوريث للعرش بدلا من مانويل(١).

ولقد تم توقيع معاهدة تورينو Turin بين جنوا والبندقية في الثامن من أغسطس عام ١٣٨١م بعد أشهر قليلة من توقف القتال في بيزنطة، وأهم ما جاء فيها يخص بيزنطة هو مسألة امتلاك جزيرة تينيدوس التي تعد نقطة البداية لهذه الحرب والتي تم الاتفاق حولها على أن يتسلمها أماديو سافوي Amadeo of Savoy كمفوض عام، ونصت المعاهدة بشكل رسمي على أن يجعل الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس ابنه أندرونيكوس الرابع كوريث للعرش من بعده، وحثت المعاهدة أيضا الإمبراطور حنا الخامس بإعلان إخلاصه إلى الكنيسة الرومانية، وكذلك طالبت جنوا بأن يتعهد البنادقة بألا ترسو سفنهم عند القسطنطينية ولكن رفض هذا المطلب من قبل أماديو سافوي (٢).

---

(١) Chalkokondylas, *Historiarum libre Decem*, pp. 57-58; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3171, p. 67; Doukas, *Decline and Fall*, p. 80-81; Schreiner, *Chronica Byzantina* Breviora, vol.2, pp. 320-321,323-324. cf. also. Dennis, *Manuel II*, pp. 41-46; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 320-321.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٩٠.

(٢) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 321; Setton, *Papacy and the Levant*, vol. I, pp. 322-323.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٨٦-١٩٠.

وفي سبتمبر عام ١٣٨١م أرسلت البندقية السفير بانتاليون باربو Pantaleone Barbo إلى القسطنطينية لبدء عملية تجديد المعاهدة التي انتهى عامها الخامس والأخير، وقد أمرته بالتعبير عن سرور وسعادة البندقية لعودة حنا الخامس لعرشه واحترامها له، وأن يذكره بديونه المتبقية وهي سبعة عشر ألف ومائة وثلاثة وستون هيبربيرون، وأن يقوم باربو بإرسال رسالة مهذبة من القسطنطينية إلى السلطان مراد ملقبا إياه "صديق القوميون البندقي" وأن يهديه ببعض الهدايا التي لا تزيد قيمتها عن مائتي هيبربيرون، وعندما وصل بانتاليون باربو القسطنطينية واستقبله حنا الخامس استقبالا حافلا ولكن الأخير لم يكن في عجلة من أمره ليؤكد على معاهدته مع البندقية، كما لم يكن مستعداً لدفع ديونه، ولذلك راوغ على أمل أن يحصل على موافقة بأن جزيرة تينيدوس مازالت ملكا له؛ وأن تعود جواهر التاج البيزنطي، و جاء رد السفير صريحا في هذا الصدد بأن مسألة جزيرة تينيدوس قد حسمت طبقا لمعاهدة تورينو، وأن عودة جواهر التاج البيزنطي ليس لديه من الصلاحيات للتحدث فيها، وبذلك فقد حنا الخامس جزيرة ذات موقع استراتيجي من إمبراطوريته المتضائلة دون مقابل ولذلك ظلت المشاورات بين الجانبين دون تجديد للمعاهدة حتى يناير عام ١٣٨٣م(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في الثلاثين من أبريل عام ١٣٨٢م وقع جنوي غلاطية تحت زعامة لورينزو Lorenzo اتفاقية صلح مع الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس تنفيذا لنصوص معاهدة تورينو، حيث اشترطت جنوا على الأخير بألا يقوم بأي شيء يؤدي للوقيعة والقطيعة بينه وبين ابنه أندرونيكوس الرابع، وأكدت جنوا الوطن الأم تلك الاتفاقية في نوفمبر ١٣٨٢م، حيث تم توقيع اتفاقية أخرى بين الجنويين وكل من حنا الخامس وابنه أندرونيكوس الرابع

(١) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3178, p. 69. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 322.

وحفيده حنا السابع، وفيها تعهدت أطراف المعاهدة بمساعدة بعضهم البعض ضد أعدائهم، ماعدا السلطان العثماني الذين حرصوا جميعا على بقاء السلام معه(٢).

وفي يناير عام ١٣٨٥م أثناء حصار العثمانيين لمدينة تسالونيكا أرسل مانويل الثاني إلى الدوق البندقي سفارة من أجل نجدته ومساعدته ضد العثمانيين؛ حيث طلب منهم أن يمدوه بسفينتين نقل كبيرتين ومائتي درع وعشرين ألف سهم وسبعين من الرماة كجنود مرتزقة لمدة ثلاثة شهور وستة آلاف دوقية كقرض لتامين أراضيه وتحصين قلاعه، فتدارس مجلس الشيوخ تلك الطلبات في الثامن من أبريل عام ١٣٨٥م ولكنه خرج في النهاية بقرار مخيب لأمال مانويل وهو الرفض، وإن ابدوا استعدادهم للتدخل الدبلوماسي لإقناع السلطان العثماني بعقد هدنة ولكنهم لم يفعلوا ذلك وسقطت المدينة في أيدي العثمانيين في التاسع من أبريل عام ١٣٨٧م(٣).

ويعلق نيكول على ما سبق قائلا " أن البندقية لم تفصح عن الأسباب الحقيقية لرفضها و لكن من الممكن أنها رفضت مساعدة مانويل لتجنب نفسها مخاطر كثيرة خاصة وأن إمبراطورية مانويل في تسالونيكا أوشكت على الانهيار، فضلا عن عدم رغبتها في أن تقدم على خطوة تثير عداء السلطان بالذهاب إلى إنقاذ تابعه المتمرد، وإغضاب والده بمساعدة ابنه غير المطيع الذي قد أرسل في ذلك الوقت أيضا عرض لهم بتسليم حصن (فورتيليخيوم Fortilicium) في القسطنطينية ولكنهم أرادوا أن يؤكدوا معه امتيازاتهم في القسطنطينية ومصالحهم التجارية وليس فقط حصن غير محدد " (١).

---

(٢) D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3178, pp.68-69.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٩٠-١٩١.

(٣) D?ger, *Regesten*,Teil.5., no.3181b,p.70; *Monumenta Peloponnesiaca*, no.28, pp. 60-61.cf. also. Nicol , *Byzantium and Venice*, pp. 326-327.

(١) Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 326-327.

وفي عام ١٣٨٨م عملت البندقية على تكوين حلف مسيحي ضد العثماني؛ ولذلك طلبت من البابا أوربان السادس اتخاذ الخطوات اللازمة لاستكمال الحلف الصليبي؛ ولم تكتف البندقية بذلك بل سعى مجلس الشيوخ نفسه لعمل اتصالات مع ثيودور باليولوجوس Theodore Palaeologus دوق ميسترا (١٣٨٠-١٤٠٧م) من أجل التخلي عن سياسته الموالية للعثمانيين بوصفه تابعا لهم؛ وذلك على الرغم من النزاع القائم بينهما – البندقية وثيودور – على أراجوس Aragos [٢] ونابوليا Napollia [٣].

ولكن في النهاية فشلت مساعي البندقية في تشكيل تحالف ضد العثمانيين، بل وصل الأمر إلى أنها فضلت عدم الدخول ضد ثيودور نفسه في معركة مباشرة من أجل أراجوس ونابوليا؛ لأنها أدركت أن نتيجة المعركة محسومة مسبقا لصالح ثيودور بفضل حلفائه العثمانيين[٤].

---

(٢) أراجوس، هي المدينة الرئيسية في منطقة أرجوليد Argolid وتقع تلك المنطقة في الجزء الشمالي الشرقي من البيلوبونيز انظر:
ODB, vol. I, p. 163.

(٣) نابوليا، ميناء على الشاطئ الشرقي لشبه جزيرة المورة، بالقرب من مدينة أراجوس. انظر: الأمين عبد الحميد أبوسعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية في ضوء وثائق مجلس الشيوخ البندقي(١٣٥٢-١٤٠٢م/ ٧٥٣-٨٠٤هـ)، مجلة كلية الأداب، جامعة طنطا، العدد الثامن عشر، يناير ٢٠٠٥ص ٥٥، هامش (١٠٥).

(٤) *Monumenta Peloponnesiaca: Documents for the History of Peloponnese*, no.44, p.96; Raynoldus, no.4,1388, 18 April 1388. cf. also. Dennis, The Reign of Manuel II Palaeologus, pp. 144-147; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, p. 228. Runciman, S., *Lost Capital of Byzantium The History of Mistra and the Peloponnese*, New York, 2010, pp. 54-62.
راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبوسعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٥٠.

- الجدير بالذكر أن مشكلة أرجوس بين ثيودور والبندقية انتهت بوفاة صاحبها بطرس كورنارو Peter Conaro حيث قامت أرملته ببيعها إلى البندقية انظر:
Monumenta Peloponnesiaca: Documents for the History of Peloponnese, no.45, pp. 97-98.
راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبوسعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٥٠، هامش (٨٨).

وعندما أعلن ابن أندرونيكوس الرابع حنا السابع تمرده ضد جده حنا الخامس في عام ١٣٨٩م مطالبا بالعرش البيزنطي سانده في ذلك كل من الجنويين والعثمانيين على حدٍ سواء، لخلع جده وتنصيبه مكانه في أبريل عام ١٣٩٠م، فحكم حنا السابع كإمبراطور ما يقرب من أربعة شهور، انتهت بطرده من القسطنطينية على يد مانويل الثاني الذي جاء لإنقاذ والده الحبيس في قلعته عند البوابة الذهبية للمدينة؛ في أغسطس عام ١٣٩٠م [١].

و لقد كانت البندقية متحيرة من سرعة الأحداث وتغيرات الحكام في بيزنطة والشرق، فقد فشلوا في التوصل إلى اتفاق مرضي مع الإمبراطور حنا الخامس أو السلطان العثماني مراد الذي وافته المنية في يوليو عام ١٣٨٩م – تم إرسال مندوب بندقي إلى ابنه بايزيد Byjezid (١٣٨٩-١٤٠٢م) لتقديم التعازي وليعرف نواياه بخصوص تجارهم- على حدا سواء، ولم يكن أحد في البندقية متأكداً تماما عمن كان مسئولا عن العرش البيزنطي في القسطنطيتية في ذلك الوقت- عكس الجنويين الذين كان لهم دراية كاملة بكل التطورات بحكم مشاركتهم فيها، وعلي الرغم من أن البندقية اتبعت سياسة الحياد في الصراع العائلي البيزنطي على العرش؛ إلا أنها أرسلت السفير البندقي أندريا بيمبو Andrea Bembo إلى القسطنطينية لتذكير الإمبراطور حنا الخامس بديونه وتجديد معاهدته مع البندقية، إلا أن أندريا بيمبو رجع إلى البندقية دون تحقيق أي شيء لأن حنا الخامس في ذلك الوقت كان محاصراً في قلعته من قبل حفيده حنا السابع؛ وعلى الرغم من ذلك أرسل مجلس الشيوخ سفيراً جديداً، يدعى فرانسيسكو فوسكولو Francesco Foscolo في أبريل ١٣٩٠م، وأصدر له التعليمات وهي مقابلة الحاكم البيزنطي بالقسطنطينية سواء كان حنا الخامس أو حفيده حنا السابع والتحدث معه بشأن تجديد المعاهدة، وإلا يتم ترحيل التجار

[١] D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.3191,p.72.; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 340-343; cf. also. Barker, J.W, " John VII in Genoa : a problem in Late Byzantine Source Confusion", *OCP*, vol. XXVIII,(1962), pp. 213-238; Idem, *Manuel II*, pp. 68-78; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 328.

البنادقة من القسطنطينية على متن السفن البندقية إلى نيجروبونت؛ ولكن في حالة وجود السلطان بايزيد مسيطرا على القسطنطينية فعلى فرانسيسكو فوسكولو أن يلطف من طلباته[٢]، لأن البندقية كانت تتوقع في أي لحظة سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك العثمانيين[٣].

وعلى أية حال وصل فوسكولو إلى القسطنطينية أثناء فترة حكم حنا السابع القصيرة والذي لم يكن يريد عداء البندقية و لذلك جدد معهم المعاهدة التي رفض جده تجديدها معهم منذ أربع عشرة سنة ووقع عليها رسميا في الثاني من يونيو عام ١٣٩٠م دون مراوغة أو مماطلة، وذلك على الرغم من دراية البندقية الكاملة بأن حنا السابع ومن قبله والده أندرونيكوس الرابع كانا صديقين وحليفين للجنوية، ولكن الظروف السياسية كانت مرتبكة للغاية والمستقبل غير واضح المعالم؛ و لذلك فضلت البندقية أن تعترف به كإمبراطور من أن تخسر فرصة التأكيد كتابة على امتيازاتهم في القسطنطينية واعترافه بالدين المتبقي وهو سبعة عشر ألف ومائة وثلاثة وستون هيبربيرون وفائدته التي بلغت حوالي ثلاثين ألف دوقية وملكيتهم لجزيرة تينيدوس، ولكن عندما طلب منهم حنا السابع مساعدته في أغسطس عام ١٣٩٠م ضد مانويل جاء ردهم بالرفض قائلين " إننا لا نتدخل في النزاعات القائمة بين أفراد اللسان واللحم والدم الواحد" [١].

وعندما مات حنا الخامس في السادس عشر من فبراير عام ١٣٩١م، لم تحزن البندقية عليه ولم تندب رحيله، لمراوغته الدائمة التي استمرت لفترة طويلة بلغت حوالي سبعة وثلاثين عاما، ولعدم وفائه بعهوده الكثيرة، والآن من

---

(٢) *Acta et Diplomata Res Graeca Italalsque*, pp. 135 ff; D?ger, *Regesten*,Teil.5., no.3192, pp. 72-73. cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 328-329.

(٣) Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 329.

(١) D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3192a, pp. 72-73.cf. also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 328-329.

المفروض أن يبدأوا مع إمبراطور بيزنطي جديد إلا إذا قرر السلطان العثماني أن يأخذ القسطنطينية لنفسه[٢].

ومما سبق يتضح أن سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه المدن التجارية الإيطالية كانت تتسم بشكل عام بنوع من الدبلوماسية حينا كما هو الحال مع البندقية بسبب ضغط الأخيرة عليها بشكل دائم ومباشر بالمطالبة بسداد ديونها واسترداد جواهر التاج البيزنطي، فضلا عن التزام البندقية الحياد في كثير من مراحل الحرب الأهلية البيزنطية، بينما سلكت الإمبراطورية البيزنطية مع غريمتها جنوا سياسة عدائية لدرجة الدخول معها في حرب مباشرة عام ١٣٤٨م والتي انتهت بعقد صلح بين الطرفين، ولكن تلك المعاهدة لم تغير من السياسة البيزنطية الرامية لوقف الامتيازات الجنوية داخل الإمبراطورية؛ بسبب تدخل جنوا بشكل مباشر في الصراع على العرش والمشاكل الداخلية البيزنطية.

---

(٢) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 345-346; cf. also. Barker, *Manuel II*, pp. 74-80; Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 330; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 302-305.

الفصل الرابع

سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه المملكتين الصربية والبلغارية

استقرت القبائل الصربية Serbs مع بداية القرن السابع الميلادي في إقليم شمال غرب شبه جزيرة البلقان في أودية الأنهار، وبعض المناطق الساحلية، حاملة معها إلى البلقان ثقافتها وعاداتها القبلية [1]، التي تتشابه إلى حد بعيد مع عادات وتقاليد القبائل السلافية التي سبقتهم إلى استيطان أقاليم شبه الجزيرة البلقانية منذ النصف الثاني من القرن السادس الميلادي[2].

وقد أنزل الإمبراطور البيزنطي هرقل (٦١٠ – ٦٤١ م) جزءاً من الصرب في البداية في الإقليم الواقع جنوب غرب مدينة تسالونيكا، ثم قام بعد ذلك بتهجيرهم مع بقية العناصر الصربية إلى شمال غرب البلقان. فاستقر الصرب إلى الشرق من عناصر الكرواتCroats[3]. وكان لاستقرار الصرب

---

(1) عماد أمين محمد، الصرب، ص ٢٥٥.

(2) عماد أمين محمد، الصرب، ص ٢٥٥.

– من المعروف أن القبائل السلافية كانت تقطن مساحة كبيرة من السهل الأوروبي الشرقي الواقع شمال جبال الكاربات Carpath، ولقد أدى ظهور الهون في أواخر القرن الرابع الميلادي إلى خضوع القبائل السلافية لهم، وعندما اضمحلت دولتهم في منتصف القرن الخامس الميلادي سعت الأقوام الجرمانية والقبائل السلافية للتخلص من سيطرة الهون بالهجرة، فبدأت هجرات على نطاق واسع للسلاف تجاه الغرب والجنوب والشرق لينتشر السلاف على مساحة كبيرة من شرق أوروبا تمتد من نهر الألب Elbe غربا إلى نهر الدنيبر Dnieper شرقا، ومن بحر البلطيق شمالا إلى نهر الدانوب جنوبا، ولم يعرف السلاف في فترة هجرتهم هذه أي تنظيم سياسي سوى تنظيم القبيلة، و لكن صلاحيات زعيم القبيلة كانت محددة وليست مطلقة، كما كانت الفروق الاجتماعية بين أبناء القبيلة قليلة، وكان جنودهم يحملون الدروع ويتسلحون بالرماح أو الأقواس والسهام، وتجنب السلاف في قتال الأعداء السهول المكشوفة التي تضطرهم إلى خوض معارك ميدانية، وكانوا يفضلون القتال في المناطق الهضابية حتى يكون في مقدورهم إعداد الكمائن والانقضاض على العدو، وطوال مرحلة الهجرة ظلت القبائل السلافية على الوثنية، وفي نهاية القرن الخامس الميلادي وصلت مجموعة من القبائل السلافية التي اتجهت جنوبا إلى نهر الدانوب وانتشرت على طول الضفة الشمالية لمجرى النهر، بدأت المصادر البيزنطية تشير لهم باسم Sklavenoi وكان يقصد بذلك السلاف الجنوبيين أي الذين اتجهوا جنوبا شطر الدانوب، وقامت الإدارة البيزنطية بتشكيل وحدات عسكرية من هذه العناصر السلافية المعاهدة في جيوشها، وتشير المصادر إلى مشاركة هذه العناصر السلافية المعاهدة في حروب الإمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧– ٥٦٥ م) سواء في إيطاليا أو على الجبهة الفارسية. انظر: وسام عبد العزيز، البوسنة. الصرب. كرواتيا، ص ٢٤–٢٥

(3) وسام عبد العزيز، البوسنة. الصرب. كرواتيا، ص ٣٧– ٣٨ .

في هذا الإقليم أثره الكبير على تطورهم السياسي و الحضاري في القرون التالية كقوة من القوى الرئيسية في البلقان في الفترة الممتدة من القرن الثالث عشر الميلادي حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي [١]. واتسمت سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الصرب خلال العقد الأخير من النصف الأول من القرن الرابع عشر بنوع من الهدوء النسبي والسلام المؤقت بسبب توقيع معاهدة رادوفيشتي Radoviste [٢].

وعلي الرغم من مساندة بيزنطة للحركات الانفصالية الصربية للقادة والزعماء الصربيين والتي كانت من أشهرها حركة هرلجا Hrelja الانفصالية بالمنطقة الوسطي لنهر ستروما Struma (Strymonem)عن الإمبراطورية الصربية وانضمامه للإمبراطورية البيزنطية، إلا أن الصرب لم يتخذوا أي إجراء حيال ذلك في تلك الفترة [٣].

– الكرواتCroats يرجع المؤرخون المعنيون بالدراسات السلافية أصولهم إلى القبائل السرامطةSarmatians الإيرانية الرعوية التي عبرت نطاق الاستبس الأوراسي وتقدمت غربا حيث استقر الكروات في جنوب شرق بوهيميا وعرفوا بالكروات البيض. وتشير المصادر البيزنطية إلى أن الإمبراطور هرقل قام بتشجيع الكروات على الثورة ضد الآفار. كما دعاهم إلى عبور الدانوب. وقامت الإدارة البيزنطية بإنزال الكروات في الإقليم الواقع في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان بين نهر الدرافا Darava والبحر الأدرياتي واستطاع الكروات طرد الآفار من بعض ولاية الليريا الغربية ومدوا سلطانهم على طوال ساحل دلماشيا. وحلوا محل الآفار كسادة على الجماعات السلافية المستقرة هناك. وفي مقابل استقرارهم هناك اعترف زعماء الكروات بالسيادة الاسمية للإمبراطور البيزنطي ووافقوا على اعتناق المسيحية بناء على طلب الإمبراطور هرقل الذي طلب من كنيسة روما إرسال بعثات تبشيرية لنشر المسيحية بينهم. انظر: وسام عبد العزيز، البوسنة. الصرب. كرواتيا، ص ٣٦-٣٧.

(١) عماد أمين محمد، الصرب، ص ٢٥٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*,vol. I, pp. 487-492.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 177; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 289; Soulis, *The Serbs*, p. 8; Miller, W., "The Balkans States. The Zenith of Balgaria and Serbia, 1186-1355",*CMH*, (1936), p. 541.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٥؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١١٤.

(٣) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 289; Popovic, M., dans les "Les Forteress

ولكن عقب وفاة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث باليولوجوس عام ١٣٤١م[٤]، بفترة قصيرة انقلبت الصرب على بيزنطة، حيث تبرأوا من معاهدة رادوفيشتي السابقة وأعلنت الحرب عليها من خلال اجتياحها إقليم مقدونيا سلبا ونهبا مستغلة في ذلك تدهور الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية بسبب اشتعال الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٤١ – ١٣٤٧م) بين مجلس الوصاية على حنا باليولوجوس تحت زعامة الإمبراطورة آنا سافواي Anna of Savoy، الدوق الأعظم Dux Megas [٥] ألكسيوس أبوكاوكوس Apokaukos Alexius، وحنا كانتاكوزينوس[٦].

قامت القوات الصربية بالهجوم علي المناطق القريبة من تسالونيكا Thessalonika خاصة كريتسكوسلريج Kritskoselerije في صيف عام ١٣٤١ م، ثم عادت القوات الصربية إلي بلادها بعد أن عاثت في القرى

Regions des Conflits Byzantino – Serbes au, XIV, siècle", in *Byzantium and Serbia in the 14Th Century*, Athens, 1996, p. 75.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٦.

(٤) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 185.

(٥) لقب الدوق الأعظم Dux Megas، هو منصب القائد العسكري للأقاليم الغربية، ولقد حمل هذا اللقب ألكسيوس أبوكاوكوس أثناء الحرب الأهلية بعد أن كان يشغل وظيفة مدير مصانع الملح في الإمبراطورية البيزنطية. انظر: وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرار والانقطاع، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب الثانوي الثالث، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣١٧ .

(٦) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 292; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 11; Miller, "The Balkans States.The Zenith ", p. 541; Treadgold, *A History of Byzantine State and Society*, Stanford , 1997, p. 764.

– أما ألكسيوس أبوكاوكوس Apokaukos، يختلف عن أصدقاء أندرونيكوس الثالث في عدم انحداره من أسرة أرستقراطية، ولقد وصل إلى هذا الموقع بمساعدة حنا كانتاكوزينوس، ويعرف ألكسيوس أيضا بالدوق الكبير أو الأميرال العظيم ولقد درس الطب علي يد هيرتاكينوس Hyrtakenos، ولقد اغتيل ذبحا علي يد خصومه السياسيين الذين سجلهم وكان ذلك بالقسطنطينية في يونيو عام ١٣٤٥م انظر:

Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 156.

راجع أيضا: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٧٣؛ إبراهيم مصباح، السياسية الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٥٢ هامش (١).

المحيطة بتسالونيكا فسادا محملة بكثير من الغنائم. و يبدو أن هذه الحملة كانت مجرد عملية اختبار لمدي قوة ورد فعل الإدارة البيزنطية بالقسطنطينية تجاه التوسع الصربي علي حساب أملاكها في إقليم مقدونيا وتسالونيكا، بالإضافة إلي كونها حملة هدفها الرئيسي الحصول علي الغنائم والأسلاب [1].

ولقد حرضت الصرب العشائر الألبانية Albanians [2]علي القيام بالثورة والتمرد ضد الإدارة البيزنطية في الأقاليم التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية خاصة الأجزاء
الشمالية من إبيروس Epirus [3].

وكذلك قامت القوات الألبانية بالهجوم على الأقاليم البيزنطية في بيرات Berat، وباجونيا Pagonia، وليفيسدا Livisda – القريبتين منها – بدافع من الصربيين الذين قدموا لهم كل أنواع المساعدة والعون بشكل مستمر لتحقيق أهدافهم التوسعية المشتركة [4].

---

(١) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 292; Soulis, *The Serbs*, p. 11.

راجع ايضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٦.

(٢) الألبانيين Albanians، كانوا متمركزين علي ساحل البحر الإدرياتيكي Adriatic، وكانوا رعاة عند السلاف Slave، وبدأت المصادر البيزنطية تشير لهم منذ القرن الحادي عشر الميلادي ولقد خضعوا لإمارة إبيروس في بادئ الأمر، ثم خضعوا تحت حكم شارل الأنجوي Charles of Anjou شقيق ملك فرنسا، وخلال القرن الرابع عشر استقروا في تساليا Thessaly، والبيلوبونيز Peloponnes، ولقد قام الملك الصربي ستيفان دوشان بحملة كبيرة في ربيع ١٣٤٣م علي ألبانيا واخضع قلعة كرويا Kroia التي استسلمت له دون مقاومة ولذلك منحها ستيفان دوشان العديد من الامتيازات والعطايا واتخذها مركز لمواصلة توسعاته السريعة والمنظمة، حيث سيطر علي ألبانيا كاملة بعد سقوط دورازو Durazzo في عام ١٣٤٦م، سيطر العثمانيون علي ألبانيا ١٤٦٨ م. انظر:
Historical Dictionary of Byzantium, ed. by John H. Rosser, Virgil , Georgics , N.D, p. 12; *ODB*, vol.1, p. 53; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, (1267-1479), Cambridge, 1984, p. 128.

(٣) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 292.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 292.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص١٣٦.

وبسبب التوغل الصربي في مقدونيا، قام حنا كانتاكوزينوس بإرسال سفارة بيزنطية إلي البلاط الصربي من أجل تجديد معاهدة ١٣٣٤ م -.التي كانت قد أبرمت في عهد الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث - لتأكيد السلام والعلاقات الطيبة مع الصرب حتى يتسنى له التفرغ من أجل إعادة السيطرة البيزنطية علي شبه جزيرة البيلوبونيز Peloponnes من أيدي اللاتين Franks ولوقف التقدم الصربي في مقدونيا بالقرب من تسالونيكا [١].

وبالفعل تم تجديد معاهدة السلام بين الطرفين الصربي والبيزنطي في السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٣٤١م، وقد وقع عليها الملك الصربي ستيفن دوشان بنفسه والتي نصت على وقف التوغل الصربي في الأراضي البيزنطية في مقدونيا وبناءً عليه أصدر الأخير أوامره بسحب فرقه المرابطة في تلك المنطقة [٢].

ولم يمض وقت طويل حتى تراجع الملك الصربي عن وعوده ونقض المعاهدة السابقة، تحت ضغط النبلاء الصربيين الذين اعترضوا عليها، وواصل هجماته على مقدونيا، ومن ناحية أخرى شن الحزب المناوئ لحنا كانتاكوزينوس حملة دعائية ضخمة ضده في القسطنطينية مستغلين ما توارد من أنباء عن هجمات الصرب، الأمر الذي دفع حنا كانتاكوزينوس إلى محاولة اتخاذ خطوات سريعة لوقف الخطر الصربي، والمحافظة على ماء وجهه في العاصمة، فسارع بإعداد جيش على نفقته الخاصة، وتوجه به إلى ديديموتيخوس؛ حيث تقابل فيها

- أما بيرات Berat، تقع بين أفلونا Avlon، ودورازو Durazzo (ديوراخيوم Dyorachium) على ساحل البحر الأدرياتيكي Adriatic انظر:
Norwich, *Byzantium the Decline*, p. XIV.

(١) راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٣ .
Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 293.

(٢) Korobeinikov, D., "Diplomatic Correspondence Between Byzantium and The Mamluk Sultanate in Fourteenth Century", *AL- Masaq*, vol. 16, No. 1 , March, 2004,p. 61.

مع وفد دبلوماسي من الإقطاعيين الإفرنج لإمارة أخايا Achaia [٣] ليعلنوا طاعتهم له، ثم ترك فيها زوجته إيرين Irene و شقيقها مانويل أسانز Manuel Asanes (Asen) للإشراف على المدينة – ثم واصل حنا كانتاكوزينوس سيره على رأس جيشه المكون من ألفي رجل نحو الشمال في اتجاه تسالونيكا قاصدا الصرب، حيث عبر نهر الفاردار Vardar وذلك في الثاني من شهر مارس عام ١٣٤٢م [١]، ثم سار بقواته عن طريق البيرا Bera [٢] حتى وصل إلى بيريثيوريون Peritheorion [٣] ويبدو أن صغر حجم الجيش الذي لم يعد يزيد عن ألفين من الجنود قد اقنع حنا باللجوء إلى المفاوضات قبل الاحتكام للسلاح، مثلما جرت عادة الدبلوماسية البيزنطية،

---

[٣] أخاياAchaia، فهي مقاطعة رومانية قديمة، تقع في وسط بلاد اليونان إلي الشمال من ثيرموبيلاى Thermopylai وفي الشمال الغربي من شبة جزيرة للبيلوبونيز، وأهم مدنها باتراس Patras، وتطل علي ساحل خليج كورنثة Corintha بشريط ساحلي ضيق، وكانت إحدى مقاطعات المورةMorea. انظر:

ODB, vol.1, p.11; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 181.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٩٦.

[١] Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297; Soulis, *The Serbs*, p. 12; Temperley, H.W., *History of Serbia*, London, 1919, pp. 70-71

[٢] البيرا Bera، هي غلاطية والتي تقع في الركن الغربي من تراقيا Thrace. انظر:
ODB,vol.1, p. 282-283.

[٣] بيريثيوريون Peritheorion، مدينة وقلعة وحصن تقع على تل في جبال رودوب Rhodope عند شاطئ بحيرة بورو Porou، ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي أصبحت بيريثيوريون مدينة زراعية وكذلك تجارية؛ حيث أقام فيها البنادقة مستعمرات تجارية لهم، ولقد دمرت عام ١٢٠٦م على يد كالوجان Kalojan– كالوجوانيس Calojoannes شقيق آسن الأول Asen البلغاري وحاكم بلغاريا (١١٩٧–١٢٠٧) –، مما جعل سكانها يهجرونها وينزلوا على ضفاف نهر الدانوب Danube ولقد تم إعادة بناءها في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، ولقد أصبحت مطرانية بعد عام ١٣٤١م عندما قام الإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجوس (١٣٢٨– ١٣٤١م) بتحصينها، ولقد لعبت دوراً بارزاً في الحرب الأهلية في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، ولقد هُزم أمام أسوارها القائد البلغاري مومشيلو Momcilo عام ١٣٤٥م، وهجرها سكانها مرة ثانية عام ١٤٣٠م. انظر:

ODB, vol.2, p. 1095,vol. 3, p. 1630.

وبالفعل حدثت بعض الاتصالات ثم المفاوضات مع الزعيم الصربي هرلجا والتي إنتهت بعقد أتفاق بين الطرفين تعهد فيه الأخير أن يتوسط بين حنا كانتاكوزينوس والملك الصربي ستيفن دوشان، بالإضافة إلى تقديم المساعدات اللازمة لحنا كانتاكوزينوس في حربه المرتقبة ضد مجلس الوصاية بالقسطنطينية، وفي المقابل تعهد حنا كانتاكوزينوس للقائد الصربي هرلجا بأن يعطيه كثير من الأراضي البيزنطية المتاخمة لحدود مقاطعته، فضلا عن الأموال والهبات الكثيرة الأخرى التي سوف يحصل عليها مقابل تلك المساعدة.

ورغم أن المصادر المعاصرة، بما فيها التاريخ الذي كتبه حنا نفسه لم تعطينا تفاصيل كافية عن مفاوضاته مع الزعيم الصربي إلا أنه من المرجح أن حنا كانتاكوزينوس قد اهتم بالحصول علي تأييد النبلاء الصربيين خاصة هرلجا لما كان يمتلكه الأخير من أموال ومهارات وأسلحة، بالإضافة إلي تأثيره العظيم في صنع القرار داخل البلاط الصربي ولذلك اتخذه حنا كانتاكوزينوس صديقاً له ليدفع عن نفسه أي ضرر قد يلحق به من الجانب الصربي[٤]. كما أنه من الواضح أن قوة جيش حنا من ناحية و مشاكله الداخلية في بيزنطة من ناحية أخرى كانت تعوقه عن حسم مشاكله مع الصرب بصورة قاطعة، فكان عليه تجنب المواجهات العسكرية الواسعة معهم.

ومهما يكن من أمر فقد سار حنا كانتاكوزينوس علي رأس قواته يرافقه القائد الصربي هرلجا نحو الغرب عبر بوليستيون Polystyion ومنها عبر الطرق الوعرة إلي كريستوبوليس Christopolis ومنها إلي فيليبي Philippi والتي عسكر فيها [١].

---

(٤) Soulis, *The Serbs*, p. 13-14.

(١) Soulis, *The Serbs*, p. 14.

– اضطر حنا كانتاكوزينوس السير عبر هذا الطريق بسبب رفض سكان مدينة سيريس Serres السماح له ولقواته العبور عبر بلادهم، بل رفضت مدينه سيريس الخضوع والاستسلام لحنا كانتاكوزينوس مما اضطر الأخير تغيير طريقه نحو الغرب. انظر:
Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196.

وعندما وصل حنا كانتاكوزينوس إلي تسالونيكا وجدها ميدانا للحرب بسبب قيام الثوار المدافعين بعمليات تخريب وسلب ونهب في المدينة، بل و تعدي الأمر إلي طرد حاكم المدينة ثيودور سينادينوس Theodore Synadenus[٢] وجميع مؤيدي وأنصار حنا كانتاكوزينوس في صيف عام ١٣٤٢م، فعسكر الأخير وحليفه الصربي هرلجا عند حصن جيناكوكاسترون Gynaecocastron – في شمال تسالونيكا –، حيث فرضت القوات البيزنطية والصربية الحصار على المدينة بهدف تضييق الخناق عليها وعزلها عن العالم الخارجي، إلا أن حنا كانتاكوزينوس فشل في اقتحام المدينة على الرغم من المساعدات الصربية له؛ وذلك نتيجة لوصول إمدادات مساعدة للثوار من قبل القسطنطينية – مجلس الوصاية – تحت قيادة ألكسيوس أبوكاوكوس، مما اضطر حنا كانتاكوزينوس إلى الانسحاب[٣] نتيجة لقلة قوته ومؤنه التي أخذت في النفاذ[٤] خاصة بعد أن انقلب القائد الصربي هرلجا ضده وانضم إلى مجلس

---

(٢) ثيودور سينادينوس Theodore Synadenus، كان جنديا ماهرا و منذ سنة ١٣٢١م، وكان أحد كبار المؤيدين الرئيسيين للإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجوس وصديقا لميخائيل التاسع وحنا كانتاكوزينوس، فلما انتهي النزاع بعد عام ١٣٢٨م، عينه أندرونيكوس الثالث واليا لمدينة القسطنطينية، وأصبح في سنة ١٣٣٠م حاكما علي مدينة ميسيمبريا Mesembria الواقعة علي البحر الأسود، ثم تم تعينه واليا علي أرطا Arta عاصمة مدينة إبيروس Epirus التي حبسه الثوار فيها، ومنذ سنة ١٣٤٠م أصبح ثيودور سينادينوس حاكما علي مدينة تسالونيكا، ثم قام الثوار أو المتعصبون الذين أطلق عليهم زيالوتس Zealots بطرده من المدينة، ولقد أسست أمه ثيودورا باليولوجوس Theodora ديرا للراهبات أسمه الأمل الطيب Behaia Elips في القسطنطينية، ولقد تأرجحت سياسته تجاه حنا كانتاكوزينوس أثناء الحرب الأهلية (١٣٤١–١٣٤٧ م) بالتأييد حينا وعدم المساعدة أحيانا أخري. انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٢١٧.

(٣) دخل ثيودور سينادينوس الحاكم البيزنطي لمدينة تسالونيكا ورجاله الذين طردوا من المدينة في مفاوضات سرية مع ألكسيوس أبوكاوكوس كممثل عن مجلس الوصاية بالقسطنطينية والتي تمخض عنها اتفاق ينص علي إعلان ثيودور سينادينوس الخضوع والاستسلام والطاعة لمجلس الوصاية وفي المقابل يسمح لثيودور سينادينوس وحاشيته بالدخول للمدينة ويعيشون في سلام مرة ثانية. انظر:

Soulis, *The Serbs*, p. 14.

(٤) يشير نيكول إلي سبب قلة عدد قوات حنا كانتاكوزينوس البيزنطية قائلا "أنه أثناء مرور حنا كانتاكوزينوس وجيشه– الذي بلغ حوالي ألفين مقاتل– على مدينة سيريس Serres

الوصاية بالقسطنطينية، حيث قام بتقديم المساعدات اللازمة للقوات البيزنطية المنتصرة تحت قيادة ألكسيوس أبوكاوكوس، ورافق هرلجا الأخير متجها معه صوب مدينة إديسا Edessa (فودين Voden) المحاصرة من قبل القوات الصربية – التابعة للملك الصربي ستيفن دوشان – لفك الحصار عنها؛ لما يمتلكه القائد الصربي هرلجا من خبرة و مهارة ودراية كافية بالأقاليم الصربية (١).

وعلى أية حال استطاعت القوات البيزنطية بمساعدة هرلجا الانتصار على القوات الصربية المحاصرة لمدينة إديسا وإجبارها على الانسحاب من أمام أسوار المدينة وفك الحصار عنها، وقد كافأ مجلس الوصاية بالقسطنطينية هرلجا على تلك المساعدات التي كانت السبب المباشر والرئيسي للنصر بكثير من المنح والعطايا وإقطاعه أيضا حصن ميلينيك Melenicum (ميلينيك Melnik) لتوسيع رقعته (٢).

ويعلق سوليس Soulis علي موقف القائد الصربي هرلجا قائلا " يرجع سبب انقلاب هرلجا علي حنا كانتاكوزينوس إلي رغبته في توسيع مقاطعته، ولذلك رحب بالتعاون معه في بادئ الأمر تحقيقاً لمصالحة الشخصية، ولكن عندما اصطدمت مصالحهم الشخصية ببعضها البعض؛ وذلك عندما استولي حنا كانتاكوزينوس علي مدينة ميلينيك وجعلها تحت حمايته، انقلب هرلجا ضده لتعارض سياستهما التوسعية، لأن مدينه ميلينيك كانت تتاخم حدوده وكان هرلجا يريد توسيع مقاطعته بضم ميلينيك" (٣).

وفرضوا الحصار عليها، أصيبت هذه القوات بوباء أدى إلى وفاة ألف و خمسمائة جندي، ولم يبق معه سوى خمسمائة جند" انظر :

Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196.

(١) Soulis, *The Serbs*, p. 14.

(٢) Soulis, *The Serbs*, p. 15.

(٣) Soulis, *The Serbs*, p. 13.

أصبح حنا كانتاكوزينوس في موقف لا يحسد عليه نتيجة لانقلاب حليفه القائد الصربي هرلجا عليه، مما اضطره للتحرك صوب الأراضي الصربية متخذاً طريق بروسك Prosek وهناك استقبله حاكمها البيزنطي ميخائيل آسن Michael Asen –الذي استسلم وأعلن خضوعه وولائه للملك الصربي أثناء الحرب الأهلية البيزنطية الأولى (١٣٢١ – ١٣٢٨)[٤]، ثم واصل حنا كانتاكوزينوس سيره داخل الأراضي الصربية حتى وصل إلى مدينة فيليس Veles – تقع على نهر الفاردار – [١] والتي كان يحكمها الفيفود الكبير Grand Vojvoda[٢] حنا أوليفر John Oliver [٣] ونتيجة للصداقة السابقة

---

[٤] كانت الحرب الأهلية الأولى (١٣٢١–١٣٢٨م) بين الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني باليولوجوس (١٢٨٢–١٣٢٨م) وحفيده أندرونيكوس الثالث، وانتهت لصالح أندرونيكوس الثالث. لمزيد من التفاصيل انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*,vol.1, pp. 68-89; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.1, p. 315-321.cf.also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 19-20 .

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص٥١–٥٥.

[١] Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 15;

Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. XVIII.

[٢] الفيفود الكبير Grand Vojvoda، أي القائد العسكري لأحد الأقاليم الصربية وذلك خلال عهد الملك الصربي ستيفان دوشان، ولقد استخدم هذا اللقب أيضا في البوسنة Bosnia. انظر:

Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 627.

[٣] حنا أوليفر John Oliver، كان أميراً صربياً وذو شخصية قوية و بارزة مثل القائد الصربي هرلجا Hrelja، ولقد تحكم في مقاطعة عظيمة وكان له تأثير عظيم في البلاط الصربي، وكان يدين بالولاء للملك الصربي ستيفن دوشان Dušan وسانده في ثورته و تمرده للوصول للحكم، فضلا عن مشاركته في الحرب المعلنة ضد بيزنطة عام ١٣٣٤م، وعقب وفاة زوجته كارافيدا Karavida في عام ١٣٣٦م تزوج من أرملة الملك الصربي ستيفان أوروش الثالث ديكانسكي Stefan Uroš III Decanski التي تدعى مارا Mara (ماريا Maria) باليولوجينا Palaeologina – زوجة أبو ستيفن دوشان –. ومنحه الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث لقب ديسبوت Despot ما بين عامي ١٣٣٤م و ١٣٣٥م، وفي عام ١٣٤٠م أصبحت أقاليم كراتوفو Kratovo، كوشاني Kocane، وفيليس Veles، وأوفشيبولجي Ovcepolje خاضعة له من خلال زوجته، وسيطر حنا أوليفر على إقليمي موريهوفو Morihovo وتيكفيز Tikves لتصبح أملاكه مابين نهر الفاردار Vardar وكرنا ريكا Crna Reka (النهر الأسود)، وسك حنا

التي جمعت بينه وبين حنا كانتاكوزينوس – منذ مقابلة رادوفيشتي عام ١٣٣٦م –، فضلا عن كونه من أبرز القادة الصربيين، طلب منه حنا كانتاكوزينوس أن يدعمه ويسانده لدى الملك الصربي ستيفن دوشان لوقف زحفه المستمر والمتنامي في الأراضي البيزنطية بمقدونيا وتسالونيكا وفي الوقت نفسه الحصول على عونه وتأييده ضد الإمبراطورة آنا وحلفها بالقسطنطينية [٤].

وعلى أية حال تم إبرام اتفاق ومعاهدة صداقة بين حنا كانتاكوزينوس و حنا أوليفر، وتأكيدا لهذا العقد عرض حنا كانتاكوزينوس أن يتزوج ابنه مانويل Manuel من ابنة حنا أوليفر الذي رأى أنها فرصة لن تعوض لتحقيق مصالحه الشخصية من خلال التدخل المباشر في الحرب الأهلية البيزنطية القائمة، ولذلك عمد إلى استخدام ما يمتلكه من مهارة وحنكة سياسية ونفوذ وتأثير في البلاط الصربي لإقناع ستيفن دوشان بحسن ضيافة واستقبال حنا كانتاكوزينوس الذي وصل إلى سكوبي Skopje [٥] ومنها تحرك إلى البلاط الصربي باوني Pauni قرب بريستينا Pristina – تقع في جنوب الصرب وهي العاصمة وأكبر مدينة في كوسوفو Kosovo– في شهر يوليو عام ١٣٤٢م برفقته فرق حنا أوليفر [١].

أوليفر العملة باسمه إلى جانب صورة الملك الصربي ستيفن دوشان، وتوفي حنا أوليفر بعد عام ١٣٥٥م. لمزيد من التفاصيل انظر :

Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 298-300; *ODB*, vol.3, p. 1523.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297.

(٥) Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 297,299; *ODB*, vol.3, p. 1523.

– أما سكوبي Skopje، فتقع على نهر الفاردار، وتعد إحدى مدن إقليم مقدونيا، وتأرجحت بين السيادة البيزنطية والصربية إلى أن سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين عام ١٣٩١م . انظر:

ODB, vol. 3, p. 1912

(١) راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٣٢.

Miller, *The Balkans, Rouman, Bulgaria*, p. 275; Fine, *The Late Medieval*

يرجع السبب الرئيسي الذي جعل حنا أوليفر يرحب بالتوسط بين العاهلين البيزنطي والصربي إلى مدى الفوائد و المكاسب العظيمة التي سوف يحققها النبلاء الصربيين – بوصفه واحداً منهم – من وراء التدخل في الحرب الأهلية التي قسمت الإمبراطورية البيزنطية إلى معسكرين كلاهما أضعف من الأخر لتنفيذ خططهم و طموحاتهم وأهدافهم التوسعية (٢).

وعندما وصل حنا كانتاكوزينوس ورفاقه إلى البلاط الصربي استقبلهم الملك الصربي بحفاوة بالغة وأكرمهم وأحسن ضيافتهم في بريستينا، وقدم حنا كانتاكوزينوس للملك الصربي وزوجته الكثير من الهدايا والمجوهرات (٣). وبذلك جاء حنا كانتاكوزينوس إلى البلاط الصربي باحثاً عن حليف يقدم له يد المساعدة والمساندة العسكرية ضد مجلس الوصاية بالقسطنطينية (٤).

وعقب وصول حنا كانتاكوزينوس إلى البلاط الصربي أرسلت الإمبراطورة البيزنطية آنا إلى الملك الصربي ستيفن دوشان تطلب منه أن يسلمها حنا كانتاكوزينوس أو يتخلص منه عن طريق قتله بالسم الذي أرسلته مع وفدها، ثم يقوم بعد ذلك بمساندتها ومساعدتها ضد منافسيها في القسطنطينية لتحقيق هدفها في إقامة ولدها القاصر حنا على العرش البيزنطي، وفي مقابل

Balkans, p. 297; Soulis, *The Serbs*, p. 15; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. XVIII; *ODB*, vol. 3, p. 1153.

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 15;
Ostrogorsky, G., Etiene Dušan et la Noblesse Serbe Dans la lutte contre Byzance, *B*,(1952), vol.22, p. 153.
راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٨.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 255-260.cf. also, Miller, "The Balkans States. The Zenith", p. 541;Ostrogorsky, Etiene Dušan et la Noblesse Serbe, p. 155; Idem, *History of Byzantine State*, Trans. by. Hussey, Oxford, 1955, p. 460; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196; Nicol, *The End of The Byzantine Empire*, p. 36; Soulis, *The Serbs*, p. 15-16.

(٤) Soulis, *The Serbs*, p. 15.

ذلك يقتسم معها وابنها الإمبراطورية البيزنطية، إلا أن ستيفن دوشان رفض مطلب الإمبراطورة آنا – التسليم أو القتل – بدافع من زوجته هيلينا Helenam (٥).

من الواضح أنه هناك مبالغة واضحة في الرواية السابقة والتي وردت على لسان ميلر Miller؛ حيث إنه ليس من المعقول أن تعرض الإمبراطورة آنا على الملك الصربي ستيفن دوشان أن يقتسم معها وابنها أراضي الإمبراطورية البيزنطية ويرفض هذا العرض وخاصة أن حلم الملك الصربي ستيفن دوشان كان حكم الإمبراطورية البيزنطية من العاصمة القسطنطينية وقد جاءت إليه تلك الفرصة، بالإضافة إلى أنه في حالة موافقة الإمبراطورة آنا على مبدأ أن يشاركها أحد في حكم البلاد فمن باب أولى ومن الأفضل أن يشاركها بيزنطي مثل حنا كانتاكوزينوس.

وفي يوليو عام ١٣٤٢م اجتمع الملك الصربي ستيفن دوشان ورجال دولته مع حنا كانتاكوزينوس حيث أجرى الحديث بشكل رئيسي كل من هيلينا وأوليفر[١] والذي دار فحواه في بادئ الأمر حول المدن البيزنطية التي استولى عليها الصرب في الفترة المتأخرة؛ حيث أعلنت الصرب عن رغبتها في ضرورة اعتراف حنا كانتاكوزينوس رسمياً بخضوع تلك المدن لهم، إلا أن حنا كانتاكوزينوس رفض ذلك قائلا " أنه من الأهون علي أن أتنازل عن أحد أولادي ولا أتنازل أو أفرط في إحدى المدن البيزنطية " (٢) .

---

(٥) Miller, *The Balkans, Rouman*, pp. 275-276.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 260.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٩.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 260.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 298; Soulis, *The Serbs*, p. 15; Ostrogorsky, "Etiene Dušan et la Noblesse Serbe", p. 155; Miller, "The Balkans States. The Zenith of Balgaria and Serbia", p. 541.

يبدو أن هناك نوع من المبالغة في الرواية التي كتبها حنا نفسه بعد اعتزاله الحكم، حيث إنه كان آنذاك أضعف من أن يملي شروطه على الملك الصربي ستيفن دوشان لكونه – حنا كانتاكوزينوس – في موقف لا يحسد عليه نتيجة لقلة أنصاره ومؤيديه إلى حد كبير، ولأنه كان لاجئا للبلاط الصربي يطلب مساعدته بعد أن رفض الكثيرون مساعدته، ومن الواضح أنه ذكر ذلك لكي يظهر نفسه مدافعا وحاميا للحقوق والأراضي البيزنطية حتى يبعد عن نفسه تهمة التحالف والتعاون مع أعداء الإمبراطورية البيزنطية [٣]. غير أنه من المحتمل في الوقت نفسه أن هذه الرواية قد تكون صحيحة ولم يشأ حنا– وهو السياسي المحنك – أن يتورط في تنازل عن أراضي بيزنطية، في خطوة قد تستخدم للدعاية ضده، وتورطه في الوقت نفسه في مشاكل مستقبلية.

ومهما يكن من أمر فإن المفاوضات التي تمت في مدينة بريستينا Pristina بين العاهلين البيزنطي و الصربي، قد لعب النبلاء الصرب دوراً بارزاً فيها، وكذلك ظهر من خلال تلك المفاوضات مدى التأثير الكبير لطبقة النبلاء على اتخاذ القرار في البلاط الصربي ومدى نفوذهم الكبير [١].

وعلى أية حال فقد تم عقد معاهدة صلح وسلام بين بيزنطة والصرب تنص على أن يبقى الحاكمان البيزنطي والصربي حليفين وصديقين مدى الحياة، وألا يشترك أي منهما في أي محاولة للاعتداء على حدود الأخر، أن يعترف حنا كانتاكوزينوس بسيادة ستيفن دوشان على جميع المدن البيزنطية التي احتلها الصرب خلال عهد والده ديكانسكي وفترة حكمه – ستيفن دوشان –، وألا يقوم حنا كانتاكوزينوس بأي محاولة بهدف استرجاعها إلى حوزة الإمبراطورية البيزنطية مرة ثانية، أما عن المدن البيزنطية التي لا تزال من الناحية الفعلية والاسمية لبيزنطة تؤول إلى حنا كانتاكوزينوس، ويتعهد ستيفن دوشان بعدم القيام بأي اعتداء عليها، بل ويقوم بمساعدة حنا كانتاكوزينوس في إعادة سيطرته على تلك المدن سواء عن طريق الاستسلام أو الحرب، ويتخذ ستيفن دوشان مجلس الوصاية بالقسطنطينية عدوا له، وألا يجري معه اتصال، وفي النهاية

---

[٣] عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٣٩.

[١] Soulis, *The Serbs*, p. 15.

تعهد حنا كانتاكوزينوس بتقديم المساعدات اللازمة للصرب في أي اعتداء خارجي عليها [٢].

وتعليقا على ما سبق يتضح بعض الأمور وهي، أن حنا كانتاكوزينوس ليس لديه عدة وقوة لكي ينفذ ما يريد من طموحات وهي السيطرة على مقاليد الأمور في القسطنطينية، وإلا لماذا يلجا لعدو بلاده ليطلب منه العون على مجلس الوصاية البيزنطي، لذا كيف يقدم المساعدة للمملكة الصربية في حالة أي اعتداء خارجي عليها،أيضا محاولة حنا كانتاكوزينوس إصباغ وإثبات أن مساعدة الملك الصربي له جاءت بناءً على صداقته الشخصية وليس طمعاً في أراضي الإمبراطورية البيزنطية وهذا أمر مشكوك في صحته .

أما عن رواية المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس بشأن تلك الاتفاقية فيشير إلى أن حنا كانتاكوزينوس اعترف للصرب بكل المدن الواقعة إلى الغرب من كافالا Kavalla فيما عدا مدينة تسالونيكا، أما عن المدن البيزنطية التي لم تقع تحت الاحتلال الصربي فكان لها الخيار في أن تظل تابعة لبيزنطة أو تعلن ولاءها وطاعتها للملك الصربي ستيفن دوشان[٣]، بينما يشير مؤرخ بيزنطي أخر وهو ميخائيل دوكاس Michael Doukas إلى أن حنا كانتاكوزينوس ذهب إلى بلاط الملك الصربي وعرض عليه مطالبه والتي استمع لها الملك الصربي بتمعن وإنصات ووافق على تقديم العون والمساعدة اللازمة لحنا كانتاكوزينوس في حربه ضد مجلس الوصاية بقيادة الإمبراطورة آنا وأبوكاوكوس، ولقد عبر المؤرخ دوكاس عن رد فعل الملك الصربي وحالته قائلا " لقد كان الملك الصربي مسروراً وموافقا على إعطائه -حنا

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 273-275.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297; Soulis, *The Serbs*, pp. 15-17; Ostrogorsky, "Etiene Dušan et la Noblesse Serbe", pp. 155-156.

(٣) Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.2, p. 730-35.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 298; Miller," The Balkans States .The Zenith of Balgaria and Serbia", p. 541; Idem, W., *Essays of The Latin Orient*, Cambridge, 1921, p. 450; Ostrogorsky, History *of Byzantine State*, p. 460; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196.

كانتاكوزينوس– المساعدة والعون في الصراع الروماني – يقصد الصراع على العرش البيزنطي – "[1].

ومن خلال الروايات السابقة يتضح أن هناك محاولة من حنا كانتاكوزينوس بأن يظهر نفسه حامياً للإمبراطورية البيزنطية وأن علاقته بالمملكة الصربية مجرد معاهدة صداقة لم يقدم فيها أية تنازلات، إلا أن رواية المؤرخ نقفوروس جريجوراس تعد الرواية الأقرب للصواب والحقيقة والأكثر منطقية وبطبيعة الحال الأكثر حيادا، لأنه أظهر مدى التنازلات التي قدمها حنا كانتاكوزينوس، بل وحدد بدقة المدن التي آلت للمملكة الصربية وتنازل حنا كانتاكوزينوس عنها، أما عن رواية ميخائيل دوكاس فقد جاءت مقتضبة ومختصرة جدا ولم تعط تفاصيل اللقاء [2].

علي أية حال فإنه بعد صياغة الاتفاقية بصورتها النهائية في حضور النبلاء الصربيين والملك الصربي ورئيس الأساقفة جوانيكيج Joanikij طلب ستيفن دوشان من حنا كانتاكوزينوس أن يتنازل عن ملكيته لمدينة ميليتيك إلى القائد الصربي هرلجا الذي عاد مرة ثانية وأعلن ولاءه وطاعته لسيده ستيفن دوشان، فلم يبد حنا كانتاكوزينوس أي اعتراض يذكر؛ بسبب الظروف الصعبة التي كان يمر بها، وأنه كان في حاجة ماسة للعون الصربي ولذلك لم يرد أن يثير غضب الملك الصربي، فضلا عن أنه أراد أن يكسب القائد الصربي هرلجا إلى جانبه – ليقنع هرلجا بالتراجع عن تحالفه ومساندته لمجلس الوصاية بالقسطنطينية –، وبالفعل أصدر حنا كانتاكوزينوس أوامره للحاكم البيزنطي حنا آسن بتسليم مدينة ميلينيك للقائد الصربي هرلجا [3].

---

(١) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 68.

(٢) عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٤١.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 275-276; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p.736.cf. also.Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297-298; Dinic ,"The Balkans (1018-1499)", *CMH*, vol. IV, Part. 1, p. 541; Popovic, "Les Forteress dans les Regions des Conflits Byzantino – Serbes", p. 76.

وتم الاتفاق على عقد الزواج بين مانويل حنا كانتاكوزينوس وابنة حنا أوليفر، ولذلك ترك حنا كانتاكوزينوس ابنه في العاصمة الصربية من أجل إثبات حسن نواياه في تطبيق المعاهدة التي أبرمها مع ستيفن دوشان [١]

وعلى أية حال يعد وصول حنا كانتاكوزينوس لمقر البلاط الصربي بشكل عام تطور عظيم في العلاقات البيزنطية الصربية خلال عهد الملك الصربي ستيفن دوشان، حيث إنها المرة الأولي التي يصل فيها إمبراطور روماني- بيزنطي- إلى المقر الرئيسي للبلاط الصربي ليجري محادثات من أجل الوصول إلى دعم عسكري ضد أعدائه، بالإضافة إلى أن حنا كانتاكوزينوس كان له تأثير عظيم في السياسة البيزنطية منذ عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث [٢].

ومهما يكن من أمر فإن هذا الاتفاق يعد مكسباً لكل من الطرفين، فقد كسب حنا كانتاكوزينوس حليف قوي يسانده في حربه ضد مجلس الوصاية بالقسطنطينية، وقد حصل ستيفن دوشان على اعتراف رسمي بالفتوحات التي تمت في عهد أبوه ديكانسكي وعهده منذ عام ١٣٣١م حتى وفاة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث باليولوجوس عام ١٣٤١ م، بالإضافة إلي أن هذه المعاهدة سوف تمنح ستيفن دوشان المزيد من الأراضي البيزنطية، فضلا عما سينتج عن الحرب الأهلية من إضعاف الطرفين المتصارعين سواء الإمبراطورة أنا سافواي وحزبها أو حنا كانتاكوزينوس وأنصاره[٣]. وسوف يؤدي ذلك كله

---

(١) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2 , pp. 254-255.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 300.

- والجدير بالذكر أن هذا الزواج لم يتم بسبب تغيير دوشان حلفه من حنا كانتاكوزينوس إلى الإمبراطورة أنا ومجلس الوصاية فيما بعد انظر:

Fine, *The Late Medieval Balkans*, p.300.

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 297; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 15; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196; Cirkovic ,S., “Between Kingdom and Empire: Dušan state 1346- 1355 Reconsidered”, in. *Byzantium and Serbia in the 14Th Century*, Athens, 1996, p. 114.

(٣) عماد لمين محمد، الصرب، ص ١٤٢.

في النهاية إلي ضعف الإمبراطورية البيزنطية وتمزقها إلي أحزاب متناحرة وبالتالي سوف تنهار الإمبراطورية وتسقط وهذا ما كان يخطط له أو يأمل فيه ستيفن دوشان.

وفي حقيقة الأمر استفاد النبلاء الصربيون من معاهدة يوليو ١٣٤٢م البيزنطية الصربية وعلي رأسهم حنا أوليفر الذي حصل علي مدينة ميلينيك عقب وفاة هرلجا في عام ١٣٤٢م وكذلك حصل علي المدن المنتشرة علي نهر ستروما Struma والتي كانت من أهمها فيلبوشد وستيب Stip وستروما والمنطقة الممتدة من ستروما إلى نهر الفاردار [١]

كما قضى حنا كانتاكوزينوس العشرة أشهر التالية لتوقيع معاهدة يوليو ١٣٤٢ م – أي إلي مايو ١٣٤٣ – في ضيافة الملك الصربي، وقد قام أثناء إقامته في الصرب في نهاية صيف عام ١٣٤٢م بالخروج علي رأس فرقة صربية لمواجهه خصمه البيزنطي أبوكاوكوس المحاصر لمدينة ديديموتيخوس، إلا أنه فشل في فك الحصار عنها واضطر إلي الانسحاب مرة ثانيه إلي العاصمة الصربية[٢].

ومع نهاية عام ١٣٤٢م خرج حنا كانتاكوزينوس علي رأس القوات الصربية وكان في صحبته حوالي أربعة من النبلاء الصربيين صوب مدينة سيريس للسيطرة عليها إلا إن سكانها رفضوا الخضوع والاستسلام له، وسلك طريقه عبر كريستوبوليس Christoupolis – كافالا – وهناك واجه القوات

---

(١) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 254-255. cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 300.

– ولكن مع بداية عام ١٣٤٣م أرسل الملك الصربي ستيفن دوشان فرقه العسكرية ضد القائد الصربي حنا أوليفر لاستعادة مدينة ميلينيك لنفسه انظر:

Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 300.

(٢) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 254-255. cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 300; Soulis, *The Serbs*, p. 18; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196.

البيزنطية التابعة للقسطنطينية التي ألحقت به هزيمة مما أدي إلي انسحابه مرة ثانية للصرب وخاصة أن قواته أصيبت بوباء أدي إلي مقتل أكثر من ثلثيها[٣] .

والجدير بالذكر أنه أثناء حصار حنا كانتاكوزينوس لمدينة سيريس خرج الملك الصربي علي رأس جيش صربي آخر واخترق المنطقة الجنوبية الغربية من إقليم مقدونيا فسيطر علي إديسا Edessa (فودين Voden) وفلورينا Florina (هلرين Hlerin) وكاستوريا Kastoria وأحكم سيطرته علي الأراضي البيزنطية التي كانت خاضعة للألبانيين فيما عدا دورازو Durazzo(ديوراخيوم Dyorachium)أو (إبيدامنوس Epidamnos)[١]، وذلك مع أفول عام ١٣٤٢م .

ولقد استغل ستيفن دوشان انشغال حنا كانتاكوزينوس بحربه ضد مجلس الوصاية [٢]، ووسع حدوده علي حساب الإمبراطورية البيزنطية، فسيطر علي

---

(٣) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 255.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 300; Soulis, *The Serbs*, p. 18; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 196; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 461; Ostrogorsky, G., "The Palaeologi", *CMH*,vol. IV, part. 1, (1966), p. 359.

(١) دورازو Durazzo، تقع جنوب ألبانيا علي ساحل البحر الأدرياتيكي وعندما قام الجيش البيزنطي بالهجوم علي كورفو Corfu – جزيرة تقع على ساحل البحر الأيوني Ionian – في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجوس اجتاح دورازو وذلك بفضل القوات التركمانية الخفيفة من الرماة، التي أبلت بلاءاً حسناً في هذه الحملة، حيث قاموا بعملهم على أكمل وجه وتركوا الألبانيين بين قتيل وأسير، وبعد انتهاء الحملة وزع الإمبراطور أندرونيكوس على القوة التركمانية غنائم الألبانيين انظر: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٤.

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 301; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 19; Miller, "The Balkans States.The Zenith ", p.542; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 197; Ostrogorsky, "Etiene Dušan et la Noblesse Serbe", p. 155; Dinic,The Balkans (1018-1499), p. 538; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 125.

بيرات، وجانينا Jannina (كانينا Kanina)[3]، وكروجا Kroja – الواقعة جنوب بيرات – وميناء فالونا Valona بإقليم ألبانيا التي دخل حاكمها البيزنطي والذي يسمي نقفوروس إسحق Nicephorus Issakios في خدمة الملك الصربي [4].

إن التقدم الصربي المفاجئ في الأراضي البيزنطية خلال الفترة الممتدة من عام ١٣٤٢م إلي ١٣٤٣م، قد أعطي لستيفن دوشان الفرصة لكي يصبح سيد البلقان بلا منازع، فقد حقق أحلاماً وطموحات لم يتصورها أي حاكم صربي من قبل؛ حيث امتدت المملكة الصربية من البحر الأدرياتيكي Adriatic في الغرب إلى نهر ستريمون Strymon في الشرق، ليضم بذلك مدن جانينا، إديسا، فلورينا، كاستوريا وإقليم ستريمون كاملا، ولقد أعلنت ستروميكا Strumica ستيفن دوشان– الذي لقب نفسه أوتوكراتور Autocrator [5]على الأراضي الصربية اليونانية – ملكا لهم من خلال وفد لها ذهب تحت زعامة شخص يدعى رودل Rudl وقابل ستيفن دوشان في دير تشيلاندار Chilandar [6].

والجدير بالذكر أنه بعد توقيع معاهدة التحالف بين العاهلين البيزنطي والصربي وأثناء حصار حنا كانتاكوزينوس لمدينة سيريس، أرسلت الإمبراطورة

---

[3] جانينا Jannina، وتعرف أيضا باسم جوانينا Joannina تقع في شمال إمارة إبيروس ولقد احتلها النورمانديون عام ١٠٨٢. ومن عام ١٢٠٤م إلي عام ١٢٥٩ خضعت للسيطرة البندقية، ثم السيطرة البيزنطية عام ١٣١٨م واحتلها الصرب عام ١٣٤٨م، ثم احتلها الأتراك عام ١٤٣٠م انظر:
Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,vol. 1, p. 229. cf. also. Ostrogorsky, *History of The Byzantine*, p. 443; *ODB*, vol.2, p. 1006.
راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٤.

[4] Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 301; Soulis, *The Serbs*, p. 19.

[5] أوتوكراتور Autocrator، يعني الشخص صاحب السلطة المطلقة. انظر:
http://www.definitions.net/definition/autocrat

[6] Soulis, *The Serbs*, p. 19; Oikonomides,M, "Emperor of the Romanis, Emperor of the Romania", in. *Byzantium and Serbia in the 14Th Century*, Athens, 1996, p.124.

آنا سفارة بيزنطية من كبار رجال الدولة مرة ثانية للبلاط الصربي في صيف عام ١٣٤٢م برئاسة جورج لوكاس George Loukas من أجل التفاوض مع ستيفن دوشان والوصول إلي اتفاق معه، إلا أنها فشلت في تحقيق مآربها وعادت إلي القسطنطينية تحمل معها خيبة الأمل والفشل، إلا أن الإمبراطورة آنا ومن ورائها الدوق أبوكاوكوس لم ييأسوا وأرسلوا سفارة ثالثة عالية المستوى في ربيع عام ١٣٤٣م تحت زعامة أسقف مدينة تسالونيكا الذي يدعى ماكاريوس Macarius ولكنها باءت بالفشل هي الأخرى. ويطالعنا حنا كانتاكوزينوس بخبر تلك السفارات قائلا " لقد عرض سفراء آنا على الملك الصربي أن يتم تسليمي على قيد الحياة، أو مقطوع الرأس مقابل حصوله على المدن البيزنطية الواقعة إلى الغرب من كريستوبوليس في مقدونيا فيما عدا مدينة تسالونيكا [٢].

ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى فشل المفاوضات بين الإمبراطورة آنا والملك الصربي ستيفن دوشان ترجع إلى تمسك الأخير بصداقته بحليفه حنا كانتاكوزينوس، فضلا عن عدم رغبته في أن يغدر به، وكذلك نتيجة لمساندة ودعم النبلاء الصربيين تحت زعامة حنا أوليفر لحنا كانتاكوزينوس في البلاط الصربي[٣].

وفيما يبدو أن السبب المباشر لرفض الملك الصربي ستيفن دوشان لعرض مجلس الوصاية بالقسطنطينية بزعامة الإمبراطورة آنا يرجع إلى أن مصلحة ستيفن دوشان في ذلك الوقت سوف تتحقق على يد حنا كانتاكوزينوس الذي أعطاه الفرصة للتوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية، فضلاً عن أن الكلمة العليا والنفوذ في البلاط الصربي كان للنبلاء الصربيين الذين يساندون

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 464-470. cf. also. Miller, *Essays of The Latin Orient*, p. 450; Miller, "The Balkans States.The Zenith", p. 541-542; Soulis, *The Serbs*, p. 20; Nicol, D., *The Byzantine Lady, 1250 – 1500* Cambridge, 1994, p. 80.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 479. cf. also. Miller , *Essays of The Latin Orient*, p. 450; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 20; Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 300 -301; Miller, *The Balkans, Rouman*, pp. 275-276.

ويدعمون حنا كانتاكوزينوس، وكان ستيفن دوشان لا يستطع أن يعصي لهم أمرا أو يخالفهم في الرأي، وهذا الأمر المنطقي والأقرب للعقل لرفض ستيفن دوشان وليس كما يدعي حنا كانتاكوزينوس إلى أن الرفض جاء نتيجة طبيعية لصداقته الحميمة بالملك الصربي وهذا ما سوف يتضح فيما بعد .

وفي الواقع كان رفض ستيفن دوشان لعرض الإمبراطورة آنا لم يكن بسبب الصداقة التي تربط بينه وبين حنا كانتاكوزينوس وبلاطه بقدر ما رأى ستيفن دوشان في استمرار تحالفه مع الأخير فائدة أكبر لأنه في حالة التحالف مع الإدارة البيزنطية في القسطنطينية فإنه سوف تظل الأراضي الزراعية في أيدي مالكيها وأصحابها البيزنطيين أتباع مجلس الوصاية في القسطنطينية، بالإضافة إلى أن ستيفن دوشان كان يعلم أن حنا كانتاكوزينوس في حالة يرثى لها وفي موقف ضعيف يسمح له بإملاء شروطه عليه دون أي اعتراض من قبل حنا كانتاكوزينوس، وربما جاء رفض ستيفن دوشان لعرض الإمبراطورة آنا من أجل أن تكون ورقة ضغط جديدة للحصول على المزيد من التنازلات من كانتاكوزينوس وخاصة أن الأخير لم يعد لدية القدرة الكافية للاعتراض في حالة استيلاء الملك الصربي على أي مدينة بيزنطية أخرى [1] .

ولكن سرعان ما انقلب الملك الصربي ستيفن دوشان واشتد حنقه على حنا كانتاكوزينوس بسبب إعلان مدينة تساليا Thessaly [2] الولاء والطاعة

---

[1] عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٤٤.

[2] تساليا Thessaly، إقليم يقع في منتصف بلاد اليونان جنوب مقدونيا، تحفها وتحميها الجبال من كل جانب، فضلا عن سريان نهر بينوس Peneios فيها فجعلها سهلا خصيبا. يفصل بينهما وبين إمارة إبيروس جبال بيندوس Pindos، ويمر بها طريق هام يمتد من شمال لاريسا Larissa – التي تعد من أهم مدنها – إلي مدينة مقدونيا. خضعت خلال القرن السادس الميلادي إلي القرن الثامن الميلادي خاصة الجزء الشمالي والشمالي الغربي لحكم السلاف، واحتلها الولاش Vlachs خلال القرن الحادي عشر الميلادي ولقد سيطر عليها اللاتين خاصة علي المدن الشرقية منها بعد عام ١٢٠٤م فأصبحت إمارة تساليا Thessaly التي تتمتع بموقعها الإستراتيجي المهم ضمن تصيب بونيفاس مونتفرات إلى أن قضى حاكم إبيروس ثيودور أنجيلوس Theodore Angelos في سنة ١٢٢٤م على المملكة الصليبية القوية التي كان بونيفاس قد أقامها في تساليا، وضمها ثيودور ضمن أملاكه حتى عام ١٢٤٦ م، وعندما سار الإمبراطور حنا الثالث فاتاتزيس John III Vatazess (١٢٢١ – ١٢٥٤م)، على رأس حملة إلى بلاد اليونان واستولى عليها– منها تساليا– وجعلها تحت حكم حاكما من قبله يدعى أندرونيكوس باليولوجوس، وتعتبر

للأخير بوصفه إمبراطورا بيزنطيا في نهاية عام ١٣٤٢م – مقابل حريتهم في أملاكهم وامتيازاتهم –، وكذلك نتيجة لقيام حنا الثاني أنجيلوس John II Angelus [١] بإعادة السيطرة البيزنطية – بوصفه معينا حاكما على مدينة تساليا من قبل حنا كانتاكوزينوس – على أيتوليا Aetolia[٢]، وأكارنانيا Akarnania التي كان الملك الصربي يسعى للاستيلاء عليها لتصبح جميعها ضمن ممتلكاته [٣].

تساليا مقرا للتجار البنادقة والجالية اليهودية، ولقد تعرضت لغزو القطلان عام ١٣٠٩م و استعاد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث لأجزاء إمارة تساليا المختلفة بطرق سلمية وذلك في أواخر ١٣٣٣م مستغلا في ذلك حالة الفوضى والاضطراب التي حلت بتساليا فور وفاة حاكمها حنا الثاني دوكاس عام ١٣١٨م، وكذلك وفاة السياستوقراتور ستيفن جابريلوبولوس عام ١٣٣٢م، ولقد احتلتها القوات الصربية عام ١٣٤٨م، وسقطت في أيدي العثمانيين عام ١٣٩٣م. لمزيد من التفاصيل انظر:

ODB, vol.3, pp. 2073-2074.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٨٤–٨٨.

(١) حنا أنجيلوس John Angelos، هو الحاكم السابق علي أيونيا–شمال إبيروس– وابن عم حنا كانتاكوزينوس انظر:

Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 116; Idem, *The Last Centuries*, p. 182.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٩٨.

(٢) أيتوليا Aetolia، تقع في إقليم جبلي في الجزء الغربي من وسط بلاد اليونان فيما بين خليج أمبراكيون Ambracion وكورنثة Corinth، ويحدها من الغرب أكارنانيا، وكانت أيتوليا جزءا من ثغر نيكوبوليس Nikpolis وجزءا من إمارة إبيروس وكان يُطلق عليها اسم أيجيون Aigion وكانت قديما تعرف باسم ناوباكتوس Naupaktos، وأقيم فيها المجمع الكنسي لعام ١٣٦٧م. انظر:

ODB, vol.1, p. 42.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٩٥.

(٣) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 303; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 20;

Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, pp. 125-126; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 451; Ostrogorsky, " The Palaeologi", p. 359.

- الجدير بالذكر أنه أثناء الحرب الأهلية(١٣٤١–١٣٤٧م) جاء وفد دبلوماسي من الأرستقراطية في تساليا إلى حنا كانتاكوزينوس ليعلنوا ولائهم و طاعتهم له ويطلبوا منه أن يعين عليهم ممثل عنه، فوقع اختياره على ابن عمه حنا أنجيلوس John Angelos حاكم إبيروس لتكون تساليا أيضا تحت حكمه ويكون هو الحاكم الإمبراطوري البيزنطي عليهما. لمزيد من التفاصيل انظر:

واشتدت الأزمة والخلاف بين حنا كانتاكوزينوس والملك الصربي ستيفن دوشان أثناء حصار القوات البيزنطية والصربية المشتركة لمدينة بيرويا Berroia (Berrhoia، فيريا Veria) – تقع في تساليا جنوب إديسا– حيث إن نبلاء هذه المدينة وأهاليها قد فطنوا أنهم مهزومون لا محال كنتيجة طبيعية للحصار البيزنطي – الصربي المفروض عليهم، ولذلك قرروا الدخول في مفاوضات مع القوى المحاصرة لهم كل على حدة بغرض الحصول على أفضل شروط الاستسلام، فقد أرسل مجلس الحكم للمدينة– مجلس مكون من النبلاء والشعب والكنيسة– وفداً دبلوماسياً يمثلهم بشتى طوائفهم إلى بلاط الملك الصربي لإبرام معاهدة استسلامهم إلا أنهم فشلوا في التوصل إلى اتفاق مرضي لهم، ولذلك أرسلوا وفداً آخراً لعمل مفاوضات سرية مع حنا كانتاكوزينوس الذي استغل الموقف ورحب بتلك المفاوضات ووافق على شروطهم و مطالبهم واتخذ من بيرويا مقرا ومركزا لقواته وعين ابنه مانويل عليها في شهر أبريل عام ١٣٤٣م وأعلن عدم ذهابه ثانية إلى البلاط الصربي، مما أدى إلى زيادة غضب الملك الصربي نتيجة للإجراءات السابقة التي اتخذها حنا كانتاكوزينوس دون مشورته والرجوع إليه(١).

ولقد كان لاستسلام مدينة بيرويا ومن قبلها مدن سيرفيا Servia، بلاتامون Platamon، وحصون بيترا Petra، وسوسكوس Soskos،

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. II, pp. 312-321; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. II, pp. 621657-658. cf. also. Nicol, *The Despot of Epiros*, vol.2 , pp. 124-127, 129-130,134-138.

– أما أكارنانيا، تحتل الجزء الجنوبي من إبيروس ويحدها من الشرق أيتوليا وتواجه سواحل الجزر الواقعة علي البحر الأيوني وهي ليوكاس Leukas و كيفالونيا وغيرها. انظر:

ODB, vol.1, p. 42; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 179.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٩٥.

(١) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2 , pp. 256-257.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 302; Soulis, *The Serbs*, p. 22; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, Map. p. XVIII, p. 199; Treadgold, *A History of Byzantine State and Society*, Stanford, 1997, p.768; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 461; Idem," *The Palaeologi*", p. 359; *ODB*, vol.1, p. 283.

وستاريدولا Staridola – تقع جميعا في شمال تساليا – لحنا كانتاكوزينوس دون حرب أثر عظيم لاستعادته بعضاً من هيبته ونفوذه المفقود أمام الملك الصربي [٢].

ويعلق نيكول على ما سبق قائلا " إنه لسوء حظ الإمبراطورية البيزنطية أن تتزامن فترة الحرب الأهلية (١٣٤١-١٣٤٧م) البيزنطية مع فترة حكم أعظم الحكام الصربيين في القرن الرابع عشر طموحا هو ستيفن دوشان الذي لم يتوان في بادئ الأمر عن تقديم المساعدة اللازمة لحنا كانتاكوزينوس؛ فيصبح الملك الصربي بذلك الملاذ والملجأ له، ولكن سرعان ما انقلب على عقبيه عندما تغير وضع حنا كانتاكوزينوس للأفضل وزادت ثرواته وخضعت له شمال بلاد اليونان التي أعلنت ولاءها وطاعتها الكاملة له مع نهاية عام ١٣٤٢م ليتحول ستيفن دوشان من صديقه إلى غريمه، حيث قام الأخير بإصدار أوامره لاستدعاء قواته التي قد أرسلها إلى حنا كانتاكوزينوس للوقوف بجانبه وحمايته" [٣].

ومهما يكن من أمر فإن السياسة الجديدة التي نهجها حنا كانتاكوزينوس لم ترض الملك الصربي وأتباعه لأنها تمخضت عن إرادة حنا كانتاكوزينوس الفردية دون الرجوع لهم، ولذلك عمد ستيفن دوشان لإتباع سياسة جديدة وأخذ يبحث عن وسيلة لكبح جماح حنا كانتاكوزينوس ووقف سياسته التوسعية، فوضع يده في أيدي مجلس الوصاية بالقسطنطينية ليكون عدواً لدوداً لحنا كانتاكوزينوس بدلا من كونه حليفاً ونصيراً له [٤].

وبعث ستيفن دوشان في أبريل عام ١٣٤٣م وفداً صربياً إلى مجلس الوصاية بالقسطنطينية لكي يجري محادثات معه من أجل التوصل إلى اتفاق

---

(٢) Soulis, *The Serbs*, p.22.

(٣) Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 128.

(٤) Soulis, *The Serbs*, p. 22.

– حيث رأى الملك الصربي ونبلاؤه مدى الخطر الذي يمثله حنا كانتاكوزينوس على سياستهم ومصالحهم التوسعية خاصة في شمال بلاد اليونان ألبانيا في ربيع عام ١٣٤٣م. انظر:
Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 128.

يخدم مصالحه الشخصية ويوقف توسعات حنا كانتاكوزينوس، وبالفعل تم توقيع معاهدة بين الصرب والإمبراطورة آنا، خرجت في صورتها النهائية في صيف عام ١٣٤٣م، وقد سعى ستيفن دوشان إلى توثيق عرى الصداقة مع مجلس الوصاية، بعد توقيع الاتفاقية بأن عرض زواج ابنه أوروش Uroš من شقيقة حنا الخامس باليولوجوس، ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى ربط أسرته بالبيت الإمبراطوري الحاكم في بيزنطة، فربما تفيد تلك الصلة في طموحاته وتطلعاته المستقبلية، ونتيجة لتلك المعاهدة الجديدة أصبح ستيفن دوشان قادراً على مهاجمة بيرويا وغيرها من المدن التي سيطر عليها حنا كانتاكوزينوس منذ وقت قريب[١] .

ونتيجة لانقلاب ستيفن دوشان على صديقه وحليفه القديم حنا كانتاكوزينوس، قرر الأخير القيام ببعض الإجراءات والتدابير التي تعينه على التصدي والوقوف في وجه مجلس الوصاية وحليفه الجديد ستيفن دوشان؛ بأن خرج على رأس القوات البيزنطية المرابطة معه صوب مدينة تسالونيكا ذات التحصينات العالية والتي كان يدرك مدى صعوبة اقتحامها والسيطرة عليها إلا عن طريق الخيانة ورشوة رجالها [٢] .

وعندما وصل خبر وصول حنا كانتاكوزينوس إلى مدينة تسالونيكا إلى أسماع الملك الصربي ستيفن دوشان قام بعمل اتصالات فورية مع الثوار في تسالونيكا بغرض حثهم ودعمهم على مواصلة المقاومة والوقوف في وجه حنا كانتاكوزينوس، ولم يكتف بذلك بل حث مجلس الوصاية على سرعة التدخل أيضا؛ فأرسلت الإمبراطورة آنا مباشرة جيشاً بيزنطياً تحت قيادة ألكسيوس أبوكاوكوس للتصدي له، وفي نفس الوقت أرسل ستيفن دوشان قوة عسكرية صربية كبيرة أخرى تحت قيادة بوزيك Bozic (بوزكس Bozikes) للاشتباك

---

(١) *Cantacuzenus*, *Historiarum*, vol.2,p. 520.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 302; Cirkovic, Dušan State 1346- 1355, pp. 117-118.

(٢) *Cantacuzenus*, *Historiarum*, vol.2.p. 521-522. cf. also. *Soulis*, *The Serbs and Byzantium*, p. 22; Treadgold, *A History of Byzantine State and Society*, p. 768; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, pp. 461-462.

مع قوات حنا كانتاكوزيلوس أمام أسوار مدينة تسالونيكا، إلا أن الأخير أدرك مدى ضعف قوته و موقفه أمام الجبهتين داخل وخارج المدينة؛ فقرر الانسحاب و الفرار بقواته والعودة بهم إلى مركزه ومقره الجديد بمدينة بيرويا [٣].

ونتيجة للإجراءات والتدابير التي اتخذها الملك الصربي ستيفن دوشان حيال توسعات حنا كانتاكوزينوس؛ تأكدت الإمبراطورة آنا وحزبها بقيادة ألكسيوس أبوكاوكوس من حسن نوايا حليفهم ستيفن دوشان الذي أعلن عداءه صراحة مقابل حصوله ونبلائه على الكثير من المنح والمكافآت العظيمة [١].

على أية حال أصبح حنا كانتاكوزينوس بين شقي الرحى – ستيفن دوشان ومجلس الوصاية – لذا رأى أنه لن يستطع مواجهة هؤلاء المتحالفين إلا عن طريق الحصول على مدد عسكري أخر؛ ولذلك عمد إلى طلب المساعدة من الأمير التركماني عمر أمير أيدين Aydin؛ حيث ترك القوات الصربية المرابطة والمتربصة له وخرج من بيرويا في صيف عام ١٣٤٣م إلى الأمير عمر الذي لم يتوان عن تقديم المساعدة له والتي بلغت حوالي خمسين سفينة، بالإضافة إلى فرقة عسكرية مكونة من فرسان ومشاة ذات تدريبات عالية و التي وصلت إلى ميناء في جنوب مدينة تسالونيكا يعرف باسم كلوبا Klopa ومنه إلى بيدنا Pydna القريبة منه. والجدير بالذكر أنه أثناء سير الفرقة التركمانية اجتاحوا القرى الواقعة في المنطقة سلبا ونهبا وعاثوا فيها فسادا، وكانت تلك القرى في مقدونيا تخضع للملك الصربي ستيفن دوشان، مما أدى إلى اشتداد غضب وحنق الأخير على حنا كانتاكوزينوس الذي ترك ابنه مانويل على رأس مدينة بيرويا، وانضم للقوات التركمانية المتحالفة معه أمام أسوار مدينة تسالونيكا لمواصلة حصار المدينة إلا أنهم فشلوا في اقتحامها بسبب

---

(٣) *Cantacuzenus*, *Historiarum*, vol.2, p. 522. cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 302; Treadgold, *A History of Byzantine State and Society*, p. 768; Soulis, *The Serbs*, pp. 22-23.

(١) Soulis, *The Serbs*, p. 23.

صلابة وبسالة الثوار بداخلها المدعومين من الجانب الصربي بالمؤن والإمدادات[٢].

وبوجه عام فإن تحركات ونجاحات حنا كانتاكوزينوس الآنفة الذكر أقلقت أعداءه الذين عقدوا معاهدة تحالف بينهم للتصدي له، وفي نفس الوقت رأى حنا كانتاكوزينوس أنه يمكن أن ينهي المشكلة ويتصدى لمجلس الوصاية بالقسطنطينية بعقد معاهدة جديدة مع الملك الصربي، إلا أنه أرجأ تلك الفكرة مؤقتا، حيث إنه لن يجرؤ في ذلك الوقت على الإقدام على محاولة تحسين العلاقات مرة ثانية بينه وبين ستيفن دوشان أو الرجوع في قراراته وخطواته التوسعية السابقة [٣].

ولقد استغلت الإمبراطورة آنا العداء القائم بين إمارة أيدين وجنوه Genoa لخدمة مصالحها، وذلك لإجبار الأمير التركماني عمر على أن يترك حليفه حنا كانتاكوزينوس، بأن حرضت الجنويين على الهجوم علي إمارة أيدين، حيث نجحت جنوه في احتلال ميناء سميرنا Smyrna في الثامن و العشرين من أكتوبر عام ١٣٤٤م، مما جعل الأمير عمر يترك حليفه حنا كانتاكوزينوس ليواجه وحده مصيره أمام مجلس الوصاية والملك الصربي ويرجع إلي عاصمته إفسوس Ephesus [١] في أوائل صيف عام ١٣٤٤م، وفي نفس

---

(٢) Soulis, *The Serbs*, p. 23-24; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 200-201; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 462.

(٣) Soulis, *The Serbs*, p. 24.

(١) إفسوس (إفسس) Ephesus، تقع في أسيا الصغرى مقابل جزيرة ساموس Samos وهى عبارة عن ميناء على البحر الإيجي في أسيا الصغرى، وبمثابة عاصمة لها، ولقد اعترفت بالديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، ولقد تعرضت للإغارات العربية بداية من عام ٦٥٤م ولقد سيطر عليها الأتراك خلال الفترة الممتدة من ١٠٩٠م إلى ١٠٩٦م واتخذها القطلان قاعدة لهم عام ١٣٠٤م، ثم سيطر عليها تركمان أيدين في نفس العام. انظر: دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب، في الأراضي المقدسة ١١٠٦-١١٠٧م ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي، داود أبو هدية، عمان، ١٩٩٢م، ص ٤٣. راجع أيضا: حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية، ص٥٣؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١١٨، هامش رقم (٥). راجع أيضا:
ODB, vol.1, p. 706.

الوقت قامت الإمبراطورة آنا بعمل اتصالات أخرى مع الدولة البلغارية انتهت بعقد معاهدة مع الملك البلغاري حنا ألكساندر John Alexander (١٣٣١-١٣٧١م) تنص علي وقوف الأخير في وجه أي توسع أخر لحنا كانتاكوزينوس في تراقيا Thrace [٢].

ومهما يكن من أمر فقد توجه حنا كانتاكوزينوس إلى تراقيا وحيداً بعد أن تركه حليفه الأمير عمر الذي رحل إلى آسيا الصغرى لمواجهة أعدائه الجنويين في ربيع ١٣٤٤م، وفي نفس الوقت أخذ الملك الصربي يتعقب تحركات وخطوات حنا كانتاكوزينوس، فعندما علم بوجود الأخير في تراقيا دون حليف يسانده؛ اختار أمهر قادته وقواته للهجوم على القلعة البيزنطية زتشنا Zichna تمهيدا للالتحام المباشر بالقوات البيزنطية في تراقيا تحت قيادة حنا كانتاكوزينوس، ولهذا الغرض أرسل ستيفن دوشان قائداً له تميز بالمهارة العسكرية والخبرة ويدعى الفيفود جريجوري بريلوب Vojvoda Gregory Preljub على رأس القوات الصربية إلى تراقيا، ولكن لحسن حظ حنا كانتاكوزينوس أنه أثناء عودة عمر لبلاده وجد أن سفنه قد استولى عليها الجنوية فتعذر عليه العبور إلى آسيا الصغرى؛ مما اضطره وقواته - التي بلغت حوالي ثلاثة آلاف ومائة جندي- البقاء في إقليم تراقيا؛ في تلك الأثناء وصل الجيش الصربي تحت قيادة الفيفود جريجوري الذي التقى بالقوات البيزنطية التابعة لكانتاكوزينوس عند ستيفانيانا Stephaniana، ثم تدخل عمر وقواته وساندوا القوات البيزنطية، ولقنوا القوات الصربية درسا قاسيا وهزيمة لا تنسى في شهر مايو ١٣٤٤م [٣].

على أية حال بعد أن أصبح ستيفن دوشان سيد مقدونيا فيما عدا تسالونيكا التي كانت تحت أيدي الثوار المدافعين، وكذلك مدينة سيريس التي

---

(٢) Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 302,304; Soulis, *The Serbs*, p. 19; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 200-201.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٤٧.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 550.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans* , pp. 304-305; Soulis, *The Serbs*, pp. 24-25.

كانت ذات دفاعات قوية وتخضع في حكمها المباشر للقسطنطينية، بالإضافة إلى مدينة بيرويا التي كانت خاضعة لحكم مانويل حنا كانتاكوزينوس، أخذ الملك الصربي يستعد للاستيلاء على تلك المدن السابقة وبخاصة مدينة سيريس وبيرويا، ولذلك قام بفرض الحصار عليهما بهدف تضيق الخناق عليهما وعزلهما عن العالم الخارجي بهدف الاستيلاء عليهما، ولكن حدث شقاق داخل مدينة سيريس وانقسموا على أنفسهم فريقين، الأول يؤيد ستيفن دوشان في سياسته الرامية للاستيلاء علي المدينة دون مقاومة ويتزعم هذا الرأي أحد أقرباء زوجة حنا كانتاكوزينوس ميخائيل آسان، أما الثاني وهو معارض لسياسة ستيفن دوشان ويرغب في الاعتراف بحنا كانتاكوزينوس بوصفه إمبراطور بيزنطي يدين له بالولاء والطاعة ويتزعم هذا الحزب قنسطنطين باليولوجوس Constantine Palaeologus والستراتوبيدارخيس الكبير Grand Stratopedarches[1] ديميتريوس تزامبلاكون Demetrius Tzamplakon، اللذان كانا لهما اليد العليا علي سيريس ويرغبان في الاستسلام لحنا كانتاكوزينوس، ولكن فيما يبدو أن حنا كانتاكوزينوس لم يعلم بهذا الشقاق؛ حيث إنه قام بالتفاوض بشأن سيريس مع الملك الصربي عن طريق إرسال سفارة تحت قيادة حنا برينيوس John Bryennius له قابلته في إحدى ضواحي مدينة سيريس، وعرضت عليه طلب حنا كانتاكوزينوس بشأن فك الحصار عن المدينة إلا أن تلك السفارة فشلت في تحقيق مآربها وعادت خاوية الأيدي، مما اضطر حنا كانتاكوزينوس إلى أن يرسل سفارة أخري إلي حليفه التركماني الأمير عمر لمساعدته ونجدته ضد القوات الصربية المتمركزة أمام أسوار مدينه سيريس فقام الأمير عمر على الفور بالتحرك على رأس قواته صوب سيريس وبصحبته سليمان التركماني Suleiman – ابن أمير إمارة صاروخان Sarukhan التركمانية – تلبية لنداء صديقه حنا كانتاكوزينوس [2].

---

[1] الستراتوبيدارخيس Stratopedarches، يعني قائد الجيش، ولقد ظهر هذا المصطلح العسكري خلال القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين. لمزيد من التفاصيل انظر:
ODB, vol. 3, pp. 1966-1967.

[2] Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 551-552.cf. also. Fine, *The Late Medieval*

ونتيجة لوفاة سليمان التركماني وعودة الأمير عمر الاضطرارية إلى بلاده بسبب الحملة اللاتينية الموجهة ضده، وفضلا عن انشغال حنا كانتاكوزينوس باستغلال الفوضى والاضطراب الناجم عن مقتل أبوكاوكوس في القسطنطينية، قام ستيفن دوشان بتشديد الحصار على مدينة سيريس التي لم تستطع الصمود والمقاومة واستسلمت في الرابع و العشرين من سبتمبرعام ١٣٤٥م للملك الصربي بفضل الجبهة الداخلية المعادية للوجود البيزنطي والموالية للصرب [١].

ولقد كان لاحتلال ستيفن دوشان لمدينة سيريس أهمية كبرى و عظيمة لكونها مدينة ذات تحصينات عالية و ذات طابع بيزنطي ، فضلا عن أنها المفتاح الرئيسي لمدينة تسالونيكا والطريق المباشر لمدينة القسطنطينية، بالإضافة إلى أن هذه الخطوة السابقة تعد نقطة تحول في تطلعات وتوسعات ستيفن دوشان في مقدونيا [٢].

على أية حال قامت القوات الصربية باجتياح المنطقة المحيطة بمدينة سيريس، فسيطرت على معظم شبه جزيرة خالكيديكو Chalcidico والمنطقة الممتدة من كافالا إلى ألبانا والتي كان من أهم مدنها بيرويا، كافالا، وأناكتوروبوليس Anaktoropolis (إليوثيروبوليس Eleutheropolis حديثا) لتصبح بذلك بلاد اليونان- بإستثناء تسالونيكا والمورة- تحت السيطرة الصربية، ولكي يضفي الملك الصربي نوعا من الشرعية علي حكمه،أرسل إلي رهبان جبل أثوس Athos وفداً دبلوماسياً في شهر نوفمبر عام ١٣٤٥م للتفاوض معهم بشأن خضوعهم والاستسلام له، وبالفعل تم تتويجه وذكر اسمه

Balkans, p. 305; Soulis, *The Serbs*, pp. 25-26.
(١) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 305; Soulis, *The Serbs*, p. 26.
(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 551-552.cf. also. Vasiliev , A ., *Histoire de L' Empire Byzantin*, Tome .II, (1081-1453), Paris, 1932, pp. 299.
راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٤٨.

في صلواتهم وشعائرهم المقدسة ولكن بجوار اسم الإمبراطور البيزنطي أيضا (٢).

ومن الجدير بالذكر أنه بعد النجاحات التي أحرزها ستيفن دوشان في سيريس أقام لنفسه مدينة جديدة حول كريستاماس Christmas، وعقد مجلساً دينياً استمر من أول نوفمبر عام ١٣٤٥م إلى أول يناير عام ١٣٤٦م، وأصبح يحمل لقب ملك الصرب والرومان(اليونانيين) والأراضي البحرية والأقاليم الغربية للإمبراطورية ولقب نفسه بسيد وحاكم البلقان القوي، وكذلك حمل لقب أوتوكراتور Autocrator على تلك الأراضي (١).

ومن الواضح أن ستيفن دوشان كان يسعى دائما لإصباغ فتوحاته بشكل من الشرعية ويظهر ذلك من خلال إصراره على الحصول على الاعتراف من رجال الدين البيزنطيين بحقه وشرعيته على الأراضي البيزنطية التي فتحها وذلك لأن اعتراف رجال الدين يعني بطبيعة الحال اعتراف سكان الأقاليم

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 552; Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,vol.2, pp.746-747.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 306; Soulis, *The Serbs*, pp. 26-27; Loenertz, R., "Pour l'histoire du Peloponese au XIV siécle (1382-1404)", *EB*,Tome.I,(1943), pp. 152-196; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 126; Idem, *The Last Centuries*, p. 205; Treadgold , *A History of Byzantine*, p. 769; Dinic, "The Balkans", p. 538; Cirkovic , *Dušan State 1346- 1355*, p. 118; Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantin*, Tom .II, pp. 299-301

(١) Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 309; Soulis, *The Serbs*, p. 27.

- لقد ارتدى الملك الصربي التاج واتخذ من النسر المزدوج شعار له بوصفه وريثا للأباطرة الرومان، كما ارتدى الرداء الأرجواني البيزنطي واتخذ كثير من الألقاب الشرقية منها قيصر الصرب والإغريق، وغيرها من المظاهر البيزنطية. لمزيد من التفاصيل عن الإجراءات التي اتخذها دوشان لكي يصبغ نفسه بصبغة بيزنطية. انظر:

Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, pp.747.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*,p.310; Soulis, *The Serbs*, p. 30; Cirkovic, *Dušan State 1346- 1355*, pp.116; Miller, " *The Balkans, Rouman* ", p. 276; Idem, "The Balkans States .The Zenith ", p. 542; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 466.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٥٢-١٥٤؛ بول كولز، العثمانيون في أوربا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٠.

البيزنطية به كإمبراطور عليهم، ولذلك عمد الملك الصربي إلى الحصول على موافقة رجال الدين في الأقاليم التي فتحها ولا سيما الجبل المقدس أثوس و مدينة أوخريدا وغيرها مقابل منحهم العديد من العطايا والمنح والامتيازات، مما جعل رجال الدين يعترفوا به ويمنحوه لقب باسيلوس Basileus – الحاكم أو الملك باليونانية –، ولهذا الأمر تم عقد مجمع ديني في سكوبج في يوم عيد القيامة في السادس عشر من أبريل عام ١٣٤٦م حضره رئيس أساقفة الصرب جوانيكيج Joanikij (جوانيس Joannice)، ورئيس أساقفة أوخريدا نيكولاس Nicholas، والبطريرك البلغاري لترنوفو Tronovo[٢] سيمون Simeon، ولفيف من القيادات الدينية لجبل أثوس – كممثلين عن بيزنطة – أعلنوا جميعا اعترافهم الكامل بشرعية الملك الصربي على البلاد التي فتحها مؤخرا والتي ضمت مقدونيا وألبانيا و بلغاريا [٣] .

ولقد قام ستيفن دوشان بتعيين البطريرك الصربي جوانيكيج بوصفه بطريرك للدولة الجديدة – الصرب وبيزنطة –، وقد قام الأخير بتتويج الملك الصربي إمبراطور للصرب وبيزنطة، وفي هذه الاحتفالية أيضا تم تتويج هيلين كإمبراطورة وابنها ستيفن أوروش Stephen Uroš– البالغ من العمر عشر

---

(٢) مدينة تورنوفو Turnovo، إحدى المدن البلغارية، تقع في شمال بلغاريا على نهر جانترا Jantra، وكانت المقر الرئيسي للبطريركية البلغارية في عام ١٢٣٥م، وكانت تتمتع بأهمية تاريخية كبرى بوصفها عاصمة للمملكة البلغارية الثانية (١١٨٥–١٣٩٨م)، ولقد وقعت في أيدي القوات العثمانية في السابع عشر من يوليو عام ١٣٩٣م. انظر:
ODB, vol. 3, p. 2130.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 550; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, pp.745.cf. also. Forbes, N., and Other, *The Balkans A History of Bulgaria, Serbia, Greece, Rumania and Turkey*, Oxford, 1915, pp. 94-95; Obolensky, D., *The Byzantine Commonwealth, Eastern Europe 500 – 1453*, London, 1974, pp. 329-330; Fine , *The Late Medieval Balkans*, p. 306; Soulis, *The Serbs*, p. 30; Dinic,"The Balkans", p. 536; Cirkovic, *Dušan State 1346- 1355*, pp. 118-119; Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantin*, Tome .II , pp. 301-302; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, pp. 446-447.

سنوات – ملكاً للصرب [١]، وذلك طبقا للعادات والمراسيم البيزنطية باللغة اليونانية التي أصبحت رسمية في إمبراطورية ستيفن دوشان الجديدة مثل اللغة الصربية [٢].

ويشير حنا كانتاكوزينوس إلى ما سبق قائلا " بعد أن استولى الملك الصربي على سيريس والمناطق المحيطة بها شعر بالعظمة لأنه أصبح يملك أكبر جزء من الإمبراطورية – يقصد بيزنطة – أعلن نفسه إمبراطور للرومان والصرب وأعطى لابنه لقب كرال Cralem – الملك – "، وفي خطاب مرسل من الملك الصربي من مدينة سيريس إلى الدوق Doge البندقي، فإن ستيفن دوشان بجانب ألقابه الأخرى أعطى لنفسه اسم سيد معظم الإمبراطورية الرومانية وفي مراسيمه كان يوقع بالحبر الأحمر" إيتين، مخلص في يسوع المسيح، كرال وأوتوكراتور صربيا والإمبراطورية الرومانية أو ببساطة" إمبراطور وأوتوكراتور الصرب والرومان" [٣].

من الواضح أن الملك الصربي كان يحاول دوما أن يصبغ فتوحاته بنوع من الشرعية لذلك تقرب من رجال الدين والقديسين البيزنطيين ليس حبا فيهم ولا في شعائرهم، بل ليحقق هدفه أولا وهو أن يصبح إمبراطوراً ليس فقط على الصرب وبيزنطة بل على البلقان جميعها، ولقد ظهر ذلك واضحا جليا من خلال إجراءاته و تصرفاته السابقة .

---

(١) Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 32.

راجع أيضا: أسد رستم ، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٨.

(٢) بعد التتويج عبر الملك الصربي ستيفن دوشان عن امتنانه للأديرة والكنائس البيزنطية و قام بزيارة الجبل المقدس في أثوس هو وزوجته وظل هناك فترة من الزمن مارس خلالها الشعائر والصلوات طبقا للتقاليد البيزنطية وأجزل على القديسين كثير من العطايا، رغم أنه كان من المحرمات المطلقة دخول النساء إلى تلك المنطقة. انظر:

Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantin*, Tom .II, pp. 302-303.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 551-552.cf. also. Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantin*, Tome .II, pp. 299-300.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٨.

في الواقع إن عملية تتويج ستيفن دوشان كإمبراطور على المملكة الصربية والإمبراطورية البيزنطية يعني أنه أصبح أعلى رمزاً سياسياً وروحياً في البلقان و أنه أخذ يخطط لفتح القسطنطينية ليكون مثل الملك البلغاري سيمون Symeon (٨٩٣-٩٢٧) الذي أعلن نفسه إمبراطوراً على المملكة البلغارية والإمبراطورية البيزنطية [١].

ومهما يكن من أمر فقد استغل الملك الصربي ستيفن دوشان فرصة الحرب الأهلية القائمة واحتل مقدونيا الشرقية واستولى على قولة وسيريس ووصل إلى بحر إيجة واتجهت أنظاره شطر القسطنطينية وحلم بالاستيلاء عليها وبتأسيس دولة صربية كبيرة تشمل جميع البلدان البلقانية [٢] وأطلق عليها صربياً و رومانياً Srblje and Romania [٣].

ويعلق فازيليف Vasiliev قائلا " لم يكن هدف ستيفن دوشان من اتخاذ لقب باسيلوس وأوتوكراتور تحرير الشعب الصربي من تأثير إمبراطور الشرق – يقصد بيزنطة – بل ليصبح الشعب الصربي والمملكة الصربية وكل المناطق السلافية جزءاً من الإمبراطورية الرومانية التي أعلن نفسه رئيساً عليها، حيث وضع نفسه كوريث لعرش الإمبراطور قسطنطين الأول الكبير (٣٠٦-٣٣٧ م) [٤] وجستنيان الأول (٥٢٧-٥٦٥ م) وغيرهم من الأباطرة الرومان الآخرين، وأن يجعل أسرة صربية على العرش البيزنطي بالقسطنطينية"[٥].

---

(١) عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٥١.

(٢) أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٨.

(٣) Dinic,"The Balkans, p. 538.

(٤) قسطنطين الأول الكبير (٣٠٦-٣٣٧ م)، اسمه الكامل فلافيوس فاليريوس قسطنطينوس Flavius Valerius Constantinos، وكان فارع الطول مهيب الطلعة محمود السيرة، ولد بمدينة نايسوس Naissus، وقام بتربيته الإمبراطور ديوكليتيان في نيقية، اعترف بالمسيحية وأسس عاصمة له هي القسطنطينية وكان ذلك في مايو عام ٣٣٠م، وقد أحدث نقله هائلة في اقتصاديات الإمبراطورية بإدخاله العملة الذهبية الجديدة التي عرفت باسم الديناروس Dinarus أو الصولدي Solidus، وقد أكثر من تشييد المباني العامة والكنائس. لمزيد من التفاصيل انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٣٠-١٣٢؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٣-٣٠.

(٥) Vasiliev, *Histoire de L ' Empire Byzantin*, Tome. II, p. 300.

ويشير المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس Nicephoros Gregoras إلى توسعات الملك الصربي قائلا " إن اجتياح الصربي الكبير Grand Triballuss - يقصد ستيفن دوشان - للأراضي الرومانية كأنه فيضان نهر خرج عن مجراه، و قد أغرق بأمواجه العديدة أجزاء كثيرة من الإمبراطورية الرومانية ويهدد أن يغرق الأجزاء الأخرى الباقية " (١)

على أية حال حدث تطور في العلاقات البيزنطية الصربية وانتقلت من مرحلة التوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية في مقدونيا إلى الرغبة الشديدة في الاستيلاء على القسطنطينية لتكوين إمبراطورية جديدة صرب - بيزنطية Serbo-Byzantine يحلم بها ستيفن دوشان طوال حياته، إلا أنه كان من الصعب على الإمبراطورية أن تعترف بالأخير باعتباره إمبراطوراً لها؛ ولذلك أصدرت الكنيسة بالقسطنطينية قرار الحرمان ضد جميع البطاركة والأساقفة الذين شاركوا في تتويج ستيفن دوشان واعترفوا به كإمبراطور (٢).

لقد كان من الصعب على البيزنطيين الذين عاشوا في كنف إمبراطورية واحدة وهي الإمبراطورية البيزنطية وإمبراطور بيزنطي واحد وبطريرك لكنيستها الأرثوذكسية أن يعترفوا بكل سهوله بستيفن دوشان وإن اضطرهم ذلك بالاعتراف بحنا كانتاكوزينوس - حدث ذلك فيما بعد في عام ١٣٤٧م - كإمبراطور لبيزنطة، وخاصة أن في ذلك الوقت كان هناك صراع بين أربعة

- أما عن جستنيان الأول (٥٢٧- ٥٦٥ م)، ولد عام ٤٨٣م و كان اسمه بيترس سباتيوس Petrus Sabbatius، ثم عرف أيضا باسم فلافيوس جستنيانوس Flavius Justinianus ، وقد تبناه خاله الإمبراطور جستين الأول (٥١٨-٥٢٧ م)، ولما صار إمبراطورا أحاط نفسه بالإداريين والعسكريين الأكفاء أمثال بليزاريوس ونارسيس ومستشاره القانوني تريبونيان والمهندسان أنثيميوس وأيزيدور، وكان لزوجته ثيودورا تأثيرا كبيرا عليه، وتميز عصره بالغزوات والمشاريع العظيمة. لمزيد من التفاصيل انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٠٤-١٠٦؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤٦- ٦١.

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.2, p. 817.

(٢) Cirkovic , *Dušan State 1346- 1355*, pp. 110-111; Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantin*, Tom .II, p. 303.

يطالبون في آن واحد بالعرش البيزنطي وهم حنا باليولوجوس الإمبراطور الشرعي بالقسطنطينية، حنا كانتاكوزينوس في تراقيا ومقدونيا، وإمبراطور طرابيزون Trabizond[٣]، وستيفن دوشان في الصرب [٤].

وفيما يبدو أن سياسة الملك الصربي ستيفن دوشان تجاه الإمبراطورية البيزنطية كانت محسوبة بكل دقة لخدمة مصالحه الشخصية، فقد تفاوض تارة مع حنا كانتاكوزينوس وتارة أخرى مع حنا باليولوجوس حسب مصلحته، محاولا الاستفادة من الوضع المعقد للإمبراطورية البيزنطية التي كانت قواتها تكاد تكون مشلولة نتيجة للصراعات الداخلية [١].

مهما يكن من أمر، بعد التتويج الذي تم في نهاية عام ١٣٤٥م – شهر نوفمبر أو ديسمبر – بعدة أشهر عمد ستيفن دوشان لتنفيذ حلمه وهو الاستيلاء على القسطنطينية، حيث رأى أنه من السهل بعد الانتصارات التي حققها و التتويج الذي تم له مؤخرا أن يستولي على المدينة العالمية، ولكن من الواضح أن ستيفن دوشان لم يقدر مدى العقبات التي سوف تواجهه لتنفيذ ذلك؛ والتي كان أولها القوة المتنامية للأتراك العثمانيين الذين هم أيضا يطمحون ويخططون من

---

(٣) طرابيزون Trabizond، تقع في شمال شرق آسيا الصغرى في شبه جزيرة الأناضول بداية من الانحناء الذي يقع في الجزء الأخير من البحر الأسود في الزاوية الجنوبية الشرقية منه، وتطل على ساحل تكثر فيه التلال ويفصله عن باقي آسيا الصغرى وأرمينيا سلسلة من الجبال تعرف باسم " جبال بنطس " التي حمت طرابيزون على مر تاريخها لكونها إحدى مدن إقليم بنطس Ponts، وتقع بين خطوط طول ٣٣، ٤٠ شرقا، ودائرة عرض ٤١ شمالا، ويحدها من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب ولايات أرزن الروم Erznurum، ومن الشرق جورجيا Georgia، ومن الغرب قسطمونية- Castamon هي من بلاد الروم، تقع شمال الأناضول-، وعرفت بأسماء متعددة منها طرابيزون، ترافن، وترابسكوس، وقام بتشييدها جالية يونانية وفدت إليها من سينوب- ميناء رئيس في منطقة بنطس – في القرن الثامن قبل الميلاد. ولمزيد من التفاصيل انظر: بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جـ٩، ص ٥٨. انظر أيضا: هناء محمد إبراهيم، التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر حتى سقوطها ١٤٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٨م، ص ٢٤-٢٦، ٦٧-٦٨؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٥، هامش رقم(٢).

(٤) عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٥١- ١٥٢.

(١) Vasiliev, *Histoire de L'Empire Byzantin*, Tome.II , p. 299.

أجل الاستيلاء على القسطنطينية، فضلا عن أن الجيش الصربي لم يكن لديه القوة الكافية للتغلب على العثمانيين، وعلاوة على ذلك أنه من أجل أن يستولي على القسطنطينية كان لابد من وجود أسطول قوي وهذا ما تفتقده المملكة الصربية، وعلى الصعيد الأخر فشل ستيفن دوشان في التحالف مع الأتراك العثمانيين لتضارب المصالح بينهم، ونتيجة أيضا لتحالفهم مع غريمه حنا كانتاكوزينوس (٢).

على أية حال ففي مارس عام ١٣٤٦م قام ستيفن دوشان بإرسال خطاب للبندقية من أجل إجراء المفاوضات لعقد تحالف صربي بندقي يهدف إلى مساعدة البندقية لستيفن دوشان في عملية فتح القسطنطينية، بأن تمده بالسفن اللازمة له لتحقيق ذلك، وفي المقابل تحصل البندقية على العديد من الامتيازات داخل الإمبراطورية الجديدة، فضلا عن حصولها على إمارة إبيروس أو المستعمرة الجنوية في غلاطية Galatia، وذلك عندما يصبح إمبراطور على العاصمة البيزنطية القسطنطينية (٣).

على الرغم من أن البندقية رحبت بالوضع واللقب الجديد لستيفن دوشان بوصفه إمبراطوراً على بيزنطة والصرب، إلا أنها رفضت مساعدة ستيفن دوشان في مشروعه لفتح القسطنطينية؛ وذلك لأن البندقية لم تكن تقبل عن طيب خاطر فكرة أن القسطنطينية تنتزع من ملكية باليولوجوس، وأنها لن توافق مطلقا أن تساعد ستيفن دوشان في الاستيلاء عليها لأنها كانت تخطط للاحتفاظ بها

---

(٢) Vasiliev, *Histoire de L'Empire Byzantin*, Tome.II , pp. 300-301; Dinic," The Balkans (1018-1499)", p. 538.

(٣) Soulis, *The Serbs*, p. 32; Miller, *The Balkans, Rouman*, p. 276; Dinic,"The Balkans", pp. 539-540; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 131.

– يشير شيركوفيك Čirkovic إلى تلك المفاوضات الصربية البندقية في فبراير ١٣٤٦م . انظر :

Čirkovic, *Between Kingdom and Empire: Dušan State 1346- 1355*, pp. 111.

– بينما يذكر دينك Dinic أنها حدثت في يناير ١٣٤٦م .انظر :

Dinic," The Balkans ", p. 539.

لنفسها، فضلا عن أن بيزنطة لم تكن بالدولة القوية مثل ستيفن دوشان الذي قد يعرقل مصالحها وامتيازاتها في القسطنطينية، إلا أن الرفض البندقي لم يثن الملك الصربي عن مواصلة التقدم على حساب الإمبراطورية البيزنطية بهدف إضعاف بيزنطة وإرضاء لأصحاب النفوذ في البلاط الصربي من النبلاء [١] .

يرى نيكول Nicol أن " سبب رفض البندقية لعرض ستيفن دوشان يرجع إلى أنها لا تسعى للحصول على إمارة إبيروس ولم تكن هدفها في ذلك الوقت، فضلا عن أنها كانت تفضل دائما الحصول على المزيد من الجزر البحرية" [٢]. ولعل ما يؤيد هذا الرأي أن البندقية كانت حريصة بالدرجة الأولى على السيطرة على الجزر والموانئ التي تخدم تجارتها دون التورط العسكري والسياسي في حكم مناطق بيزنطية واسعة، وقد ظهر ذلك واضحا منذ تقسيم الإمبراطورية بعد سقوطها على أيدي الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م، حيث كان أغلب أملاك البندقية جزر ومناطق ساحلية.كما أن البندقية كانت تسعى في أغلب الوقت لعدم الدخول في مواجهات عسكرية صريحة وحاسمة ضد العثمانيين حرصا على مصالحها التجارية المتنامية في الأراضي العثمانية، وبطبيعة الحال فإن مثل هذا التحالف مع الصرب في منطقة مهمة بالنسبة للعثمانيين سوف يؤدي إلى قطع كل الاتصالات والمصالح مع العثمانيين.

على أية حال فإنه مع اليوم الثالث من فبراير عام ١٣٤٧م فتحت أبواب القسطنطينية أمام حنا كانتاكوزينوس؛ وذلك بسبب انقلاب حامية المدينة على الإمبراطورة آنا وحزبها وانضمامهم للحزب المناصر لحنا كانتاكوزينوس وأعلنوه إمبراطورا لهم، وتمت إقامة مراسم الاحتفال بتولي حنا السادس كانتاكوزينوس العرش البيزنطي في الثالث عشر من مايو عام ١٣٤٧م، الذي سعى على الفور إلى تهدئة الأمور وحل النزاع دون تصفية خصومه أو الانتقام

---

(١) Soulis, *The Serbs*, pp. 32-33; Cirkovic, *Dušan State 1346-1355*, pp.117-118 ; Miller, "The Balkans States .The Zenith ", p. 543; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 463-464; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 131.

(٢) Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 131.

منهم، إذ زوج ابنته هيلين Helen لحنا الخامس باليولوجوس على أيدي بطريرك القسطنطينية، لينتهي بذلك الصراع الداخلي في الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت ويتفرغ حنا السادس للملك الصربي [٣]، حيث قام الأول بعدة إجراءات إدارية لترتيب الأوضاع في الإمبراطورية لصد الزحف الصربي المتزايد في مقدونيا وغيرها من الأراضي البيزنطية، والتي جاء في مقدمتها عقب توليه العرش هو تعيين ابنه متى Mathew على إقليم ردوب Rhdope المتاخم للحدود الصربية، الذي قام بمد حدوده إلى جنوب إكسانز Xanthe – بين ديديموتيخوس وكريستوبوليس – على حساب الحدود الصربية لتكون حداً فاصلا بين بيزنطة وصربيا ولمواجهة الهجمات الصربية[١] التي قد وصفها حنا السادس قائلا " إن الصرب اجتاحوا الأراضي البيزنطية كالأمواج المرتفعة المتلاطمة في بحر عظيم"[٢].

لقد حاول حنا السادس في البداية تجنب الصدام العسكري واسترضاء الملك الصربي من خلال إرسال وفد دبلوماسي بيزنطي في عام ١٣٤٧م إلى ستيفن دوشان من أجل إقناعه بالانسحاب والعودة إلى الحدود البيزنطية الصربية المتفق عليها وإعادة تساليا وغيرها من المدن التي احتلها مؤخرا، إلا أن ستيفن دوشان رفض ذلك، بل وتعدى الأمر إلى رفضه الاعتراف به كإمبراطور على بيزنطة وأعلن أنه سوف يحارب ضده بوصفه مغتصب للعرش البيزنطي[٣].

نتيجة لما سبق لجأ حنا السادس إلى السلطان العثماني أورخان لمساعدته ضد الصرب واستعادة تساليا التي سقطت في أيديهم عام ١٣٤٨م، فأرسل له

---

(٣) Soulis, *The Serbs*, p. 33; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 464.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 66-67 .cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 34; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 474.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 551-552.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 31-33.cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 34; Miller, *The Balkans, Rouman* , p. 276-277; Nicol, *The Last Centuries*, p. 218.

الأخير ما يزيد على عشرة آلاف من القوات العثمانية تحت قيادة ابنه سليمان Suleiman وأبنائه الآخرين الذين انضموا للجيش البيزنطي تحت قيادة متى كانتاكوزينوس، حيث أجبروا الجيش الصربي على الانسحاب من تساليا، غير أنه لسوء حظ كانتاكوزينوس أن القوات العثمانية اجتاحت المنطقة سلبا ونهبا وأتلفوا المدن الواقعة حول مقدونيا، وقتلوا وأسروا الكثير من سكان تلك المناطق وعادوا محملين بكثير من الغنائم إلى بلادهم و كان ذلك أواخر عام ١٣٤٧م أو أوائل عام ١٣٤٨م(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في النصف الثاني من عام ١٣٤٩م حدث خلاف حول الثوار المدافعين في مدينة تسالونيكا وانقسمت المدينة إلى حزبين: الأول ويتزعمه ألكسيوس ميتوخيتس Alexius Metochites وأندرياس باليولوجوسAndreas Palaeologus ويرى ضرورة تسليم المدينة إلى الإمبراطور البيزنطي حنا السادس، والثاني ويتزعمه المساندين والمؤيدين للثوار المدافعون وهم أصحاب النفوذ الأقوى في المدينة ويرون ضرورة تسليم المدينة للملك الصربي (٥).

ولكن سرعان ما انقلب أندرياس باليولوجوس لينضم إلى الفرقة المناوئة لحنا السادس من الثوار في تسالونيكا الراغبة في تسليم المدينة لستيفن دوشان، على أية حال بعث ألكسيوس ميتوخيتس بخطاب إلى حنا السادس يطلب منه سرعة التوجه إلى تسالونيكا لتسلم المدينة والسلطة فيها قبل مجئ الحاكم الصربي لها، إلا أن تلك الأنباء وصلت إلى أسماع الثوار، فعلموا بنوايا ألكسيوس ميتوخيتس الرامية لتسليم المدينة لبيزنطة، ولذلك أرسلوا أندرياس باليولوجوس إلى البلاط الصربي، إلا أنه وجد الملك الصربي في ذلك الوقت

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 31-33.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.218; Imber, C.,"Sr Leyman pasha", in. *E I*.
راجع ايضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٨.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 104-105. cf. also. Soulis, *The Serbs*, pp.43-44; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 464; Idem, "The Palaeologi", pp. 362-363.

خارج عاصمته مشغولاً في تأمين حدوده الشمالية، فانتظره أندرياس في جبل أثوس المقدس لحين عودته، ولكن وافته المنية أثناء انتظاره، وعندما رجع ستيفن دوشان إلى بلاطه علم بتلك التطورات، فخرج على رأس قواته صوب مدينة تسالونيكا و فرض عليها الحصار، مما جعل الإمبراطور حنا السادس يطلب العون من السلطان العثماني أورخان لصد الصرب عن المدينة، فأرسل الأخير مرة أخرى ابنه سليمان في عام ١٣٥٠م على رأس قوة عثمانية تزيد على عشرين ألف من المقاتلين لنجدة المدينة من الوقوع في أيدي الصرب، ولكن سرعان ما انسحب الجيش العثماني إلى آسيا الصغرى لحل بعض المشكلات التي واجهت أورخان في المنطقة الأسيوية، ليصبح حنا السادس وحيداً أمام الصرب، مما جعله يبحث عن حليف يدعمه في هذا المأزق، فأبحر من أناكتوروبوليس Anaktoropolis على الساحل المقدوني إلى تسالونيكا عبر ميناء كريستوبوليس – الذي كان تحت الهيمنة الصربية ويحكمه الحاكم الصربي براجان Brajan وكانت تجمعه صداقه مع حنا السادس أثناء إقامته في البلاط الصربي– وبصحبته حنا الخامس، حيث أعلن براجان وأتباعه الصربيين مساعدة حنا السادس، وفي نفس الوقت حصل الجانب البيزنطي على مساعدة من النبلاء الصربيين المتاخمة حدودهم لتلك المنطقة، بالإضافة إلى وصول مساعدة أخرى من الإمارات التركمانية والتي بلغت حوالي اثنين وعشرين سفينة والتي كان لها دوراً فعالاً في الاستيلاء على المدينة والتصدي للصرب (١).

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 104-105,108-118; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, pp. 876-879; Palamas, G., Homilies, in. MPG,CLI, I, Cols. 12-13; Kydones Demetrios, *Occisorum Thessalonicae Monodia*, in. MPG, CIX, Cols. 639-652.cf. also Soulis, *The Serbs*, pp. 43-44; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 464-466; Ostrogorsky, "The Palaeologi", pp. 363; Tafrali, P., Thessalonique au Quatorzieme Siecle, Paris,1913, pp. 239-254; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 227-229.

واتخذ حنا السادس من تسالونيكا مركزا لشن هجماته على الصرب ، ونقطة انطلاق لاستعادة المدن البيزنطية التي احتلها ستيفن دوشان، فقد استرد المنطقة الغربية لمقدونيا خاصة مدينة بيرويا – التي سيطر عليها الصرب منذ عام ١٣٤٧م – وذلك بفضل مساعدة بعض المؤيدين الصربيين المحليين في تلك المنطقة وعلى رأسهم القائد الصربي ميرزيلاتوس Merzelatus الذي قد عقد اتفاق مع حنا السادس ينص على التزامه الكامل بتقديم كافة المساعدات لحنا السادس في استعادة تلك المنطقة مقابل قيام الأخير بفك أسر ولده الذي قد وقع في أيدي العثمانيين (١).

واصلت القوات البيزنطية سيرها تحت قيادة حنا السادس إلى إديسا التي فرض عليها الحصار نتيجة لمقاومة حاميتها الصربية، وانتهى الأمر باقتحام المدينة و أسر أربعة من القادة الصرب زعماء المقاومة، ثم قام حنا السادس بطرد جميع المواطنين الصربيين من المدينة واستبدلهم بمواطنين بيزنطيين وجعل على حكم المدينة القائد جورج ليزيك Georgium Lyzicum واختار له مجموعة من الرجال المخلصين لمساعدته في الحكم، ثم واصل حنا السادس سيره فسيطر على عدد من المدن القريبة من بيرويا وإديسا والتي كانت ضمن نطاق تساليا، وكان من أهمها ستريدولا Staridola، بيترا Petra، سوسكوس Soscus، ديورا Deura، ستروبوس Strobus، نوتيا Notia، ليكوستوميوم Lycostomium، وكاستريوم Castrium التي أعلنت جميعها ولاءها وخضوعها له بعد أن كانت تحت الهيمنة الصربية(٢).

واصلت القوات البيزنطية سيرها لاسترجاع الأراضي البيزنطية من الأيدي الصربية فوصلت إلى سرفيا Serviorum –القريبة من بيرويا – ذات التحصينات والدفاعات القوية والتي كان يحكمها الحاكم الصربي جريجوري

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum,* vol.3, pp. 119-123; Kydones Demetrios, *Occisorum Thessalonicae Monodia,* in MPG,CIX, Cols .639-652.cf. also Soulis, *The Serbs*, pp. 44-45; Popovic, *Les Forteress dans les Regions des Conflits Byzantino – Serbes*, p. 78.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 128-130. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 45.

بريلوب Gregory Preljub والذي استبسل مع حاميته في الدفاع عنها، مما جعل حنا السادس ينسحب إلى بيروريا ويؤجل الاستيلاء عليها في ذلك الوقت (٣).

عندما وصل حنا السادس إلى بيروريا في عام ١٣٥٠م جاءه سفراء من مدينة سكوبي Scopia (سكوبج Skopje) والتي كانت عاصمة للصرب منذ عام ١٢٨٢م، ليعلنوا خضوعهم واستسلامهم له، وأن يصبحوا رعايا بيزنطيين ولكن بشرط ألا تمس مدينتهم بأي سوء أو ضرر ويعشوا في سلام، فأقر حنا السادس لهم ذلك (١).

وفي تلك الأثناء حاول ستيفن دوشان الحصول على مساعدة البندقية نتيجة لمعرفته الأكيدة بأنه لن يستطع فتح القسطنطينية إلا عن طريق إيجاد القوة البحرية اللازمة للاستيلاء عليها، ولذلك أرسل للأخيرة ثانية يطلب منها العون في حربه المرتقبة ضد بيزنطة مقابل حصولها على كثير من الإقطاعيات والامتيازات في إمبراطورية ستيفن دوشان الجديدة الصرب - بيزنطية، إلا أن البندقية قررت رفضها مرة أخرى للحفاظ على مصالحها مع الإمبراطورية البيزنطية وذلك في عام ١٣٥٠م (٢).

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 132-133. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 45; Miller," The Balkans States .The Zenith of Balgaria and Serbia", p. 543; Popovic, *Les Forteress dans les Regions des Conflits Byzantino – Serbes*, p. 79.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3,p.133.cf. also Soulis, *The Serbs*, p.45.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3.p.152; D?lger, *Regesten*,Teil.5., no.2959, p. 23; Thiriet , *Sénat* , I, no.222 (March 1349), 237 (March1350), no.241.(April 1350). cf. also. Jorga, N., " Latins et Grecs d' Orient et l' Etablissement des Turcs en Europe,1342-62",*BZ*, vol.XV, (1906), pp. 179-222; Soulis, *The Serbs*, pp. 41-42; Nicol, *The Despotate of Epiros*, vol.2, p. 131; Idem , *Byzantium and Venice*, p. 270-271; Cirkovic, *Dušan State 1346- 1355*, pp. 118-119.
راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص ١٥٧- ١٥٨.

نتيجة لفشل ستيفن ستيفن دوشان في الحصول على العون البندقي، وتوغل القوات البيزنطية قرب حدوده واستعادتها كثيراً من المدن- التي كان قد سيطر عليها من قبل-، وانقلاب الإقطاعيين والنبلاء الصربيين عليه، فضلاً عن انشغاله بمشاكله على حدوده الشمالية عند البوسنة Bosnia [٣]، كل ذلك اضطره إلى عقد اتفاق بينه وبين حنا السادس و الخامس، أقر فيه عن تنازله المباشر عن شمال بلاد اليونان أكارنانيا و تساليا والأماكن الجنوبية الشرقية من إقليم مقدونيا، وجميع المدن المنتشرة على البحر الإيجي ونهر ستروما إلى الإمبراطورية البيزنطية، والتي كان من أهمها إديسا، جيناكوكاستروم Gynaecocastrum، بينما احتفظ ستيفن دوشان بمدن سيريس وكاستوريا و ستروبيتزام Strombitzam وزيخنا Zichna، ميلينيك ولكن ذلك لم يعن أن ستيفن دوشان تحول عن مطامعه في البلقان والقسطنطينية، ولكنه اضطر إلى تأجيل تحقيق تلك المطامع حتى يتسنى له محاسبة أمرائه ونبلائه الذين انحازوا إلى جانب بيزنطة وساعدوها في استعادة ممتلكاتها في مقدونيا [١].

في بداية عام ١٣٥١م ترك حنا السادس تسالونيكا تحت إشراف صهره حنا الخامس، واتجه صوب العاصمة القسطنطينية و التي مكث بها ثلاثة أشهر - حاول خلالها الحصول على عقد اتفاق مع الملك البلغاري حنا ألكساندر John Alexander؛ إلا أنه فشل في تحقيق ذلك بسبب الضغط الصربي على البلغار و منعها من توقيع أي اتفاقيات مع بيزنطة -، مما أعطى الفرصة للملك

---

[٣] حيث قام الملك المجري لويس الأول العظيم Louis I The Great (١٣٤١-١٣٨٢م) بالهجوم على البوسنة والحدود الشمالية الصربية، مما جعل دوشان يدخل في حرب ضروس ضد المجر لاستعادة بلجراد. لمزيد من التفاصيل انظر:

Miller, *The Balkans, Rouman*, pp. 276-277.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٩.

[١] Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3.pp. 155-156. D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.2967, p. 24.cf. also. Miller," The Balkans States. The Zenith ", p. 543; Soulis, *The Serbs*, p. 45; Popovi , "Les Forteress dans les Regions des Conflits Byzantino – Serbes", p. 79.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٩.

الصربي لإجراء مفاوضات مع حنا الخامس وتحريضه على الانقلاب على صهره حنا السادس وإغرائه بعقد اتفاق معه (٢).

عندما وصلت تلك الأنباء إلى أسماع حنا السادس في القسطنطينية أرسل على الفور إلى الإمبراطورة آنا من أجل الذهاب إلى تسالونيكا من أجل منع ابنها عقد تلك الاتفاقية مع الملك الصربي، وبالفعل غادرت الإمبراطورة العاصمة إلى تسالونيكا التي وجدتها في حالة من الهياج العظيم والفوضى والاضطراب وعلى شفا قيام حرب أهلية جديدة (٣).

لقد استطاعت الإمبراطورة آنا أن تقنع ابنها حنا الخامس بالعدول عن مخططه الرامي للانقلاب على حنا السادس، وأن يتبرأ من اليمين الذي أقسمه للملك الصربي، ثم قامت بالذهاب إلى المعسكر الصربي بنفسها وتحدثت مع زوجة الملك الصربي من أجل إقناع زوجها بالانسحاب من أمام مدينة تسالونيكا والرجوع إلى بلاده، وبذلك نجحت آنا في وقف عقد الاتفاقية في تلك الفترة (٤).

غير أن الأمور لم تهدأ في بيزنطة نفسها نهائيا وظل شبح الحرب الأهلية يطل بوجهه ففي صيف عام ١٣٥٢م قام حنا الخامس باجتياح مقاطعة متى كانتاكوزينوس، وحاصر مدينة أدرنة (أدريانوبل Adrianople)، مستعينا في ذلك بالعاهلين الصربي والبلغاري، حيث أرسل له الملك الصربي ما يزيد على أربعة آلاف مقاتل صربي، مما جعل حنا السادس يطلب العون من السلطان العثماني الذي أمده بجيش يتراوح عدده ما بين عشرة آلاف واثني عشر ألف من المقاتلين العثمانيين، دخلوا جميعا في معركة عنيفة على نهر ماريكا بالقرب من

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 200-205;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 147-150 .cf. also. Miller, " The Balkans States. The Zenith of Balgaria and Serbia", p. 543; Soulis, *The Serbs*, pp. 47-49; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 230; Idem, *The Byzantine Lady*, pp. 91-92; Idem, *The Reluctant Emperor*, pp. 110-111.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 205-207. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 49.

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 207-209. cf. also. Soulis, *The Serbs*, p. 49.

ديديموتيخوس والتي انتهت بهزيمة القوات البيزنطية الصربية المتحالفة أمام القوات البيزنطية العثمانية في شتاء عام ١٣٥٢م [١].

نتيجة لما سبق نهج الملك الصربي سياسة جديدة تجاه العثمانيين لإدراكه مدى خطورتهم، بأن أرسل وفداً دبلوماسياً صربياً للسلطان العثماني أورخان لعقد معاهدة سلام معه، إلا أنه فشل بسبب تدخل حنا السادس الذي قبض رجاله على أعضاء السفارة الصربية أثناء مرورهم عبر الأراضي البيزنطية عند راديستوس Raedestus [٢].

عقد الملك الصربي مجلسا يتشاور فيه مع كبار رجال دولته وقادة الجيش بشأن الخروج على رأس حملة عسكرية موجهة ضد بيزنطة، فأقر المجلس الحربي موافقته عليها، مما جعل ستيفن دوشان يعد العدة من أجل الخروج على رأس جيشه صوب القسطنطينية، بأن كون جيشاً قوامه ثمانيين ألف مقاتل، تحرك بهم لتحقيق حلمه وهو الاستيلاء على القسطنطينية، ولكن أثناء سيره وافته المنية عند ديافولي Diavoli في عشرين ديسمبر ١٣٥٥م، مما أدى إلى فشل الحملة وإلغائها، نتيجة لتولي ابنه ستيفن أوروش الخامس Stephen Uroš V (١٣٥٥-١٣٧١م) الحكم، والذي لم يكن على شاكلة أبيه

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 238-246; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, p. 181. cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 325-326; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 50; Ostrogorsky , *History of Byzantine State*, p. 472; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 238.

- هناك رأي يشير إلى أن البلغاريين لم يشاركوا في معركة ديديموتيخوس عام ١٣٥٢م خوفا من القوات العثمانية انظر :

Soulis, *The Serbs*, p. 50; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 472.

- نتيجة لتحالف حنا الخامس مع الصرب والبلغار أعلن حنا السادس ابنه متى إمبراطورا مشاركا له في الحكم بدلا من حنا الخامس وذلك في ابريل عام١٣٥٣م، وقد تم تتويج متى على يد البطريرك كاليستوس Kallistos في الجبل المقدس أثوس في فبراير ١٣٥٤م. انظر :

Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 326; Soulis, *The Serbs*, p. 50; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 472.

(٢) Soulis, *The Serbs*, p. 52.

في طموحاته التوسعية بفتح القسطنطينية ولا بمهارته وحنكته السياسية والعسكرية، مما أدى بدوره إلى انفصال العديد من القادة والزعماء الصربيين عن المملكة الصرب وانضمامهم للإمبراطور البيزنطي حنا الخامس باليولوجوس [٣].

لقد شهدت العلاقات البيزنطية الصربية خلال عهد الملك ستيفن أوروش الخامس نوعاً من الهدوء النسبي بسبب حالة التشرذم التي حلت بالمملكة الصربية، وإن حدثت علاقات بين الطرفين فكانت قليلة وتمثلت في السفارات والزيارات المتبادلة بين الجانبين؛ والتي كان من أهمها زيارة البطريرك البيزنطي كاليستوس Kallistos عام ١٣٦٣م للصرب من أجل مناقشة الاتحاد الكنسي البيزنطي الصربي ولكن لم يتم ذلك بسبب موت البطريرك البيزنطي داخل الحدود الصربية [١].

نتيجة للفوضى والاضطراب الذي حدث في الإمبراطورية الصربية عقب معركة ماريتزا Maritza في السادس والعشرين من سبتمبر ١٣٧١م؛ قام الإمبراطور البيزنطي بإرسال ابنه مانويل Manuel من تسالونيكا لاستعادة ما يمكن استرداده من الأراضي البيزنطية المحتلة من الجانب الصربي في مقدونيا، فنجح مانويل في استعادة مدينة سيريس في نوفمبر ١٣٧١م، وغيرها من

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 314-315. cf. also Soulis, *The Serbs*, p. 58; Idem, Byzantine – Serbian Relations, p. 60; Miller, *The Balkans, Rouman*, p. 281; Idem, " The Balkans States .The Zenith ", p. 546; Idem, *Essays of The Latin Orient*, p. 451; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 255; Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantin*, vol. II, p. 304.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 360-363; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II., pp. 291-292 .cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans* , pp. 378-380; Dinic ," The Balkans (1018-1499)", p. 542 ; Miller, W., " The Balkans States. The Turkish Conquest (1355 – 1483)", *CMH*, vol. 4, (1923), p. 554-555; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 481- 483.

المناطق المحيطة مثل جبل أثوس وشبه جزيرة خالكيدك Chalcidic، بعد أن ألحق هزيمة بالقوات الصربية عند وادي مارتيزا [٢].

حاول القادة الصربيون في هذه المرحلة الجديدة بعد وفاة ملكهم الحصول على شرعية لحكمهم من خلال الاعتراف البيزنطي بهم، ومن أشهر تلك المحاولات كانت محاولة القائد الصربي لازار Lazar الذي عمل على إقامة علاقات سلمية مع بيزنطة، ففي عام ١٣٧٥م عقد مجمع كنسي في بريزرن Prizren من أجل مناقشة العلاقات البيزنطية الصربية والذي أدى إلى نجاحه هو وفاة البطريرك الصربي سافا Sava (١٣٥٤– ١٣٧٥م) المعارض لأي توافق بيزنطي صربي وتولى مكانه البطريرك الصربي إشعيا Isaiah المؤيد للاتفاق البيزنطي الصربي[١].

بذلك استطاع القائد الصربي لازار أن يقيم سلاماً مع القسطنطينية من خلال الاتحاد الكنسي بين الجانبين من أجل الاعتراف به رسميا بوصفه الحاكم الشرعي للصرب وسليل أسرة نيمانجيك Nemanjic، بالفعل تم منحه لقب سيد على الصرب والدانوب في عام ١٣٧٨م [٢].

---

(٢) معركة ماريتزا Maritza(ماريكا Marica) كانت بين الجانبين العثماني بقيادة السلطان مراد الأول والصربي بقيادة فوكاشين Vukašin وأوجلجيشا Uglješa. ولمزيد من التفاصيل انظر:

D?lger, *Regesten* Teil.5.,no.3130, p. 60. cf .also. Treadgold , *History of Byzantine*, p.780; Ostrogorsky , *History of Byzantine State*, p. 481-482.

راجع أيضا: عماد أمين محمد، الصرب، ص٢٢٣.

(١) Phrantzes Georgius, Annales, *CSHB*, (Bonnae,1838), pp. 80-81. cf .also . Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 387-388; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 484-485.

(٢) Phrantzes Georgius, Annales, p. 81. cf .also . Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 389; Dinic," The Balkans ", p. 550; Miller, " The Balkans States. The Turkish Conquest ", p. 555.

لقد حدث نوع من الهدوء النسبي في العلاقات البيزنطية الصربية خلال الفترة من ١٣٧٩م إلى ١٣٩١م، بسبب انغماس القادة الصربيين بتوطيد نفوذهم والتوسع على حساب بعضهم البعض؛ وكذلك لإقامة تحالفات خارجية لمواجهة الخطر العثماني [٢].

مما سبق يتضح أن العلاقات البيزنطية الصربية اتسمت بنوع من التأرجح بين الدبلوماسية حينا و الحرب أحيانا كثيرة؛ فقد لجأ إليهم حنا كانتاكوزينوس لمساعدته ضد مجلس الأوصياء بالقسطنطينية تحت قيادة الإمبراطورة آنا أثناء الحرب الأهلية (١٣٤١-١٣٤٧م)، وقد استغل الصرب تلك الحرب واستولت على العديد من المدن في شمال بلاد اليونان والتي كان على رأسها تساليا وإبيروس وألبانيا وغيرها، وكان الملك الصربي ستيفن دوشان يطمع دائما في فتح القسطنطينية وسعى بكل طاقته لتحقيق ذلك، وحمل لقب إمبراطور الصرب والرومان ليعطي نفسه شرعية لتحقيق أمله في الاستيلاء على العاصمة القسطنطينية، ولكنه فشل في تحقيق ذلك، وانقسمت دولته إلى أشلاء متناثرة ونزاعات بين القادة الصربيين الذين سعوا للحصول على شرعية لحكم مقاطعتهم من خلال التحالف مع بيزنطة، مما سمح للأخيرة احتلال العديد من الأراضي الصربية، ثم شهد العقدان الأخيران من القرن الرابع عشر هدوءاً نسبياً في العلاقات بين البلدين بسبب انشغال كل منهما بمشاكله الداخلية.

سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه البلغار:

اتسمت العلاقات البيزنطية البلغارية في عهد الملك البلغاري ميخائيل سيسمان Michael Sisman خاصة الفترة الممتدة، من عام ١٣٢٨م إلى عام

---

[٢] لمزيد من التفاصيل انظر :

Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 389-409; Ostrogorsky , *History of Byzantine State*, p. 485; Dinic ,"The Balkans ", p. 550; Miller, " The Balkans States. The Turkish Conquest ", pp. 555-556; Idem, *Essays of The Latin Orient*, Cambridge, 1921, p. 456; Idem, *The Balkans, Rouman*, p. 286.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٥١-٢٥٢؛ عماد أمين محمد، الصرب، ص٢٢٥-٢٢٩.

١٣٤٠م بالهدوء النسبي والسلام الحذر المؤقت؛ ولكن تغير الوضع منذ عهد الملك البلغاري إيفان ألكساندر ستراتزيمير Evan Alexandrum Stratzimer الذي أستهل حكمه بعقد معاهدة تحالف مع المملكة الصربية ضد بيزنطة، وشن هجوماً عنيفاً علي المدن والموانئ البيزنطية علي ساحل البحر الأسود بمساعدة الجنود المرتزقة البشناق Scythians (١).

في منتصف عام ١٣٤١م اتجه ميخائيل سيسمان الرابع ابن الملك البلغاري ميخائيل سيسمان الثالث إلي البلاط البيزنطي من أجل أن يحصل علي دعم ومساندة ضد إيفان ألكساندر ستراتزيمير، لاستعادة حقه الشرعي في العرش البلغاري، وعندما علم إيفان ألكساندر بذلك أرسل خطابا شديد اللهجة وتهديدا صريحا لبيزنطة منذرا إياها بالحرب في حالة عدم تسليم ميخائيل سيسمان الابن له ووصل هذا الخطاب أثناء وفاة أندرونيكوس الثالث(٢).

مما تجدر الإشارة إلية أن الملك البلغاري أرسل وفداً دبلوماسياً من كبار رجال الدولة البلغارية إلي بلاط بيزنطة ليطلب مرة ثانية عودة الثائر ميخائيل سيسمان الابن لمحاكمته بوصفه متمرداً علي الملك البلغاري، وعلي الرغم من حسن ضيافة حنا كانتاكوزينوس للوفد البلغاري واستقبالهم استقبالا حافلا، إلا إنه رفض طلبهم الخاص بتسليم ميخائيل سيسمان الابن بل وهددهم في حالة قيامهم بأي هجوم علي الأراضي البيزنطية المتاخمة لهم؛ فإنه سوف يتصدي لهم بكل حزم وقوة مستعينا في ذلك بصديقه وحليفه الأمير عمر التركماني(٣).

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :
Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 458-459. cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp.79-80; Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 272-274; Soulis, *The Serbs*, pp. 2-4.
راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٠٦-١١٠.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.1, pp. 470-471. cf. also, Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 80-82.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 53-59.cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 292-293. Ostrogorsky, "The Palaeologi", p. 366.
راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص ١٣٩.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن كانتاكوزينوس عقد اتفاقية في تلك الفترة مع الأمير عمر وذلك لشن ،هجوم علي المدن البلغارية خاصة فيدين Vidini وبالفعل جاء الأسطول التركماني وعبر البحر الأسود حتي وصل إلي نهر الدانوب في شهر أغسطس ١٣٤١م، مما جعل إيفان ألكساندر يتراجع عن فكرة مهاجمة بيزنطة في ذلك الوقت ويقر السلام معها(١).

كما أنه أثناء الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٤١ – ١٣٤٧م) طلب حنا كانتاكوزينوس من السلطان العثماني أورخان المساعدة والقدوم إلي شبه جزيرة البلقان ليساعده ضد أعدائه هناك، فاستجاب له الأخير وقام بعدة إغارات متتالية ضد المدن البلغارية عن طريق تراقيا، مما أوغر صدور البلغار ضد حنا كانتاكوزينوس(٢).

ولكن أثناء حصار حنا كانتاكوزينوس لمنطقة بيريثيوريون (أناستاسيوبوليس Anastasiopolis) في شتاء عام ١٣٤٣م تعرف علي الزعيم البلغاري مومشيلو Momcilo(Momitzilum) الذي قدم له مساعدة كبيرة حيث استطاع مومشيلو أن يحشد أكثر من ثلاثمائة فارس وخمسة آلاف من الجنود المشاة ويقاتل ضمن قوات كانتاكوزينوس، ولذلك منحه حنا كانتاكوزينوس لقب Sebastokrator وأقطعه إقليم ميروب Merope، لكن سرعان ما قلب مومشيلو ظهر المجن في وجه كانتاكوزينوس موليا وجهه شطر مجلس الوصاية بحلول صيف ١٣٤٤م، حيث انخرط في الجيش البيزنطي المقاتل لكانتاكوزينوس وأبلى بلاءً حسناً، ولذلك منحته الإمبراطورة آنا لقب

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 337-338.cf. also. Ostrogorsky, "The Palaeologi", p. 366.

راجع أيضا: أحمد عبد كامل المقصود، الدولة البلغارية، ص ١٤٠.

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, p. 315; Chalcocondles, *Historiarum*, p. 67; Eng. Trans., *Books I-III*, p.189. cf. also. Charanis, " Internal Strife in Byzantium ", p. 286; Lodge, *The Close of the Middle Ages*, p. 294; Setton, K., Catalan Domination of Athens 1311-1388, London,1975, p. 57; Miller," The Balkans States. The Zenith", p. 545.

راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص٢٣٧-٢٣٨.

ديسبوت Despot، ثم أعلن استقلاله بإقليم ميروب واحتل زانسيا Xantheia، مما جعل كانتاكوزينوس يقرر تأديب الزعيم البلغاري موميشلو الذي انقلب عليه وذلك بمساعدة من الأمير عمر في ربيع ١٣٤٥م.

عندما علم مومشيلو بالأمر أعد جيشا قوامه ثلاثة آلاف من الفرسان وأربعة آلاف من المشاة للدخول في معركة ضد كانتاكوزينوس وحليفه التركماني عمر الذي جاء علي رأس جيش مكون من عشرين ألف من المشاة عند الحدود البيزنطية البلغارية الصربية عند جبال رادوب Rhodope في منطقة بيريثيوريون، واستمر القتال بين الطرفين البلغاري والبيزنطي وحليفه عمر التركماني لمدة شهرين خلال شهر مايو ويونيو وانتهي بهزيمة مومشيلو الذي لقي حتفه في السابع من يونيو ١٣٤٥م وذلك بسبب انقلاب مواطني بيريثيوريون علي مومشيلو، حيث أغلقوا أبواب المدينة في وجه الأخير ورجاله ليواجه وحده مصيره المحتوم أمام التركمان، ثم استعاد كانتاكوزينوس سيطرته مره ثانية علي ميروب [١].

مما تجدر الإشارة إليه أن الملك البلغاري حنا ألكساندر نفسه اتخذ موقفا عدائياً من حنا كانتاكوزينوس منذ عام ١٣٤٤م و انضم لأعدائه – الأوصياء علي القيصر حنا الخامس؛ حيث عقدت معاهدة بين بيزنطة ممثلة في مجلس الأوصياء والملك البلغاري تنص علي أن يقدم الأخير المساعدات العسكرية اللازمة لكبح جماح حنا كانتاكوزينوس وإعادة الأمور لنصابها في بيزنطة وفي المقابل يحصل الملك البلغاري علي الأراضي البيزنطية في شمال إقليم تراقيا والتي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكم كانتاكوزينوس وأعوانه والتي كان من أهمها مدن فيليبوبوليس وستانيماكا Stanimaka، شيبينو Cepino وستيلفنون Stilvnon وتزبانيا Tzepania المتاخمة للحدود البلغارية – التي كانت قد

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 401-403, 529-537.cf.also.Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 304-305; *ODB*, vol. 2, p. 1390 – 1391; Lemerle, P., *L' Emirate d'Aydin Byzance et L' Occident: Recherches sur la Geste d'Umur Pasha*, Paris, 1951, pp. 210-211; Soulis, *The Serbs and Byzantium*, p. 24.

أعلنت ولاءها لحنا كانتاكوزينوس – وأن يتزوج من أخت أندرونيكوس الثالث[٢].

وفي عام ١٣٤٦ أرسل الزعيم البلغاري باليكا Balica (Balik) إحدى الفرق البلغارية والتي بلغت حوالي ألف مقاتل تحت قيادة حاكم دوبرودجا Dobrudja [٣] والذي يدعي دوبرتيش Dobrotic (دوبروتيكا Dobrotica) وشقيقه ثيودور Theodore إلى القسطنطينية لمساندة الإمبراطورة آنا وابنها حنا الخامس إلا أن تلك الفرقة لقيت هزيمة على يد حنا كانتاكوزينوس، ولكن في تلك الفترة انشق دوبرتيش عن المملكة البلغارية وقام بالهجوم على المدن البلغارية المنتشرة على ساحل البحر الأسود – خاصة جنوب دوبرودجا وفارنا Varna، وأعلن تبعيته لكنيسة القسطنطينية و انشقاقه عن كنيسة تورنوفو[٤].

في عام ١٣٥٠ دخل حنا كانتاكوزينوس في مفاوضات مع الملك البلغاري حنا ألكساندر من أجل التصدي للتوغل العثماني بشكل مباشر ووقف الإغارات الصربية على الأراضي البيزنطية؛ إلا أن ألكساندر رفض التفاوض وعقد صلحاً مع بيزنطة، حيث إنه لم ينس لكانتاكوزينوس تحريضه للسلطان العثماني أورخان للهجوم على الأراضي البلغارية، فضلا عن أن بلغاريا كانت تدين بالولاء والطاعة للصرب في ذلك الوقت، ولقد أوضح كانتاكوزينوس حقيقة الأمر لحنا ألكساندر؛ وهو أنه لم يحث ولم يحرض أورخان على قتاله والإغارة على أراضيه؛ فضلا عن أنه أضعف ما يكون لوقف الهجوم العثماني عنه، ولكن حنا ألكساندر لم يقتنع بذلك [١].

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.2, pp. 482-485;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.2, p. 581.cf. also. Charanis," Internal Strife in Byzantium ", p. 286; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 304, 307; Soulis, *The Serbs*, p. 24.
راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص ١٤٠.

(٣) دوبرودجا Dobrudja، إقليم يقع بين الجزء الجنوبي للدانوب والبحر الأسود. انظر: *ODB*, vol. 1, p. 642.

(٤) Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 366-367; *ODB*, vol. 1, p. 642.
راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص ١٤١-١٤٢.

(١) Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 325-326.

على أية حال عندما حدث خلاف عام ١٣٥٢م بين متى كانتاكوزينوس وبين الإمبراطور الشاب حنا الخامس، قام الأخير بطلب العون والمساعدة من قبل الملك البلغاري الذي قدم له إمدادات عسكرية مما جعل حنا كانتاكوزينوس يستعين هو الأخر بقوة خارجية تمثلت في أورخان العثماني الذي أستطاع بفضل قوته إلي أن يعيد المدن التي قد احتلها حنا الخامس في ذلك الوقت، بل ويقوم بالهجوم علي الأراضي البلغارية ليلقن الملك البلغاري درسا قاسيا علي ما قدمه من عون لحنا الخامس(٢).

وفيما بين عام ١٣٥٧ إلى عام ١٣٦٦ حدث تقارب في المصالح بين النبلاء البلغاريين –أصحاب الحركات الانفصالية عن بلغارية– وبيزنطة، فقد عقد الزعيم الصربي دوبروتيكا Dobrotica معاهدة تحالف مع بيزنطة ضد بلغارية وتدعيما لتلك المعاهدة ولزيادة الصداقة بينهما زوج دوبروتيكا ابنته لابن حنا الخامس الذي يدعي ميخائيل باليولوجوسMichel Palaiologos، وقدم دوبروتيكا أيضا المساعدة اللازمة لميخائيل باليولوجوس ضد طرابيزون وأعلن رسميا ممارسة بلاده لشعائرهم طبقا لطقوس الكنيسة البيزنطية بالقسطنطينية، مما أغضب حنا ألكساندر لدرجة قيامه بأسر الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس أثناء عودته من المجر؛ ولكن تدخل أماديو من سافواي وحرره من أسره؛ بل وقام باحتلال العديد من المدن البلغارية على البحر الأسود والتي كان من أهمها مدينتي ميسمبريا وسوزوبوليس، ولكن عقب وفاة حنا ألكساندر في السابع عشر من فبراير ١٣٧١م حدث صراع علي العرش البلغاري، مما أدى إلى انشغال بلغاريا عن بيزنطة وانغماسها في مشاكلها الداخلية، ثم سقوطها في أيدي العثمانيين (٣).

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum* , vol .3, p. 248;Gregoras, *Byzantinae Historiae* ,vol.3, pp.181. cf. also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 325-326.
راجع أيضا: أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص ١٤١.

(٣) Demetrios Kydones, *Speeches*, in.MPG,vol.CLIV, cols,1000,1004; Schreiner,
راجع أيضا: أحمد عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص ١٤١.

مما سبق يتضح أن العلاقات السياسية بين بيزنطة و بلغاريا اتسمت بالعداء بشكل عام خاصة بعد وفاة ميخائيل سيسمان وتولي سدة الحكم إيفان ألكساندر العرش البلغاري الذي نهج سياسة عدائية تجاه بيزنطة وكان الصراع بين بيزنطة والبلغار دائما حول المدن المنتشرة علي ساحل البحر الأسود؛ والتي تأرجحت بين السيادتين البيزنطية والبلغارية، وكذلك استغلت بلغاريا الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٤١ – ١٣٤٧م) الدائرة بين حنا الخامس وحنا السادس لخدمة مصالحها والسيطرة على مدن ميسمبريا وأنخيالوس وسوزوبوليس، وجاء رد بيزنطة علي ذلك بمساندتها للحركات الانفصالية للنبلاء البلغاريين الذين كان من أهمهم مومشيلو ودوبرتيكا، ولم ينقذ بيزنطة من الهجوم البلغاري المستمر علي أراضيها إلا وفاة إيفان ألكساندر، ثم الهجوم العثماني علي الأراضي البلغارية و سقوطها في أيديهم في النهاية، وكذلك ظهر جليا من خلال العلاقات البيزنطية الصربية أن الصرب قد استغلت الحرب الاهلية البيزنطية(١٣٤١-١٣٤٧م) هي الأخرى واحتلت تساليا وإبيروس وألبانيا وغيرها من المدن في شمال بلاد اليونان، وكان الملك الصربي ستيفن دوشان يطمع دائما في أن يصبح إمبراطوراً للصرب والرومان من العاصمة القسطنطينية، ولكنه توفي دون أن يحقق ذلك الحلم.

Chronica Byzantina Breviora, vol. 2, pp. 295-297.cf. also. Atiya, *The Crusade In Later Middle Age*, pp. 379-397; Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 367-368; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp. 79-88; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 263-66; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*,Cambridge,2009, p. 28; *ODB*, vol. 1, p. 642; Ostrogorsky, "The Palaeologi", pp. 370-371; Setton, *Papacy and Levant(1204-1571)*, pp. 284-326; Imber, *The Ottoman Empire*, p. 11.

راجع أيضا: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٦؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٢-٥٣؛ المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠-١٤٥٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنصورة، كلية الآداب، عام ٢٠٠٤م، ص ١٤٧-١٤٨؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص ٥١؛ أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص١٤٢-١٤٣.

الفصل الخامس

سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه العثمانيين والمماليك

بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث في منتصف شهر يونيه سنة ١٣٤١م خلفه على العرش ابنه حنا الخامس الذي كان لا يزال طفلا صغيرا لا يتجاوز العاشرة من عمره ولذلك كان تحت وصاية أمه الإمبراطورة آنا من سافواي والوزير والقائد الأعلى حنا كانتاكوزينوس؛ لما يتمتع به من دراية كاملة بأمور الدولة البيزنطية الداخلية والأقدر على إدارة شئونها الخارجية، ولذلك عمل على إصلاح أحوال الدولة ولكن القدر لم يجعله يواصل عملية الإصلاح في سلام إذ حدثت وقيعة بينه وبين الإميراطورة آنا عن طريق البطريرك حنا كاليكاس John Klekas وصديقه ألكسيوس أبوكوكوس Alexios Apokokos والتي أدت بدورها إلى نشوب حرب أهلية بيزنطية جديدة (١٣٤١-١٣٤٧م) بين حنا كانتاكوزينوس وحلفه والإمبراطورة آنا وحزبها وسعى كل من الطرفين الحصول على مساندة ومعاونة خارجية تمثلت في التركمان – خاصة أمارة أيدين وصاروخان – والصرب والعثمانيين[1].

على أية حال بعد اغتيال ألكسيوس أبوكوكوس سارت الأمور لصالح حنا كانتاكوزينوس الذي سعى من أجل السيطرة على العاصمة البيزنطية بفضل

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 11-615;Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, pp. 576-779. cf . also. Eva de Vries-Van der Velden, *L'elite Byzantine Devant L'avance Turque a L'epoque de La Guerre Civile de 1341 a 1354*, p. 61; Levtchnko, *Byzance*, p. 278-280; Wittek, *The Rise of Ottoman Empire*, p. 43.

صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص٩٦-٩٨؛ أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦.

حليفة التركماني الأمير عمر والذي يعتبر على حد قول المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس " الصديق الحقيقي الحميم له "(٢).

ولكن نتيجة لانشغال الأمير عمر بالحملة الصليبية الموجهة ضد ميناء أزمير (سميرنا) عام ١٣٤٤م اضطر حنا كانتاكوزينوس إلى الدخول في مفاوضات مع السلطان أورخان عام ١٣٤٥م والتي تمخض عنها موافقة الأخير على إرسال قوة عسكرية لمساندته في صراعه على العرش البيزنطي، ثم بعث أورخان وفداً دبلوماسياً من كباررجال دولته إلى حنا كانتاكوزينوس الذي استقبلهم بحفاوة بالغة وأكرمهم، ثم عرض عليه الوفد مطلب أورخان الخاص برغبته في الزواج من ثيودورا Theodora ابنة حنا كانتاكوزينوس، إلا أن الأخير طلب منهم مهلة ليفكر في الأمر ويتشاور مع ابنته، ولكن في حقيقة الأمر كان حنا كانتاكوزينوس يريد أن يتشاور مع صديقه الحميم الأمير عمر في هذا الشأن والذي نصحه بأن يكمل إجراءات هذا الزواج ويوافق عليه ليكون عونا وسندا له في المرحلة المقبلة(١).

وبالفعل وافق حنا كانتاكوزينوس على الزواج، وسرعان ما بدأت علاقة المصاهرة الجديدة تأتي أكلها بالنسبة لبيزنطة، ففي نفس العام – ١٣٤٥م– أرسل السلطان العثماني قوة عسكرية قوامها خمسة آلاف جندي لمساعدة حنا كانتاكوزينوس في صراعه على العرش، فضمهم الأخير لقواته وتحرك بهم صوب المدن المنتشرة على الشاطئ الأوروبي للبحر الأسود؛ فسيطر عليها جميعا فيما عدا مدينة سوزبوليس Sozopolis، ثم تقدموا داخل الأراضي

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, p. 835.cf. also. Nicol, *The Last Century of Byzantium*, p. 202.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 498-499.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 202-203; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. I, pp. 184-185.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص٩١.

البيزنطية التابعة لخصوم حنا كانتاكوزينوس، فاحتلوا أدرنه بفضل القوة العثمانية التي عادت إلى بروسة محملة بالأسلاب والغنائم[٢].

والجدير بالذكر أنه عندما علم أهالي القسطنطينية المساندين للإمبراطورة آنا بأن هناك اتصال حدث مؤخرا بين حنا كانتاكوزينوس وصديقه الأمير عمر بهدف إرسال قوة عسكرية أخرى لمساندته في تراقيا – سيليمبريا Selymbria – أعلموا الإمبراطورة بذلك وطلبوا منها الدخول في تحالف مع السلطان العثماني أورخان من أجل معاونتها ضد خصمها حنا كانتاكوزينوس وبالفعل أرسلت الإمبراطورة آنا وفداً دبلوماسياً من كبار الدولة لعقد اتفاقية تحالف مع أورخان كان من أهم بنودها:

١- حصول السلطان العثماني أورخان على كمية كبيرة من الذهب.

٢- حرية التجارة من بيع وشراء للعثمانيين في جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية.

٣- للعثمانيين الحرية الكاملة في بيع الأسرى البيزنطيين من جيش حنا كانتاكوزينوس داخل القسطنطينية أو خارجها؛ بل على الإمبراطورة تسهيل عملية نقل الأسرى دون أية عقبات عبر مضيق سكوتاري إلى أي مكان يريدونه[١]. ومما لاشك فيه، أن هذه التنازلات تعكس الوضع المتردي للدولة البيزنطية بصفة عامة، وتدل على حالة الضعف وربما اليأس التي أحاطت بالإمبراطورة آنا.

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 525-529; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp .73.cf. also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 93; Janin, "La Thrace Byzantine", p. 56; Shaw, S. , *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey*, Cambridge, 1979, vol.1, p. 16; Wittek, *The Rise of the Ottoman Empire*, pp. 43-44.

ولكن المؤرخ البيزنطي دوكاس يحدد عام ١٣٤٦م لهذه المساعدة العثمانية. انظر: Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 73.

(١) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 70-71. cf .also. Nicol, *The Reluctant Emperor*, p. 71.

وفي الوقت نفسه لم يستطع الحزب البيزنطي الآخر متمـثلا فـي حنـا كانتاكوزينوس أن يضمن المساعدة المتواصلة من حليفه التركي الأمير عمـر، لأن الأخير كان مشغولاً جدا في ذلك الوقت بأمر الحملة الصليبية الموجهة ضده وهذا ما أكده نيكول عندما أشار إلى ذلك قائلا " فبعد عام ١٣٤٥م لم يعد صديق حنا كانتاكوزينوس عمر الذي يرجع له الفضل الكبير في التقدم الـذي أحـرزه قادرا على تقديم المساعدة بنفس السخاء الذي كان عليه من قبل فقد عملت القوى الغربية المتحالفة تحت رعاية البابا كلمنت السادس Clement VI على تـدمير أسطوله بشكل ناجح والاستيلاء على ميناء سميرنا في أكتـوبر عـام ١٣٤٤م، وبالتالي كان مشغولا في الدفاع عن إمارته "[٢]. وكذلك قول بـاركر " لكنـه – عمر – ما لبث أن تخلى عن مساعدة صديقه حنا كانتاكوزينوس، خوفـا علـى ممتلكاته التي كانت مهددة في ذلك الوقت بواسطة اللاتين" [٣].

على أية حال عندما وصلت سفارة الإمبراطـورة آنـا إلـى السـلطان العثماني أورخان في عام ١٣٤٦م استمع لها بإمعان وعناية وشغف لأنـه كـان متشوقا لمثل تلك الأخبار منذ فترة طويلة وفرح بها فرحـا شـديدا وجـاء رده بالموافقة وذلك على حد قول المؤرخ دوكاس الذي أشار لذلك قائلا " عندما سمع أورخان هذا الكلام قفز من مكانه تعبيرا عن فرحته وابتهاجه وسروره أما عـن الذين لم يحضروا الاجتماع من السفراء الذين صرفهم أورخان فلم يعلموا بتلـك التفاصيل، لذلك كانوا يصرون على أسنانهم ويحتاجون للعشـب الـذي يسـكن آلامهم فضولا منهم لمعرفة ما يدور من حديث" [٤]. وبطبيعة الحـال لـم يكـن

---

(٢) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 202.

(٣) Barker, *Turky in Europe*, p. 149.

لمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية على سميرنا انظر:
Enveri, *Le Destan d'Umur pasha (Dusturname- I Enveri)*, v.1867-2276.cf. also. Lemerle, *L'Emirate d'Aydin Byzance et L' Occident*, pp. 178-203.

(٤) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 71.

– لكن يشكك هاري ماجولياس Harry Magoulias في رواية دوكاس عندما علـق عليهـا قائلا " لقد صرح المؤرخ دوكاس بوضـوح أن أورخـان كـان سـعيدا جـدا لمسـاعدة

السلطان يهمه كثيرا هذا الجانب أو ذاك من طرفي الحرب الأهلية البيزنطية، إذ يكشف موقفه هذا حرصه البالغ على تحقيق أكبر مكسب ممكن علـــى حســـاب الطرفين معا.

وبالفعل أرسل السلطان العثماني فرقة عسكرية عثمانية قوامها عشـــرة آلاف مقاتل عبر الممرات في آسيا الصغرى إلـــى مدينـــة القســـطنطينية التـــي استقبلتهم بسرور وحفاوة بالغة وانضموا للجيش البيزنطي لنصرة الإمبراطـــورة آنا ضد حنا كانتاكوزينوس[١].

عندما علم حنا كانتاكوزينوس بتلك التطورات عمل على تقوية حصونه وزودها بالمؤن الأساسية من طعام وغيرها من الضروريات اللازمة لخـــوض المعركة، ثم نظم صفوف جيشه الذي يضم فرق صربية، ثم بدأت المعركة بعـــد عدة إغارات متبادلة بين الطرفين والتي انتهت بفشل القوات العثمانية البيزنطيـــة المتحالفة في تحقيق انتصار علي حنا كانتاكوزينوس ورجالــــه الـــذين تميـــزوا بالإقدام والبسالة وأظهروا روحاً قتالية مرتفعة ومهارات عسكرية عالية ووقـــع الكثير من الأسرى من الطرفين، أما عن الأسرى العثمانيين فقد تم قتلهم جميعـــا أما الأسرى البيزنطيين فقد تم تجريدهم من ثيابهم وأسلحتهم، ثـــم ســـمح لهـــم بمغادرة المكان إلى وطنهم عرايا وعزل[٢].

الإمبراطورة آنا في صراعها في الحرب الأهلية ضد حنا كانتاكوزينوس وأن الإمبراطورة كانت تحاول عقد اتفاقية تحالف مع أورخان بكل عظمة وكبرياء ولكـــن دوكـــاس أعطـــى حقائق مغلوطة لأن الإمبراطورة آنا في ذلك الوقت – صيف ١٣٤٦م– كانت مشغولة بعقد اتفاقا سرياً مع الأتراك السلاجقة لإمارة صاروخان الذين أمدوها بقوة عسكرية بلغت ســـتة آلاف مقاتل ساروا إليها عبر الأراضي البلغارية ومنها إلى تراقيا"، وبذلك كان الاتفاق بين الإمبراطورة آنا وأتراك صاروخان وليس بينها وبـــين العثمـــانيين. ويـــدعم رأي هـــاري ماجولياس هو قيام الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس بزواج ابنته من السلطان أورخان بعـــد تلك الواقعة. انظر:

Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 272.note(45).

(١) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 71.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص٩٩.

(٢) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p .71.

على الرغم من الهزيمة التي لحقت بالعثمانيين وتخليهم عن فكرة مواصلة الحرب، إلا أنهم قاموا بعمليات سلب ونهب واسعة النطاق واجتياح للقرى البيزنطية المحيطة بالمنطقة، فأسروا العديد من الشيوخ والرجال والنساء والأطفال الذين وضعوهم في صدر الأسرى وسحبوهم وجلدوهم وكبلوهم جميعا بالأغلال كالماشية المساقة أمامهم دون شفقة أو رحمة لبيعهم كعبيد ليس في القسطنطينية بل في عاصمتهم بروسة والإمارات التركمانية الأخرى، فلم يرحموا بكائهم وتوسلهم لهم[٣].

من الواضح أن رواية المؤرخ البيزنطي دوكاس الآنفة الذكر مبالغ فيها ومشكوك في صحتها وأنه لم يتحر الدقة في نقل المعلومة التاريخية في الأحداث السابقة وأنه ذكرها من باب التعصب لبني جلدته.

مهما يكن من أمر لم يبين المؤرخ دوكاس السبب الذي جعل العثمانيين يتخلوا عن مواصلة القتال بسهولة رغم قتل آسراهم ، لكن ربما كان السبب نتيجة لتعليمات من السلطان أورخان بعدم حسم المعركة لصالح الإمبراطورة آنا حتى تطول فترة القتال على العرش البيزنطي وبالتالي تطول أيضا فرصة التدخل العثماني في هذا الصراع[١].

الجدير بالذكر أن الحرب الأهلية بين حنا كانتاكوزينوس و حنا الخامس والصراع على العرش (من عام ١٣٤١الى عام ١٣٥٥م) كانت مناخاً مناسباً سمح للعثمانيين بالتدخل في الشئون الداخلية البيزنطية، وبالتالي استغلوها لمصلحتهم الخاصة، عن طريق تقديم مساعدتهم العسكرية لأحد الطرفين المتناحرين، لتصل بذلك أول قوة عثمانية إلى الدردانيل عام ١٣٤٥م[٢].

---

(٣) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 72.

(١) صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٠.

(٢) Peter, S.," The Early History and the Establishment of the Ottomans in Europe", in Idem, *Southeastern Europe Under Ottoman Rule, 1354-1804*,Washington, 1977, Chapter I, pp.1-23., p.1.

على أية حال فإن السلطان العثماني قد وقـع فـي غـرام ابنـة حنـا كانتاكوزينوس التي تميزت بجمالها الفائق، والذي ربما تسربت أخبار عنها إلـى مسامع السلطان العثماني ولذلك ساوم والدها على أن يزوجه إياها مقابل تعهـده بأن يجعل جيشه في خدمته ويعاونه في القضاء على الحزب المناوئ لـه فـي العاصمة [٣]، فوافق حنا كانتاكوزينوس على زواج ابنته من السلطان العثمـاني الذي أرسل ثلاثين سفينة ترافقها مجموعة من الفرسان وبعض رجـال الدولـة لحراستها عند حضورها إليه وأقيمت المراسم وحفل الـزواج فـي سـيليمبريا (سيليوري Siliwri) على الجانب الأوروبي من بحر مرمرة في شهر يونيو عام ١٣٤٦م وشهد الاحتفال جميع عائلة حنا كانتاكوزينوس[٤].

---

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 584.cf. also ; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 204.

(٤) وطبقا للطقوس البيزنطية المتبعة في حالة زواج إحدى الأميرات البيزنطيات من الأجانب، فإن ثيودورا كان يجب عليها أن تقف على منصة رائعة عليها سجاد ذات ألوان متعددة، وبالفعل وقفت ثيودورا ملفوفة بستائر من الحريرعلى المنصة المحاطة بالفرسان والجنود، كان حنا كانتاكوزينوس ممتطيا فرسه، وفي بداية الاحتفال أزيحت الستائر الحريرية من على ثيودورا ليراها الجميع، فظهرت وأمامها اثنين يحملن المشاعل، ثم ارتفعت الأبواق والمزامير وهتاف الحضور، وأقيمت الموائد واستمر الاحتفال لعدة أيام. والجدير بالذكر أن الكنيسة الأرثوذكسية لم تبارك هذا الزواج، ولكن تم الزواج وظلت ثيودورا على عقيدتها الأرثوذكسية بل كانت تعطي الكثير من العطايا والمنح والإغاثات للفقراء المسيحيين في العاصمة العثمانية بروسة.انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 584-589; Chalcocondles, *Historiarum*, p. 24; Eng. Trans., *Books I-III*, p. 113;Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.II, pp. 762-763.cf . also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 93;Grousset, *L'empire du Levant*, p. 607; Imber, *The Ottoman Empire,1300–1650*, p. 9; Inalcik, *The Ottoman Empire the Classical Age 1300-1600*, p. 9; Janin, R., "La Thrace Byzantine", p. 56; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 27; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 204-205; Idem, *The End of Byzantium Empire*, p. 39; Idem, *The Reluctant Emperor*, p. 77;

انظر أيضا: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٣؛ خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط،

لقد أدى زواج ثيودورا ابنة الإمبراطور حنا السادس كانتاكوزينوس من السلطان أورخان إلى توثيق العلاقات وروابط الصداقة بين الإمبراطورتين البيزنطية والعثمانية [1]، وسمح أيضا للعثمانيين بالتدخل في الشئون الداخلية البيزنطية، وحتى في المشاركة في الحرب الدائرة في تراقيا[2].

يعلق نيكول على هذا الزواج قائلا " لقد قوبل هذا الزواج بحالة من الرفض والاستهجان داخل وخارج الإمبراطورية البيزنطية، وذلك على الرغم من أنه لم يكن الزواج الأسوأ في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية؛ فقد تزوجت سيمونيز Simonis ابنة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني من الملك الصربي ستيفين ميلوتين Stephen Milutin وعمرها خمس سنوات، ولم يصدم أحد عندما زوج الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس بناته من أحد إيلخانات المغول Mongol Khans أو بزواج ابنة أندرونيكوس الثاني من خان مغول القبيلة الذهبية توختو Tokhtu عام ١٢٩٧م، وعندما زوج حنا فاتازيس John Vatazes – أحد أتباع حنا كانتاكوزينوس- ابنته لأمير إمارة كاراسي Karasi التركمانية عام ١٣٤٤م وغيرها من الزيجات" [1]. أي أن الاعتراض لم يكن على الزواج ذاته أكثر من كونه اعتراض على حنا كانتاكوزينوس نفسه.

بنغازي- ليبيا،٢٠٠٢م، ص ١٩؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٢.

– بينما يشير المؤرخ البيزنطي دوكاس إلى هذا الزواج في شهر يناير عام ١٣٤٦م. انظر:
Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 73.

– يطلق عليها المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس اسم ماريا Maria .انظر:
Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, pp.762-763; Nicoloudis, *Laonikos Chalkokondles, Books I-III*, p.162, note (53).

– ويذكر جروسيه Grousset أن الزواج تم الموافقة عليه في شهر يناير ١٣٤٥م والاحتفال به في شهر مايو ١٣٤٦م انظر:
Grousset , *L' empire du Levant*, p.607.

– وأشار إليه جيبونز في شهر مايو عام ١٣٤٦م.انظر:
Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 93.

(١) Barker , *Turky in Europe*, p.149.

(٢) إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص١٩-٢٠.

(١) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 204.

في الواقع لم يكن هذا الزواج لصالح الإمبراطورية البيزنطية أكثر من كونه لصالح العثمانيين، وأنه دليل واضح على خضوع الأباطرة البيزنطيين للعثمانيين وأنه أيضا دليل على بلوغ حنا كانتاكوزينوس أقصى درجات الضعف عندما أعطى ابنته ثيودورا إلى أورخان لتحبس في الحريم التركي(٢).

مهما يكن من أمر فإن السبب المباشر والعامل الرئيسي من وراء إقدام حنا كانتاكوزينوس على اتخاذ قرار الموافقة على المصاهرة مع السلطان أورخان – على الرغم من أنه كان من الصعب في الأوقات السابقة أن يتزوج حاكم مسيحي من أميرة بيزنطية لكونه أقل منهم حضارة – يرجع إلى إدراك حنا كانتاكوزينوس لحقيقة قوة أورخان، ولإقصاء الأخير عن الانضمام إلى الحلف المناهض له في القسطنطينية(٣).

بعد إتمام الزواج في صيف ١٣٤٦م طلب حنا كانتاكوزينوس من أورخان أن يرسل إليه جيش لمساعدته في فرض الحصار على العاصمة، فبعث له جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل وثلاثين سفينة لاقتحام القسطنطينية وتثبيته على العرش(٤). ومما تجدر الإشارة إليه أن حنا كانتاكوزينوس أقدم على الخطوة السابقة بعد أن فشل في أخر محاولة لرأب الصدع بينه وبين الإمبراطورة آنا في نهاية شتاء عام ١٣٤٦م والتوصل للصلح بينهم.

على أية حال بفضل القوات العثمانية دخل حنا كانتاكوزينوس القسطنطينية مساء يوم الجمعة الثالث من فبراير عام ١٣٤٧م، وعندما دخل حنا كانتاكوزينوس القصر وجد الإمبراطورة جالسة مع ولدها غير وجلة ولا

---

(٢) Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 186.
راجع أيضا: أومان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب مصطفى طه بدر، القاهرة، د.ت ، ص ٢٥١.

(٣) Grousset, *L' empire du Levant Histoire*, p. 607;Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 18; Ostrogorsky , "The Palaeologi ", p. 361.

(٤) Gregoras, *Byzantinae Historiae*,vol.II, pp.748-749. cf. also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 93; Grousset, *L' empire du Levant*, pp. 607-608; Nicol, *The Reluctant Emperor*, pp.77-78.

منزعجة، فحياهما كإمبراطور وإمبراطورة، ثم صرف الأتراك العثمانيين الذين كانوا برفقته ومعهم الهدايا العديدة، بعد إجبار الإمبراطورة آنا على توقيع اتفاقية صلح في الثامن من فبراير ١٣٤٧م والتي كان من أهم بنودها الاعتراف بحنا السادس كانتاكوزينوس كإمبراطور مشارك في الحكم لحنا الخامس باليولوجوس وزواج الأخير الذي كان عمره خمسة عشر عاماً من هيلانة (هيلين Helen) ابنة الأول التي لم تتجاوز الثالثة عشرة سنة في الثامن والعشرون من مايو عام ١٣٤٧م[1].

بذلك جلس على عرش الإمبراطورية إمبراطوران حنا الخامس وحنا السادس وثلاثة إمبراطورات آنا الإمبراطورة الأم الوصية، وإيريني Irene البلغارية -زوجة حنا السادس- وهيلين ابنة حنا السادس وزوجة حنا الخامس، وهكذا انتهت الحرب الأهلية التي كانت لصالح السلطان العثماني فقد أصبح صهرا لحنا السادس وعديلا لحنا الخامس وزوجته ثيودورا حفيدة الملك البلغاري[2].

---

(1) لمزيد من التفاصيل انظر :

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .II, pp. 591-596,602-615,vol.III, pp. 29-30; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, pp. 763-765,767-779,787-791; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 74-76; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*,vol.II., pp. 268-271. cf . also. Brehier, L., *The Life and Death of Byzantium*, Translated by Margaret Vaughan, New York, Oxford, 1977, p. 308; Charanis , " Internal Strife in Byzantium", p. 227; Nicol, *The Reluctant Emperor*, pp. 79-81,88; Idem , *The End of Byzantium Empire*, pp. 39-40; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 93-94; Janin," La Thrace Byzantine", p.56; Jorga, *The Byzantium Empire*, p. 208; Imber, *The Ottoman Empire*, p. 9; Meyendorff, J., *Introduction a Etude de Gregoire Palamas*, Paris, 1954, pp. 119,129-130.

راجع أيضا: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٤.

(2) Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 94.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٣٦؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٣-١٠٤.

عندما رجعت القوات العثمانية إلى آسيا الصغرى أعلموا سلطانهم بما حققوه من انتصار لصالح صهره حنا كانتاكوزينوس، فاستدعى أورخان زوجته وجميع أسرته ليبشرهم بالخبر بنفسه، ثم أمرهم بأن يجهزوا أنفسهم للرحيل والسفر لتهنئة صهره بهذا الانتصار العظيم والاحتفال معه، فخرجوا جميعا مولين وجههم شطر القسطنطينية في صيف عام ١٣٤٧م، فاستقروا على الشاطئ المقابل للعاصمة في سكوتاري Skutari على الجانب الآسيوي من البوسفور Bosporos، وعندما علم الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس بذلك خرج على الفور على متن سفينة عبر بها للشاطئ المقابل ليستقبل السلطان أورخان بنفسه، فاحتفلوا جميعا بهذا النصر، ثم جلس حنا كانتاكوزينوس وأورخان على مائدة طعام واحدة، بينما جلس أبناء أورخان الأربعة على مائدة أخرى قريبة منهم، أما عن باقي الرجال البارزين من الجانبين البيزنطي والعثماني المرافقين للعاهلين فقد جلسوا على الأرض المفروشة بالسجاد المعد لهم، ثم قضى العاهلان عدة أيام في الصيد والشرب، وبعد الانتهاء من الاحتفال عاد الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس إلى القسطنطينية يرافقه كل من ابنته ثيودورا وأولاد أورخان الأربعة الذين استقبلهم هو وزوجته بحفاوة بالغة وأكرمهم وأحسن وفادتهم، ثم غادروا العاصمة إلى آسيا الصغرى بعد أن قضوا فيها حوالي ثلاثة أيام، أما السلطان أورخان فلم يغادر مدينة سكوتاري أثناء تواجد زوجته وأبنائه في العاصمة البيزنطية [١].

---

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 28-29; Eng. Trans., p. 165.cf. also. Hammer, Histoire *de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 186-187; Lavallee, *Histoire de L' Empire ottoman*, p.173; Hidden ,A., *The Ottoman Dynasty*, New York 1912, p. 81, Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 18; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 94; Emmanule, B., *Histoire de L'europe*, Paris, 1945, p. 241; Nicol, *The Reluctant Emperor*, p. 89.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٤.

- يشير المؤرخ هامر لهذا اللقاء في عام ١٣٤٨م.انظر:

Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p.186.

وبعد عودة السلطان أورخان لبروسة بفترة قصيرة أرسل له حنا كانتاكوزينوس يطلب مساعدته لصد الهجمات الصربية على أقاليم مقدونيا البيزنطية، وبالفعل وصلت قوة عثمانية تقدر بحوالي ستة آلاف مقاتل، ولكنها لم تحقق الهدف المرجو منها، فعادت إلى نيقوميديا دون أن تعيد ولو مدينة واحدة لحنا كانتاكوزينوس من المدن التي احتلها دوشان(٢).

على أية حال في عام ١٣٤٨م حدث هجوم تركي على تراقيا وهناك ثلاث روايات حول هذا الهجوم؛ الرواية الأولى تشير أنه مع حلول عام ١٣٤٨م اجتاح عدد كبير من جنود الأتراك ساحل تراقيا سلباً ونهباً وعاثوا فيها فسادا – ولم يكن هؤلاء الجنود في ذلك الوقت سوى فرقة منشقة على أصدقاء حنا كانتاكوزينوس المسلمين في آسيا الصغرى – وعملوا على إقامة مستوطنة لهم فيها؛ حيث فوجئ حنا كانتاكوزينوس بفرقة منهم مكونة من ألفين مقاتل عبرت ساحل الهيليسبونت Hellespont – الدردانيل –؛ فالتقى معهم في معركة عند منطقة تسمى موسينوبوليس Mosynopolis وكاد أن يفقد حياته فيها ولذلك لجأ للتفاوض معهم خاصة أن بعضهم كان يعرفه شخصيا و قد خدم معه أثناء الحرب الأهلية (١٣٤١-١٣٤٧)(٣).

أما الرواية الثانية فتذكر أن هناك قوة عثمانية عبرت ساحل الهيليسبونت للهجوم على قرى و ضواحي تراقيا – عقب عبور السلطان العثماني أورخان مضيق البوسفور من سكوتاري بقليل – وانقسمت إلى فرقتين أولهما و بلغت ما يقرب من ألف ومائتي جندي اجتاحت المنطقة الممتدة من خليج أورفانتو Orfanto وتسالونيكا خاصة بيزيا Bizya والمنطقة المحيطة بها ورادوب Rhodope والقرى المحيطة بديديموتيخوس Dydimotichon في شبه جزيرة خالكيديكي Chalcidice، إلا أن متى حنا كانتاكوزينوس حاكم الجزيرة السابقة

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 30-31. cf. also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 94.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum* , vol .III, pp. 62-66. cf .also . Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 309; Nicol, *The Reluctant Emperor*, pp. 94-95; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 217-219.

– في ذلك الوقت – تصدى لهم وأبادهم عن آخرهم فلم يبق منهم سوى واحد هو الذي نقل تلك الأخبار الصادمة إلى آسيا الصغرى، أما عن الفرقة العثمانية الأخرى والتي بلغت حوالي أربعمائة مقاتل و تعسكر بجوار إحدى التلال في المنطقة التي تسمى ليبيكوس Lippicos، فقد خرج الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس بنفسه لمواجهتها من منطقة ميديا Midia (ميدائيا Medaea أو سالميديسيوسSalmydessus قديما) إلى أدرنة، فالتقى معهم عند ميسينا Mesena فقتل منهم ثلاثمائة كان من بينهم القائد العثماني كارا – محمد -Kara Mohammed، أما البقية الباقية من الفرقة العثمانية فقد اختبأوا داخل ثنايا أحد التلال، وعندما فشل حنا كانتاكوزينوس في الوصول لهم تركهم يرحلون إلى آسيا الصغرى [١].

والرواية الثالثة تشير إلى أن السلطان أورخان أرسل ابنه سليمان على رأس جيش كبير عبر به لامبساكوس Lampsakos للهجوم على تراقيا، فنهب وسلب ساحل تشرسونزChersonese، ثم التقى مع الديسبوت Despot متى حنا كانتاكوزينوس في معركة عند هيكساميليون Hexamilion [٢] انتصر فيها

---

(١) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, pp. 835-836.cf. also.Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 187-188; Janin," La Thrace Byzantine", p. 56.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٥– ١٠٦.

(٢) الهيكساميليونHexamilion، قلعة تقع على ساحل تشرسون Chersonese التراقي أمام غاليبولي، وهناك هيكساميليون آخر في بلاد اليونان وهو عبارة عن حائط دفاعي يمتد عبر خمسة أميال تقريبا على ممر ضيق يمتد من خليج سارونيك Saronic إلى خليج كورنثة. انظر:

Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 273, note. 54; Chalcocondles, *History*, p. 169, note. 86.

راجع أيضا: الأمين أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص٦٣، هامش ١٣٤.

الأخير انتصاراً ساحقاً على العثمانيين وقتل منهم الكثيرين كان من بينهم سيلمان بن أورخان(٣).

من الواضح أن الرواية الأولى هيَ الأكثر دقة لعدة أسباب؛ الأول أن حنا كانتاكوزينوس هو الذي نقلها وهو معاصر ومشارك في الأحداث وذكر أنهم لا يتبعون حلفاءه ولا أصدقاءه المسلمين في آسيا الصغرى، والثاني هو أن المصدر صاحب الرواية الثانية المؤرخ البيزنطي جريجوراس لم يذكر صراحة كلمة عثمانيين ولا أورخان و لا سليمان في روايته بل أشار إلى أن أتراك من آسيا الصغرى شنوا هجوما وأن المؤرخ هامر الذي اعتمد على روايته اعتبرهم عثمانيين ولم يعط احتمال أن يكونوا أتراك آخرين، أما الرواية الثالثة التي يشير لها المؤرخ دوكاس فهي مشكوك في صحتها لأنها ذكرت أن سليمان بن أورخان قتل في المعركة وهذا غير صحيح لأنه مات بعد عام ١٣٥٨م (١). ومن خلال هذا التحليل يتضح أن الهجوم حدث من فرقة تركمانية من المحتمل أنها كانت تخدم في وقت سالف مع الأمير عمر أمير أيدين وأنه تم تسريحها عقب عام١٣٤٨م – لأنها السنة التي مات فيها الأمير عمر– (٢)، فضلا عن أن نيكول نفسه أشار إلى الذين قاموا بتلك الحملة قراصنة أتراك يتبعون الإمارات التركمانية الأخرى (٣).

مما يؤكد الرأي السابق أيضا أنه في نفس الوقت في ربيع ١٣٤٨م طلب حنا كانتاكوزينوس المساعدة من حليفه العثماني أورخان بسبب قيام الملك الصربي دوشان بحصار تسالونيكا واحتلال شمال بلاد اليونان خاصة إبيروس وتساليا وألبانيا التي كانت قد رجعت لحوزة الإمبراطورية البيزنطية في عهد

---

(٣) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 76.

(١) Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 273 not.55.

(٢) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II, p. 835.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 203.

(٣) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 218-219; Idem, *The End of Byzantium Empire* , p. 42; Idem, *The Reluctant Emperor*, pp. 94-95.

الإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجوس من خلال حملاته على شمال بلاد اليونان عام ١٣٣٣-١٣٤٠م[٤]، فأرسل السلطان العثماني ابنه سليمان على رأس جيش كبير تراوح عدده ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف جندي لمساعدته في عام ١٣٤٩م والتي انضمت للجيش البيزنطي و خرجت تحت قيادة متى حنا كانتاكوزينوس وسليمان ولكن مع حلول عام ١٣٥٠م رجع الأخير إلى آسيا الصغرى وترك متى حنا كانتاكوزينوس وحده يواجه الصرب [٥] ومن الواضح أن سبب عودة سليمان إلى آسيا الصغرى جاء بناءً على أوامر صادرة له من قبل والده أورخان الذي من المحتمل أنه كان يخطط سرا في ذلك الوقت للتحرك ضد حنا كانتاكوزينوس[٦].

مهما يكن من أمر فإنه بعد توقيع اتفاقية ديسمبر ١٣٥٠م بين الجانبين البيزنطي والصربي أقام حنا كانتاكوزينوس حنا باليولوجوس على مدينة

---

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر :

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. 1 , pp. 473-522; *Demetrios Kydones Briefe*, in. BGL., Band.,12,1981, pp. 89-ff; *Chronique de Moree*, pp. 137-138; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol. 1, pp. 491,536.546-547,550-553; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora* , vol. 1, p. 611. cf. also. Bosch, *Kaiser Andronikos III*, pp. 136-140; Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 253-254; Nicol, *The Despot of Epiros*, vol.2, pp. 95-118; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 180-181. Idem, "The Byzantine Family", pp. 309-316; Idem, *The Reluctant Emperor*, p. 41; Soulis, *The Serbs*, p. 101.

راجع أيضا: محمد عثمان، إبيروس وسياستها الخارجية، ص ١٧٨،١٨٠؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٨٤-١٠٥.

(٥) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .III., pp. 110-115; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.II.,p.836-837.cf. also . Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 310; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. I, pp. 189-190; Nicol, *The Reluctant Emperor*, p. 94; Idem, *The End of Byzantium Empire*, p. 42; Idem, *The Last centuries of Byzantium*, p. 218; Shaw, *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey*, vol.1, p. 16.

(٦) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III, p. 115.cf .also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 98.

تسالونيكا وأبحر منها في يناير عام ١٣٥١م إلى القسطنطينية، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين متى كانتاكوزينوس وحنا باليولوجوس بسبب محاصرة الأخير للأول في أدرنة؛ فاستنجد متى بوالده لفك الحصار عنه،الذي استعان بالعثمانيين الذين أمدوه بقوة تتراوح مابين عشرة آلاف واثني عشر ألف جندي مقابل حصن في تراقيا وكمية كبيرة من الذهب والفضة – نزع حنا كانتاكوزينوس من كنائس القسطنطينية ذهبها وفضتها ليدفع تلك الكمية –، مما جعل حنا باليولوجوس يستنجد هو الأخر بالصرب الذين أرسلوا له قوة بلغت حوالي أربعة آلاف مقاتل وعقد معاهدة مع البنادقة في العاشر من أكتوبر ١٣٥٢م حصل بموجبها على عشرين ألف دوقية ذهبية في مقابل حصولهم على جزيرة تينيدوس Tenedos، وطلب أيضا المساعدة من البلغار، مما جعل حنا كانتاكوزينوس يعقد معاهدة صلح مع جنوا في ربيع ١٣٥٢م حتى يتجنب دخولهم الحرب ضده، ومن ثم دخل حنا كانتاكوزينوس وحلفاؤه العثمانيون في معركة قرب ديديموتيخوس عند منطقة تسمى إيمبيثيون ضد الحلف المضاد له في سبتمبر عام ١٣٥٢م، انتهت بانتصاره وتثبيت ابنه متى في أدرنة[٢].

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .III., p. 248; Chalcocondles, *Historiarum*, pp. 26-27; Eng. Trans., *Books I-III*, p. 117; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.III, pp. 181.cf. also. Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 313; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 99; Janin, "La Thrace Byzantine", p. 57; Imber, *The Ottoman Empire,1300–1650*, p. 10; Nicol, *The Reluctant Emperor*, pp. 110-111; Idem, *The End of Byzantium Empire*, p. 44; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 228; Pears, E., *The Destruction of the Greek Empire and the Story of the Capture of Constantinople by the Turks*, London,1903, p. 76; Tafrali, *Thessalonique au Quatorzieme Siecle*, pp. 239-254; Eva de Vries, *L'elite Byzantine Devant L'avance Turque*, pp. 74-75.

راجع أيضا: إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٠؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان وأورخان "، ص ٢٩-٣٠؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٥؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٠٧-١٠٨؛ أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٤١، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ٣٥٦.

على أية حال لقد كان العثمانيون أكثر المستفيدين من الصراع الداخلي البيزنطي الذي كان من أهم نتائجه استقرارهم في شبه جزيرة غاليبولي، و مما لا شك فيه أن القوات العثمانية التي شاركت في تلك الحرب الأهلية قد أصبحت علي دراية كاملة بطرق ومسالك شبه جزيرة البلقان، فعرفوا مواطن الضعف والقوة في تلك المناطق، والخلاصة أن الحرب الأهلية كانت بمثابة النافذة التي أطل منها العثمانيون على منطقة البلقان ومعرفة طبيعة الأمور في بيزنطة ومن هنا أصبح الطريق مفتوحاً أمام أورخان للتوسع في الأراضي البيزنطية الأوروبية(1).

مما لا شك أن العثمانيين جاءوا إلى تلك المناطق ليس فقط من أجل مساعدة حنا كانتاكوزينوس كما هو ظاهر؛ بل أيضا من أجل دراسة ومعرفة أحوالها وطبيعتها لأنهم كانوا يخططون من أجل تأسيس وطن جديد لهم فيها(2)، ولذلك لم يتركوا فرصة الانقسامات الداخلية والصراع على العرش دون الاستفادة منها، ومن ثم أقدم سليمان على توجيه ضربة ضد بيزنطة مكنت الجيش العثماني بعد قليل من الاستقرار النهائي على الشاطئ الأوروبي للدردانيل(3).

كما أنه أثناء وجود العثمانيين في تراقيا في عام ١٣٥٢م قاموا بعدة حملات على ساحل تشرسون التراقي، وسيطروا أيضا على العديد من القلاع والتي كان من أبرزها وأهمها قلعة أكخا- بورجوس Akcha-Burgos (أكخا- بورجوز Akcha-Burgoz)(أكخا-ليمون Akcha-Limon)(أكشا-اليمان

– هناك آراء أخري تشير إلى أن القوة العثمانية بلغت حوالي عشرين ألف مقاتل انظر:
Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 313; Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 99; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 228.

(1) صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٨.

(2) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 241.

(3) صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٨.

(Akçaliman) الواقعة على مقربة من غاليبولي [٤]، تزيمب Tyzempe (جمنك Chimenlik) الحصينة الواقعة على بين مدينة غاليبولي والبحر الإيجي في نهاية عام ١٣٥٣م، والتي رفض سليمان تسليمها لحنا كانتاكوزينوس على الرغم أن الأخير عرض عليه عشرة آلاف هيربيرون مقابل ردها له، مما جعله يشتكيه لوالده أورخان؛ إلا أنه لم يصل في النهاية لحل مُرضي له[١].

---

(٤) Enveri, *Dusturname*, p. 83.cf. also. Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 233.

– بينما يشير عاشق باشا لسقوط قلعة أكجا- بورجوس في أيدي العثمانيين بعد أن استقر العثمانيون في قلعة تزيمب انظر:

Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 76. cf. also, Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 233.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .III., p. 276.cf. also .Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 100; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 241; Peter, " The Early History and the Establishment of the Ottomans in Europe", p. 11.

راجع أيضا:الأمين عبد الحميد ابو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية في ضوء وثائق مجلس الشيوخ البندقي (١٣٥٢-١٤٠٢م/ ٧٥٣-٨٠٤هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد الثامن عشر، يناير ٢٠٠٥، ص٣١؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٠؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان و أورخان "، ص٣٠؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٥.

– هناك رأي أخر يشير إلى أن الامبراطور البيزنطي حنا كانتاكوزينوس هو الذي منح سليمان قلعة تزيمب بنفسه نظير خدماته له انظر:

Charanis," An Important Short Chronicle ", p. 349. cf. also . Diehl, C. , *History of Byzantine Empire*, Translation from the French by. Georege B. Ives, New York , 1945, p. 163; Jorga, *The Byzantium Empire*, p. 415; Idem, " Latins et Grecs d' Orient et l' etablissement des Turcs en Europe (1342-1362)", *B.Z*, vol. XV, (1906), p. 213;Schevill, *The Balkan Peninsula*, p. 183; Shaw , *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey* ,vol.,I, p. 16; Taeschner, "The Ottoman Turks to 1453", p. 761; Wittek, *The Rise of Ottoman Empire*, p. 44.

انظر أيضا: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م)، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٢٨٩؛ عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ١٨٥.

أما عن تفاصيل استيلاء العثمانيين على قلعة تزيمب؛ فترجع إلى أنه بعد انتهاء سليمان من تثبتت متى على أدرنة أخذ قسطاً من الراحة هو وجنوده في المدينة الأثرية القديمة كيزيكوس Cyzicus [٢]، جاءت إليه فكرة عبور الجانب المقابل له – عبور الدردانيل إلى الجانب الأوروبي – [٣]، فتشاور مع رفاقه غازي- فازيل Ghazi-Fazil، وعيسى بك Ece Beg في الأمر، فشجعوه على تنفيذها بأن اقترحوا عليه أن يبحروا بأنفسهم إلى الجانب الأخر لاكتشاف المنطقة ومعرفة أحوالها قبل التحرك لها؛ فوافق سليمان على الاقتراح وأبحر الاثنان – فازيل وعيسى – من أمام قلعة جوروديجوك Gouroudjouk (جوريسي G?rece) على الجانب الأسيوي للدردانيل والمقابلة مباشرة لقلعة لتزيمب التي

---

[٢] تقع كيزيكوس علي الجانب الجنوبي لبحر مرمرة عند مدخل الدردانيل وتعرف حديثا باسم كابوتاغي Kapoutaghi. انظر:

Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 192-193.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٩.

[٣] هناك رواية أخرى تذكر أنه أثناء تواجد سليمان على الجانب الأسيوي للدردانيل في مدينة كيزيكوس الأثرية القديمة، وكان مبهورا بجماله ولكنه تعب من السير على أقدامه، فجلس يستريح فأخذه النعاس فنام فرأى رؤية بأن هناك طريق مفتوح له من الجانب الأسيوي إلى الجانب الأوروبي للدردانيل وعندما استيقظ قص رؤيته على أصدقاؤه أدجي بيك Adjebeg، غازي- فازيل، إورينوس Ewrenos وحاجي- إلبيكي Hadji-Ilbeki، وأنه يريد عبور الدردانيل، فشجعوه وساندوه على تنفيذ تلك الخطوة. انظر:

Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 19; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 191-193.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٩.

- إلا أن هناك رواية تشير إلى أن صاحب قرار عبور الدردانيل هو السلطان أورخان الذي أعطى أوامره لابنه بالعبور. انظر: القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، المجلد الثالث، ص ١٠. راجع أيضا: عزتلويوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم محمد زينهم محمد عزب، القاهرة،١٩٩٥ م، ص٣٤؛ سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٩١؛ خليل أفندي مطران، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، مصر، ١٨٩٧م، ص ٣٥٣.

دخلوها سرا وقاموا بخطف أحد مواطنيها ليلا، وعادوا به إلى المعسكر العثماني؛ فأخبرهم بمواطن ضعف القلعة وكيفية دخولها[١].

وفي الصباح الباكر خرج سليمان يرافقه عدد من رجاله يتراوح عددهم ما بين السبعين والثمانين رجل قاصدين قلعة تزيمب التي وصلوا إليها بعد عبورهم الدردانيل على ألواح خشبية مصنوعة بطريقة بدائية، ثم تسلقوا أسوارها وسيطروا عليها دون قتال بسبب انشغال أهلها بأعمالهم الزراعية و جني محاصيلهم؛ فضلا عن خلوها من الحراسة البيزنطية، ولكن في نهاية الأمر نتيجة للمعاملة السمحة التي اتبعها سليمان مع سكان القلعة دخلوا في طاعته وأعلنوا ولاءهم له[٢].

ويشير القرماني لذلك قائلا " أمر السلطان أورخان لولده سليمان أن يجتاز البحر الأبيض[٣] إلى طرف روم إيلي [٤] للجهاد، ولم يكونوا يملكون السفن، فعملوا ألواحا شبه السفينة، فركبوا عليها من موضع يقال له كمر، فوصلوا إلى ذلك البر، فصادفوا حصنا يسمى جمني- تزيمب-، فاستولوا عليه بما فيه، ثم هجموا على قلاع أخرى، فاستولوا عليها قهرا "[٥].

---

(١) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 75. cf. also, Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 194.

(٢) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 76.cf. also.Alix, *Precis de le Histoire de L' Empire Ottoman*, pp. 9-10; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 194-195; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 19; Vasiliev, *Histoire de L' Empire Byzantine*, Tom.II, p. 306.

(٣) يقصد بالبحر الأبيض هنا بحر إيجة.انظر: دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م،المجلد العاشر، ص٢٥٤.

(٤) روميلي أو روميليا أو روم إيلي (أي بلاد الرومان) وهي تضم إقليم تراقيا ومقدونيا، أي المنطقة التي تحد شمالا بالبلقان، وشرقا بالبحر الأسود والبوسفور، وجنوبا بحر مرمرة وبحر إيجة المعروف بالبحر الأبيض، ثم بسلسلة جبال أوليمبوس، وتحد غربا بجبال بندوس Pindos وبارنوس Barnos، وتقدر مساحتها بنحو خمسة آلاف ومائة ميل. لمزيد من التفاصيل انظر: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، ص٢٥٤-٢٦٢.

(٥) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث، ص ١٠-١١.

وقد أكد المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس أن حنا كانتاكوزينوس هو الذي سلم بنفسه قلعة تزيمب للأتراك، وأنهم عاشوا فيها بعائلاتهم مع وجود قاضي ومسجد خاص بهم؛ مؤسسين بذلك مستعمرة عسكرية[٦]، وذلك على الرغم من أن حنا كانتاكوزينوس قد حاول أن يعفي نفسه من مسئولية تلك الحادثة بأن ذكر بأن الأتراك العثمانيين استولوا على القلعة بالقوة أثناء أحداث ١٣٥١-١٣٥٢م[١].

على أية حال بعد أن استقر سليمان و رجاله في قلعة تزيمب عقد السلطان العثماني اتفاقية مع جنوا تمخض عنها نقل مزيداً من الجنود العثمانيين والذي بلغ عددهم ما يربوا على أربعة آلاف[٢] على متن السفن الجنوية من أسيا الصغرى إلى الجانب الأوروبي للدردانيل[٣].

---

(٦) Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.III, p. 224.cf. also. Inalcik, H., " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", in Setton , *A History of Crusades*, vol. VI, Wisconsin,1989, p. 232; Jorga, " Latins et Grecs d' Orient et l' etablissement des Turcs en Europe ", p. 213.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .III., pp.242.cf. also. Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 232;Jorga, " Latins et Grecs d' Orient et l' etablissement des Turcs en Europe ", p. 213.

(٢) هناك رأي يشير إلى عدد القوات العثمانية الذين تم نقلهم حوالي ثلاثين ألف مقاتل انظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٤.

– ورأي أخر يشير إلي أن العدد كان ألف جندي عثماني انظر:

Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 19.

(٣) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .III, p. 228.cf. also .Gibbons, *The Foundation of the Ottoman Empire*, p. 100; Alix, *Precis de le Histoire de L'Empire Ottoman*, p. 10.

– وهناك رواية أخرى تشير إلي أن عملية نقل الجنود العثمانيين إلي الجانب الأوروبي من الدردانيل تمت بناءاً قيام سليمان بالاستيلاء على السفن البيزنطية الراسية أمام قلعة تزيمب، ثم أرسل تلك السفن التي قادها ربابنة من القلعة لعدم دراية العثمانيين بفنون البحر في ذلك الوقت إلى آسيا الصغرى لجلب الجنود العثمانيين منها.انظر:

Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 76.cf. also. Alix, *Precis de le Histoire de L'Empire Ottoman*, p. 10; Creasy, *History of the*

لقد واصلت القوات العثمانية توغلها في المنطقة؛ فسيطرت على قلعتي هيكساميليون Hexamilion الواقعة على المرتفعات المتحكمة في برزخ شبه جزيرة غاليبولي– و آياسيلونيا Ayaşilonya القريبة منها، بهدف عزل مدينة غاليبولي التي كان مفروض عليها الحصار عن العالم الخارجي(٤).

الجدير بالذكر أنه أثناء الحصار المفروض على غاليبولي حدث شقاق مرة أخرى بين العاهلين البيزنطيين مجدداً، فاستعان حنا كانتاكوزينوس بأورخان الذي أمر ابنه سليمان بالتحرك على رأس القوات العثمانية التي بلغت حوالي عشرة آلاف لمساندة صهره ضد حنا الخامس الذي استعان بالبلغار؛ فحدثت معركة على نهر مارتيزا في منطقة تسمى أينوس Ainos وانتهت بهزيمة حنا الخامس وحلفائه(١).

Ottoman Turks, p. 19; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 195.

– ولقد شجع التحالف الجنوي العثماني الجنويين على إرسال أسطول إلى بحر إيجة التقى مع أسطول بندقي مكون من خمسة وثلاثون سفينة في معركة بحرية انتهت بهزيمة الأسطول البندقي لمزيد من التفاصيل انظر: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٣١. راجع أيضاً:

Nicol, *Byzantium and Venice*, p. 279; Hazlitt, C ., *History of the Venetian Republic: Her Rise Her Greatness and Her Civilization*, London,1860,vol.III, pp. 124-132.

(٤) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p.77.cf. also. Alix , *Precis de le Histoire de L' Empire Ottoman*, p. 10; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 195; Inalcik, "The Emergence Of The Ottoman", p. 247; Idem, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 233.

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol .III, pp. 243-245.cf. also.Creasy, *History of The Ottoman Turks*, p. 19; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 195-196; Lavallee, *Histoire de L' Empire ottoman*, p. 284.

راجع أيضاً: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٧؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١١٣؛ إميليو سولا، البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر، ترجمة إسحاق عبيد، ضمن كتاب: ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م ، ص ٥٣.

في ليلة الثاني من شهر مارس عام ١٣٥٤م حدث زلزال عنيف هز جميع أرجاء المدن الساحلية المنتشرة في إقليم تراقيا؛ حيث أسفر عن تهدم الكثير منها وتسويتها بالأرض تماماً وتشريد سكانها الذين هجروها بحثاً عن ملجأ وملاذ لهم في المدن الأخرى، وبذلك تركوا مدنهم دون حماية أو دفاع كما يصف ذلك حنا كانتاكوزينوس قائلا " لقد استطاع الناجون من هذه المدن المنكوبة الفرار منها ليلا حاملين أمتعتهم باحثين عن مأوى في المدن التي نجت من الزلزال وقد صاحب تلك الكارثة عواصف وسيول جارفة وأمطار ثلجية وقد مات الكثير من السكان خاصة النساء والأطفال في العراء ووقع العديد منهم في أيدي الأتراك الذين وصلوها عند بزوغ الفجر". وعلى أية حال أدى الزلزال أيضا إلى تدمير أسوار قلعة غاليبولي التي هجرها سكانها على متن إحدى السفن إلى العاصمة القسطنطينية، لتصبح غاليبولي شبه خاوية؛ فاستغل سليمان ذلك وتحرك من بيجاي Pegai (Pegae)(بيجه Bigha)على الشاطئ الآسيوي للدردانيل إلى غاليبولي ومعه حشود من العثمانيين لتعميرها، ووصلها واستولى عليها بكل سهولة دون عناء ولا مقاومة؛ ثم قام بإصلاح حصونها وأعاد بناء أسوارها وزودها بحامية عسكرية عثمانية ضخمة للدفاع عنها وحمايتها(٢).

---

(٢) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 78; Annales Georgii Phrantzae, p. 80; Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III, pp. 276-279; Chalcocondles, *Historiarum*, p. 29; Eng. Trans., *Books I-III*, p. 121; Clavijo, *Embassy to Tamerlane,1403-1406*, London, 1928, p. 58; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 220-223; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. 2, pp. 283-284. cf. also. Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 313; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 196-197; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 234; Janin, "La Thrace Byzantine", pp. 57-58; Jorga, " Latins et Grecs d' Orient et l'etablissement des Turcs en Europe ", p. 213; Imber, *The Ottoman Empire,1300–1650*, p. 10; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 241-242; Idem, *The Reluctant Emperor*, p. 125; Idem, *The End of Byzantium Empire*, p. 44; Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453 ", p. 761; Brehier, L., Attempts at Reunion of the Greek and Latin Churches, in. *CMH*, vol. IV, (1923), p. 617.

ولكن رواية المؤرخ القرماني ذكرت أن استيلاء العثمانيين على غاليبولي جاء بالقوة وبعد قتال عنيف، حيث أشار القرماني لذلك قائلا "وكان الأمير سليمان بن أورخان على جانب عظيم من الشهامة والعدالة. فلما رأى الكفار حسن سيرته، ونشر عدله، وضبطه جنده، أطاعوه ورضوا به، فصار أمر المسلمين ينمو وصيتهم يسموا. فخرج لقتالهم تكور [صاحب] مدينة كليبولي في عسكر كثير، وكان المسلمون في نفر قليل، فتوكلوا على الله، واستمدوا من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقاتلوا قتالاً كثيراً، فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون، منها مدينة كليبولي، وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر، بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل" [1].

لكن من المؤكد أن مدينة غاليبولي سقطت في أيدي العثمانيين عن طريق الاستسلام وليس عن طريق استخدام القوة وذلك لسببين، أولهما : أن الأمير العثماني لم يكن في تلك المنطقة أثناء سيطرة المسلمين على غاليبولي لأنه كان في بيجاي كما ذكر آنفا، أما السبب الثاني فهو أن العثمانيين لم يكن لديهم العدد الكافي في تلك المنطقة ولا القوة اللازمة لحصار مدينة حصينة مثل غاليبولي مما يؤكد أن سقوطها لن يحدث إلا في حالة واحدة وهي سقوط أسوارها كما ذكرت الرواية الأولى سابقا. ثم أن القرماني مؤرخ متأخر عاش في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، الأمر الذي يضعف روايته مقابل رواية المصادر الأخرى الأقرب زمنيا.

راجع أيضا: إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٠؛ بيلديسينو إيرين، "عثمان وأورخان" ،ص٣٠؛ أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٤٢؛ إميليو سولاء البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر، ص ٥٣؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٤٥؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١١٤-١١٥؛ خليل أفندي مطران، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، ص ٣٥٣؛ ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص ٥١٥.

(١) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث ، ص ١١.

على أية حال أرسل الأمير العثماني سليمان إلى والده أورخان لكي يعلمه بما حققه من انتصارات في الجانب الأوربي للدردانيل خاصة استيلاؤه على مدينة غاليبولي ويطلب منه أيضا إرسال وفود عثمانية إضافية للاستقرار في غاليبولي؛ فَسُرّ السلطان أورخان بتلك الأنباء السارة ونقل بالفعل أعداداً ضخمة من العثمانيين بآسيا الصغرى إلى غاليبولي لتوطيد نفوذه فيها(١).

كان لسقوط مدينة غاليبولي أثر عظيم لما تتمتع به من موقع متميز جعلها متحكمة في الممر الواقع أعلى الدردانيل بين قارتي آسيا وأوروبا، وكان سقوطها أيضا كارثة علي البيزنطيين ونصرا عظيما بالنسبة للعثمانيين؛ حيث فتحت أمامهم آفاقا جديدة للفتح في إقليم تراقيا والأراضي الأوروبية (٢)، فثبت العثمانيون أقدامهم على الجانب الأوربي للأبد (٣).

مهما يكن من أمر فقد أعلن الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس اعتراضاً رسمياً على سقوط غاليبولي، حيث طلب من الأمير العثماني سليمان أن يعيد إليه مدينة غاليبولي وغيرها من الأراضي البيزنطية التي فتحها مؤخرا، ولكن جاء رد سليمان قاطعا وصادما وحاسما بأنها منحة من الله لهم، وذلك على الرغم من أن حنا كانتاكوزينوس قد عرض عليه أربعة أضعاف المبلغ الذي سبق وأن عرضه عليه عندما استولى على قلعة تزيمب – أي أربعة عشر ألف دوقية–؛ مما جعل الأخير يغضب من موقف سليمان، ولذلك عمد إلى التفاوض مع والده

---

(١) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 78.

(٢) Clavijo, *Embassy to Tamerlane,1403-1406*, London, 1928, pp. 58-59.cf. also.
Beldiceanu, I.," La Conquete d'Adrinople par les Turcs :La Penetration Turque en Thrace et la Valeur des Chroniques Ottoman ", *TM.*, 1965, p. 455; Emmanuel, *Histoire de l'Europe*, p. 248; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 201; Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 100; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 242; Pirene, H., *Histoire de l' Europe des Invasions au XVI e Siecle*, Bruxelles, N.D., p. 392.

(٣) الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٣١.

أورخان، فأرسل مبعوثا له من أجل تحديد مقابلة شخصية معه، فتم الاتفاق على أن يلتقيا بالقرب من نيقوميديا وعندما حل الميعاد المتفق عليه أبحر حنا كانتاكوزينوس إلى نيقوميديا ولكن كانت المفاجأة، فلم يجد أورخان في استقباله ووجد ممثلا عنه أبلغه بأن السلطان أورخان مريض وملازم للفراش ولا يقوى على السفر؛ فصدم حنا كانتاكوزينوس ثانية ورجع إلى القسطنطينية بخفي حنين وخيبة الأمل[٤].

على أية حال عمل الأمير سليمان على توطيد النفوذ العثماني في غاليبولي عن طريق نقل المسلمين من آسيا الصغرى إلى أوروبا خاصة العشائر الرحل التي كانت تتميز بسهولة التكيف مع المكان الجديد، مما أدى إلى نشوء قرى عثمانية جديدة على أرض أوروبية، وقد قسم سليمان أيضا الأراضي العثمانية الأوروبية الجديدة إلى ثلاثة قطاعات – يمين ووسط ويسار – وأوكل حكم كل قطاع إلى أمير عثماني[١].

نتيجة للموقف العثماني المخزي لحنا كانتاكوزينوس عمل على تسوية الخلاف مع زوج ابنته حنا؛ فذهب إلى جزيرة تينيدوس من أجل ذلك، ولكن رفض سكانها أن ترسو سفينته أمام جزيرتهم، مما اضطر حنا كانتاكوزينوس أن يرحل من أمامها إلى العاصمة ثانية؛ وقد شجع ذلك حنا الخامس على الخروج على متن إحدى السفن الجنوية إلى القسطنطينية التي دخلها والتف حوله مؤيديه ومناصريه فيها الذين أصروا على عودته كإمبراطور، مما أجبر حنا

---

(٤) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III, pp. 279-281; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 226,242 . cf. also, Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 314; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 199; Jorga, " Latins et Grecs d' Orient et l' etablissement des Turcs en Europe ", pp. 215-216; Nicol, *The last centuries of Byzantium*, p. 242; Idem, *The Reluctant Emperor*, p. 127.

راجع أيضا: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٥-٤٤٦؛ أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٤٢.

(١) إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٠.

كانتاكوزينوس على قبول ذلك، ولكن عندما دارت مناقشات بين حنا الخامس والسادس حدث خلاف بينهم حول كيفية الرد على العثمانيين؛ حيث رأى حنا كانتاكوزينوس إتباع الأسلوب الدبلوماسي مع العثمانيين وعدم الدخول في حرب معهم لعدم امتلاك بيزنطة الجيش القوي ولا الأسطول القادر على ردعهم، ولذلك كان الحل السلمي أنسب الطرق من وجهة نظر حنا كانتاكوزينوس ولكن قوبل هذا الاقتراح بالرفض من جانب حنا الخامس الذي أقر الحرب على الدبلوماسية مع العثمانيين، مما زاد شعبيته في العاصمة القسطنطينية التي رأت في موقفه الجرأة والقوة، بينما رأت في رأي حنا كانتاكوزينوس السابق الضعف والهوان والاستسلام للعثمانيين ولذلك أجبروا الأخير على التنازل عن الحكم لحنا الخامس والانسحاب من الحياة السياسية في العاشر من ديسمبر عام ١٣٥٤م ليدخل دير القديس جورج St.George في مانجانا Mangana (٢).

---

(٢) Cantacuzenus , *Historiarum* , vol. III , pp. 295-300.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 244-245.

- لمزيد من التفاصيل عن خطبة حنا السادس كانتاكوزينوس في شعبه. انظر الملحق الأول.
- لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III, pp. 256-276,282-291,295-299; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 224,236-237; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 77-78; Schreiner, *Chronica Byzantina* Breviora,vol. II., pp. 284-285. cf. also. Charanis, " Internal Strife in Byzantium", p. 286; Emmanule, *Histoire de L'Europe* , p. 249; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p.103; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 234; Jorga, " Latins et Grecs d' Orient ", p. 216; Lodge, *The Close of the Middle Ages*, p. 502; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 242-248;Idem, *The Reluctant Emperor*, p. 127-129; Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, pp. 366-367.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص ٢٤٢؛ بيلديسينو ايرين،"عثمان و أورخان"، ص ٣٠-٣١؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٦.

ومن ثم يمكن القول أنه إذا كان العثمانيون هم الذين اجلسوا الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس على العرش البيزنطي، فإنهم هم السبب المباشر وراء الإطاحة به؛ نتيجة لاستعانته بهم مما أثار الشارع البيزنطي ضده؛ فاضطر إلى التنازل عن العرش البيزنطي عام ١٣٥٤م؛ وكذلك كانوا هم السبب في وقوع متى كانتاكوزينوس – الذي كان لا يزال منافسا لحنا الخامس حتى ديسمير عام ١٣٥٧م– في أسر القائد الصربي فويهنا Vojihna حاكم دراما Drama وسمل عينيه؛ نتيجة لتخليهم عن مساعدته وتحالفهم مع غريمه حنا الخامس[١].

ومهما كان الأمر فإن الأمير العثماني سليمان استغل الصراع القائم بين عائلة باليولوجوس وعائلة كانتاكوزينوس وانشغالهم فيه، وقام بالتوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية، فعلى بعد أميال بسيطة من العاصمة القسطنطينية – ستة وثمانون ميلا ونصف ميل–، اجتاحت القوات العثمانية المنطقة؛ فاحتلت عدة قلاع كان من أهمها قره جك ، وخيره بولي (هيريبولي Hireboli) (خاريوبوليسChariupolis)، وتكفور طاغي (رودوستو Rodosto)، ومالجارا Malgara، وبولاير Bulair وإبسالا Ipsala، ثم السيطرة على القلاع المنتشرة على ساحل بحر مرمرة الأوروبي[٢].

(١) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III, p.308.cf . also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 248-250; Brehier, *The Life and Death* of *Byzantium*, p. 448; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 234.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١١٧–١١٨.

(٢) Aşik- Paşa-Sohn , *Frühzeit und* Aufstieg, pp. 78-80; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, p. 241.

راجع أيضا: القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث، ص ١١.أنظر أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١١٩؛ سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص ٤٩؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٤.أنظر أيضا:

Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 112; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 198; Shaw, *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey*,vol.1, p. 16.

كذلك اجتاحت القوات العثمانية المنطقة الواقعة على مسافة ستة وأربعون ميلا من القسطنطينية، فاحتلت عدة قلاع أخرى كان من أهمها تستشورلي Tşchorli (تزورولوم Tzurulum) وكونور Konur التي استبسل قائدها كالاكونيا Kalakonya في الدفاع عنها بقوة، ولكن حدثت خيانة داخل القلعة، فوقع قائدها في أيدي العثمانيين وسقطت القلعة وكان ذلك في عام ١٣٥٧م [١].

لقد اتخذ الأمير العثماني سليمان من قلعة بولاير مركزا لخروج الحملات العثمانية، ونظم صفوف جيشه و قسمه إلى قسمين رئيسيين الأول تحت قيادة إيجي بيك Eje Beg والغازي فاضل Ghazi Fadil ومهمته المناطق المحيطة بغاليبولي، أما القسم الثاني فقد كان تحت قيادة حاجي إلبيجي Hajji Ilbegi وإفرينوس Evrenos (إفرينوز Evrenuz) ومهمته استكمال فتح إقليم تراقيا[٢].

وأوكل الأمير سليمان للقائد إفرينوس مسألة حصار مدينة ديديموتيخوس التي سيطر عليها عام ١٣٥٧م أو عام ١٣٥٩م، ولكنها عادت لحوزة الإمبراطورية البيزنطية مرة ثانية عقب وفاة سليمان بشكل مؤقت [٣].

مما سبق يتضح أن عهد الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس شهد ضغطاً عثمانياً شديداً على مدن تراقيا والتي تعرضت لعمليات سلب ونهب وتخريب

---

(١) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, pp. 79-80.cf. also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 112; Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 198.

(٢) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 80.cf. also. Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 233; Nicol, *The Last centuries of Byzantium*, p. 261.

(٣) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 80.cf. also. Diehl, *History of Byzantine Empire*, p. 163; Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 20; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 105; Imber, *The Ottoman Empire, 1300–1650*, p. 10; Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p. 536; Nicol , *The Last centuries of Byzantium*, p. 262.

وتدمير على أيديهم، بالإضافة إلى اجتياح القوات العثمانية للأراضي البيزنطية على الجانب الأوروبي [٤].

الجدير بالذكر أن حنا كانتاكوزينوس هو السبب المباشر وراء إحضار العثمانيين إلى أوروبا، وهو السبب المباشر أيضا الذي أوغر صدور أهالي القسطنطينية ضده؛ لأنه كان في نظرهم المسئول الأول عن تسليم أراضيهم المسيحية إلى العثمانيين المسلمين [٥].

على الرغم من إجماع المؤرخين على تحميل حنا كانتاكوزينوس مسئولية جلب العثمانيين إلى أوروبا ، فلا ينبغي أن نحمله المسئولية كاملة، فقد حاولت الإمبراطورة البيزنطية آنا من قبل الاستعانة بالسلطان العثماني أورخان ولكنه رفض مساعدتها وفضل عليها حنا كانتاكوزينوس، وفي النهاية سواء كان هذا أم ذاك فإنه من المؤكد أن العثمانيين كانوا سيعبرون ويستقرون في الجانب الأوروبي للأراضي البيزنطية كتطور ونمو طبيعي لفتوحاتهم، التي دُعمت من خلال الإجراءات التي قام بها السلطان العثماني أورخان؛ والتي كان من أهمها إرسال أعداد ضخمة من الرعاة التركمان من آسيا الصغرى إلى تراقيا لتتريكها- لجعلها عثمانية- ومنع تكوين أي مجهود مسيحي لطرد العثمانيين من أوروبا، ولهذا اضطر حنا الخامس إلى الاعتراف بكل فتوحات أورخان في أوروبا في مقابل أن يسمح أورخان بتسهيل وصول المؤن إلى القسطنطينية [١].

بذلك تحولت الدولة العثمانية من إمارة حدودية إلى إمبراطورية تضم آسيا الصغرى والبلقان بفضل الأمير العثماني سليمان الذي عبر الدردانيل للجانب الأوروبي وأقام مستوطنة عثمانية على أراضي الإمبراطورية البيزنطية

---

[٤] Emmanule, *Histoire de L'europe*, p. 248; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 108; Grousset, *L'empire du Levant*, p. 608; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262; Pirene, *Histoire de l' Europe*, p. 392; Vasiliev, *Histoire de L'Empire Byzantine*,Tom.II, p. 305-307.
انظر أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١١٩-١٢٠.

[٥] محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٦.

[١] صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٠؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٨.

في القارة الأوربية [٢]، فدخل العثمانيون مرحلة جديدة في تاريخهم فقد انتهت مرحلة الغزو الأولى باستقرارهم في أراضي بيزنطة الآسيوية وبدأت مرحلة جديدة متمثلة في غزوهم للجانب الأوروبي، ثم استقرارهم في البلقان وإخضاعهم الصرب و البلغار [٣].

على أية حال ازداد التوسع العثماني في تراقيا بشكل كبير في بداية عهد الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس الذي فشل في جميع محاولاته الدبلوماسية لوقف هذا السيل العثماني المنهمر على الأراضي البيزنطية في تراقيا، ولكن جاءت له الفرصة خلال ربيع أو صيف عام ١٣٥٧م عندما حدثت واقعة اختطاف خليل الابن الأصغر للسلطان العثماني أورخان – الذي لم يتجاوز عمره أحد عشرة سنة –، على أيدي بيزنطيين من فوكايا، فلجأ الأخير إلى الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس من أجل التدخل وحل المشكلة؛ فوافق الأخير وقام بعمل اتصالات مع حاكم فوكايا ليو كالوثيتوس Leo Kalothetos في بادئ الأمر ولكنها باءت بالفشل الذريع بسبب ولاء الحاكم الجنوي كالوثيتوس لحنا كانتاكوزينوس الذي قام بتعينه من قبل عليها؛ مما اضطر حنا الخامس إلى استخدام القوة العسكرية، فخرج بنفسه على رأس جيش لمحاصر مدينة فوكايا، ولكن أمام صمود المدينة تركها حنا الخامس عائدا إلى القسطنطينية دون أن يحرز أي تقدم ملحوظ في تلك القضية، ولكن أمام الضغط العثماني المستمر رجع ثانية ودخل في مفاوضات أسفرت عن فك أسر خليل مقابل مبلغ مالي يتراوح مابين ستون ألف و مائة ألف هيبربيرون، وبذلك عاد خليل على متن إحدى السفن البيزنطية إلى نيقوميديا بعد أن تم إتمام خطوبته من إيريني Irene ابنة حنا الخامس – التي لم تتجاوز العاشرة من عمرها–، وكذلك تم عقد اتفاقية صلح في مستهل عام ١٣٥٨م بين الجانبين البيزنطي والعثماني كان من أهم بنودها؛ وقف الاعتداءات العثمانية المستمرة على الأراضي البيزنطية، أن يتحمل السلطان العثماني أورخان كافة النفقات التي تمت أثناء عملية فك أسر ابنه خليل، التنازل عن جميع ديون الإمبراطور البيزنطي التي لم يدفعها بعد، أن يتم زواج

---

[٢] محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٨.

[٣] زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٤.

خليل من ابنة الإمبراطور حنا الخامس وأن يخلف خليل والـــده أورخـــان بعـــد وفاته[١].

ترجع الأسباب المباشـــرة وراء عقـــد اتفاقيـــة ١٣٥٨م بـــين بيزنطـــة والعثمانيين، إلى الوفاة المفاجئة المأساوية لسليمان- نتيجـــة لاصـــطدام فرســـه بشجرة أثناء رحلة صيد في عام ١٣٥٨م، وأسر أهالي فوكايا لخليـــل، وعـــدم امتلاك أورخان أسطول قوي يكفي للمخاطرة في بحر إيجة، ولذلك وسط حنـــا الخامس لحل المشكلة وعقد اتفاقية معه[٢].

مما تجدر الإشارة إليه أنه عقب وفاة الأمير العثمـــاني ســـليمان عـــام ١٣٥٨م، خلفه أخوه مراد ليتولى قيادة القوات العثمانية فـــي أوروبـــا وقطـــاع غاليبولي والتي قضى فيها السنوات الأخيرة من حكـــم أبيـــه أورخـــان؛ فقـــام بالاستيلاء على الحصون والقلاع المنتشرة على الطريق الواصل بـــين أدرنـــة

---

(١) Cantacuzenus , *Historiarum* , vol. III , pp. 320-322; Gregoras, *Byzantinae Historiae*, vol.3, pp. 504-509.cf. also Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", pp. 236-237; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 108; Nicol , *The Last centuries of Byzantium*, p. 261; Eva de Vries -Van der Velden, L'elite Byzantine Devant L'avance Turque a L'epoque de la Guerre Civile de 1341 a 1354, pp.143-144.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـــ ٢، ص٢٤٣؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢١؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان و أورخان "، ص ٣١.

- ولكن يشير حنا كانتاكوزينوس لعملية اختطاف خليل بن أورخان وأسره في مدينة فوكايا ضمن أحداث عام ١٣٥٥م. انظر:

Cantacuzenus , *Historiarum*, vol. III, pp. 321.

(٢) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, pp. 80-81.

انظر أيضا: القرماني، أخبار للدول وآثار الأول في التاريخ ، المجلد الثالث، ص ١١. راجع أيضا: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٧؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٠-٢١؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان و أورخان "، ص ٣١.راجع أيضا:

Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 201-202; Lavallee, *Histoire de L'Empire Ottoman*, p. 138; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262.

والعاصمة لقطع وسائل الاتصال والإمدادات عن أدرنة، وبعدها توفي والده أورخان و أخوه خليل في العام التالي ١٣٥٩م، فرجع لآسيا الصغرى لتدبير شئون الحكم(١).

مهما يكن من أمر فبعد وفاة سليمان ووالده أورخان عام ١٣٥٩م خلفه على الحكم ابنه مراد الأول (١٣٥٩-١٣٨٩م) ليتولى مقاليد الحكم العثماني؛ فهو المؤسس الحقيقي لأول إمبراطورية عثمانية، وسار على نفس نهج والده أورخان الرامي لغزو تراقيا ومقدونيا وبلغاريا وصربيا خاصة وأن الظروف السياسية كانت مناسبة جدا لتحقيق أهدافه في البلقان(٢)، ولكنه انشغل في بداية حكمه

---

(١) Chalcocondles, *Historiarum*, p. 33; Eng. Trans., *Books I-III*, p. 125. cf. also.

Hammer, *Histoire de L' Empire* Ottoman, Tom. 1, pp. 201-202; Lavallee , *Histoire de L' Empire Ottoman*, p. 138; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262.

راجع أيضا: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٧؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص ٢١؛ بيلديسينو إيرين، " عثمان و أورخان "، ص ٣١؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٨-٤٩.

(٢) Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, pp. 80-81.cf. also. Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 21; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 201-202; Lavallee, *Histoire de L'Empire ottoman*, p. 138; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p.262; Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453 ", p. 761.

- ولكن الجدير بالذكر أنه حدث اختلاف بين المؤرخين حول سنة وفاة أورخان فالحنبلي يذكر أن وفاة أورخان كانت في عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م حيث يشير لذلك قائلا " في إحدى و ستين وسبعمائة، فيها توفى أورخان بن عثمان السلطان العظيم ثاني ملوك بني عثمان، ......، ثم ولي من بعده ولده مراد" أنظر: الحنبلي(ابن العماد) (الإمام شهاب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩م/ ١٦٨٦هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ ٨، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٢٦. راجع أيضا:

Lavallee, *Histoire de L'Empire ottoman*, p.138;

- هناك رواية تشير لوفاة أورخان عام ١٣٦٢م. انظر:

Charanis ," An Important Short Chronicle of the Fourteenth Century", p. 349. cf. also. Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 452; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262; Wittek, *The Rise of Ottoman Empire*, p. 43.

بتوطيد نفوذه في آسيا الصغرى، وبعدها بدأ توسيع دائرة نفوذه في أوروبا على حساب الإمبراطورية البيزنطية وكانت مدينة أدرنـــة هدفـــه الأول، حيـــث أراد استكمال المشوار الذي قد بدأه هو ومعلمه لالا شاهين Lala Şhahin أثناء حكم أورخان هناك [٢].

الجدير بالذكر أن العثمانيين لم يكتفوا بالهجوم الشرس على إقليم تراقيـــا تحت قيادة مراد ولالا شاهين في عام ١٣٥٩م؛ بل تعدى الأمر إلى الظهور أمام أسوار العاصمة نفسها وذلك على حد تعبير المؤرخ متـــى فيلانـــي Matthew Villani " في عام ١٣٥٩م ظهر الأتراك أمام أسوار القسطنطينية،...." و ذلك يعد التهديد العثماني الأول ضد عاصمة الإمبراطورية البيزنطية والـــذي أعقبـــه وفاة السلطان العثماني أورخان [١].

– أما عن الوضع في أوروبا فكان مناسب تماما لحث الدولة العثمانية على مزيد من التوسع والفتوحات في أوروبا فبلغاريا وبيزنطة كانتا في مراحل متقدمة من التأخر والضعف، والإمبراطورية الصربية التي بناها ستيفن دوشان قد تمزقت عقب وفاته سنة ١٣٥٥م، كما أضعفت الانقسامات الداخلية الإمارات اللاتينية في اليونان والمورة، أما الجزر الإيجية فقد كانت تحكمها أسر من البنادقة والجنوية وفرسان القديس حنا في رودس الذين وجدوا أنفسهم غير قادرين على التعاون ضد العثمانيين انظر: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٨.

[٢] Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 83;Chalcocondles, *Historiarum*, pp. 40-41; Eng. Trans, *Books I-III*, p.133-135.cf. also. Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 122.

راجع أيضا: إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص ٢١؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٣؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٤٩.

[١] لمزيد من التفاصيل انظر:

Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp. 290-291; Matteo Villani, *Istorie*, RIS, vol. XIV,Milano,1729, pp. 545-550,672-673. cf. also. Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 238.

– متى فيلاني، هو كاتب فلورنسي توفي علم ١٣٦٣م، وهو شقيق المؤرخ المشهور جيوفاني فيلاني. لمزيد من التفاصيل انظر:

http://alchemipedia.blogspot.com/2009/11/matteo-villani-chronicler-florence-d.html

علي أية حال جاءت في تلك الفترة حملة صليبية باركتها البابوية، تحت قيادة بطرس توماس Peter Thomas للتصدي للخطر العثماني المتوغل في الأراضي البيزنطية على الجانبين الآسيوي والأوروبي على حدا سواء، فاستولت على ميناء لامبسيكوس Lampsacus الذي يعتبر طريق عبور العثمانيين للجانب الأوربي [٢].

وفي مستهل عام ١٣٦١م عقب انتهاء السلطان مراد الأول من توطيد نفوذه في آسيا الصغرى اتخذ عدة إجراءات من أجل إحكام السيطرة على الطرق المؤدية لمدينة أدرنة، بهدف تضييق الخناق عليها؛ فسيطر على عدة قلاع وحصون هامة في المنطقة الواقعة بين غاليبولي وأدرنة جنوبا والتي كان من أهمها نيبوتوس Nebotos، وميسيني Misini، بورجوس Burgos، كيستشان Keschan،جومولديجينا Gumuldjina [٣]، ثم سيطروا على قلعة ومدينة جورلي (تستشورلي Tşchorli)الحصينة بشكل نهائي[٤].

---

[٢] لمزيد من التفاصيل انظر:

Housley. N, (ed), *Documents on the Later Crusades*, London, 1996, pp. 83-85;Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum,S.II, pp.17-18.cf.also. Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", pp. 237-238.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص٣٣.

[٣] Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 83.cf. also. Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 218; Janin, "La Thrace Byzantine", p. 58.

[٤] Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 83.

راجع أيضا: القرماني، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث، ص ١١.انظر أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٣-١٢٦؛ نيقولا فاتان، "صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ " في تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الأول، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٥٠؛ سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص٤٩١. انظر أيضا:

Beldicéanu-Steinherr, "La Conquéte d' Adrinople par les Turcs: La Pénétration Turque en Thrace et la voleur des Chroniques Ottomans ", *TM.*,1965, p. 453;Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 218-219; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p.112; Grousset , *L'empire du Levant*, p. 609; Jorga, *The Byzantium Empire*,

لقد واصلت القوات العثمانية تقدمها في الأراضي البيزنطية تحت قيادة حاجي- إلبيكي Hadji-Ilbeki وقامت بحصار مدينة ديديموتيخوس وتضييق الخناق عليها وعزلها عن مدينة القسطنطينية، ولكنها صمدت في البداية نتيجة للمساعدات العسكرية البلغارية لها؛ ولكنها لم تستمر طويلا ووقعت في أيدي العثمانيين في نوفمبر عام ١٣٦١م بسبب وقوع أحد أبناء حاكمها كأسير في أيدي القوات العثمانية، فاضطر الأخير إلى التفاوض وتسليم ثاني أكبر مدينة - ديديموتيخوس - في تراقيا مقابل فك أسر ابنه[1].

أما عن سقوط مدينة أدرنة في أيدي العثمانيين فهناك روايتان في هذا الصدد؛ أما الرواية الأولى فتشير إلى أن السلطان العثماني مراد الأول وضع خطة تهدف إلى تطويق المدينة من جميع جهاتها، ثم قدم إليها بنفسه لمواصلة حصارها مع القادة حاجي- إلبيكي وإفرينوس ولتشديد الضغط عليها، مما جعل

---

p. 212; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 238.

(١) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp. 289-290.

راجع أيضا: القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، المجلد الثالث ، ص ١١.انظر أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٤-١٢٥؛ نيقولا فاتان، " صعود العثمانيين "، ص ٥٠؛ سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص٤٩١.انظر أيضا:

Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 219;Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 112; Janin, "La Thrace Byzantine", p. 58; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262; Ostrogorsky, "The Palaeologi ", p. 369; Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453 ", p.762; Eva de Vries -Van der Velden, L'elite Byzantine Devant L'avance Turque a L'epoque de la Guerre Civile de 1341 a 1354, p.76.

- لكن حدث اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ سقوط مدينة ديديموتيخوس في أيدي العثمانيين فالرأي الأول يشير لسقوطها عام ١٣٦٠م.انظر:

Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453 ", p.762.

- أما الراي الثاني يذكر سنة ١٣٦٢م انظر:

Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262.

- والرأي الأخير أشار إلى سنة السقوط عام ١٣٦٧م .انظر: زبيدة عطا ، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٤.
- ولكن الرأي الأرجح عام ١٣٦١م نظرا للأغلبية التي تؤيده.

قائدها أدرينوس Adrenos يطلب العون المساعدة من القوات البلغارية المتاخمة لحدوده والتي وصلت إليه بالفعل وانضمت لصفوفه، ثم دارت معركة عنيفة بين الجانبين بيزنطة وحلفائها والعثمانيين وانتهت بهزيمة القوات المتحالفة وفرار حاكم القلعة عبر نهر مارتيزا إلى إحدى القلاع القريبة منه إنوس Enos (١).

أما الرواية الثانية فيشير لها المؤرخ القرماني قائلا " وفي إحدى وستين وسبعمائة– ١٣٥٩/ ١٣٦٠م–، أرسل السلطان مراد خان الغازي شاهين لالا الأتابك إلى فتح مدينة أدرنة في جيش كثيف، فاقتتلوا قتالا شديداً، وعجز عن أخذها وسألوا السلطان أن يقدم إليهم بنفسه، فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين؛ فاجتاز البحر. فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت أركانهم فهرب سلطانهم . فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فأخذوها، وأرسلوا أعلموا/ السلطان، فحمد الله و أثنى عليه، وجاء فدخل المدينة. وهي أعظم مدن الدنيا، وهي مدينة كثيرة البساتين ....، بينها و بين القسطنطينية خمسة وتسعون ميلا "(٢).

أما عن تاريخ سقوط مدينة أدرنة فقد حدث اختلاف بين المؤرخين ما بين أعوام ١٣٥٢م(٣)،١٣٥٦م(٤)، ١٣٥٧م(٥)،١٣٦٠م(٦)، ١٣٦٢م(٧)،١٣٦٥م(٨) ١٣٦٧م(٩)، ١٣٦٨م(١٠)،

(١) Annales Georgii Phrantzae, p. 80; Aşik- Paşa-Sohn, *Frühzeit und Aufstieg*, p. 82-84; Chalcocondles, *Historiarum*, p. 33; Eng. Trans, *Books I-III*, p. 125; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp. 289-290. cf. also. Beldicéanu-Steinherr, "La Conquéte d' Adrinople par les Turcs ", p. 451; Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, pp. 317-318; Hammer, *Histoire de* L'Empire *Ottoman*, Tom. 1, pp. 219-220; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 112-113.
راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٥–١٢٦.

(٢) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث، ص ١٣.

(٣) Pirene, *Histoire de l' Europe*, p. 292.

(٤) Painter, S., *A History of the Middle Ages*, New York , 1954, p. 54.

١٣٦٩م[١]، و١٣٧١م[٢]، ولكن هناك إجماع بين المـؤرخين علــى أن ســقوط المدينة في أيدي العثمانيين كان في عام ١٣٦١م[٣]. ونظراً للأغلبية التي تؤيــد هذا التاريخ – عام ١٣٦١م–، فهو يعد أرجح الآراء لسقوط أدرنة.

---

(٥) ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٦١؛ نفسه، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص ٥١٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، جـ ٢، ص، ٩٨٩. راجع أيضا:
Waugh, W., " The Councils of Constance and Basle ", *CMH*, vol.8, (1966), p. 429.

(٦) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث، ص ١٣. راجع أيضا: علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٥٨. انظر أيضا:
Alix, *Precis de le Histoire de L' Empire Ottoman*, p. 12; Miller, *The Balkans States*, *Rouman*, p. 284.

(٧) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II. , p. 297 .cf .also .Grousset, *L'empire du Levant*, p. 609; Ostrogorsky , *History of the Byzantine State*, p. 369.

(٨) Peter," The Early History and the Establishment of the Ottomans in Europe", p. 13

(٩) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, p. 297.

(١٠) زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٤.

(١) Beldicéanu-Steinherr, "La Conquéte d' Adrinople par les Turcs ", pp. 453-454;
Browning, *The Byzantine Empire*, p. 175; Eva de Vries -Van der Velden, L'elite Byzantine Devant L'avance Turque a L'epoque de la Guerre Civile de 1341 a 1354, p. 76; Imber, *The Ottoman Empire,1300–1650*, p. 11.

(٢) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, p. 297.

(٣) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp. 297-298. note .(1);
Nicoloudis, *Laonikos Chalkokondles, Books I-III*, p. 165, note.(59).
راجع أيضا: نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني، ص١٢٢؛ جونز، الحصار العثماني للقسطنطينية، ص ٦٨. راجع أيضا: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٩؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ص ٤٨؛ أسد رستم، الروم، جـ ٢، ص٢٤٥؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢١؛ محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،

كان لسقوط مدينة أدرنة ذات الموقع الاستراتيجي المتميز نتائج عظيمة على الجانبين؛ منها تهديد العاصمة القسطنطينية التي أصبحت محاطة بالعثمانيين من كل مكان، وتقلص الحدود البيزنطية والتي أصبحت عبارة عن مثلث صغير ممتد بين بحر مرمرة والبحر الأسود وأجزاء من مقدونيا وشبه جزيرة البيلوبونيز ومدينة تسالونيكا[4]، استغلال العثمانيين لمناعة التحصينات الحربية واستحكامات مدينة أدرنة لتصبح مركزاً للعمليات العسكرية لضم الأقاليم الأوروبية [5].

بعد سقوط أدرنة في أيدي العثمانيين، كانت خطوتهم التالية بالغة الأهمية والخطورة فقد قام السلطان العثماني مراد الأول بنقل عاصمته من آسيا الصغرى والتي كان مقرها بروسة إلى عاصمة إقليم تراقيا أدرنة وكذلك قام بعمليات واسعة النطاق من التهجير للأتراك في آسيا الصغرى إلى إقليم تراقيا والتي وصلت إلى حد استعمال القوة أحيانا مع الأتراك أنفسهم للاستقرار في المناطق المفتوحة للتحول إلى أرض عثمانية [1].

ص٣٥٧؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ١٢٦. راجع أيضا:

Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, pp. 318; Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 22; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 20; Inalcik, "The Emergence Of The Ottoman", p. 275; Idem, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 238; Idem, The Conquest of Edrine(1361), *AO*, 3,1971, pp. 209-210; Janin, "La Thrace Byzantine", p. 58; Jorga, " Latins et Grecs d' Orient et l' etablissement des Turcs en Europe ", p. 222; Lavallee , *Histoire de L' Empire ottoman*, p. 142; Lodge, *The Close of the Middle Ages, 1272-1494*, p. 502; Schevill, *The Balkan Peninsula*, p. 184. Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453", p. 762; Zachariadou," The Conquest of Adrianople by Turks ", *SV*.,vol.12,(1970), p. 211.

– لمزيد من التفاصيل لمناقشة تاريخ سقوط أدرنة بشكل تفصيلي أكثر انظر:

Inalcik, "The Conquest of Edrine(1361)", pp. 185-210.

(٤) صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ١٢٧.

(٥) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٥٨.

(١) Chalcocondles, *Historiarum*, p. 33; Eng. Trans., *Books* I-III, p. 125.

هكذا انتقل سلاطين بني عثمان بمركز دولتهم إلى الأراضي الأوروبية، فأصبحوا أكثر قربا من القسطنطينية وأكثر إدراكا بما يحدث فيها، وبالتأكيد أتيحت لهم سرعة التحرك إليها في أي وقت، وكذلك أتيحت لهم حرية مهاجمة المناطق المجاورة على حساب بيزنطة واللاتين معا دون الحاجة لتدبير أسطول ينقلهم من آسيا إلى أوروبا كل مرة.

أما عن سكان المدن التراقية التي فتحها العثمانيون فقد انقسموا إلى فريقين؛ الأول ترك مدنه للأتراك وفضل اللجوء إلي المدن والقلاع التي لازالت بيزنطية، أما الثاني الذى فضل البقاء تحت الحكم العثماني فقد أمنهم العثمانيون على أنفسهم [٢].

بعد سقوط أدرنة تحرك الجيش العثماني تحت قيادة لالا شاهين ليسيطر على مدينة فيليبوبوليس Philippopolis وساجراي Sagrae مع نهاية عام ١٣٦٢م و بداية عام ١٣٦٣م، ونتيجة لهذا الضغط العثماني المستمر والمتنامي في الإقليم التراقي بشكل خاص والإمبراطورية البيزنطية بشكل عام، أجبر الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس على إبرام معاهدة سلام مع السلطان العثماني مراد الأول اعترف خلالها بالفتوحات العثمانية السابقة في تراقيا مقابل تعهد مراد بعدم الاعتداء على باقي الأراضي البيزنطية[٣].

راجع أيضا: أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ص ٤٨؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢١؛ إميليو سولا، البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر، ص٥٣؛ ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص ٥١٥.

(٢) إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢١.

(٣) Phrantzes Georgius, Annales, p. 80.

راجع أيضا: القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المجلد الثالث، ص ١٣.
راجع أيضا: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٩؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ص ٤٨؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٦؛ خليل أفندي مطران، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، ص ٣٥٣؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٨؛ محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٥٧؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥١. راجع أيضا:

وبذلك لم يعد بوسع الإمبراطورية البيزنطية مقاومة العثمانيين بعد هذه الأحداث، خاصة أنه لم يعد لديها الجيش القوي المدرب الذي يستطيع التغلب على الخيالة التركية خفيفة الحركة، أو اقتحام حصون العثمانيين المنيعة و لذلك- كما سبق- اعترف حنا الخامس بسلطان العثمانيين على إقليم تراقيا بسهولة و يسر(١).

وأمام الزحف العثماني المستمر جدد الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس معاهدته مع البندقية عام ١٣٦٣م بهدف إحكام السيطرة على المضايق البحرية أمام العثمانيين، وحاول أيضا الحصول على تحالف صربي، وعمل على إثارة الغرب ضد العثمانيين، وبالفعل غضب ملكا الصرب والمجر(٢) وثارت حفيظتهما نتيجة لاستيلاء العثمانيين على أدرنة واتخاذها عاصمة لهم في أوروبا، ووقعا معاهدة تحالف ضد السلطان العثماني مراد الأول. وفي عام ١٣٦٤م زحفت جيوشهما تجاه نهر مارتيزا لدفع العثمانيين خارج أوروبا قبل أن يتأخر الوقت وتضيع الفرصة نهائيا؛ بيد أن مراد نصب كمينا للجيوش المتحالفة

Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 24; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 122; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262-263; Shaw, *History of The Ottoman Empire and Modern Turkey*,vol.1, p. 18; Eva de Vries -Van der Velden, L'elite Byzantine Devant L'avance Turque a L'époque de la Guerre Civile de 1341 a 1354, p. 76.

(١) محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٥٧.

(٢) الجدير بالذكر أن المجر كانت اقرب جار كاثوليكي لبيزنطة، كما كانت أقوى دول المنطقة، وكان ملكها لويس الأول العظيم هو المرشح لقيادة القوات الصليبية لطرد العثمانيين من البلقان ولكنه انشغل خلال الفترة من عام ١٣٥٠م إلى عام ١٣٦٣م في تنظيم أحواله الداخلية وتحقيق طموحاته الخارجية، ففي بداية عام ١٣٥٠م كانت أهداف الملك لويس الأول المباشرة هي استعادة السيطرة على دول البلقان وإخضاع الصرب وتأمين كرواتيا واستعادة مدن ساحل دالماشيا من البندقية، كما ورطته البابوية في حروبها ضد أعدائها في إيطاليا. لمزيد من التفاصيل انظر: المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠-١٤٥٣م، ص١٤٥-١٤٦. راجع أيضا:

Housley, N.," King Louis the Great of Hungary and the Crusades 1342-1382", *SEER*, vol.62, 1984, pp.7-23; Dennis, D.," Genoese, Tatars and Rumanians at the Mouth of the Danube in the Fourteenth Century " *SEER*, vol. 62, 1984, pp. 525-527.

على ضفاف هذا النهر بالقرب من أدرنة حيث دارت معركة ساحقة غرق فيها كثير من الجند والأمراء أثناء محاولاتهم عبور النهر سباحة لإنقاذ أنفسهم وقد استطاع لويس الكبير (١٣٤٢-١٣٨٢م) ملك المجر النجاة والهروب بصعوبة بالغة[٣].

وتعتبر المعركة السابقة - مارتيزا ١٣٦٤م - بمثابة اللقاء العسكري الأول بين العثمانيين ومسيحي شمال البلقان[١].

وعلى أية حال بعد هزيمة التحالف البلقاني في مارتيزا عام١٣٦٤م، قامت بيزنطة بتكثيف جهودها الدبلوماسية للوقوف ضد الزحف العثماني من خلال سفارة البطريرك كاليستوس Callistus للحاكم الصربي لمدينة سيريس حنا أوجلجيشا John Ugljesha، وإرسال عدد من السفارات إلى بلاط البابا

---

[٣] لمزيد من التفاصيل انظر:

Cantacuzenus, *Historiarum*, vol. III, pp. 360-363; D?lger, *Regesten*, Teil.5., no.3089, p. 52; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp. 291-292; Chalcocondles, *Historiarum* , p. 33; Eng. Trans, *Books I-III*, p. 125.cf . also. Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 300-301; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 262; Halecki, *Un Empereur de Byzance à Rome*, pp. 75-77; Fine, The *Late Medieval Balkans*, pp. 378-380; Dinic, " The Balkans", p. 542; Miller, " The Balkans States. The Turkish Conquest", pp. 554-555; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, pp. 481- 483.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص١٧٨-١٧٩؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥١-٥٢؛ المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠-١٤٥٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنصورة، كلية الآداب، عام ٢٠٠٤م، ص ١٤٦؛ إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٩.

- حيث قام ملك المجر لويس الكبير بعد عودته إلى بلاده بتشييد كنيسة لمرضاة السيدة مريم، إظهارا لشكره للرب على نجاته من الموت المحقق في تلك المعركة التي شجعت مراد الأول على التقدم في أراضيهم.انظر: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص٥١-٥٢.

[١] لقد اشترك في هذه المعركة مع لويس ملك المجر والصرب كل من بولندة وأمراء البوسنة وولاشيا للقضاء على الوجود العثماني في أوروبا، إلا أن القائد العام للجيش العثماني لالا شاهين تصدى لهم وانتصر عليهم انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ص ٤٨؛ إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٩.

والملك المجري لويس الأول الكبير لتشكيل حملة صليبية في الفترة ١٣٦٥-١٣٦٦م ضد الوجود العثماني[٢].

وفي عام ١٣٦٥م بدأ الاستعداد للقيام بحملة صليبية ضد الوجود العثماني في أوروبا، حيث بدأ ملك المجر لويس الأول في ربيع عام ١٣٦٥م في تجهيز قواته للتعاون مع قوات أماديو السادس السافواي Amadeo VI of Savoy (١٣٤٣-١٣٨٣م) لطرد العثمانيين من البلقان، وتفاوض لويس مع البندقية بشأن إمداد المجر بالسفن اللازمة لنقل الجنود ولمنع التعزيزات العثمانية القادمة من آسيا الصغرى من عبور المضيق لداخل البلقان، فوافقت البندقية؛ لكن بشرط دفع لويس الأول تكاليف إنشاء السفن اللازمة لذلك والتي تتراوح مابين سفينتين وخمسة سفن[٣]، وكذلك وافقت البابوية على تلك الحملة وباركتها وشكلت الحلف المكون من لويس الأول ملك المجر وبطرس الأول لوزيجنان (

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, Vol.3. pp. 360-363. Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp. 291-292 .cf . also. Fine, *The Late Medieval Balkans*, pp. 378-380; Dinic, "The Balkans", p. 542; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", pp. 241-242; Miller, " The Balkans States. The Turkish Conquest ", p. 554-555 ; Ostrogorsky, *History of Byzantine State*, p. 481- 483.

(٣) يرجع السبب المباشر وراء عدم اشتراك البندقية في تلك الحملة هو وصول ملك قبرص إليها متأخرا بسبب رحلته إلى الغرب لحث ملوكها على القيام بحملة صليبية مما أضاع وقته وأخره عن مقابلة مندوب البابوية بطرس توماس في البندقية، فتراجعت البندقية بعرضها الخاص بإمداد الحملة الصليبية بالسفن، خاصة وأنه كان هناك معارضة شديدة من جانب أعداد هائلة من التجار البنادقة أصحاب المصالح التجارية مع دولة المماليك في مصر، أما أصحاب فكرة إمداد الحملة الصليبية بالسفن هم النبلاء في البندقية. لمزيد من التفاصيل انظر:

Housley, *Documents on the Later Crusades*, pp. 85-89; Philippo Mazzerio,Concellaria Cypre, in Vita S. Petri Thomasii, pp. 67 ff; Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum,S.I, pp. 67ff. *The life of saint Peter Thomas by Philippe de Mézières*, edited. by Joachim Smet, O. Garni Rome, Institutum Carmelitanum, 1954. (Textus et studia historica carmelitana, vol.II.), pp. 294-296; in also. Bibliothèque de l'école des chartes, Année 1956, Volume 114, Numéro 1, pp. 294 – 296.

١٣٥٠-١٣٦٩م) ملك قبرص وأماديو السافواي ولكن جاءت المفاجئـة عنـدما خرج لوزيجنان على رأس حملة صليبية بمفرده تجـاه الإسـكندرية لمحاربـة المماليك بدلا من القسطنطينية لمحاربة العثمانيين(١).

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:
Housley, Documents on the Later Crusades, pp. 85-89; Mas. Latrie., L'lle de Chypre: Sa Situation Presente ses Souvenirs du Moyen Ages, Paris,1870,vol.2, pp. 273-337; Scripta ab Oculatoteste Philippo Mazzerio,Concellaria Cypre,in Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum B. Virginis Mariae de Monte Carmelo, Epifcopi Pactenfis Coronenvis, Archiep. Cretenfis Patriarchae Constantinopolitani, ac Legati Apostolici Iacopvm Mevrsivm MDCLIX; Vita S. Petri Thomasii, ex Ordine Fratrum B. Virginis Mariae de Monte Carmelo, Epifcopi Pactenfis Coronenvis, Archiep.Cretenfis Patriarchae Constantinopolitani, ac Legati Apostolici: Scripta ab Oculatoteste Philippo Mazzerio, Concellaria Cypre, Antverpiae Iacopvm Mevrsivm, MDCLIX,S.II, pp. 12-19. cf. also. Atiya ,S., The Crusade In Later Middle Age, London, 1938, pp. 319-378; Kianka," Byzantine-Papal Diplomacy: The Role of Demetrius Cydones", p. 199.
راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ٩٨٨-٩٨٩؛ نفسه، قبرص والحروب الصليبية، ص ١٥٠-١٥٢؛ سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة حملة بطرس الأول لوسينان على الإسكندرية ٧٤٧هـ/ ١٣٦٥م، القاهرة، ٢٠٠٢م؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥١؛ المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية، ص ١٤٧-١٤٨؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص٥٠٦-٥٠٩.

- الجدير بالذكر أن البندقية وغيرها من المدن الإيطالية قد وقع عليها نبأ ما فعله بطرس بالإسكندرية سنة ١٣٦٥م كالصاعقة ولذلك أرسلت البندقية في أبريل سنة ١٣٦٦م رسلا إلى السلطان المملوكي شعبان تؤكد له أن السفن التي أغارت على الإسكندرية لا تمت بصلة إلى البندقية وأن البنادقة لم يساعدوا بطرس ولم يشتركوا معه، ولقد ألح البنادقة والجنوية في الصلح بين الملك بطرس من ناحية والمماليك من ناحية أخرى وبفضل وساطتهم تم الصلح بين الطرفين في ديسمبر سنة ١٣٧٠م. لمزيد من التفاصيل انظر:

Mas. Latrie, *L'lle de Chypre: Sa Situation Presente ses Souvenirs du Moyen Ages*,vol.2, pp. 314-318; Atiya, *The Crusade In Later Middle Age*, pp. 370-378.

راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة،١٩٩٤م، ص٢٧٨-٢٧٩؛ نفسه، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧١.

على أية حال قام الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس بالذهاب إلى المجر شتاء عام ١٣٦٥-١٣٦٦م، وعندما وصلها تقابل مع ملكها لـويس الأول فـي بودا، ودارت بينهم مفاوضات انتهت بموافقة الملك المجري على القيام بحملـة صليبية ضد الأتراك العثمانيين، ولكنه وضع شرط لذلك وهـو الإتحـاد بـين الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية، وهذا لم يحدث ولذلك فشلت المفاوضات، وقرر حنا الخامس الرجوع إلى عاصمته بعد أن أصيب بخيبة أمل وفي أثنـاء رحلـة العودة أسره الحاكم البلغاري حنا ألكاسندر [٢]، وفي تلك الأثناء جـاءت حملـة أماديو السادس السافواي في عام ١٣٦٦م والتي باركتها البابوية لصـد خطـر العثمانيين والتي استطاعت استعادة مدينة غاليبولي من أيدي العثمـانيين والتـي كان لها آثار عظيمة على الجانبين وصدى واسع في الغـرب الأوربـي، كمـا استطاع فك أسر الإمبراطور البيزنطي حنا من أيدي البلغار [١].

---

[٢] لمزيد من التفاصيل انظر:

Monumenta Hungariae Historica, ed. by. Wenzel, G., vol. II, Budapest, 1875, doc.479; Demetrios *Kydones*, in.MPG,vol.CLIV,Cols,1000,1004.cf. also.Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 212-214; Meyendorff, " Projets de Concile Oecuménique en 1367 ", pp. 154-155; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 263-265.

راجع أيضا: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٦؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٢-٥٣؛ المتولي السيد تميم، مملكة المجر وعلاقتها بالدولة البيزنطية ١٠٠٠-١٤٥٣م، ص ١٤٧-١٤٨؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص ٥١؛ ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، ص ٣١٩-٣٢٠.

- لمزيد من التفاصيل أيضا انظر الفصل الثاني.

[١] لمزيد من التفاصيل انظر:

Acta Urbani V (1362-1370),vol. XI, no. 90; Demetrios Kydones, *De Admittendo Latinorum Subsidio* in. MPG, vol. CLIV, Col. 961; Loenertz, R., "Demetrius Cydones, I: De la Naissance a l'annee", p. 64; *Raynoldus*, 1366, 1-2; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. II, pp.295-297.cf. also. Atiya, *The Crusade In Later Middle Age*, pp. 379-397; Brehier, "Attempts at Reunion of the Greek and Latin Churches", p. 617; Gill, *Byzantium and Papacy 1198-1400*, pp. 212-213; Halecki, *Un Empereur de Byzance a Rome*, pp.79-88; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 265-66; Setton, *papacy and Levant(1204-1571)*, pp.

ومهما يكن من أمر فلقد كانت خسارة مدينة غاليبولي فادحة بالنسبة للعثمانيين، فهي مركز الانطلاق العثماني للتوسع في أوروبا، كما أنها تتحكم وبصورة كبيرة في عبور القوات العثمانية من آسيا إلى أوروبا و العكس، كما أن تلك الحملة كشفت بوضوح عددا من نقاط الضعف بالنسبة للعثمانيين، ولعل أهمها ضعف البحرية العثمانية وعدم قدرتها على التحرك السريع ومواجهة الأساطيل المسيحية في مياه الدردانيل، وكذلك سهولة قطع السبل بين الأملاك العثمانية في أوروبا و آسيا، غير أنه لحسن حظ العثمانيين لم تكن هناك إرادة عامة في أوروبا لمواصلة الحروب الصليبية، وكانت الوحدة الدينية هي الهاجس الأكبر للبابوية وشاغلها الشاغل[1].

بذلك أصبح السلطان العثماني محصورا ضمن حدود آسيا الصغرى، وليس له قوة بحرية، وأصبح محروما من قواعده الأوروبية وقد استمر هذا الوضع قرابة عشر سنوات[2].

علي أية حال بعد انتهاء حملة أماديو السافواي اتجه الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس إلى ايطاليا من أجل الحصول على مساعدة ضد العثمانيين، والتي قد وصلها في شهر أغسطس عام ١٣٦٩م وعلى الرغم من أنه أعلن اعتناقه للعقيدة الكاثوليكية في الثامن عشر من شهر أكتوبر عام ١٣٦٩م؛ إلا أن رحلته في مجملها باءت بالفشل[3].

284-326; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 28; Imber, *The Ottoman Empire*, p. 11.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٣٧؛ ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص ٥١٦؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٧؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٣-١٣٤؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٣-٥٤؛ فاتان،"صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١"، ص ٥١؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٤.

[1] الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين للبندقية والدولة العثمانية، ص ٣٧-٣٨.

[2] فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص ٥١-٥٢.

[3] لمزيد من التفاصيل عن رحلة حنا الخامس للبندقية انظر:

الجدير بالذكر أن ديميتريوس كيدونيس الذي قد رافق حنا الخامس في رحلته رجع إلى القسطنطينية قبل الإمبراطور البيزنطي، فوجد فيها وفد عثماني من قبل السلطان مراد الأول يطلب عودة مدينة غاليبولي لحوزتهم مرة ثانية، وعلى الرغم من أن جميع الظروف كانت سيئة للغاية بسبب عدم وجود مساعدات غربية ذات فعالية كبيرة ومستمرة، فضلاً عن أن أندرونيكوس الرابع – الذي كان يحكم القسطنطينية نيابة عن والده – والإمبراطورة آنا كانا يريدان استرضاء السلطان العثماني مراد ووصل بهم الحال إلى درجة أنه لم يكن لديهم مانع أو غضاضة من تسليم غاليبولي له؛ إلا أن ديميتريوس كيدونيس لم ينصع لهما وسعى جاهدا للحصول على دعم خارجي من خلال إقامة تحالف بيزنطي صربي، فأرسل البطريرك فيلوسيوس كوكينوس Philotheos Kokkinos على رأس سفارة بيزنطية إلى الحاكم الصربي لمدينة سيريس حنا أوجلجيشا وأخيه فوكاشين Vukašin – حاكم المنطقة التي تحتوي على مدن بريليب، سكوبج و أوخريدا الصربية – وعلى الرغم من أن التحالف البيزنطي الصربي لم يتم بشكل تام وجاد؛ إلا أنه دفع الصرب للدخول في معركة ضد العثمانيين عند تشيرنومين Crnomen الواقعة على نهر ماريكا Marica، وانتصر فيها

Thiriet, *Sénat*, I, nos.507,510;D?lger, *Regesten*,Teil.5., no. 3127, p. 59-60; Chalkokondylas, *Historiarum libre Decem* , p. 46-47; Caroldo, *Chronicle* .Partially ed. by. Chrysostomides , J., " Studies on Chronicle of Caroldo", pp. 123-182; Loenertz, "Jean V Paleologue a Venise (1370-1371)", pp. 217-232; Chrysostomides, "John V Paleologus in Venise (1370-1371) and Chronicle of Caroldo", pp. 76-84; Thiriet, F.," Les Chroniques Venitiennes ", pp. 241-291. cf. also. Setton, *Papacy and the Levant*, vol.1, pp. 315-320; Halecki, *Un Empereur de Byzance à Rome*, pp. 227-234; Frances, *Demetrius Cydones (c.1324-c.1397): Intellectual and Diplomatic Relations Between Byzantium and the West in the Fourteenth Century*, p. 174-175,192-196; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 304-308; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 28; Imber, *The Ottoman Empire*, p. 11.

راجع أيضا: فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص ٥٣.

العثمانيون، ولكنها شغلت العثمانيين عن مطلبهم الخاص بعودة غاليبولي لفترة من الزمن [1].

كان من أبرز نتائج معركة ماريكا " تشيرنومين " عام ١٣٧١م؛ أنها فتحت الطريق أمام العثمانيين إلى الصرب ومقدونيا وشمال بلاد اليونان؛ ولقي أميران صربيان حتفهما فيها، وكذلك خضوع الصرب للعثمانيين بدفع جزية سنوية لهم[2].

وقد حزن الإمبراطور حنا الخامس حزنا شديدا عندما علم بتلك التطورات السيئة وأدرك ازدياد خطورة ونفوذ العثمانيين في المنطقة، وعاد إلى القسطنطينية في الثامن والعشرين من أكتوبر عام ١٣٧١م بعد أن ضاقت به السبل وفشل في الحصول على عون خارجي، فلم يعد أمامه سوى التفاوض مع السلطان العثماني مراد الأول؛ ولكنه انشغل عقب عودته ببعض الإجراءات

---

(١) Demetrios Kydones, *De Admittendo Latinorum Subsidio* in. MPG, vol. CLIV, Cols. 1009-1036; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.II., p.293; Philothée Kokkinos, MPG 151, cols. 551-656. cf. also. Barker, J., *Manuel II Palaeologus (1391-1425)* , pp. 16,460; Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, pp. 321-322; Charanis, " Internal Strife in Byzantium during the Fourteenth Century ", p. 297; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 242; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 273-275; Imber, *The Ottoman Empire*, p. 11.

راجع أيضا: إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٣؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٨؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٦.

– لقد بلغ عدد القوات العثمانية المشاركة في تلك المعركة ما يقرب من عشرة آلاف جندي، أما القوات الصربية بلغت حوالي أربعون ألف أو أربعة وستون ألف مقاتل انظر:

Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 275.

راجع أيضا: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٣٩–٤٠.

(٢) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 275.

راجع أيضا: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٦.

لحماية عرشه من بعض أنصار حنا كانتاكوزينوس في القسطنطينية الذين كانوا من المرجح أنهم وراء عصيان ابنه له أثناء غيابه[٣].

في ربيع عام ١٣٧٣م حدثت معاهدة صلح وسلام بين العاهلين البيزنطي والعثماني، لأن حنا الخامس أدرك أن مقاليد الأمور أصبحت بيد السلطان العثماني وأنه يأس من وصول أي إمدادات غربية لمساعدته ضد العثمانيين، وذلك على الرغم من أنه في مستهل عام ١٣٧٢م عقد البابا جريجوري الحادي عشر Gregory XI (١٣٧٠-١٣٧٨م) مؤتمراً في طيبة Thebes في بلاد اليونان دعا فيه ملوك الغرب للوقوف ضد العثمانيين ولكن لم يأت هذا المؤتمر بأي نتائج عملية وفعلية؛ لذلك تم توقيع اتفاقية الصلح السابقة والتي كان من أهم بنودها: أولا: دفع الإمبراطور البيزنطي للسلطان العثماني جزية سنوية، ثانيا: وضع القوات البيزنطية تحت أمر السلطان العثماني في حالة الحاجة إليها، ثالثا: السماح للعثمانيين بدخول العاصمة القسطنطينية دون قيد أو شرط، رابعا: السماح للإمبراطور البيزنطي بحرية حكم ما تبقى في يده من الإمبراطورية البيزنطية تسالونيكا والمورة وبعض الجزر،خامسا: أن يصبح الإمبراطور البيزنطي تابعا للسلطان العثماني[١].

---

(٣) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol. 2, pp. 301-302.cf. also. Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 275-276.

(١) Chalcocondles, *Historiarum*, p. 38; Eng. Trans., *Books I-III*, p. 131; D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos.3136,3138., p.61; Raynoldus, 1372, no. 29, 1373, no.2.cf. also. Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, pp. 322-323; Charanis, " Internal Strife in Byzantium", p. 293; Dennis, "Manuel II, p.34; Inalcik, "The Emergence of The Ottoman", p. 275; Halecki, *Un Empereur de Byzance à Rome*, pp. 254-260; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 135-136; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 28; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 276-277; Ostrogorsky," The Palaeologi", p. 372; Schevill, *The Balkan Peninsula*, p. 184; Setton,Catalan Domination, pp. 77-78; Taeschner, " The Ottoman Turks to 1453 ", p. 763; Waugh, " The Councils of Constance and Basle ", p. 429.

راجع أيضا: أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٢؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص ٥٣؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٩؛

يبدو أن العامل الرئيسي وراء توقيع الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس هذه المعاهدة المهينة هو رغبته في المحافظة على ما تبقى من شراذم من الإمبراطورية البيزنطية في يده؛ ولكن في الواقع تعد تلك الاتفاقية معاهدة استسلام وخضوع أكثر من كونها معاهدة سلام مع الدولة العثمانية[٢].

وفي أوائل عام ١٣٧٣م صاحب الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس السلطان العثماني مراد في حملته على آسيا الصغرى؛ ليحارب تحت رايته، لتصبح بيزنطة ولاية تابعة للعثمانيين، مما جعل البابوية تعتبره على الرغم من اعترافه بالكاثوليكية ضمن حلف الكفار – العثمانيين – [٣].

وفي شهر أكتوبر عام ١٣٧٤م دعا البابا جريجوري الحادي عشر فرسان الإسبتارية، ومملكة صقلية، وجنوا، والبندقية، ولويس ملك المجر للقيام بحملة صليبية ضد العثمانيين، ولكن فشل مشروع تلك الحملة بسبب انشغال ملك المجر بأموره الداخلية وجنوا و البندقية بالحرب بينهما والتي استمرت عشرة سنوات[١].

على أية حال أثناء غياب حنا الخامس في حملته على آسيا الصغرى مع السلطان العثماني جعل ابنه أندرونيكوس نائبا عنه في القسطنطينية؛ إلا أن الأخير استغل فرصة غياب والده وقام بحركة عصيان ضده متحالفا مع ابن السلطان العثماني مراد الذي يدعى ساووجي Sawgi (ساووجي جلبي – تعني السيد المهذب – Saudzi Celebi) الذي قام هو الأخر بحركة تمرد ضد والده في نفس الوقت وقام الاثنان بحركتهما الانقلابية في أول شهر مايو عام ١٣٧٣م للإطاحة بوالديهما العاهلين البيزنطي والعثماني وعندما علم العاهلان بذلك أرادا

صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣٧-١٣٨.

[٢] صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٣٩.

[٣] Chalcocondles, *Historiarum*, pp. 38-39; Eng. Trans., *Books I-III*, pp. 131-132;

D?lger, *Regesten*,Teil.5., nos.3136,3138., p. 61. cf. also. Halecki, *Un Empereur de Byzanceà Rome*, pp. 254-260; Nicol , *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 276-277.

[١] Raynoldus, 1374,no.7.cf. also. Dennis, Manuel II, p. 35; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 277-278.

القضاء على تلك الثورة بأي شكل من الأشكال ومهما كانت الخسائر؛ ولذلك خرج جيش بيزنطي عثماني- كانت الأغلبية للعثمانيين في هذا الجيش- لمحاصرة المتمردين المتمركزين على نهر ماريكا والقضاء على ثورتيهما التي انتهت بوفاة ساووجي متأثرا بجراحه، والتخلص من معاونيه الذين ساندوه في تلك الثورة في نهر ماريكا مباشرة، وكذلك تم سمل إحدى عيني أندرونيكوس وابنه حنا الذي كان لا يزال طفلا وسجنه في قلعة أنيماس Anemas الواقعة أمام أسوار القسطنطينية وحرمانه من العرش ليصبح أخيه مانويل الوريث الشرعي والإمبراطور المشارك لوالده، وكذلك تم تدمير أسوار مدينة غاليبولي؛ وكان ذلك كله بأوامر صادرة من السلطان العثماني لحنا الخامس بعد أن توعده بالويل والثبور إن خالف تعليماته(٢).

(٢) Annales Georgii Phrantzae, pp. 50-51; Clavijo, *Embassy to Tamerlane, 1403-1406*, pp. 85-86; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 79-80; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.II, pp. 304-305. cf . also. Alix, *Precis de le Histoire de L' Empire Ottoman*, pp. 16-17; Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp. 19-23; Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 323; Charanis, "Internal Strife in Byzantium", pp. 294-296; Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p. 25; Dennis, "The Reign of Manuel II in Thessalonica, 1382-1387", p. 34; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, p. 149; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, pp. 23-24; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 254-255; Lavallee, *Histoire de L' Empire ottoman*, p. 145; Loenertz, R.," La premier Insurrection d' Andronic IV Palaeologu (1373)"; *EO.*, Tom.,38, (1939), pp. 337-339; Ostrogorsky, "The Palaeologi ", p. 372; Idem, *History of the Byzantine State*, p. 542; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 119; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 277-278; Pears, *The Destruction of the Greek Empire and the Story of the Capture of Constantinople by the Turks*, 94.

راجع أيضا: فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص٥٣-٥٤؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٩؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣٩-١٤٤؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٧.

وفي تلك الفترة نشب صراع بين الجمهوريتين الإيطاليتين جنوا والبندقية حول جزيرة تينيدوس(بوزجا آدا) لتحكمها في مدخل الدردانيل، والـــذي انتهـــى لصالح البندقية بفضل حنا الخامس ومؤيديه في الجزيرة، مما جعل جنوا تتـــدخل لتهريب ابنه أندرونيكوس من سجنه إلى غلاطية والذي قام فيها بعمل اتصالات مكثفة مع السلطان العثماني مراد الأول من أجل مساعدته ضد والـــده وإقامتـــه على سدة الحكم مقابل الاعتراف بالتبعية، دفع جزية سنوية، والتنازل عن مدينة غاليبولي له؛ فوافق السلطان مراد وقدم له العون للوصول للعرش بأن أمده هـــو والجنوية بالقوات اللازمة لتحقيق ذلك، ثم قام أندرونيكوس الرابع بالقبض علـــى والده وأمه وإخوته وزج بهم جميعا في السجن و بعدها سلم مدينة غاليبولي عام ١٣٧٦-١٣٧٧م للسلطان العثماني وأقر الشروط السالفة الذكر التي فرضها على نفسه في حالة جلوسه على العرش البيزنطي[1].

- يرجع السبب وراء انقلاب كل من أندرونيكوس وساوجي علي والديهما إلى أنهما قد شعرا بالظلم نتيجة استبعادهم من ولاية العهد وتفضيل إخوتهم عليهم. انظر: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٠.

(١) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 311-317; Caroldo, *Chronicle.* Partially ed. by. Chrysostomides, p.170-171; D?lger, *Regesten*,Teil.*5*., nos. 3152, 3155, 3156, p. 64; Annales Georgii Phrantzae, p. 54; Clavijo, *Embassy to Tamerlane*, p. 86; Doukas, *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 80. cf. also. Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp. 23-30; Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 323; Charanis, " Internal Strife in Byzantium during the Fourteenth Century ", p. 296; Dennis, The Reign of Manuel II Palaeologus in Thessalonica, 1382-1387, pp. 27-29,37-40;Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 152-153; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 244; Lavallee, *Histoire de L' Empire ottoman*, p. 148; Ostrogorsky, "The Palaeologi ", p. 372; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, pp. 120-121; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 312-313; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 278-379; Pears, *The Destruction of the Greek Empire and the Story of the Capture of Constantinople by the Turks*, p. 94; Thiriet, "Venise et l' Occupation de Tenedos au XIV siecle", pp. 219-245.

راجع أيضا: إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٤؛ فاتان، " صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١ "، ص٥٤؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور

وهنا ضاعت الجهود التي بذلتها الحملة الصليبية تحت قيادة الكونت أماديو السادس السافواي والتي قد باركها البابا أوربان الخامس في عام ١٣٦٦م سدى وعادت مدينة غاليبولي إلى العثمانيين دون قتال وكان الثمن جلوس الإمبراطور أندرونيكوس الرابع على عرش بيزنطة[1].

بعد أن قضى حنا الخامس وأبناءه ثلاث سنوات في السجن (١٣٧٦-١٣٧٩م) بقلعة أنيماس استطاعوا الهرب في يناير ١٣٧٩م منها بمساعدة بندقية، مولين وجوههم شطر آسيا الصغرى لمقابلة السلطان العثماني في سكوتاري للاستنجاد به، وعقد معه حنا الخامس اتفاقية كان من أهم بنودها إعادة الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس إلى عرشه المغتصب، وتعهد الأخير بدفع جزية سنوية للسلطان العثماني مقدارها ثلاثين ألف بيزنط Byzant، تخصيص فرقة عسكرية بيزنطية يتراوح عددها مابين اثنى عشر واثنين وستين ألف من المشاة والفرسان للاشتراك في الحملات العثمانية وتكون تحت أمر السلطان العثماني في أي وقت يحتاج إليها، إلى جانب الاعتراف بالسلطان العثماني مراد سيدا لهم، واعتبار أعداء وأصدقاء مراد أعداء وأصدقاء لحنا الخامس، وكذلك التنازل عن فيلادلفيا أخر المعاقل البيزنطية في آسيا الصغرى للسلطان العثماني ومساعدته في تحقيق ذلك [2].

الوسطى، ص ١٦٩؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٤-١٤٦؛ محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص ٥٨.

(١) صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٧.

(٢) Annales Georgii Phrantzae, p. 54-55; Clavijo, *Embassy to Tamerlane,1403-1406*, p. 86; *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus Constantinopolitani*, MCCCX-MCCCCII,vol.2, Tomus Posterior, ed by. Miklosich.Fr. et Müller. Ios, Vindobonae, MDCCCLXII, pp. 1-8; Chalcocondles, *Historiarum*, p. 38; Eng. Trans., *Books I-III*, pp. 131-132; Charanis," An Important Short Chronicle ", p. 354; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,p.80; cf. also, Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp.31-35; Charanis, " Internal Strife in Byzantium ", p. 299; Dennis, Manuel

ولكي يكسب السلطان العثماني مراد شرعية لقيامه بعزل أنـــدرونيكوس الرابع – الذي أصبح عديم الجدوى له بعد أن قدم والده تنازلات لا مثيل لهـــا – وإعادة حنا الخامس على العرش؛ عمل استفتاء شعبي في العاصمة القسطنطينية حول حنا الخامس والذي جاءت نتائجه لصالحه و لذلك قدم مـــراد لـــه العـــون لاستعادة عرشه(١).

يعلق نيكول على ما سبق قائلا " وفي ظـــروف غامضـــة تمكـــن حنـــا الخامس وابنيه الهروب والعبور على قارب إلى سكوتاري إلى بلاط مراد حيث لم يكن أمامه مكان أخر يمكنه اللجوء إليه، لأن السلطان العثماني أصـــبح فـــي وضع جعله صانع الملوك " (٢).

من الملاحظ أن التوسع العثماني السريع ساعد إلى حد كبير على زيادة روح الانهزامية واليأس ليس فقط داخل الإمبراطورية البيزنطية فحســـب؛ بـــل امتد ليشمل باقي الأمم البلقانية الأخـــرى مثـــل الصـــرب والبلغـــار وغيرهـــا،

II, p. 41;Gibbons , *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 154; Hammer, *Histoire De L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 296-297; Hidden , *The Ottoman Dynasty*, p. 30; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 244; Lavallee, *Histoire de L' Empire Ottoman*, p. 148; Ostrogorsky, "The Palaeologi ", p. 372-373; Idem, *History of the Byzantine State*, p. 543; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, pp. 128-129; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 280-281; Pears, *The Destruction of the Greek Empire*, p. 94; Schreiner, P., " Zur Geschichte Philadelphion im 14.Jahrhundert (1293-1390) ",*OCP*, vol.35,1969, pp. 404-405; Waugh, " The Councils of Constance and Basle ", p. 429.

راجع أيضا: حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من نشأتهم حتى الآن، ص٣٩؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٨-١٤٩.

(١) Annales Georgii Phrantzae, pp. 55-56.cf. also. Charanis, " Internal Strife in Byzantium ", p. 299.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٩.

(٢) Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 281.

وأصبحت السيكولوجية السائدة في ذلك الوقت هي التعاون والخضوع والإذعان للأتراك سواء كان على مستوى الطبقات الأرستقراطية ذات التقاليد الرفيعة أو على مستوى الفقراء الذين أصبحوا يفضلون الحكم العثماني على حكامهم الأصليين، ربما لأنهم وجدوا في هذا التوسع حتمية إلهية(٣).

خلال الفترة الممتدة من عام ١٣٧٩م إلى عام ١٣٨١م شبت حرب أهلية جديدة بين أندرونيكوس الرابع و حنا الخامس ساعدت البندقية فيها الأخير بحريا، بينما ساعده العثمانيون بريا لمحاصرة غلاطية التي كان أندرونيكوس متحصنا فيها وبعد فترة توصل الطرفان إلى تسوية وضع السلطان العثماني بنودها وهي إعادة أندرونيكوس وابنه حنا السابع كورثة شرعيين للعرش بعد وفاة حنا الخامس وذلك بعد أن حرموا منه رسميا عام ١٣٧٣م، وكذلك منح أندرونيكوس حكم مناطق سيليمبريا Selymbria، دانيون Daneion، وهرقليا Herakleia، ورايديستوس Rhaidestos، وبانيدوس Panidos (٤).

---

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر:

Beldiceanu," La Conquete d'adrinople par les Turcs: La Penetration Turque en Thrace et la Valeur des Chroniques Ottoman ", pp. 486-489; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 244; Vryonnis,S., *The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth Century*, pp. 408-421.

(٤) *Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi Sacra et Profana Acta Patriarchatus Constantinopolitani*, vol.2 ,Tomus Posterior, pp. 25-27; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman*, pp. 80-81; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, pp. 323-324.cf. also. Charanis, " Internal Strife in Byzantium during the Fourteenth Century ", p. 300; Dennis, Manuel II, p. 41; Hidden, *The Ottoman Dynasty*, p. 30; Lavallee, *Histoire de L'Empire ottoman*, p. 149; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 129; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 282.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٠-١٥١؛ فاتان، "صعود العثمانيين ١٣٦٢-١٤٥١"، ص ٥٦.

في الثاني من شهر نوفمبر عام ١٣٨٢م وقعت اتفاقية أخرى بين حنا الخامس وأندرونيكوس الرابع وجنوي غلاطية نصت على مساعدة بعضهم البعض ضد أي اعتداء خارجي فيما عدا مراد وأتراكه، بل والاعتراف بالتبعية والولاء له [١].

مهما يكن من أمر، فإن تلك النزاعات الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية كانت لها دلالات خاصة كان من أبرزها أن الأباطرة البيزنطيين أصبحوا ألعوبة في أيدي المدن الإيطالية والعثمانيين بشكل خاص؛ وبنظرة أكثر عمقا للمشهد السياسي نجدهم تابعيين لهم، وأن الإمبراطورية البيزنطية أصبحت مقسمة كما يلي الإمبراطور حنا الخامس قابع في العاصمة القسطنطينية، أندرونيكوس الرابع في سيليمبريا، ومانويل في مدينة تسالونيكا، وثيودور الأول (١٣٨٢-١٤٠٦) الابن الثالث لحنا الخامس يحكم ميسترا؛ وهو الوحيد الذي استطاع تثبيت نفوذ بيزنطة في المورة التي أصبحت أفضل حالا من العاصمة[٢].

مما تجدر الإشارة إليه أنه منذ اتفاقية مايو ١٣٨١م نهج مانويل سياسة عدائية تجاه العثمانيين الذين حرموه من ولاية العهد بعد وفاة والده؛ ولذلك قام بشن هجوم على المنطقة الخاضعة للحكم العثماني في شمال شرق تسالونيكا أسفر عن سقوط مدينة سيريس في يده وتخلص من القوة العثمانية المرابطة فيها قتلا عام ١٣٨٣م [٣].

---

(١) D?lger, *Regesten,Teil.5.*, nos.3177,3178, pp. 68-69.cf. also. Barker, *Manuel II* Palaeologus, pp. 40-42; Dennis, Manuel II Palaeologus, p. 47-48; Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 130; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, pp. 283-384.

راجع أيضا: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ ٢، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٦٤.

(٣) Annales Georgii Phrantzae, p. 47;Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*, vol.2, p. 326.cf. also. Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, pp. 323-324; Charanis, "Internal Strife in Byzantium during the Fourteenth Century ", pp. 300-301; Dennis, The Reign of Manuel II Palaeologus in

عندما تطايرت الأخبار ووصلت إلى أسماع السلطان العثماني مراد بهذا التطاول الغير معهود من الجانب البيزنطي أصدر أوامره على الفور بخروج جيش عظيم العدد والعدة تحت قيادة رئيس وزرائه خير الدين باشا Hayr Ad-Din وإفرينوس لاستعادة السيطرة على المدن والسهول الساحلية في إقليم تراقيا الغربية بالكامل بين نهري ميستا Mesta (نيستوس Nestos) وستروما Struma (ستيرومون Strymon) ولتأديب مانويل على فعلته الشنعاء، وبالفعل وصلت القوات العثمانية إلى تلك المنطقة وفرضت على مدينة سيريس الحصار واستعادتها في التاسع عشر من سبتمبر عام ١٣٨٣م، ثم فعلوا بحاميتها مثلما فعل مانويل بالقوة العثمانية التي كانت ترابط فيها؛ ألا وهو ذبحهم جميعا، ثم واصلوا تحركهم صوب مدينة تسالونيكا ذات التحصينات والأسوار العالية والتي كان مانويل قابعا فيها، ففرضوا عليها الحصار(١).

بعد فترة طويلة من الحصار العثماني لمدينة تسالونيكا أدرك مانويل حقيقة سقوطها لا محالة في أيدي العثمانيين وخصوصا بعدما تخلى عنه العالم الخارجي والداخلي، فقد طلب العون العسكري والمادي من البندقية عام ١٣٨٥م و لكنها رفضت، وكذلك طلب المساعدة في نفس العام من البابوية ولكنها وضعت شرط الاتحاد الكنسي أولا ثم المساعدة ثانيا و هذا لم يحدث مطلقا، والوحيد الذي ربما يكون مهتما بالأمر كان ملك المجر لويس الأول العظيم ولكن وافته المنية عام ١٣٨٢م؛ أما داخليا فقد تخلى عنه أخوه ثيودور الأول حاكم المورة بسبب انشغاله بالأمور الداخلية في إمارته، ولذلك قرر الفرار والنجاة بنفسه، وقد تشاور في هذا الأمر مع ديميتريوس كيدونيس الذي أشار عليه بعدم

Thessalonica, 1382-1387, pp. 73-76; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp.151; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, p. 259.

(١) Annales Georgii Phrantzae, pp. 47-48;Schreiner,Chronica *Byzantina Brevior*,vol.2, pp. 326-327.cf. also. Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, p. 324; Browning, *The Byzantine Empire*, p. 172;Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 151; Inalcik, " The Ottoman Turks and the Crusades 1329-1451", p. 245; Nicol, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 286; Ostrogorsky," La Prise de Serres Par les Turcs", *B*, vol, 35, (1965), pp. 302-319.

راجع أيضا: صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٢-١٥٣.

اللجوء إلى أي دولة أجنبية؛ ولذلك قرر الذهاب إلى العاصمة القسطنطينية في السادس من أبريل عام ١٣٨٧م، ولكنه صدم من موقف والده منه الذي رفض دخوله خوفا من عواقب ذلك، وكذلك رفض الجنوي فرانسسكوا جاتيلوسيو Francesco Gattilusio حاكم ليسبوس استضافته[٢].

هكذا ضاقت الدنيا بمانويل، ولم يكن أمامه من طريق سوى أن يذهب إلى بروسة حيث خصمه القوي السلطان العثماني مراد الأول وحاول تقبيل قدميه وأعلن طاعته وولاءه وتبعيته له وطلب منه الصفح والعفو عنه، فاستقبله مراد بحفاوة بالغة وأحسن وفادته وأكرمه كرما شديدا وقبل اعتذاره؛ بل تشفع له عند والده حنا من أجل السماح له بدخول العاصمة القسطنطينية[١].

الجدير بالذكر أنه أثناء حصار العثمانيين لمدينة تسالونيكا حاول أندرونيكوس الرابع القيام بثورة جديدة ولكن وفاته في الثامن والعشرين من شهر يونيو سنة ١٣٨٥م أنقذت الإمبراطورية البيزنطية من فوضى واضطراب

---

[٢] في نفس العام – ١٣٨٧م– عقدت اتفاقية بين السلطان العثماني مراد الأول والجنويين. لمزيد من التفاصيل عنها. انظر:

Kate Fleet, The Treaty of 1387 between Murād I and the Genoese, *BSOAS*, (1993), vol. 56, No. 1 pp. 13-33.

[١] Annales Georgii Phrantzae, pp. 46,48-49; D?lger , *Regesten*,Teil.5., no.3181b, p. 70;

Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, p. 81; *Monumenta Peloponnesiaca*,no.28, pp. 60-61; Charanis," An Important Short Chronicle", p. 359; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*,vol. II, pp. 328,332-333; *The Short Chronicle of Lesbos 1355-1428*, pp. 14,17. cf. also. Barker, *Manuel II Palaeologus*, pp. 55,59-63; Charanis, " Internal Strife in Byzantium", pp. 301-302; Dennis, Manuel II, pp. 121-125,156-157; Gibbons, *The Foundation of The Ottoman Empire*, pp. 152; Hammer, *Histoire de L' Empire Ottoman*, Tom. 1, pp. 259-260; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 326-327; Idem, *The Last Centuries of Byzantium*, p. 286-287.

راجع أيضا: الأمين عبد الحميد أبو سعدة، العلاقات السياسية بين البندقية والدولة العثمانية، ص ٤٨.

جديد، وعاد مانويل كوريث شرعي ثانية[٢]، وهكذا أوضحت سلسلة الحروب الأهلية بين حنا الخامس وابنه أندرونيكوس الرابع مدى الضعف و الهوان الذي كان حليفا للأباطرة البيزنطيين الذين أصبحوا مجرد دمى وقطع شطرنج يحركها السلطان العثماني متى يشاء وكيفما يشاء حسب مصالحه الشخصية[٣].

على أية حال غرقت الإمبراطورية في حرب أهلية جديدة بين حنا السابع (١٣٨٩-١٣٩٠) وجده حنا الخامس، وقد أجرى الأول عدة اتصالات مع السلطان العثماني من أجل مساعدته؛ ولكن السلطان العثماني مراد الأول كان مشغولاً في معركة كوسوفو في الخامس عشر من يونيو ١٣٨٩م والتي انتهت بمقتله، ثم تولى من بعد السلطان بايزيد الأول (١٣٨٩-١٤٠٢م) الذي انشغل بتوطيد نفوذه في آسيا الصغرى؛ حيث سيطر على فيلادلفيا أخر المدن البيزنطية الآسيوية بمساعدة كل من حنا الخامس وابنه مانويل عام ١٣٩٠م؛ ثم تدهورت الحالة الصحية لحنا الخامس بشكل سريع حتى وافته المنية في السادس عشر من أبريل ١٣٩١م[٤].

---

(٢) Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*,vol.II.,p.330. cf. also Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, pp. 130-131.

راجع أيضا: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٧٠-١٧١.

(٣) Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 130.

(٤) *Ignatius of Smolensk, in Russian Travelers to Constantinople in the Fourteenth and Fifteenth Centuries*, ed. by. Majeska. G., Washington,1984, pp. 100-101; Doukas, *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, pp. 81-82; Schreiner, *Chronica Byzantina Breviora*,vol.II, pp. 338-340,345. cf. also.Necipoglu, *Byzantium Between Ottoman and the Latins*, p. 131; Reinert, S. W, From Niš to Kosovo Polje.Reflections on Murad I'S Final Years, in. Zachariadou, E.,(ed.) The Ottoman Emirate (1300-1389), Crete, 1993, pp. 169-212; Zachariadou, E ., "John VII (Alias Andronicus) Palaeologus", *DOP*, vol. 31.(1977), p. 339

راجع أيضا: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ١٧١؛ صلاح محمد ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٧-١٦٣.

- لمزيد من التفاصيل عن معركة كوسوفو التي دارت في الخامس عشر من يونيو عام ١٣٨٩م بين الصرب والعثمانيين. انظر:

مما سبق يتضح أن العثمانيين استغلوا ما كانت تعانيه الإمبراطورية البيزنطية من ضعف وهوان وقاموا بالاستيلاء على العديد من المدن البيزنطية الآسيوية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، ثم عبرت القوات العثمانية الجانب الأوروبي للأراضي البيزنطية مع بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وأهم القلاع و المدن البيزنطية التي سقطت في تلك الفترة قلعة تزيمب، ومدينة غاليبولي وأدرنة ومدينتي فيليبوبوليس وساجراي، ومن أهم المعاهدات بين الجانبين البيزنطي والعثماني معاهدة الصلح والسلام في ربيع عام ١٣٧٣م، ومعاهدة يناير ١٣٧٩م.

ثانيا: سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه المماليك:

لقد تحالف السلطان بيبرس مع ميخائيل الثامن باليولوجوس عام ١٢٦٢م ، وأرسل إليه سفارة على رأسها الأمير فارس الدين آقوش المسعودى، وتضم عددا من الأساقفة الملكانيين – أتباع مذهب الإمبراطورية البيزنطية – وفى القسطنطينية رحب بهم الإمبراطور البيزنطي وأكرمهم، واستمرت العلاقات الودية بين سلطنة المماليك والإمبراطورية البيزنطية طوال عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن وابنه الإمبراطور أندرونيكوس الثاني الذي اتبع نفس نهج أبيه ميخائيل الثامن باليولوجوس تجاه سلطنة المماليك، حيث تبادل الطرفان العديد من السفارات المحملة بالهدايا الثمينة كدليل على حسن العلاقات بينهما [1] .

Mihaljcic, R.,"Les Batailles de la Maritza et Kosovo ", in Byzantium and Serbia in the 14Th Century, Athens, 1996, p. 104 ; Miller, " The Balkans States . The Turkish Conquest ", p. 558; Dinic,"The Balkans ", p. 550; Fine, *The Late Medieval Balkans*, p. 410; Nicol, *The End of Byzantium Empire*, p. 63.

راجع أيضا: أسد رستم، الروم، جـ٢، ص ٢٦٠؛ إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص٢٨؛عماد أمين محمد، الصرب، ص ٢٢٩–٢٣٠؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٥٩؛ ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٣، ص ٥١٦–٥١٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة، جـ٢، ص ٩٨٩.

[1] لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات " تاريخ الدول والملوك "، المجلد السابع، بيروت، ١٩٤٢، ص ٢٢٩–٢٣٥؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،جـ ٧، القاهرة، د.ت، ص ٣٠٣–٣٠٥؛ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،جـ ٩، ص ٣٣٧. راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في

لقد سادت علاقات الود بين الإمبراطور أندرونيكوس الثالث وبين سلطنة المماليك طوال عهده، فقد بعث السلطان الناصر محمد بن قلاوون [١] سفارة إلى العاصمة القسطنطينية في عام ١٣٣٠م ومعهما خطابا سلمته للإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث [٢].

مصر والشام، ص ٢٧٢- ٢٧٥؛ قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى دراسة وثائقية، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٩٤-٩٥؛ نفسه، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٩٦؛ ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك (٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦١- ١٣٨٢م) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ٤٦، ٤٧ لسنة ١٩٨٦، ص ٩٣-١٠٦؛ ناهد عمر صالح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ٨٧-٩٠؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٢٨.

(١) السلطان الناصر محمد بن قلاوون، اعتلى العرش لأول مرة ولم يتجاوز التاسعة من عمره، ولذلك يمكن القول أن سلطنته الأولي التي امتدت من ١٢٩٣م وحتى عام ١٢٩٤م كانت اسمية وأن السلطة الفعلية تركزت في أيدي مجموعه من كبار الأمراء، وسلطنته الثانية من ١٢٩٨ – ١٣٠٨م عقب مقتل السلطان المنصور لاجين (١٢٩٦-١٢٩٨م)، والثالثة من عام ١٣٠٩م وحتى عام ١٣٤٠م. ولمزيد من التفاصيل انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ١٠٩-١١٠، ١٣٥؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ص ١٢٨ -١٢٩؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٢٨ هامش (٢).

(٢) نص الخطاب هو " نتمنى من الله عز وجل، أن يهب الصحة والعمر الطويل للإمبراطور الأعظم والأقوى والرحيم والأكثر رجولة وشجاعة والحكيم في أفعاله والأسد في طباعه أندرونيكوس والأعلم بأمور دينه ودنياه والأعدل في إمبراطوريته وحامى عقيدة المسيحيين، وسيد المُعَمدين وشرف للمسيحية وجميع المسيحيين وسيد إقليم مقدونيا وسيد الهيلينين، وأفضل من ملك بلغاريا، وسيد الولاش Vlachia واللان Alania، وسيد Tauro Scythians- يقصد بهم الروس Rus- وملك جورجيا Georgia والأتراك. وحفيد الأباطرة الرومان، وسيد البحرين والأنهار وسليل دوكاس أنجيلوس كومنينوس Doukas Angelos Komnenos Palaiologos وفى النهاية أتمنى لكم العز والدوام في إمبراطوريتكم" . انظر:

Regel, W., Analecta Byzantino- Rossica.ed.partly.in Korobeinikov. D, Diplomatic Correspondence Between Byzantium and The Mamluk Sultanate in Fourteenth Century, *AL- Māsaq*, Vol. 16, No. 1 , March, 2004, p. 60.

راجع أيضا: إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٢٨.

دامت علاقات الود بين سلطنة المماليك والإمبراطور أندرونيكوس الثالث، الذي أوفد بعثة دبلوماسية بيزنطية إلى بلاط السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون محملة بالهدايا الثمينة والقيمة الذي استقبلها استقبالا حافلا وأكرمهم، وكذلك موقف السلطان الناصر محمد من حوادث عام ٧٤٠هـ-١٣٣٩م والتي قام بها رعايا بيزنطيون، حيث أضرموا حريقا كبيرا بدمشق أضر كثير بعمارة المسجد الأموي وسوق الخيل فأوقع أضرارا بالغة بتجار المدينة وكان ذلك في منتصف شوال ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، فلم يطالب السلطان الناصر محمد حتى بأي تعويض من بيزنطة عن الخسائر التي وقعت بدمشق، بل نجده يؤنب نائبه في الشام على مقتل الراهبين البيزنطيين؛ فضلا عن استقباله سفارة بيزنطية تهدف تدعيم روابط الود بين الطرفين وبحث قضية البطريرك لازار Lazar [١] في أواخر عام ١٣٤٠م[٢].

على أية حال تبادلت الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك العديد من السفارات الرسمية من أجل استمرار العلاقات الطيبة بين الطرفين والتي كان

---

(١) البطريرك لازار Lazar، انتخب الأساقفة كالعادة لازار بطريرك على بيت المقدس، ثم ذهب إلى القسطنطينية ليصدق الإمبراطور أندرونيكوس الثالث على انتخابه، وفي نفس الوقت ذهب إلى هناك الراهب جراسيموس Gerasimus مع بعض رجاله ووجه إلى لازار اتهامات، كان لابد معها من عزله من منصبه غير أن الإمبراطور لم يعزله على أثر سماع اتهامات جراسيموس له واعتبر هذه الاتهامات مجرد هراء، ولذلك طلب من البطريرك لازار أن يظل بالقسطنطينية حتى يبحث الأمر، ولكن توفي أندرونيكوس الثالث وقامت حرب أهلية بين حنا السادس كانتاكوزينوس وحنا الخامس باليولوجوس أيد فيها لازار كانتاكوزينوس فعزله حنا الخامس من منصبه كبطريرك على بيت المقدس وعين بدلا منه جراسيموس بطريركا على بيت المقدس. انظر: ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ١١١، هامش رقم (١)؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٣٠ هامش (٢).

(٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، الجزء الرابع، مصر، ١٣٢٥هـ، ص١٣٢؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٤٩٥-٤٩٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٤، بيروت، ١٩٩٦، ص١٢٦. انظر أيضا: ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ١٠٧؛ إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٢٨-١٢٩.

من أهمها سفارة عام ١٣٣١م للبلاط البيزنطي من قبل السلطان المملوكي والتي سلمت بدورها خطابا إلى الإمبراطور البيزنطي والذي ظهر من خلاله مدى حرص السلطان الناصر محمد بن قلاوون على استمرار العلاقات الودية بينه وبين الإمبراطورية البيزنطية، وسفارة عام ١٣٣١م التي أرسلها الإمبراطور أندرونيكوس إلى السلطان الناصر محمد كرد على السفارة السابقة وكان الإمبراطور البيزنطي يهدف من ذلك تحييد دولة المماليك حتى تتفرغ بيزنطة لمواجهة الأخطار التي تهدد كيانها خاصة الأتراك التركمان والعثمانيون. أما بالنسبة للمماليك فكانت تهدف من وراء تلك السفارات المتبادلة هو استمرار العلاقات التجارية بين البلدين خاصة تجارة الرقيق الأبيض الذي يسمح البيزنطيون بمرورها عبر أراضيهم إلى مصر، حيث إن تلك التجارة تحقق أرباحا كثيرة فضلا عن أن المماليك كانوا يحتاجون الرقيق ليكونوا جندا مقاتلين في جيوشهم [٣].

أما عن العلاقات البيزنطية المملوكية في عهد الإمبراطور حنا السادس كانتاكوزينوس، فقد اتسمت بالعلاقات الودية من خلال السفارات المتبادلة بين الطرفين، فعندما تولى حنا كانتاكوزينوس سدة الحكم عام ١٣٤٧م بعث وفد دبلوماسي بيزنطي تحت قيادة بطريرك بيت المقدس لازار، ويرافقه الأرخون مانويل سرجوبولوس Manuel Sergopulus إلى سلطان مصر المملوكي الناصر حسن بن الناصر محمد، الذي أحسن وفادتهم ورد على حنا كانتاكوزينوس برسالة ظهر من خلالها مدى الحرص المملوكي على تدعيم أواصر الود بينه وبين الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس والحفاظ عليها [١].

أما عن باقي فحوى الخطاب فقد ركزت على أن تسود علاقات الود بين الطرفين، وحماية وحرية المسيحيين في مصر والأماكن المقدسة في بيت

---

[٣] إبراهيم مصباح، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية، ص ١٣٠.

[١] Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, p. 94; Eng.Trans, pp. 223-225; D?lger, *Regesten* Teil.5., no.2950, p. 21. cf. also. Korobeinikov, "Diplomatic Correspondence", pp. 61-62, Nicol, *The Reluctant Emperor*, pp. 101-102.

- لمزيد من التفاصيل انظر الملحق الثاني.

المقدس، وحل مسألة البطريرك لازار، وحماية التجار البيزنطيين، وفك أسر جميع البيزنطيين الموجودين بأراضيه (٢).

بذلك سادت علاقات الود بين الجانبين البيزنطي والمملوكي خلال عهد الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس، كما اتبع حنا الخامس باليولوجوس نفس سياسية أسلافه الودية مع دولة المماليك، فقد أرسل سفارة بيزنطية إلى بلاط السلطان المملوكي الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م) عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨-١٣٦٩م من أجل وقف الاضطهادات التي وقعت بالمسيحيين في مصر والشام، كرد فعل لحملة ملك قبرص لوزيجنان على الإسكندرية عام ١٣٦٥م (٣).

كما أرسل الإمبراطور حنا الخامس العديد من السفارات البيزنطية المحملة بالهدايا الثمينة إلى دولة المماليك، في أعوام ٧٧١هـ/١٣٦٩م، ٧٨٦هـ/ ١٣٧٥م،٧٨٦هـ/١٣٨٤م، و٧٨٧هـ/١٣٨٦م، التي كانت في مجملها تهدف إلى استمرار العلاقات الودية والصداقة بين الطرفين، وحماية التجارة بين البلدين(٤).

الخلاصة من العرض السابق أن العلاقات بين الدول البيزنطية وسلطنة المماليك البحرية اتسمت بالطابع السياسي الدبلوماسي، إذ تبادل الفريقان الرسل والسفراء طيلة هذا العصر، وسمح الأباطرة البيزنطيون للسفراء المصريين بعبور المضايق والأراضي البيزنطية في أمن وأمان، دون أن يتعرضوا لهم بسوء مع تسهيل سبل سفرهم إلى الجهات التي يريدون الذهاب إليها، ثم العودة إلى بلادهم بعد أداء العمل الذي عهد به إليهم في أمن وآمان أيضا، ونشطت الحركة التجارية بين مصر والقسطنطينية وذلك بفضل سماح

---

(٢) Cantacuzenus, *Historiarum*, vol.3, pp. 94-99; Eng. Trans. pp. 223-225.
راجع أيضا: ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ١١٠- ١١١.

(٣) المقريزي، السلوك، جـ٣، ق١، ص ١٦٩. راجع أيضا: ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ١١٤-١١٥.

(٤) المقريزي، السوك، جـ٣، ق١، ص ٢٥٤، ق٢، ص ٥٣٥؛ ابن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر بأبناء العمر، الجزء الأول، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٠٦. راجع أيضا: ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ١١٦-١١٧.

الأباطرة البيزنطيين للسفن المصرية بعبور مضايق البوسفور والدردانيل والبحر الأسود وهي محملة بالبضائع والتجار، واهتم الجانبان البيزنطي والمصري بالتجار وبسلامتهم وأمانهم [1].

الخاتمة

لقد قامت السياسية الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث (١٣٢٨-١٣٤١م) بشكل عام على محورين رئيسيين، الأول: هو محاولة الوقوف في وجه الخطر الصربي والعثماني والبلغاري بالحرب حينا والمهادنة أحيانا كثيرة، أما المحور الثاني: فهو الحصول على مساندة البابوية واستعادة الأجزاء المفقودة في شمال بلاد اليونان منذ الحملة الصليبية الرابعة.

أما السياسة الخارجية في عهد الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس (١٣٤١-١٣٩١م)؛ فيمكن تقسيمها بشكل عام إلى ثلاثة أقسام رئيسية، القسم الأول وهو الحرب الأهلية (١٣٤١-١٣٤٧م) ودور القوى الخارجية فيها، أما القسم الثاني فيركز على النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي؛ حيث تمثلت السياسة الخارجية البيزنطية بشكل رئيسي في تلك الفترة على الأطماع الصربية والعثمانية في الأراضي البيزنطية، أما القسم الثالث فيتناول النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي؛ وأهم ملامحه انفراد العثمانيين دون غيرهم من القوى الخارجية بالتوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية، وساعدها على ذلك انهيار المملكتين الصربية و البلغارية في نفس تلك الفترة.

---

[1] ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص ١١٧-١١٨.

وخلال هذه المحاولة – معالجة السياسية الخارجية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس– تعرض هذا العمل لعدة قضايا فرضها على البحث المنهج الذي اتبع في معالجة هذا الموضوع والمادة التاريخية التي أمكن الحصول عليها. ومن أهم هذه القضايا الحرب الأهلية (١٣٤١–١٣٤٧م) و أثرها على السياسية الخارجية البيزنطية ودور القوى الخارجية فيها. لذا كان لابد من دراسة الحرب الأهلية بوصفها العامل الرئيسي الذي مزق شمل الإمبراطورية البيزنطية الداخلية وبالتالي شجع عدوها الخارجي على التدخل في شئونها الداخلية والسيطرة على أملاكها.

لقد أمكن التوصل من خلال الدراسة إلى أن الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس هو المحرك الرئيسي للسياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية ليس فقط في عهده بل بدا ذلك واضحا وجليا منذ الحرب الأهلية البيزنطية الأولى(١٣٢١–١٣٢٨م) بوصفه الداعم المعنوي والمادي لحليفه أندرونيكوس الثالث؛ و يرجع إليه الفضل أيضا في كونه صانع الانتعاش الذي حل بالإمبراطورية البيزنطية خلال عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث وهذه أولى نتائج البحث.

ومن القضايا الهامة التي تعرض لها هذا البحث هي العلاقات البيزنطية العثمانية، وأمكن التوصل من خلالها إلى أن العثمانيين كان لهم وحدة هدف وصف في مواجهة أعدائهم، ومدى سماحة قادتهم وعدلهم في المدن البيزنطية التي فتحوها، حيث إنهم لم يقوموا بأي إجراء تعسفي أو قهري ضد أهلها بل سمحوا لهم بحرية ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية والاعتماد على قادة المدن البيزنطية المفتوحة – مثل إفرينوس حاكم بروسة وغيره– للاستفادة بخبراتهم في إدارة شئون بلادهم و فتح المدن البيزنطية الأخرى، وأن الأسلوب العثماني في السيطرة على المدن البيزنطية يكمن في تضييق الخناق عليها وعزلها عن العالم الخارجي عن طريق الاستيلاء على القلاع المحيطة بالمدينة المراد السيطرة عليها أو إقامة قلاع مواجهه لها. إلا أنه تم التوصل إلى أن معظم المدن البيزنطية الهامة سقطت في أيدي القوات العثمانية بسبب الرغبة في الهروب من الظلم والجور والفوضى البيزنطية، وبحثا عن حياة آمنة مستقرة

تحت الحكم العثماني الذي ظهر في شكل دولة ذات كيان سياسي مستقر ذي عاصمة وجيش نظامي وشعب منظم وحكومة عادلة وخاصة بعد استيلائهم على بروسه عام ١٣٢٦م، وقد تم التوصل أيضا إلى أن الإمبراطور البيزنطي سواء كانتاكوزينوس أو حنا الخامس باليولوجوس كانا مجرد ألعوبة في أيدي السلطان العثماني و ظهر هذا بوضوح عندما طلب الأول من ابن السلطان العثماني أورخان سليمان باشا إرجاع قلعة تزيمب لحوزة الإمبراطورية البيزنطية؛ فرفض وصمم على موقفه دون إعطاء أي اعتبار للإمبراطور البيزنطي، فكان من أهم نتائجه هو عبور العثمانيين للجانب الأوروبي للدردانيل واحتلال مدينة غاليبولي عام ١٣٥٤م والتي تعد نقطة انطلاق جديدة للعثمانيين في القارة الأوروبية، وكذلك خضوع حنا باليولوجوس للسلطان العثماني ليصبح تابعا له ومن مظاهر هذا الخنوع دفع جزية سنوية للسلطان العثماني، والاشتراك مع السلطان العثماني أيضا في حملاته العسكرية للسيطرة علي المدن البيزنطية الأسيوية المتبقية والتي كان من أهمها فيلادلفيا، بل أيضا قيام حنا الخامس بسمل عيني ابنه أندرونيكوس بأمر من السلطان العثماني نفسه.

ومن القضايا الهامة أيضا العلاقات البيزنطية المملوكية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي و التي توصل من خلالها إلى أن حرص المماليك على حسن العلاقات مع بيزنطة يرجع إلي رغبة المماليك الأكيدة في الحفاظ على تجارة الرقيق الأبيض الذي يمر عبر أراضى الإمبراطورية البيزنطية.

ومن أهم القضايا التي تناولها البحث أيضا احتلال ستيفن دوشان لمدينة سيريس ذات الأهمية الكبرى والعظيمة لكونها مدينة ذات تحصينات عالية وذات طابع بيزنطي، فضلا عن أنها المفتاح الرئيسي لمدينة تسالونيكا والطريق المباشر لمدينة القسطنطينية، بالإضافة إلى أن هذه الخطوة السابقة تعد نقطة تحول في تطلعات وتوسعات ستيفن دوشان في مقدونيا.

ومن القضايا المهمة أيضا التي ركز عليها البحث العلاقات البيزنطية الصربية خلال عهد الملك ستيفن أوروش الخامس Stephen Uroš V (١٣٥٥-

١٣٧١م) و قد أمكن التوصل من خلالها إلى أنها شهدت نوع من الهدوء النسبي بسبب حالة التشرذم التي حلت بالمملكة الصربية، وإن العلاقات التي حدثت بين الطرفين كانت قليلة؛ تمثلت في السفارات والزيارات المتبادلة بين الجانبين؛ والتي كان من أهمها زيارة البطريرك البيزنطي كاليستوس Kallistos عام ١٣٦٣م للصرب من أجل مناقشة الاتحاد الكنسي البيزنطي الصربي ولكن لم يتم ذلك الاتحاد بسبب موت البطريرك البيزنطي داخل الحدود الصربية.

ومن القضايا المهمة على الإطلاق معركة ماريتزا Maritza في السادس و العشرين من سبتمبر ١٣٧١م؛ والتي كان من أبرز نتائجها سقوط قوى البلقان الكبرى ليخلوا الطريق أمام الفتوحات العثمانية؛ و كذلك إدراك حنا باليولوجوس لحقيقة هامة و هي أن القوة الوحيدة المؤثرة في المنطقة هم العثمانيون، وأن الغرب لن يساندوه أبدا ولذلك قرر إعلان خضوعه للعثمانيين.

ومن النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة أن العلاقات السياسية بين بيزنطة وبلغاريا اتسمت بالعداء بشكل عام خاصة بعد وفاة ميخائيل سيسمان و تولي سدة الحكم إيفان ألكساندر الذي نهج سياسة عدائية تجاه بيزنطة وكان الصراع بين بيزنطة و البلغار دائما حول المدن المنتشرة علي ساحل البحر الأسود؛ والتي تأرجحت بين السيادتين البيزنطية والبلغارية، وكذلك استغلت بلغاريا الحرب الأهلية البيزنطية (١٣٤١ – ١٣٤٧م) الدائرة بين حنا الخامس وحنا السادس لخدمة مصالحها والسيطرة علي مدن ميسمبريا وأنخيالوس وسوزوبوليس. وجاء رد بيزنطة علي ذلك بمساندتها للحركات الانفصالية للنبلاء البلغاريين الذين كان من أهمهم مومشيلو ودوبرتيش، ولم ينقذ بيزنطة من الهجوم البلغاري المستمر علي أراضيها إلا وفاة إيفان ألكساندر، ثم الهجوم العثماني علي الأراضي البلغارية و سقوطها في أيديهم في النهاية.

ولقد أمكن التوصل من خلال البحث إلى أن البنادقة قد تميزوا بالطمع والجشع الاقتصادي والرغبة في المزيد دائما، على الرغم من حصولهم على كثير من الامتيازات التجارية الهائلة من الإمبراطورية البيزنطية، حيث استعاد البنادقة كثيراً من نشاطهم التجاري المفقود في عهد الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس كنتيجة طبيعية لسياسته العدائية ضد الجنويين، وكذلك في عهد

الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس تمتعت البندقية بمميزات عديدة منها حصولهم على جواهر التاج البيزنطي من خلال الإمبراطورة آنا، وحصولهم على جزيرة تينيدوس، فضلا عن تمتع رعاياهم بحرية التجارة.

ومن خلال تتبع العلاقات البيزنطية الجنوية أمكن التوصل إلى أن الأسباب الحقيقة والمباشرة لقيام الجنويين بالثورات العديدة ضد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث جاءت نتيجة لانتزاع الأخير لجزيرة خيوس من آل زاكاريا وإهانة آل كاتانيو في فوكايا فضلا عن تخليه عن سياسة أسلافه المتشددة تجاه البندقية. كذلك تم التوصل إلى أن العداء بين الجانبين البيزنطي والجنوي في عهد حنا كانتاكوزينوس يرجع إلى الثراء الفاحش لجنوي غلاطية وتحكمهم في التجارة البيزنطية خاصة تجارة القمح مما جعل كانتاكوزينوس يتبع سياسة عدائية واضحة ضد الجنويين منذ توليه سدة الحكم ولذلك دخلوا معه في حرب عام ١٣٤٨م انتهت بتوقيع اتفاقية بين الطرفين بناءً على رغبة السلطان العثماني، ولكن لم ينس الجنويون موقف كانتاكوزينوس منهم ولذلك ساعدوا حنا باليولوجوس على استعادة عرشه عام ١٣٥٤م بفضل الجنوي فرانسيسكو جاتيلوسيو Francesco Gattilusio، ولكن سرعان ما انقلب حنا الخامس عليهم بسبب مساندتهم لابنه أندرونيكوس الرابع و حفيده من بعده حنا السابع.

ومن النتائج التي توصل لها البحث فشل جميع محاولات الاتحاد بين الكنيستين اللاتينية واليونانية رغم السفارات العديدة المتبادلة بين الطرفين بل و ذهاب حنا الخامس بنفسه لروما.

لقد توصل البحث أيضا إلى نتيجة هامة وهي أن البابوية على الرغم أنها لم تحقق شيء كبير، إلا أنها تحركت بشكل ملحوظ خلال عهد حنا الخامس باليولوجوس أكثر من عهود سابقيه، ربما يكون ذلك بسبب شعورها بازدياد الخطر العثماني الذي عبر إلى الجانب الأوروبي. وبذلك توصلت الدراسة إلى أن جميع محاولات الاتحاد الكنسي بين كنيستي روما وبيزنطة باءت بالفشل الذريع رغم السفارات العديدة المتبادلة بين الطرفين ورغم الجهود المبذولة لتحقيق ذلك.

ومن أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تعانى من سكرات الموت البطيء وفي حالة من التفكك الداخلي والانهيار الخارجي وضاعت أملاكها الآسيوية والأوروبية على حدٍ سواء.

واستنادا إلى ما جاء في المصادر المعاصرة فقد أمكن من خلال هذا البحث، تناول بعض القضايا التاريخية بالدراسة والمناقشة، والتوصل إلى كثير من الاستنتاجات، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في إلقاء الضوء على كثير من نقاط البحث التي شابها الغموض حينا والاضطراب أحيانا، وكان الهدف هو تقديم الجديد فيما يخص موضوع البحث سعيا وراء الحقيقة باستخدام المنهج التاريخي.

قائمة المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

١- المصادر الأجنبية

Acta Benedicti X II. (1334-1342), Vol. VIII, ed. By. Tautu Aloysius, (Vaticanis, 1952).

Acta Ioannis XX II (1317-1334), Vol. VIII, ed. By. Tautu Aloysius, (Vaticanis, 1952).

Acta Urbani IV, Clementis IV, Gregorii X (1261-1276), Vol. V, ed. By Tautu Aloysius, (Vaticanis, 1953).

Anna Commena, The Alexiad, Trans. By. A.S. Elyzabeth, Dawes, (London, 1928).

لقد اعتمدت على الترجمة العربية: أنا كومنينا : ألكسياد ،ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

Asdracha (C.), Deux Actes Inedits

Concernant L'Empire, R. E. B., Vol. XXXV ,(Paris, 1977).

Asik – Pasa – Sohn, Fruhzeit und Aufstieg des Osmanreiches nach der Chroik "Denkwudigkeiten und Zeitaufte des Houses osman" Herausgege ben Von Richard. F. Kreutel, (Astoria, 1959).

Burchard of Mount Sion, A Decryption of the Holy Land, A.D 1280. Trans. By. M. A. Aubrey, P.P.T.S., (London, 1896).

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : الحاج بورشارد من دير جبل صهيون وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، عمان ، ١٩٩٥م .

Cantacuzenus Ioannis, *Historiarum,* C.S.H.B., ed. By. Ludwig Schopeni, 3 Vols , (Bonnae, 1829).

Chalcocondyles Laonikos, *Historiarum libre Decem,* C.S.H.B., ed. by . B. G. Niebuhril , (Bonnae, 1841).

Charanis (p.) , An Important Short Chronicle of the Fourteenth Century , *B.*, Vol. X III, (Bruxelles, 1938).

Chronique De Moree, Publice. Morel Al Fred – Fatio, (Geneve, 1885) .

Daniel, Russian Abbot the pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land, Trans. by .C.W Wilson, P.P.T. S., (London, 1888).

ولقد اعتمدت على الترجمة العربية : رحلة الحاج الروس دانيال الراهب في الأراضي المقدسة ١١٠٦-١١٠٧م ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، داود أبو هدية ، عمان ،

١٩٩٢م.

Doukas Michael, *Decline and fall of Byzantium to the Ottomán Turks*. Trans. By , Harry J.Nagoulias, (Detroit, 1975).

Enveri, *Le Destan D'Umur pasha (Dusturname, - I Enveri)* B. B., (Paris, 1954) .

Fabric, *Gregorius Phrantzes Notitia*, p. G., Tomus. 156 ,(Belgium, 1860).

Glannelli. C, Unprotto Di Barlaam Calabro per L'Unione Delle Chiese, *Miscellanea,* Vol. III ,(Vaticano, 1946)

Gordillo. M, Theologia Orientalium Cun Comparata (431- 1453), *O. C. A.*, Tome. 158,(Romae, 1960) .

Gregoras Nicephorus, *Byzantinae Historiae*, C.S.H.B., ed. By . Ludwig. Schopeni, Immanuel. Bekkeri, 3 Vols, (Bonnae, 1829) .

Ioaunnes B, *Nicephori Gregorae, Vita Opero Elogia*, P.G., Tomus. 148, (Belgium, 1866).

Iohannis Ephesin, *Historiae Ecclesiasticae parstertia* .

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : يوحنا الأسيوي : تاريخ الكنيسة ، الكتاب الثالث ، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب ، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

Itinerary of R.Benjamin of Tudela (1165-1173). Trans. By . Ezra Haddad, (Baghdad, 1954)

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة وتعليق عزرا حداد ، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢ م

Jacques De Vitry, *The History of Jerusalem*, Trans. By. Abrey. Stewart, P.P. T. S, Vol. XI, (London,

1896).
لقد اعتمدت على الترجمة العربية : يعقوب الفيترى : تاريخ بيت المقدس ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، عمان ، ١٩٩٨م .

John Of Wurzburg, *Description of the Holy Land A.D. 1160-1170*, Trans. By C.W. Wilson, (London , 1890).
لقد اعتمدت على الترجمة العربية : وصف الأراضي المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، عمان ، ١٩٩٧م.

La Chronique Brieve De 1352, Tome . II , de 1328 a 1344, Vol. XXX,*O. C.P.*, (Roma, 1964).

Loenertz (R.), Ordre et Desordre Dans Les Memories de Jean Cantacuzene, *R. E. B.*, Vol. XXII, (Paris, 1964).

Marino Sanudo, Lettres Inedites et Memoire de L'Ancien, *B.E.C.*, Vol. LVI , (Paris ,1895).

Moranville, Les Projcts de Charles Valois Sur L'Empire De Constantin-ople , *B.E.C.*, Vol. LI, (Paris, 1905)

Nicolo Barbaro , *Diary of The siege of Constantinople 1453*, Trans. By J. R. Jones , (New York, 1969).
لقد اعتمدت على الترجمة العربية : نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م ، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوى ، القاهرة ، ٢٠٠٢م

Omont (H.), Lettre D' Andronic II Paleologue Au Pape Jean XX II, Dans. *B.E.C.*, Vol. LX VIII , (Paris, 1906).

Omont (H.), Project De Reunion De Eglises Et Latine Sous

Charles Le Bel en 1327, *B.E.C.*, Vol. LIII , (Paris, 1892) .

Pachymers George, De Michaele et Andronico Palaeologis, *C. S. H. B.*, 2 Vols, ed. By Immanuel Bekker, (Bonnae, 1835).

Peter Tude Bode, *Historia De Hierosolymitano Itinere* . J. H. Hill, L.L. Hill.

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس : ترجمة وتعليق حسين محمد عطية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م .

Phrantzes George, *Chronicon Maius (1259-1477),* C. S. H. B., ed. By. Immanuel Bekker ,(Bonnae, 1838).

Raymond D'Aguilers, *Historia Francorum Qui Ceperunt Jerusalem*, R. H. C .H. Occ. , Vol. III.

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة وتعليق حسين محمد عطية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

Saewulf's , Pilgrimage to Jerusalem and the Holy Land P. P. T. S, Trans. By. W.R. Brownlow , (London, 1889).

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : وصف الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ١١٠٢-١١٠٣م ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوى ، عمان ، ١٩٩٧م .

Schreiner (P.), *Die Byzantinischen Klein Chroniken (Chronica Byzantina Breviora)* C. F. H. B., 3 Vols, (Vienna, 1976- 1978).

The Siege of Constantinople 1453, Seven Contemporary Accounts. Trans. By . J. R. Melville Jones , (Amsterdam , 1972).

لقد اعتمد على الترجمة العربية : ج.ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة ، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوى ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

Thomae Magistri, *Oratie Pro Chandrenos*, P.G., Tomus. 145, (Belgium, 1864).

William of Tyre, *A History of the Deeds Done Beyond The Sea*, Trans. By. E.A. Babcock, A. C. Krey ,(New York 1943-1947).

لقد اعتمدت على الترجمة العربية : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

٢- المصادر العربية

- **ابن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطبيب الملطي :** " تاريخ مختصر الدول" ، ترجمة الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- **ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ /١٤٠٤م) نصر الدين محمد بن عبد الرحيم :** " تاريخ ابن الفرات " تاريخ الدول والملوك " ، المجلد السابع ، بيروت ، ١٩٤٢ م .
- **ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :** "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ، لبنان ، د.ت.
- **ابن بيبي (تاريخ الوفاة غير معلوم) العلامة حسنى بن محمد بن علي**

الجعفري الرغدي: " تاريخ سلاجقة الروم" ، دراسة وترجمة محمد علاء الدين منصور ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

- **ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٢٧٢م) الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل :** " البداية والنهاية " ، الجزء الرابع عشر ، بيروت ، ١٩٩٦م .

- **ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) جمال الدين محمد بن سالم :** " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " ، الجزء الأول ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٧م .
- **أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفدا صاحب حماه:** " المختصر فى أخبار البشر " ، الجزء الرابع ، مصر ، ١٣٢٥هـ .
- **أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ /١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى الأتابكي :** " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، الجزء السابع ، د.ت .
- **الحريري (تاريخ الوفاة غير معلوم) احمد ابن على الحريري :** " الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعيين على ديار المسلمين " ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٤٠٤هـ /١٩٨١م .
- **القرماني (٨٢١ هـ ١٤١٨م) أبى العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي :** " أخبار الدول و آثار الأول فى التاريخ " ، بيروت ، القاهرة ، دمشق ، د. ت.
- **القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبى العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله :** " صبح الأعشى فى صناعة الانشا " ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- **المقريزي (ت ٨٤٥ هـ /١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن على :** " السلوك لمعرفة دول الملوك " ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

- **المقريزي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م) تقي الـــدين أحمـــد بـــن علـــى :**
" اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا " ، الجـــزء الأول ، تحقيـــق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .
- **بيبرس الدوادار (تاريخ الوفاة غير معلوم) الأمير ركن الدين بيبـــرس الخطائي المنصوري الدوادار :**
" زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك " ، الجزء التاسع ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، القاهرة ، د.ت .
- **عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٦٧ هـ / ١٢٠١م) محمد بن محمد بـــن محمـــد :** " تـــاريخ دول آل ســـلجوق " ، القـــاهرة ، ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م .
- **ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) شهاب الدين أبـــى عبـــد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي :**
" معجم البلدان " ، الجزء الأول ، بيروت ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م .

٣- المراجع الأجنبية :

Alix (M.) , Precis De L' Historie De L'Empire Ottoman , (Paris, 1822)

Arnakis (G.) , Gregory Palamas Among the Turks and Documents of His Captivity as Historical Sources , Speculum. , Vol. XXVI, (Cambridge, 1901) .

Atiya (S.), The Crusade In Later Middle Age ,(London, 1938) .

Bertele (T.) , Die Apologie Der Verurteilten Hochsten Richter Der Vomer B. Z., Vol. 56, (Munchen, 1963).

Boojamra (J.) , Social Thought and Reforms of The Patriach

Athanasios of Constantinople (1289- 1293, 1303-1309), B., Vol. LV, (Bruxelles 1985).

Bosch (U.), Kaiser Andronikos III Palaiologos Versuch Einer Darstellung Der Byzantinischen Geschichte Inden Jahren 1321-1341, (Amsterdam, 1965).

Brand (C.) The Turkis Element In Byzantium Eleventh Twelfth Centuries, D.O.P. , Vol. 43, (Washington , 1989).

Bratianu (G.) , Les Bulgares A Cetatea Alba (Akkerman) Au Debut Du XIV Siecle , B., Vol. II , (Bruxelles , 1925)

Breheir (L.), Vie et Mort de Byzance , (Paris , 1948) .

Browning (R.), The Byzantine Empire ,(New York, 1980).

Buchberger (M.), Andronicus III Palaeologus, L.F.T.K., Vol. A, (America , 1967).

Cirkovic (S.), Between Kingdom Empire Dusan's State 1346-1355 Reconsidered, in. Byzantium and Serbia in the 14Th Century ,(Athens, 1996).

Creasy (E.), History of the Ottoman Turks, (Beirut, 1968).

Dalleggio (E.), Galata La Souverainete de Byzance, R.E.B. , Vol. XIX , (Paris, 1961) .

Davis (S.), A Short History of The Near East From The Founding of Constantinople, (London, 1923)

Diehl (C.) , Etudes Byzantines ,(Paris, 1905) .

Figures Byzantines, Deuxieme Serie, (Paris, 1948).-

Dinic (G.) , The Balkans (1018-1499) C. M. H. , Vol. IV,

Part. 1, (Cambridge, 1960) .
Emmanule (B.) Histoire De L'Europe ,(Paris, 1945).
Failler (A.) , Une Derniere Mention Du Bulgare Vojisil Dans L' Histoire De Pachymers, R. E.B., Vol. XXXX III , (Paris , 1985)
Chronologie et Composition Dans l' Histoire De Georges – Pachymers Livres VII- XII, R. E. B. , Vol. XXXX V III, (Paris, 1990)
Fine (J.), The Late Medieval Balkans,(America, 2000) .
Finlay (G.) a History of Greece From Its Conquest by The Romans to The Present Time B.C 146 to A.D 1864, Vol. 3: The Byzantine and Greek Empires, Part . II, A. D. 1057-1453, (Oxford, 1877).
Gibbons (H.) , The Foundation of The Ottoman Empire : A History of The Osmanlis up to The Death of Bayezid I (1300-1403), (Oxford , 1916) .
Gill (J.), Byzantium and Papcy 1198-1400, (New Brunswick, new jersey, 1979).
Grousset (R.), L' Empire Du Levant, (Paris, 1946).
Hammer (V.), Histoire de L'Empire Ottoman, Trans, by. J. Hellert, (Paris 1841-1853).
Hemmerdinger (B.), Deux Notes D'Heraldque , B.Z., Vol. L XI, (Munchen, 1968).
Hidden (A.) , The Ottoman Dynasty ,(New York 1912).
Holt (P.) , The Cambridge History of Islam, Vol. 1 ,(

Cambridge , 1970)
Housley (J.) , Angevin Naples and The Defence of The Latin East Robert The Wise and The Naval League of 1334, B., Vol. LI, (Bruxelles, 1981).
Inalcik (H.) , The Ottoman Empire : The Classical Age 1300-1600, (London, 1973) .
Inalcik (H.), The Emergence Of The Ottoman, C.M.H., Vol. 1, Part. 1, (Cambridge, 1977).
Janin (R.) La Bithynie Sur L'Empire Byzantine Palaeologopolis Suite, E.D. O. , Vol. XX , (Paris, 1921).
La Thrace Byzantine , E.D. O. , Vol. XX , (Paris, 1921).–
Nicee Etude Historique et Topographique, E.D. O., Vol.VIII , (Paris, 1925).–
Jorga (N.) , The Byzantine Empire , (London, 1907) .
Kielty (B.) , La Chute De Constantinople ,(Paris, 1961) .
Korobeinikov (d.), Diplomatic Correspondence Between Byzantium and the Mamluk Sultanate in The Fourteenth Century, . Al-Masaq, Vol. 16, no. 1, March 2004.
Laiou (A.) , Marino Sanudo Torssello Byzantium and Turks The Background to The Anti- Turkish League of 1332-1334, in. Speculum, Vol. X LV ,(Cambridge, 1970) .
The Provisioning of Constantinople During The Winter of – 1306- 1307, B. , Vol. XXXVII, (Bruxelles,

1967).
Lavallee (T.) , Histoire De L' Empire Ottoman, (Paris, 1855).
Lavisse (E.) ,Romboud (A.), Histoire General ,(Paris, 1894) .
Lavisse (E.) Histoire De France, (Paris, 1905).
Lebeau, Histoire Du Bas- Empire ,(Paris, 1885).
Lemerle (P.) , L' Emirate D'Aydin Byzance et L' Occident : Recherches Sur La Geste D'Umur Pasha, (Paris, 1951) .
Levtchenko (M.) , Byzance ,(Paris, 1949).
Lodge (M.) , The Close of The Middle Ages ,(London, 1924) .
Magdalino (P.) , Tradition and Transformation in Medieval Byzantium, (Variorum, Hampshire, 1991).
Mavromatis (L.) , La Serbie De Milutin Entre Byzance Et Occident, B., Vol. X LIII , (Bruxelles, 1973)
Meyendorff (j.) , Un Mouvis Theologien De L'Unite Au XIV Siecle Barlaam La Calabrais, E.L.E., Vol. II , (Chevetogne, 1955).
Introduction a Etude De Gregoire Palamas, (Paris, 1954).–
Michel (M.) , Andronic III Paleologue D. E. H., Vol. A- b ,(Bordas, Paris, 1986).
Miller (W.) , Essays of The Latin Orient ,(Cambridge , 1921).
The Balkans, Romania, Bulgaria, Servia and Montenegro, – (New York, 1899).
The Last Athenian Historian Laonikos Chalkokondyles, –

J. H. S., Vol. XLII , (London, 1922).
The Zaccaria of Phocaea and Chios (1275-1329) , J. H. S., – Vol. XXXI,(London, 1911).
The Historians Doukas and Phrantzes, J. H. S., Vol. LVI , – (London, 1926) .
Nicholas (D.) , The Evolution of Medieval World : Society Government and Thought in Europe 312-1500, (London, 1992)
Nicol (D.) , The Byzantine Family of Kantakouzenos 1100-1146: A Genealogical and Prosographical Study, D. O. P., (Washington, 1973).
The Despotate of Epiros, Vol. II (1267-1479) : A – Contribution to The History of Greece in Middle Ages, (Cambridge, 1984).
The End of The Byzantine Empire ,(London , 1979).–
The Last Centuries of Byzantium 1261-1453 ,(Cambridge, – 1996).
The Reluctant Emperor : A Biography of John Cantacuzene – Byzantine Emperor and Monk 1295-1383, (Cambridge, 2000) .
Byzantium and Venice : A Study in Diplomatic and – Cultural Relations, (Cambridge , 1995).
Norwich (J.) , Byzantium : The Decline and Fall , (Viking , 1995) .
Orton (P.) , The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. II, (Cambridge, 1978).
Ostrogorsky (G.), The palarologi, C.M.H .,Vol. IV , part. 1,

(Cambridge 1966).
Etienne Dusan et Nablesse Serbe Dans La Lutte Contre – Byzance , B. Vol. XXII, (Bruxelles, 1952).
History of the Byzantine State (New Jersey , 1956). –
Pears (E.) , The Destruction of the Greek Empire and the Story of the Capture of Constantinople by the Turks ,(London, New York, Bombay, 1903) .
Pirnne (H.), Histoire De L' Europe ,(Bruxelles, N.D.)
Popovic (M.) , Les Forteresses Dans Les Regions Des Conflits Byzantino- Serbes Au XIVE Siecle, in. Byzantium and Serbia in 14Th ,(Athens, 1996).
Ramsay (W.) The Historical Geography of Asia Minor, (Amsterdam, 1962).
Richard (P.) , Andronic II ,D. H. G. E. , Tome . Deuxieme, (Paris, 1914).
Schlumberger (G.) , Expedition Des Almngavares Au Routiers Catalans En Orient De L'An 1302 A L'An 1311, (Paris, 1902).
Schroeder (H.) , Disciplinary Decrees of the General councils text, Translation and Commentary , (London, 1937).
Setton (K.) , A History of The Crusades, Vol. I, (Philadelphia, 1955) .
papacy and Levant (1204-1571), (Philadelphia, 1976).–
Sevecenko (I.) , The Decline of Byzantium Seen Through the Eyes of Its intellectuals, D. O. P., Vol. XXX I, (Washington, 1977).
Shaw (S.) , History of The Ottoman Empire and Modern

Turkey, (Cambridge , 1979).
Simpson (M.) , Magnesia , C. L. D., (America, 1982).
Soulis (G.) , The Serbs and Byzantium During The Region of Tsar Stephen Dusan (1331-1355) and his Successors, (Washington, 1984).
Souttar (R.) , A Short History of Mediaeval Peoples , (London, N.D).
Taechner (F.) , The Ottoman Turks to 1453 C. M.H., Vol. IV, Part 1, (Cambridge , 1966).
Vasiliev (A.) History of The Byzantine Empire ,Vol.2 ,(Madision, 1952).
Verpeaux (J.) Le Cursus Honorumed Theodor Metochites, R.E.B., Vol. XVII (Paris, 1959).
Viard (J.), Les Projects De Croisade de Philippe VI De Valois, B. E. C., Vol. XCVII , (Paris , 1936).
Viller (M.) La Question De L' Union Des Eglises Entre Grecs Et Latins Depuis Le Concile De Lyon Jusqu'a Celuide Florence (1274-1438) R. . H. E., Vol. XVIII , (Louvain, 1922).
Voordechers (E.) , Apropos De La Renonciation Au Throne d' Andronic II Paleologueen 1330, R. E. B., Vol. XXIV,(Paris , 1968).
Wittek (P.) , Yazijioghlu Ali on Christian Turks of The Dobruje, B.S.O. A.S., Vol. XIV , (London , 1925).
Zivojinovic (M.) , La Frontiere Serbo – Byzantine Dans La Premiers Decennies Du

XIVE Siecle, in. Byzantium and Serbia in 14Th Century,
(Athens, 1996)

٤- المراجع العربية والمعربة

- **أبرار كريم الله :**
من هم التتار ، ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصبروتي ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- **أحمد رشاد محمد :**
السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية (من استعادة البيزنطيين القسطنطينية عام ١٢٦١م حتى دخول العثمانيين لها عام ١٤٥٣م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٢م .

- **أحمد رمضان أحمد :**
المجتمع الإسلامي فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

- **أحمد عبد الرحيم مصطفى :**
أصول التاريخ العثماني ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م .

- **أحمد عبد المقصود :**
الجماعات القطالونية فى الإمبراطورية البيزنطية (١٣٠٣-١٣٨٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، عام ١٩٩٦م .

- **إدوارد بروي :**
القرون الوسطى ، ترجمة يوسف أسعد داغر و آخرون ، بيروت ، باريس ، د.ت.

- **إدوارد جيبون :**

اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، الجزء الثالث ، ترجمة محمد سليم سالم ، مراجعة محمد على أبو درة ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

- إسحق عبيد :

الدولة البيزنطية فى عصر باليولوغوس (١٢٦١-١٢٨٢م) ، بنغازى ، د.ت .

- أسد رستم :

الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، بيروت ،١٩٥٦م .

- إسماعيل سرهنك :

حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٣١٢هـ.

- ألبرت حوارني :

تاريخ الشعوب العربية ، ترجمة نبيل صلاح الدين ، مراجعة عبد الرحمن الشيخ ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

- أومان :

الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

- الأمين أبو سعده :

بيزنطة فى الملاحم العربية ، قراءة فى سيرة الأميرة ذات الهمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد التاسع والعاشر ، ٢٠٠١م .

- البولسيين : (مجموعة من المرسلين) :

الاجتهاد فى سبيل الاتحاد ، بيروت ، ١٩٣٩م .

- السيد الباز العريني :

– الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٦٣.

– المغول ، بيروت ، ١٩٨١م .

- الدولة البيزنطية ، بيروت ، ١٩٨٢م.

- بيلديسنيو إيرين :

"عثمان و أورخان" فى تاريخ الدولة البيزنطية ، الجزء الأول ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، ١٩٩٣م

- جوزيف داهموس :

سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد فتحي الشاعر ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

- جوزيف شاخت و آخرون :

تراث الإسلام ، الجزء الأول ،ترجمة محمد زهير السمهورى و آخرون ، تحقيق شاكر مصطفى ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٣ ، الكويت محرم ١٤١٩هـ / مايو ١٩٩٨م .

- جوزيف نسيم يوسف :

- تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م) ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م.

- العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع فى الأراضي المقدسة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

- حاتم عبد الرحمن الطحاوى :

- بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية ١٠٨١ - ١٢٠٤م ، القاهرة ١٩٩٨م .

- الاقتصاد الصليبي فى بلاد الشام ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

- حسين محمد عطية :

إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١- ١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ) ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

- خليل أفندي مطران :

مرآة الأيام فى ملخص التاريخ العام ، مصر ، ١٨٩٧م .

■ دائرة المعارف الإسلامية :
المجلد ٤، ١٤ ، ترجمة محمد ثابت ،إبراهيم ذكى و آخرون ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

■ دونالد نيكول :
معجم الترجمة البيزنطية ، ترجمة وتعليق حسن حبش ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

■ رأفت عبد الحميد :
– الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٨٣م .
– الفكر المصري فى العصر المسيحي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

■ زاهر رياض :
شمال أفريقيا فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٨١م .

■ زينب عبد المجيد عبد القوى :
العلاقات السياسية والدينية بين الدولة البيزنطية وغرب أوربا فى الفترة من ١٠٧١–١١٠١ ميلادية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ١٩٨٥م .

■ ستيفن رانسيمان :
– تاريخ الحملات الصليبية ، ترجمة نور الدين خليل ، القاهرة ، ١٩٩٤م
– الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

■ سعيد عبد الفتاح عاشور :
– الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربي فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
– العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

- قبرس والحروب الصليبية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- أوروبا العصور الوسطى التاريخ السياسي ، القاهرة ، ١٩٨٦م.
- الممتلكات الكنسية فى مملكة المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢هـ-٦٩٠ هـ) الإسكندرية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

- **سيد أحمد الناصري :**

الروم والمشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- **صلاح محمد ضبيع :**

العلاقات السياسية بين العثمانيين و الإمبراطورية البيزنطية فى عصر آل باليولوجوس ١٢٦١- ١٤٥٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

- **طارق منصور :**

فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى الإستراتيجية فى ضوء "تكتيكا" ليو الحكيم ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، تحرير حاتم عبد الرحمن الطحاوى ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

- **عادل زيتون :**

العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى دمشق ، ١٩٨٠م .

- **عبد السلام عبد العزيز فهمي :**

فتح القسطنطينية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

- **عبد العزيز رمضان :**

المرأة والمجتمع فى الإمبراطورية البيزنطية ، القاهرة ،٢٠٠٥م .

- **عزتلويوسف بك أصاف :**

تاريخ سلاطين بنى عثمان ، تقديم محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة

، ١٩٩٥م .

- علي محمد الصلابي :

الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، القاهرة ، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م .

- عماد أمين محمد :

الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية والبلقان (٦٢٦-١٤٥٩م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، ٢٠٠٣م .

- قاسم عبده قاسم :

- أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

- ماهية الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٩٤م .

- عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- كيرلس الأنطونى :

عصر المجامع ، تقديم ، عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٩١م .

- ليلى عبد الجواد إسماعيل :

- السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية فى القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م .

-علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك (٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦١-١٣٨٢م) ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد ٤٦، ٤٧، عام

١٩٨٦م .

- **محمد أنيس :**
الدولة العثمانية والمشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤م) ، القاهرة ، ١٩٨١م .

- **محمد عبد العظيم أبو النصر :**
السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، القاهرة ، ٢٠٠١م

- **محمد عثمان عبد الجليل :**
إبيروس وسياستها الخارجية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة طنطا ، عام ١٩٩٧م.

- **محمد فؤاد كوبريلي :**
قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، ١٩٩٣م

- **محمد فتحي الشاعر :**
السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادي " عصر جوستنيان" ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

- **محمد فريد بك :**
تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م .

- **محمد محمود النشار :**
علاقة مملكتي قشتالة و أرجوان بسلطنة المماليك (٦٥٨-٧٤١هـ/١٢٦٠-١٣٤١م) ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

- **محمود سعيد عمران :**
معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، الإسكندرية ، ١٩٨١م .

- **محمود محمد الحويري :**
الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث

عشر من الميلاد ، القاهرة، ١٩٧٩م .

- **ميشيل بالار:**

الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

- **ميشيل يتيم و آخرون :**

تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ، بيروت ، ١٩٩١م .

- **ناهد عمر صالح :**

السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثاني باليولوجوس (١٢٨٢- ١٣٢٨م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، عام ١٩٩٩م .

- **نفتالى لويس :**

الحياة فى مصر تحت الحكم الروماني ، ترجمة السيد جاد ، الإسكندرية ، ١٩٩٤م.

- **هانس إبرهارد ماير :**

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم ، ليبيا ، ١٩٩٠م .

- **هـايـد :**

تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، الجزء الثالث ، ترجمة أحمد رضا محمد ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

- **هسى (ج.م) :**

العالم البيزنطي ، تقديم وترجمة وتعليق رأفت عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

- **هناء محمد إبراهيم :**

التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف

القرن الرابع عشر حتى سقوطها ١٤٦١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، عام ١٩٩٨م .

- **روبرت لي وولف :**

الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م ، ترجمة ليلى عبد الجواد إسماعيل ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، إشراف كينيث سيتون "فصول مختارة " ، تحرير سعيد عبد الله البيشاوى ، محمد مؤنس عوض ، رام الله ، ٢٠٠٤م.

- **وسام عبد العزيز فرج :**

الألقاب والمناصب الحكومية فى بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع ، الكتاب السنوي الثالث ، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية ، القاهرة ١٩٩٨م .

- **ول ديورانت :**

قصة الحضارة (عصر الإيمان) ، المجلد السابع ، جـ ١٤ ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

الفهرس

هذا الكتاب

منذ أن نقل الإمبراطور قنسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧م) عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما على ضفاف التيبر إلى موقعها الجديد (القسطنطينية) على ضفاف البوسفور عاشت الإمبراطورية - التي عرفت فيما بعد بالإمبراطورية البيزنطية - فى وجدان أباطرتها، كامتداد طبيعي للإمبراطورية الرومانية. وعاشت الإمبراطورية البيزنطية فترة طويلة ، وتقلبت بها الأحوال ، من فترات القوة إلى فترات ضعف. وخرج البيزنطيون من هذه التقلبات بعدة دروس ، كان أهمها انه طالما بقيت القسطنطينية في أيدي الأباطرة، فالإمبراطورية باقية. وهو الدرس الذى وعاه البيزنطيون في عام ٦٢٦م أثناء حصار الفرس والآفار للعاصمة، وتأكد لهم فى عام ٧١٧ - ٧١٨م أثناء حصار المسلمين لها .

وسارت الإمبراطورية البيزنطية على هذا المنوال من تقلب الأحوال ، إلا أنه بعد ضياع القسطنطينية لمدة نصف قرن من الزمان (١٢٠٤-١٢٦١م) حيث استولى عليها صليبيو الحملة الرابعة ، وأقاموا فيها دولة لاتينية، بينما قبع أباطرتها فى المنفى ، وبعد استرداد ميخائيل الثامن باليولوجس (١٢٦١-١٢٨٢م) للعاصمة البيزنطية، وأعاد إحياء الإمبراطورية لمدة قرنيين من الزمان وكانت السياسة الخارجية للدولة البيزنطية خلال تلك الفترة - ع[illegible]ـطور أندرونيكوس الثالث - هي الوسيلة التي حاول بها هذا الإمبر[illegible] على الإمبراطورية من كل طامع فيها.



I.S.B.N.978-977-276-662-8



